



جبل العِمَالَة

والقسم الشواعن في ضوء الإسلام

دار الأعْصَم

أنور الجندري

جيـلـ

العـمالـقةـ والـقـيـمـ الشـوـامـخـ
فـي ضـوءـ إـسـلاـمـ

دار الاعنةـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل إلى البحث

أن من طبيعة الفكر الإسلامي أن يعقد مقارنة بين جيل وجيل لتقدير ماضيهما الجيل السابق ووزنه بميزان الأصالة والتقدير الحقيق الحر بعيد عن الأهواء التحرر من الولاء والخضوع لما خضع له الجيل السابق ، وقد تتابعت في تاريخ الفكر الإسلامي عملية (إعادة النظر) وإعادة تقدير المراحل هذه ، حتى غدت مسألة طبيعية بل وضرورية لمواكبة سير الإنسانية على الطريق الصحيح إلى الغاية الأصلية وتصفية الفكر الإسلامي في كل مرحلة من المراحل .

ومنذ ظهرت طلائع حركة اليقظة الإسلامية بمقاهيم النجف القرآني الأصيلة بدأت عملية إعادة النظر في كل ما كتب في مرحلة النفوذ الأجنبي والاحتلال والسيطرة الأجنبية والتبعية لل الفكر الغربي المسيطر من خلال معاهد الدراسات والابتعاث إلى البلاد الأجنبية وما حمله هؤلاء العائدون من مذاهب ونظريات وما حاولوا من خلاله اختطاع الفكر الإسلامي وتاريخ الإسلام والتراث إليه من نظريات تقوم على أساس الفلسفة المادية والاشتراكية التي عرف بها الفكر الغربي وتلك قضية كبرى معروفة تحت اسم : حركة التغريب والغزو الثقافي .

والاليوم ترتفع صيحة في مسكن التغريب والغزو الثقافي تعارض هذه المراجعة وتصد هذا التقديم الذي يقوم به رواد حركة اليقظة بمقاهيم الإسلام للفكر المعاصر الذي خضع فترة لنفوذ الأجنبي وجرت محاولة احتوائه وتدمره وتغريبه .

وهذه الصيحة اليوم تحمل رمزاً لاماً خطيراً هو التساؤل عن الخطأ الذي يجري في مواجهة جيل العمالقة والقمم الشوامخ ، هؤلاء الذين قدموا للأمة ذلك الفيض الدافق من البطاقات والأراء والنظريات التي تقوم عليها الآن الدراسات العربية في الأدب والشعر والفن وفي مختلف مجالات الفكر .

والحقيقة أن مقدمة هذه المدرسة التي يسمونها تارة باسم الرواد وتارة باسم جيل العمالقة واقسم الشوامخ ، ليس إلا عصارات من الفكر الغربي انتزعت من هنا أو هناك ، وخلاصات وترجمات لمعاصرين ذلك الفكر الذي سيطر على الغرب تحت اسم الفلسفة المادية ومدرسة العلوم الاجتماعية والتحليل النفسي، وهو خلاصة ما كتب دارون ودوركايم وفرويد وماركس وإنجاز وترجمات للقصص الجنسية والاباحي من الأدب الفرنسي ، وكان الصراع في أول الأمر قاتماً بين الالتينيون والسكسون هؤلاء مع المدرسة الانجليزية (البقاء والمآذن وشكري) وأولئك مع المدرسة الفرنسية (خليل مطران وطه حسين وهيكل) .

ثم جاء الصراع الثاني بين المدرسة الليبرالية (لطفي السيد - طه حسين) وحسين فوزى ونزيح نجيب محمود ومن المدرسة الماركسيّة (سلامة موسى وحسين فوزى وهندور) ثم جمادات المدرسة الإنسانية الماسوتية (الهومنيزم) وعلى رأسها لويس عوض وكل ما قدم في هذه المرحلة منذ بدأ هذه المدرسة على يد أستاذ الجيل (لطفي السيد) وحتى اليوم هو فتات موائد الغرب بشقيه ، ولم يكن هؤلاء الأدباء والكتاب من أصحاب الأسماء اللامعة إلا قاطر بين الساحلين ، ولم يكن ماغل خلال هذه الفترة سواه على لسان من قدموه على أنه فكرهم الخاص أو ماترجمه، لم يكن فكراً حراً خالصاً أريد به خدمة هذه الأمة، ولم يكن مقصوداً به ترسير الوجود الفكري الثقافي لأمة تملك مفهومها أساساً جاماً للفكر والحياة والمجتمع ، وإنما كان فكراً متخيلاً مقصود به تسميم ثقotas الفكر الإسلامي وإفسادها وتحويم وجهة هذه الأمة وتغيير ملائحتها والقضاء على ذاتيتها وأعرافها الإسلامية والهرمية الأصلية ، كان هذا واضحًا في كل مانقل وما ترجم حتى فيما أوصل به من إحياء التراث الإسلامي العربي ، كان هدف ذلك كله الدعوة إلى إخراج هذه الأمة من مقوماتها الأصلية وصهرها في بوتقة الفكر الغربي المادي المحدوثي ربيب الفكر الاغريق القائم على علم الأحnam ودفع هذه الأمة بعيداً عن طريقها الأصيل بوصفها صاحبة المنهج التجريبي الذي صنع المضمارية المعاصرة ، وصاحبة منهج المعرفة لدى الجنائن (الروح وال المادة) والقائم على منهج الثواب والعقاب إلى منهج لنشطاري مادي خالص ، وحق في هذا مقال البعض : إنهم أخذوا المنهج العلمي

التجريبي من المسلمين وأوردوا المسلمين إلى منهاج أرساطو الذي رفضه المسلمون قد ياماً وهاجمته الحضارة المعاصرة في عصر النهضة .

اذن فالحلقة المشاركة تحت عنوان خطيبٍ : (هدى الشوامخ من أجل من) هي
محاولة جديدة لمحاولة تثبيت دعائم هذه المؤامرة القيمية التي تكشف خططها، ومتغالتها
واصحة تقرم على التعميم بهدم الشوامخ في هؤلاء الشوامخ الذي جرى هدمهم ،
وهل من أجل أمثال علي حسين ولويس عوض وحسين فوزي و توفيق الحكيم
وزكي تجبيب محمود يطلق اسم الشوامخ، بينما حقيقة الأمر أن الشوامخ هم غير هؤلاء ،
لأنهم أو تلك الجمادات الصادفون الذين لا يذكرهم أحد ولا يتحدث عنهم أحد، الذين
وضعوا في الظل وأفيفت حولهم مؤامرة الصمت ، لأنهم قدموا لهم معطيات
وافرقة ودولتهم على طريق الأصالة والنهضة الحقيقية .

والحقيقة التي يتجاهلها أتباع التفريغ والغزو الفقائق أن الشواغن والمعاملة المقعيدين ليسوا هؤلاء ، ولأنما أولئك الذين نسيهم الناس وتجاهلتهم الصحافة ووجههم الأعلام ، ولإذا أثير أمر واحد منهم بتأليف كتاب عنه وقف أمثال الدكتورة سهير العلامي لتقول : من هذا ، من هو (عبد العزيز جاويش) ذلك لأن جاويش ليس من مدرسة لطفي السيد وكان خصماً لكتاب «الاسلام والعربية» ومدافعاً عن اللغة العربية أمام المستشرقين الذين حاولوا اغتيالها في مؤتمر الجزائر سنة ١٩٥٤ ،

وكتيرون هم الشواخن الحقيقيون ، ولكن طه حسين وهو لام ليسوا إلا أقزام من العقريين غلاب المستشرقين الذين أعطام التفود الأجنبي هذه الشهرة والمكانة وظل يدافع عنهم حتىاليوم ، حماية لوجوده من خالطهم ولإلا قفل لي بربك من غير طه حسين يقام له حمل سنوي يدعى إليه المستشرقون من كل مكان في أوروبا ، ولماذا لا يعلم هذا المقدير لمصطفى صادق الرافعى أو رشيد رضا أو شكمب ارسلان.

الحقيقة أن هذه الحملة تحت اسم هدم الشوايخ هي حملة باطلة وإلا فلن الذي هدم جمال الدين الأفغاني والمتني وابن خلدون في العصر الحديث ، أليسوا هم أولئك الشوايخ في قدر التغريبين .

٢ - تقييم المحسول الذى قدمه جيل الرواد

بيان الإسلام

إننا إذا أعدنا النظر في تقييم هذا المحسول، الذى قدمه جيل الرواد، وجدنا فيه الشيء القليل النافع الإيجابي ووجدنا أغلبه مساقديتنا به رياح السووم، هذه الاطروحات التى كتبها الأعلام الذين تصدروا الحياة الأدبية: ما ورثها فى مجال البحث العلمى: لقد تبين أن رسالة الدكتور طه للدكتوراه فى السربون عن ابن خلدون هي تردید لأفكار اليهودى الحاذق على الإسلام وأعلامه (دور كايم) وأنها تتقدس هذا الرجل انتقاداً شديداً ، وتجدد أعلاه منصور فهمي عن (المرأة في التقاليد الإسلامية) وهي تردید صارخ لا كاذب المستشرقين واتهامهم للنبي ﷺ بأنه استثنى نفسه من قانون الرواج وهي أفكار دهافة اليهود ، وإذا نظرنا في رسالة ذكي مبارك عن (الأخلاق عند الفزالي) نجد أنها تردید لا كاذب المستشرقين عن الفزالي واتهامه بأنه متأثر بال المسيحية ، فإذا راجعنا كتاب مع المتنى لطه حسين وجدناه مؤخراً من أحقاد المستشرقين وفي مقدمتهم (بلاشبر)

إذا راجعنا كتاب على عبدالرازق عن (الإسلام وأصول الحكم) وجدناه مأخوذًا بكماله من رسالة لم رجليوث ، وإذا نظرنا في كتاب (الشعر المحايلي) وجدناه مردداً لنظرية قدمها مر حليوث أيضًا عن انتقال الشعر يرجى بها القرآن نفسه، أما آراء سلامه موسى فقد كانت متقوله نقاًلاً مباشرةً من كتابات : داروين وفرويد وماركس ودور كايم .

أما العقاد فقد تأثر تأثيراً واسعاً بنظريات مقارنات الأديان في كتابه عن (الله) وتأثر بنظريات الوراثة في كتاباته عن الصحابة .

كان المدف هو إخضاع السكر الإسلامي في مختلف جوانبه للنظرية المادية الغربية ، بدأ ذلك جرج زيدان في كتاباته عن الأدب العربي والتمدن الإسلامي والروايات الإسلامية ، ومنه على الطريق كل من جاء بعد ذلك ، ففي كتاب

[حياة محمد] على مایه من دفاع عن الإسلام خرج من عباءة المستشرقين وكتاب التغريب وتبني نظريات الكاثوليكي الفرنسي (دور كايم)، وأنكر مأسوي القرآن من مهزات النبي عليه السلام، ورفض مفهوم الإسراء بالروح والجسم وتبني عدیداً من مفاهيم المskر المسيحي الغربي.

أنا الذين قدّموا مفاهيم الإسلام الأصلية فقد أبقاهم الفوز الغربي المسيطر على الحياة الثقافية في مصر والبلاد العربية - أبقاءهم في الظل، فقد سبقت وخلفت كتابات هيكل عن الرسول عليه السلام كتابات كثيرة : (محمد أحد جاد المولى ، محمد مصطفى نجيب) .

ومن بعد جاءه محمد الفرزالي ، محمد سعيد البوطى ، أبو الحسن الندوى ، وكثيرون ولكن هناك تركيز في دائرة الضوء على كتاب معين أو كتب بعدها لوفút كتاب الم الدين الفكري والتلقافية تجدها في ذلك الكتابة المكتوبة الأصلية وهناك مؤامرة صوت قاتمة اذاتها وإزاء كتابتها :

أى القراءين أحق بأن يوحض بالشهوخ والريادة وجيل العمالقة : هؤلاء أتباع التغريب وغلبان المستشرقين والذين حلووا لواء تزييف الفكر في كل مجال من مجالاته حتى سيطر لطفي السيد على الدعوى العامة أو قاسم أمين لاخراج المرأة من بيتهما أم سعد زغلول لدعوة تعليم اللغة الانجليزية أم طه حسين للدعوة للأدب الفرنسي أم سلامه موسى للدعوة إلى دراون وفرويد وماركس ، أم حسين فوزي المدعوة إلى الموسيقى الصالحة أم لويس عوض الدعوة إلى الفرعونية أم ساطع المصري للدعوة إلى القومية الغربية أم على عبدالرازق للدعوة إلى العلانية . . . هؤلاء أحق بأن يوصوا بأفهم الشواخن وتقرب الأقدام لخاتمهن كشئ ذيفهم أو من تعرية خبرهم ومن وضعيتهم في مكانهم الصحيح فلا يخدع بهم الأمة أم هؤلاء الأبرار :

حال الدين ، محمد عبد ، مسلمي عادق الرافعى ، رشيد وضا ، شكيب ارسلان حب الدين الخطيب ، أحمد زكي باشا ، طاهر الجزائرى ، أحمد تيمور ، الموبلاхи ، الكنواكى ، علال القاسمى ، عبد العزizin جاويش ، البشكري ، المنفلوطى ، الزيات

التعالى ، عبدالرحمن عزام ، عبدالوهاب عزام ، عبدالحميد بن ادريس ، حسن البنا ، حسن حسني عبدالوهاب ، فريد وجدى ، الفلايبين ، ططاوى جوهرى ، عبدالوهاب خلاف وآخرون .

هؤلاء في الحقيقة هم الذين صنعوا نهضة مصر والشرق والإسلام وخاصة في مجال النضال الوطني والتحرر من النفوذ الأجنبي ، هؤلاء هم الذين وضعوا قواعد البناء الفكري الإسلامي الحديث .

ولقد أدعى لطفي السيد وسید زغلوان وطه حسين أنهم أولياء جمال الدين أو محمد عبده ، ولكن طريقتهم وأسلوبهم كذب هذه الدعوة وكثنت ذيفها ، بل أن طه حسين نفسه أعلن خروجه على محمد عبده ، وأحد زكي باشا ، والشيخ الحضرى أستاذته وهاجهم .

أن الحقيقة التي لا يخفيها الآباء بعد أن ظهرت عشرات الدراسات مصححة للواقع ، في ضوء منبرهم القيظاني الإسلامي ، أن هذه الأئمة الاعية التي ماتزال تتردد ، إنما يراد بها أن تجرب تلك الأسلوبات الساطعة ، وهي في الحقيقة لم تصنع تلك النهضة ، وإنما صنعتها أولئك الأبرار ووضعوا لها القواعد ، هذه الأئمة الجهة في ميزان الشهرة المعاصرة الكاذبة التي يوقد نارها التغرب والاستشراق ، أولئك المخلصون الصادقون فإن أحداً لم يذكرهم اليوم ، أما هؤلاء الذين خدعوا الناس بأن حملوا لواء قيادة الفكرة فإنهم لا يمكن وصفهم بالريادة ولا بالبطولة ولا بالقيادة لأن عوامل ذلك كلها تتقسمهم وأبرز عوامل قبول الأمة لهم وإيماناً بصدقهم وثقتها فيهم ، إنهم لم يكسبوا شهورتهم نتيجة خصوصية فكرهم أو صدق إيمانهم وإنما لأنهم عملوا في مجال السياسة والحزبية والمسحانية يوماً بعد يوم ، في ذلك الركام المصطرب الخاص من الصراع الحزبي والجدل السياسي والهجاء المثير فأعطائهم هذا كلهم : ذلك البريق وتلك الشهرة ، واستطاعوا أن يركبوا كل مرحلة فلما جاءت مرحلة الإسلام ركبواها ظناً منهم أن يسيطروا عليها ودفعوا من سادتهم لكي يحملوا وجهتها .

هذا ما أعطائهم الشهرة (ومعنى لبس عقباً = حقيقة بالاظلة) أما جهودهم الحقيقية في مجال بناء النهضة فهو قليلاً بل هي الموقوفين لها الذين شقروا جبهتها الموحدة بـ

وأمثال هؤلاء الاميين لم تكن كتاباتهم في الأدب والفكر تساوى واحداً من مائة من كتاباتم السياسية والحزبية المنسنة بأدق الرأي الجيد والمجلد ، ولم تكن تساوى واحداً من أئمـة من كتابات ذوي الأصالة والثقافة والتاج الجيد وأصحاب الأفلام الموجهة لخدمة كلية الله الداعية لأن تكون كلمة الله هي العلـيل .

ولكن السياسة والحزبية والنفوذ التغربي هو الذي أعطـام لعـان [الأصم حتى جاء اليـوم الذين يسمـون فيه بالقـمم الشـواخـع] .

أن أسماء كثيرة هي التي أعمـلت الهـمة الإـسلامـية دفـتها القـوية من علمـاء وـمن كتابـيون الأـصـالـةـ المـحـقـةـ، وـليسـ أولـكـ المـغـرـبـونـ هـمـ الـذـينـ قـاماـ بـهـذاـ الدـورـ، وـنـحنـ لـاتـسـكـرـءـ مـنـ أـنـهـمـ شـارـكـواـ فـيـهـ بـجـهـدـ ضـئـيلـ (ولـكـنـ مـاقـدـمـةـ وـصـنـبـوـمـ بـأـنـهـ أـشـبـهـ بـالـخـلـوبـ : حـسـبـ كـبـيرـ وـسـكـرـ قـلـيلـ) وـكـانـتـ لـهـمـ أـخـطـاءـ وـأـخـرـافـاتـ وـقـلـيلـ مـنـهـمـ فـيـ صـدـقـةـ اللهـ الـثـيـرـةـ فـيـ الـعـودـةـ إـلـىـ الـحـقـ، ذـالـكـ أـنـهـ كـانـبـاـ غـرـيبـينـ بـحـكـمـ الـقـاغـانـةـ الـأـوـلـىـ الـكـوـنـهـ وـلـذـاكـ كـانـ دـخـولـهـ إـلـىـ فـهـمـ الإـسـلـامـ لـيـسـ نـقـاـلـةـ الـكـامـلـ بلـ كـانـ تـحـتـاطـ بـهـ شـوـهـاتـ الـفـكـرـ الـمـادـيـ وـتـرـاـكـاتـ الـفـاهـيـةـ وـالـرـوـمـانـيـةـ وـالـسـيـجـيـةـ الـمـسـيـطـرـةـ عـلـىـ تـاجـ الـفـكـرـ الـفـرـقـيـ كـلـهـ . وـلـاـهـمـ بـدـأـوـ كـتـابـاتـهـ الـإـسـلـامـيـةـ بـنـاعـجـ الـغـرـبـ - كـانـوـاـ كـالـسـتـشـرـنـيـنـ - أـعـزـزـ عـنـ فـهـمـ مـنـاهـجـ الـإـسـلـامـ فـتـخـبـطـوـاـ وـأـخـطـلـوـاـ ، وـنـقـلـوـاـ عـنـ كـتـبـ التـبـشـرـ وـكـتـبـ الـاسـتـشـرـاقـ وـعـجـزـوـاـ عـنـ الـأـصـالـةـ الـمـحـقـةـ .

يقول الدكتور محمد حسين : أن عليهـ حـسـينـ وـالـمـقـادـ لـيـتـمـانـ أـصـلـاـلـ إـلـىـ الـمـدـرـسـةـ الـإـسـلـامـيـةـ مـنـ النـاحـيـةـ الـنـسـكـيـةـ ، وـلـكـنـهـماـ يـتـعـمـانـ مـنـذـ نـشـأـتـهـماـ الـأـوـلـىـ إـلـىـ (الـمـدـرـسـةـ الـلـيـبـرـالـيـةـ) الـمـتـحـرـرـةـ الـنـىـ تـبـتـرـ (المـقـنـيـ السـيـدـ) أـسـتـاذـهـماـ الـأـوـلـىـ فـيـ جـيـلـهـماـ وـالـمـدـرـسـةـ الـلـيـبـرـالـيـةـ تـحـكـمـ الـقـلـعـةـ الـجـردـ وـالـمـتـحـرـرـ مـنـ كـلـ الـمـوارـيـثـ الـفـكـرـيـةـ وـالـسـلوـكـيـةـ، فـيـ كـلـ شـيـءـ، وـلـاـ تـبـالـيـ أـنـ تـلـقـيـ مـعـ الـدـينـ فـيـ كـلـ وـجـهـاتـ النـظـارـ أوـ بـعـضـهـاـ أوـ تـعـارـضـ مـعـهـ وـتـخـالـعـهـ، وـلـكـنـ طـهـ حـسـينـ كـانـ أـكـبـرـ عـنـفـاـ وـأـكـبـرـ جـرأـةـ فـيـ مـعـارـضـهـ الـدـينـ، وـفـيـ الـجـاهـرـةـ بـمـاـ يـشـبـهـ النـاسـ لـيـافتـ إـلـىـ نـفـسـهـ الـأـنـظـارـ، لـقـدـ هـاجـمـ طـهـ حـسـينـ أـبـاهـ فـيـمـاـ كـانـ يـتـلـوـهـ مـنـ أـورـادـ فـيـ أـعـقـابـ الـصـلـاـةـ وـفـيـ الـلـيـلـ (فـيـ كـتـابـ الـأـيـامـ) غـيرـ أـنـ طـهـ حـسـينـ وـالـمـقـادـ قدـ اـكـنـسـهـمـ الـمـوـجـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـعـارـمـةـ فـتـابـتـ كـتـبـهـاـ بـهـ

أن أصبح ذلك هو البدع الشائع الذي يغمر الأسواق ، ولم يعد التشكك بالكتف ونظرياته المستوردة سمة من سمات المفكرين ، تسهوى الاغمار من الشباب كما كان في العشرينات . ويرجع هذا الانقلاب الفكري إلى عدة عوامل عدلت بالناس ويكتب من المفكرين عن طريق احتداء الحضارة الغربية والفكر الغربي وردمهم إلى طريق الإسلام منها ، فوجة التصريح وهجرة اليهود إلى فلسطين وسقوط الخلافة على يد الكالبيين ، وظهور جماعات إسلامية عظيمة .

أن هناك قاعدة أساسية ينبغي أن توضع في الحسبان حين يوزن الأدباء والمفكرون ومن وجهة النظر الإسلامية ، وهي أن الإسلام نظرية في السلوك مثل ما أنه نظرية في المعرفة ولذلك كان من المهم أن لا يقبل فكر إسلامي أو أدب إسلامي من من يذكر أو أديب لا يعارض الإسلام ولا يلزم به ومعرف أن طه حسين والمقادير لم يكونوا معارضين للإسلام في أصوله الأصيلة .

هذا عن فناخية ومن ناحية أخرى فإن كتاب مصر هؤلام : الشواخ الرواد ، لم يحالفه الاستهانة ولا الابتعاد ، وإنما حاربوا خصومهم السياسيين ، وكانوا يفرجون ثقافةً واعضحةً بين موقف سياسي مع الاستهانة البريطاني وبين إيمان غامر بالتفاني في الفزاعة والدينقراطية الغربية والميراثية الغربية كنوح حياة ، في نفس الوقت فإن الذين كانوا يطأتون فيه بالحرق بقو الاستقلال كانوا يؤمنون بعظمة الحضارة الغربية والمنهج الديمقراطي كأساس الحكم ، فهم أولوا في شهرة صنعتها السياسة والحزبية وتم إقصاعها المفكرون ، وكانوا خصوماً ظاهرين للنفوذ الأجنبي وأصدقاء واضحين للتفكير العربي .

أولاً : كان كتاب الأحزاب والسياسة (وهو صفوه الشواخ والرواد) مسلمين لا إنجليز غير معارضين لهم بل كانوا يقبلون بالتفاه معهم وهذا منطق مدرسة سعد زغلول المعروضة لمدرسسة مصطفى كامل .

ثانياً : كان كتاب مصر وأبرزهم في صن حرب الأفلية المعارضة للوطنية الشعوبية (حرب الأحرار الدستوريين) لطفي السيد وطه حسين و محمد حسين هيكل وأبراهيم المازني وعلى عبد الرزاق ومحمد عزى ومنصور فيس .

ثالثاً : كان كتاب مصر في هذه الفترة يعارضون الفوضى الانجليزية السياسية برقق شديد من داخل دائرة التفاهم منه ، ولكن كانوا في نفس الوقت يقولون أنظمة الغرب الليبرالية الرأسمالية بكل "ما تتمثل من إقطاع وسخره وسيطره وبيشونها ، بل كانوا يقبلون مذاهب الغرب في النقد والشعر ويتصدون للدفاع عنها حمل لوانها وقد جعل العقاد والمازني لواء الدعوة إلى المدرسة الانجليزية في النقد (هازل وغيره).

رابعاً : ينبع كتاب مصر في عدد من الشخصيات الموصومة :
١ - خدعوا في (ماكس نوردو) اليهودي خليفة هرتزان وكرمهه وكبوا عنه فحصلوا مطولة تقديرها وإعزازاً .

٢ - خدعوا في عباس البهاء فائد المذهب البهائي وحملوا به ودعوا إلى تحطمه (العقاد ، اسماعيل مظہر) دون أن تتبينوا خطأها وسموها .

خامساً : كشفوا عن مفهوم التحلل واعلاء شأن الجنس في الأدب سواء عن طريق ترجمة القصص الغربي المكشوف كما فعل طه حسين أو عن طريق القبول به كذهب في الحياة كما فعل غيره .

ولقد أشار الاستاذ المازني إلى هذا فقال في كتابه قبض الربع ص ٦٣ وما بعدها : وقد لفتني في الدكتور طه في كتابه (حديث الأربعاء) وهو ما وضع (قصص تمثيلية) وهي ملخصة : «إن له ولما يتعقب الرؤنا والمشاق والضيارة والزنادقة» .

كما أشار الاستاذ الفمراوى إلى أساليب الإباحة والكشف وال واضح في كتابات هذا العصر (مقالات في المعركة بين الرافعى والعقاد) [الرسالة مجلد ١٩٣٧] ونحن حين نكشف هنا وفي كثير من دراسات سابقة عن حقيقة هؤلاء ، لأنستهدف إلا كشف نساد هذا التيار الواهنة وخطره ، وقد أظل طه حسين مكشوفاً لجيشه أكثر من أربعين سنة ولم يغلب عليه طابع القدسية الكاذب إلا بعد أن مات الرافعى والعقاد وركى مبارك وحرب الدين الخطيب وكل الذين كانوا يعرفون خبيته و مدحه أن الذين يكتبون ليدائوا عن التغريدتين تحت أسماء كثيرة كالشواخ والرواد

لابعد عن أحدنا ، مما أفسحته في الصحن الكبري الصنحات ومهما أفسحوا لأنفسهم أسلوب المغالطة والتضليل تأذن لهم إنما يداهون في الحقيقة عن شوامخ المزيفة ودغة الفروج من الذاتية فنزيف الإسلامية أمثال سلامه موسى وطه حسين وقاسم أمين وهدى شعراوى ولويس عوض وسامع الحصري وتوفيق الحكيم ولكلهم يتعمدون وراء عنانين ضخمة ويشرون أنحاء أخرى للبيت منه في الحقيقة وإن كان منها فيها ليس سلاما ، إنها المراوغة ، التي يجيدها هؤلاء التفريطيون الصغار في الدفاع عن وجودهم وهم يرون هذا البرج الذى بنوه على الرمال على وشك السقوط فوق رؤوسهم ، وإذا كانوا هم لا يؤذنون بقداسة هؤلاء حتى الدين المنزل نفسه فإذا ما يخلوون أن يحيطوا هؤلاء بقداسة وبتصارون الرأى عنهم ويعنون منافشة أفكارهم إلا إنهم التي خدعوا الناس طويلا قبل أن يستيقروا ويفهموا الحقيقة وتتكشف لهم المؤامرة التي كانوا يقودونها والتي خدعوا بها الأمة سنوات قبل أن ترفع عن عينها الغشاوة .

وقد أتعجبت عبارة للدكتور عبد المسؤول مربوق في هذه المخالفة وذلك قوله :

« إن حرب أسواء القيادات حول الكبار أخطأوا أم أصحابها إنما هما خيانة فكرية للأمة بأسرها وتزييف حالات التقىدين التي يحاوطون بهامن حالة القائم أو خيانة الطوابي وهذا ما يؤكد حتما إلى إعادة فتح الملفات فور زوال المعنى عن البصائر ومحرك انتشار حالات الجهد التي كان يعيشها الكبار من قبل » .

ومن حقنا أن نتساءل مع الدكتور عبد العزيز حوده :
ما هو المقاييس الحقيقي للشوامخ : أليست الأمانة للوطن والأمة والأصالحة وعدم التبعية ، فإذا يكون موقف هؤلاء إذا طبقنا عليها هذه القاعدة :

لماذا يخالف الدكتور زكي نجيب محمود وبآجهم في ذرع بالغ هذه المخالفة لإعادة تقييم العصر . فرأيه ، أن الشوامخ الحقيقيين لا خوف عليهم وإنما الخوف على المضللين الذين سيسقطون لأول وهلة ، والذين كثثتهم الأحداث والحقائق ، عند عودة الميزان الحقيقى لوزن الرواد والشوامخ فى صورة الإسلام ، إن أغلابه

الشواهن في الحقيقة مجهلون ومتذمرون ومبتدعون عن دائرة الضوء، وأغلب الذين يلمون هم المتساقون .

وإذا جاء توفيق الحكيم اليوم ليذكر ما تقدم بعد الآلائيات ، فتعجب نقول له : وماذا قدم الجيل المسمى بالرواد غير أنهم كانوا قناطير للفكر الفرز وتابعين للفلسفات معجبون بدعابة الفلسفة المادية والولام المفاسد والنفسية للحضارة الغربية وقد صدق توفيق الحكيم في مقولته التي أذاعها في آخر حديث له (يوليو ١٩٨٤) حين قال : إن كل أعمالي التي تعجب العمر فيها لا قيمة لها ، وإن قد ضيعت حياتي في كتب كان يحيل إلى أن لها قيمة ، ربما في الآلائيات والأربعينيات أما الآن فلا أعلم .

وهذا القول ينطبق على كل الرواد وأتقن الشواهن ، إنهم كانوا يعيشون لحظة بالحظة ، وينتقلون من مائدة إلى مائدة ويفعلون أن ما ينقلون ، عمل خالد وهو ليس إلا إهانة ، فما كانت هذه الأمة في حاجة إلى كل هذا ، الذي يبرهنها ثمة ، تم عادت فاكتشفت أنه شيء زائف له بريق خادع ، انه هو الذي أوردها موارد التكossaة والهزلة فاستيقظت لتعرف أن لها فكراً أصيلاً جلهلاً وغضوا من قدره وهو يتميز بالأصالحة والقطرة الربانية حتى جاء الغرباء ليقولوا للرسلين : إن لدكم كنوزاً ، قالها رجال اقمانون إزاء الشريعة الإسلامية وقالها جارودي وبوكاكي وغيره من استوعبوا الفكر الغربي وكانوا من صانعيه ، إن كل قوله لبولاء هي بمثابة سلام محاجة بالنار تندف في عيون التجزيئيين وشواعرهم لأن أصحاب الحضارة الغربية أنفسهم اليوم هم الذين يعتقدون بأن ما كتبه هؤلاء ونقوله هو حصاد الهشم وقبض الربيع .

إن الدكتور ذكي نجيب محمود إنما يدافع عن وجوده فهو لا يستطيع أن يقدم نفسه إلا في إطار طه حسين والمقاد وسلامه موسى ، لأنه ليس شيئاً مسبقاً ، لقد عاش حياته كلها في التجزيئين الوضعيية المنطقية ودعوه خرافه الميتة فهو ما (أى خرافه الغريب) ولا رأى إزرار الناس عنه وجناح أساوره ، عاد يخضع بالخداع عن عن الإسلام ولكن كتاباته عن الألوهية كشفت عن أنه رؤمن بوحدة الوجود

والخلول على حد تصويره الذي أورده في حديث آخر ساعة (يونيو ١٩٨٤) وهو نفس التصور الذي يؤمن به ميخائيل نعيمه والباطنية.

ووزى عاطف العراق يصل إلى القول بأن التأثير بالمستشرقين هو ظاهر حمبة وأن كل مفسر لابد أن يتآثر بالسابقين ولماذا يتآثر بربنيان ولا يتآثر بالغزال وما هو التسويير العقل الذي نادى به طه حسين : أليس هو حرية عرض المذاهب المحددة والأباحية ، إن ما قدمه طه حسين لنا من سعوم الاستشراق وقد رفضته القطرة الإسلامية العربية لأنها وجدته ممارضاً اطبيعتها المؤمنة بأنه تبارك وتعالى؟

إن قصة الأخذ من الغرب لأن الغرب أخذ منها قصة أشبه بالمؤامرة^٦ فتحن نعرف كيف أخذ العرب المعلوم ولم يأخذ العقائد ونحن الآن يشترط علينا أن نأخذ الفكر قبل العلوم^٧ إن طه حسين لم يأخذ من المفكرين الغربيين الأصول ولكنه أخذ من المستشرقين اليهود الذين كانوا يهدون الطريق لمفهوم تقبلهم في المشرق الإسلامي وإن حركة اليقظة الإسلامية استدعاها أن تكشف المؤامرة :

لقد كشف الشيخ مصطفى صبرى أخهاء كتاب السيرة العصرية فى شأن مجريات النبي :

وفي مقدمتهم هيكل وكشف مصطفى عبد الرزاق وتلاميذه (على سامي النشار) عن أصلالة الإسلام وكشف مالك بن نبي مخططات التغريب وكشف الحالى و عمر فروخ مخططات التبشير وكشف الأستاذ محمود محمد شاكر عن دخائل لويس عوض وكشف الدكتور محمد محمد حسين عن كتب الغرب وكشف محب الدين الخطيب عن خطط الغارة على العالم الإسلامي وكشفت الدكتورة ثفوسية ذ. ذكرياء سعيد مؤامرة العامية على الفصحى وكشف كيرون^٨ خديعه طه حسين ولويس عوض وزكي نجيب محمود وتوفيق الحكيم ودعا فتحى رضوان منذ عشرين عاماً إلى إعادة تقييم ما كتبه هذا الجيل الرائد .

٣ - إعادة تقييم ما كتبه هذا الجيل الراشد

ما قيمة ما كتبه الجيل الراشد (يقول الأستاذ فتحى رضوان) :

أول ما يستوقف النظر في إنتاج هؤلاء الكتاب أنه كان جزئياً لا ينكملاً لم يجرؤ أحد من في الغالب على إخراج كتاب إلا بعد أن تقدم العمر وطال عملهم في الكتابة والصحافة المطالع أن ما أخرجوه في النصف الأول من حياتهم هي مجرد بجموعات تضم مقالاتهم (في أوقات الفراغ لهيكل) يقابلها عن المقاد (مطالعات في الكتب الحية ، ساعات بين الكتب ، مراجعات في الآداب والفنون وعند المازني) حصافة التسيير وفيض الريح وصدق الدين وعند سلامه موسى (محطات سلامه موسى) .

لم يكن تأليف الكتب بطريق تجميع مقالات متفرقة مجرد مرحلة من مراحل الحياة الفكرية لهؤلاء الكتاب بل كان ذلك صفة من صفاتهم العقلية تكشف عن طبيعة تكوينهم وعن حدود قدراتهم ومواهبهم فقد كانوا منذ البداية عاجزين عن أن يكون لهم نظرة شاملة لشيء من الأشياء السياسية أو الأدبية أو الحياة ، كان الأمر عندم تنقلاً بين الشخصيات والأفكار والكتب ، وكان ما يصدر عنهم انطباعات سريعة من قرارات لا تستوى عليهم ، ولا تتملأ حياتهم ولا وجدهم ، وإنما أقصى ما تستطيعه هذه القرارات أن تدخل إلى نسوبهم تشوه الإعجاب بفكره أو بشخص ، ولكنها لا تلبث أن تتطافق ، تتحول محلها إعجاب بفكرة أخرى وشخصية تالية .

في هيكل الذي ألف كتاب عن (روسو) من جزئين لا يكاد يذكر روسو فيما كتب بعد ذلك وكانت له أو يقرأ عنه ، دع عنك أنه ألف كتاباً طويلاً عن حياته وأنه كاره ، والمقالات التي نقرأها في كتاب المقاد أو المازني عن نيتشه ودور كaim وغيرهما أشبه بشيء بقاعات في متجر صور ، تجد فيها إنتاج كل الأغذية في حياد يقف من جميع على بعد واحد تقريباً .

ولذلك إذا فرغت من قراءة ما كتبه العقاد والمازني وهيكل فعلاً ، لا تعرف بالضبط ما الذي يريده أحدهم ، ثم لا تعرف الفارق بين واحد منهم والأخر ، فيما عدا القوارق المادية من حيث الموضوع أو الفنون ، أو الجرالة الأسلوب ورخاوه ، فإنهم في الواقع الأمر أبناء مدرسة واحدة ، وقد انتقلوا جميعاً إلى التاريخ للإسلام ، والدفاع عنه ، وختروا حياتهم الفكرية بهذا الطور كأنهم كانوا جميعاً على موعد في كل خطوة يخطوها ، ويسوغ ذلك أن تسامل بعد أن تقرأ كتب العقاد عن عبقرات محمد وعمر وأبي بكر الصديق والصادقة ^{رض} ، الصديق والإمام علي والحسين وعن الإسلام بين حقائقه وأباطيل خصوصه ، وكتب هيكل عن محمد وأبي بكر وعمر ومنزل الوحي ، وكتب غيرهم من ينتسبون إلى نفس المصور ونفس المدرسة عن الإسلام ، لكن أن تسامل بعد أن تفرغ من قراءة هذه الكتب الكثيرة ما الفارق بين هيكل والعقاد وغيرهما حينما لم يكونوا يذكرون القرآن إلا نادراً وهيكل والعقاد وزملاؤهم حينما وجهاً جهدهم الادبي ووقفوا دراساتهم أو كادوا على الإسلام وأبطاله وأحكامه ، ومواقع معارك دائرة في الفكر الإنساني ، وقد لا يروي ذلك أن تعلم أنه لا شيء مطلقاً أو لاشيء تقريباً ، فكما كانا يوغلان في الماضي عن رووسو وجيمته وبركون ، كتبنا وكما كانا يكتبيان مقالات عن فرنس ونيشيه وعن الفلسفة الغربية وعن زعماء الفكر الأوروبي ، يكتبون الآن كتبنا عن الإسلام وتبيه وصحابة رسوله ، وعن أثره وفلسفته ، فما من شيء في حياتهما تغير بتغير موضوع دراستهما وكتاباتهما وما من شيء تأثر في أسلوب تفكيرهما ، وكان من العجيبين وقد يبلغ الإعجاب عندهما بالإسلام إلى هذا الحد الكبير أن ينعكس على مسلكهم في الحياة العامة وعلى تفكيرهم السياسي وهم رجال سياسة وصحافة ^(١) ، هذا اقدر من الإعجاب ولذلك لا ترى له أثراً ، وليس هذا إلا ظهراً كائناً عن موقف كتاب هذا الجيل كله ، فالكتابة

(١) يُؤَدِّي إلَى ذَهَابِ بِهِ عَبْدِ إِنْ شَاءَ تَوْلِي هِيَكْلَ وَزَارَةِ الْمَعْرِفَةِ وَقَدْ أَلْفَ كِتَابَ مُحَمَّدَ وَكَانَتْ لَهُ آرَاءٌ فِي التَّغْرِيبِ وَأُثْرَهُ فِي الْمَدْرَسَةِ وَالْتَّرَيْيَةِ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا

عندم لم تكن معاناة روحية ولم تكن إعلانا عن إيمان وعقيدة ، ولا ارتباط وتصسيم .

بدأ هؤلاء الشبان حياتهم الفكرية وهم يتعلمون أن يكونوا طليعة فكر (علماني) لاديني ، طليعة حرة ، مدرسة من الأحرار لاتخيفهم التقاليد الموروثة ولا اقليم التي أسبغ عليها الخوف والشكوك والتراخي المقل والوجوداني حالات قداسة لا تستحقها بل لعلهم تأثروا إلى أكمل من ذلك بالدعوة إلى التحرر من الدين كله أو الإلحاد من شأنه ، ولكنهم لم يحرقوا في البداية على التصريح بشيء من هذا ، وتركوا لل بصبور أن يستفتح من مسلكيهم العام أنهم لادينيون وأنهم يريدون أن يخلقو حركة فكرية لاتهاب عمام الشيوخ ولا الخرافات الشائعة بين الناس^{١١} وأن يقتتحموا قلاع الرجمية الفكرية فإذا فعلوا ، كان أقصى ما استطاعوا أن يفعلوه أن يذكروا اسم الرسول بحد ذاته (سيدينا) وألا يتبعوه بالصلة عليه ، فسيدينا محمد هو عندهم (محمد) كما أن سيدينا أبا بكر وسيدينا عمر ليسا سوى أبي بكر وعمر وقفوا بهذا وكفى الله المؤمنين القتال .

أما ما هي به طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) من الدعوة إلى استبعاد القرآن كرجح تاريخي ، عند تحقيق العصور التي تمرض لها في آرائه فقد حذفه من كتابه في الأدب الجاهلي ، وأثر المائية ، وقد نجح نفس المنحاج (على عبد الرزق) حينما أصدر كتابه (الأسلام وأصول الحكم) والذي قال فيه أن المخلافة لم تكن أصلاً من أصول المقيدة الإسلامية ولا عنصرًا من عناصر رسالة الرسول ﷺ وأن القرآن والسنة لم يبينا أصول الحكم ، فقد عزل من اقتضاءه فكان كتابه هذا يبيّن الدليل وأمسك عن القول في الإسلام والمخلافة .

ثانياً : موقف هذه الجماعة من الاحتلال والملكية .

هذه الجماعة التي أرادت أن توهّمنا أنها متوبة ومحترمة أن تتفق ووقتها

١١) وأيد ذلك دفاع المقاد من طه حسين ، ومجموع النادر على لسانه يدل على أن الحركة السياسية لم لأندواء تحت لواء فكره بعد أن وصل بمحاجة اللامة (٢ - ٤)

لاهواهه فيه من عدوين خالدين : الاحتلال والملكية فإذا كان موقفهما منهما ، كان العقاد أول الأمر أعنف في مخاطبة الانجلز وفي مخاصمة الملك ، فكن مخاصمهه الانجلز تأقى عادة في المرتبة الثانية بعد العراك مع خصوم الوزد وخصوصاً سعد بل أن مخاصمة الانجلز والتتصدي له كان فرعاً عن مخاصمة عدل ، فالانجلز ليسوا مكرهين لأنهم ، بل مكرهون لأنهم يسندون عدل ، وهي في الواقع يدارون الحكم بين سعد وعدل .

أما هيكل فكأنه حكم كونه المتحدث باسم (الأحرار الدستوريين) أضيق صوتاً في مخالفة الأنجليز وإن لم يتورط فقط في الشأن عامم .

ولكن ماذا انتهى هذا الجيل من المفكرين في شأن الانجليز والملك لقد هدأت المفكرة مع الانجليز فقد استحال النضال الوطني حرباً أهلية بين الأحزاب يصيّب الانجليز خلاّلها بعض الرشاش ، ولكن السهام والحراب والقذائف وجهت إلى الحصوم في الداخل ولذلك هبطت الوطنية المصرية إلى مستوى كان له أسوأ الأثر على الفكر .

لم يكن الناس يسمعون ولا يرون شيئاً يثير طموحهم الروحي ، ولا يحرك عواطفهم إلى مثل أعلى ، ولا يقودهم إلى تضحيه نبيلة ، أو مقاومة جليلة ، كان الصراع تافهاً ومتيناً ، وكانت أسلحة ضعيفة وصغيرة ، وكان كل ما يكتب مكرراً ومماداً فلم يؤثر في كتابنا جيئاً في هذه المرحلة كلام يستحق أن يخلد ، كتب العقاد وهيكيل والمازني وزعى آلاف بل عشرات الآلاف من المقالات السياسية الخنزيرية فلم يبق منها شيء ملائقاً ، بل أن العقاد شكل يوماً في بيته بصر الجديدة أنه يشعر بأن ما يكتبه كأنما ياتي به في ببر ولذلك لم يكن غريباً لا يرتسم في الذهن صورة المناضل العظيم للأجليل وإنما أخذ كرأس واحد من كتاب العصر الذي نورخ له

قال كل مم كلاماً حاداً أو ليناً، متصلأً أو منقطعأً ضد الانجليز حسب مقتنيات ظرفي الساعة، فلما انقضت تلك الظروف لم يبق في الذهن أثرها فلم تكن مخالفة الانجليز وإجلاؤهم عن البلاد شغلاً شاغلاً لواحد من كبار كثابنا بل

أن العقاد خلال الحرب كان يذيع من الإذاعة المصرية لصالح الحلفاء وتوج جهوده بإصدار كتاب عن (هتلر) فلما قربت جيوش الالمان من الإسكندرية هاجر إلى السودان .

ولما فسد الملك وفسدت بطانته وتوالت الفضائح لم نسمع لكتبائنا شيئاً ذا قيمة في هذه المكارثة القومية ، وكان من المستظر من العقاد الذي بدأ حياته متممراً يتوب لمنزلة الملك ويهند بتحطم رأسه إن هو فكر في المساس بالدستور أن يقود حلة ضد الملك فاروق فلم يفعل بل أن الجلة بدأها غيره وسمى وطيسها والعقاد لا صوت له فيها وكبار كتابها لا يساهمون بقليل أو كثير بل أن بعض كتابنا صنفوا أكاليل الغار فوق رأس الملك فاروق وأحرقوا بين يديه البخور ، الأمر الذي يسجل كيف أفلس هذا العصر إفلاساً مروعاً .

ولذلك أصبح من الهين أن يجتمع كبار الكتاب في مصادر واحد ، فقد كانوا جميعاً ينتصروا إلى مدرسة واحدة هي مدرسة حرب الأمة ، ثم باعد بينهم حيناً تناقض على الحكم ثم عادوا كما كانوا .

٤ - محاولة تغيير الهوية والاتهاء والعرف الإسلامي

هذه تجربة الأستاذ فتحي رضوان أضعنها بين يدي أقراء دليلاً كافيناً على وائع قضية جيل الرواد والقمم الشواعر وهي صيحة مدوية لم يهدأ أوارها فإذا أضفتنا إليها صيحة الأستاذ محمود شاكر وجدنا أن الموقف يأخذ طابعاً سلبياً إلى التشكيك فيه .

يقول الأستاذ شاكر تحت عنوان : طه حسين هدمي ونسفني منذ خمسين سنة (جريدة الاخبار ١٤/١٩٨٤) :

منذ أن تلورت في ذهنى قضية أتي صرت أحارب من أجلاها وهي أن حياتنا الأدبية والثقافية والفكريّة عامة قد بذررت منها بذور من المبث والإستخفاف والتعامل . ومع ذلك فإن الذي رأيته في شبابي أفضّل مما أنا فيه الآن ، لأن الامور

الثقافية في نزول لاف حمود وربما يسمى أبناء هذا الجيل أن يقال هذا ، ولكن هذه هي الحقيقة ، وليس معنى هذا أنني متشائم ، لقد بدأ الصراع منذ أيام طه حسين وكان طه حسين يهدى نفسى هدماً وينسف أدبى نسفاً ، لقد توصلت إلىحقيقة ششك الدكتور طه في الشعر الجاهلي وهي أنه اقتبس مقالة المسئرقة الاعجمي مرجلبوف وادعى أنه امتلك ما اقتبسه ، ثم كان ما هو أبشع من هذا فقد كان من أساتذتنا ميشنر قان أولى بما طه حسين من إيطاليًا أو لوماً نابولي ، ثم « جوبي » الصغير وكان أمرها عجباً فيما يعلان يقيناً أنّ محصل ما يقوله طه حسين إنما هو ما كتبه مرجلبوف ولكنهم كانوا معنى شديدي المراوغة وكل ما كتب أظفر به منها هو مطالبي بتحطيم الدكتور طه وتقديره بحق الاستاذية ثم استدراجي إلى تيه الألفاظ العامةضة ، البحث العلمي والأدبي ، وعالمية الثقافة ، وما شاب ذلك من ألفاظ التغريب فكانت امتنع عن التسلیم لبعضها ، وهذا مازاد الامر بشاعة في نفسى وسقطت هيبة الاستاذية ، ولم أبال بما أنا مقدم عليه من مقارقة بلادي وأهلى ومن هجر الدراسة الجامعية أيضاً غير مبال ولا آسف ، صارت قضيتي هي قضية طلب اليقين فأحسست وأنا والجيل الذي أنا منه - وهو جيل المدارس المصرية - قد تم تفريغنا يكاد يكون كاملاً من ماضينا كله ، من علومه وأدابه وفنونه ، وفي ظل هذا التفريغ وهذا التغريب وهذه الكثرة التي تخرج مفرغة أو شبه مفرغة إلى (البعثات) وهذا التحول الاجتماعي والتلاقي المضطرب ، انتعشت الحياة الأدبية والثقافية اتساعاً غير واسع المعلم ولكن يقوم على أصل واحد في جوهره وهو ملء الفراغ بما يتاسب أداباً وفنوناً غازية ، المسرح مثلاً : كان له شأن أي شأن يستدعي اعتماداً واسحاً على المسرح الاوربي في تشكيله كله وأيسير سهل كان إلى امداده بمادته هو السطو على مؤلفات المسرح الاوربي مسلوحة يعاد تكتوينها باللغات عربية أو عامية دون أي إشارة إلى هذه السطوة وكانت يسمون هذا حياء وفكراً : « التصريح ». واقصية أيضاً كانت ضرباً من السطوة والتقليد هذه خطوط من صوره جانب من الحركة الأدبية والثقافية في ذلك العهد وأذكرها باق إلى يومنا هذا ومقبول أيضاً بلا استبعان له، لقد شهد طه حسين نفسه بهذا من موقع الاستاذية وقلته أنا من موافق بين أفراد جيل الذي أتته إلى وهو جيل المدارس المفرغ من كل أصول ثقافة أمته ، ولم ينحصر

أحد لوصف هذا التدمير الذي يشترك في جريئته مثقفون كثيرون في الأدب وفي الاجتماع وفي الفلسفة وفي الفن كلهم، من مسرح سينا وموسيقى وغيرها وكل منهم كما يقول الدكتور طه حسين : « ينفتح السم ويفسد العقول ويمسخ في نفوس الناس المعنى الصحيح لكلمة اتجدد » وقد زاد الأمر فلم يبق مقتضياً على انتظام والكتابة والتأليف بل دخل كل بيت دخولاً مفرعاً عن طريق الإذاعة والتلفزيون . كتبت من أكثر الناس تملقاً باشتمال المجمع (جميع اللغة العربية ١٩٣٤) ولكنني أصبت بإحباط عندما رأته أحد طلبي السيد فهو في رأي ليس إلا (كرافته ودبوس) وهذا الرجل شديد انتهاض ، ينبغي أن يعاد درسه ، لأنه هو الرجل الذي كان يطالب بإحياء العربية باستعمال العالمية .

هناك من يرى أن تراثنا العربي ما هو إلا فن (أرابسك) وأنه مجرد حفريات قديمة وهذه دعوة بروج لها المستشرقون وأعداء اللغة ، أن التراث بمعناه الحقيقي هو الانتقام ، ولا أكون موجوداً إلا به ، والذين يريدون فصلنا عن تراثنا لا يحبون التراث ولا اللغة العربية ولا العقل العربي وينظرون إلى التراث (الذي هو الانتقام) على أنه تحف ويدو أن الدكتور ذكي نجيب محمود من يعتقدون هذه الرؤية . أن كتابينا لا يقدمون شيئاً منيراً لمجتمعهم ولا لقضايا مجتمعهم ، ولو كانوايسيرون في طريق صحيح لكن لهم شأن آخر ، صحيح أنهم يجهدون ، وهم يجهوداتهم ولكنها ضئيلة وباهتة ، فضلاًما أنظر إلى الواقع الحقيقي لطه حسين أو توفيق الحكيم أو نجيب محفوظ أو إحسان عبد القدوس أراه وجوداً ليس منيراً لقضايا مجتمعنا وعشاق كل وطننا .

أن الثقافة العربية في انهكسار عام أمام الغزو الغربي وليس لدينا مثقفون بل أسماء ثقافية ، هذا الانكسار الذي يشكل ، تلك الثقافة التي حطمتها الغرب بعد أن هزموا تركياً واتجهاوا إلى هذه الأمة لأنها تملك لغة الإسلام فسموا الترقي المطلقة أيضاً ، فقد اختلفت المفاهيم وسام استخدام اللغة ، وأصبحت الألفاظ غير محددة ، حتى مفاهيم الثقافة والازدهار والانحدار باتت كلها غير واضحة ، مايسورونه بفترة ازدهار ثقافي صوري كان في حقيقته مظاهر ارتباط بالحياة الصيامية في حصر خالق

الستينيات ، فثقافة الأمة المفروض فيها أن تزيد ، لأن توقف عند درجة معينة ، وأن تنمو بشكل مستمر ، وبالتالي فإن أزمة الثقافة ، هي أزمة في الكيان الحقيق للأمة الذي قهره الغرب ومزقها أصالته عندما مزقاً لغتها ، أن الثقافة الحقيقة هي ما يأتى من داخلك ، داخل أرضك ، لا بد من البحث في الذات والتعتمد فيها ، واكتشاف موروثها الثقافي وتسويده والتخلص من أوهام العالمية والمعاصرة ، لأن مكن الأزمة الثقافية هي سيدة (فكر الغoram) وما يدعوه البعض من مظاهر جديدة للتعصب التفاني سواء في الأدب أو الفن هو في حقيقته بعد عن التعمع وفهم الذات ومكوناتها فيما صدرها والاطلاق منها لآفاق أرحب وصمدت ركيزة الاستمرار والتقدّم وأصبح كل جيل يأتي أقل تيزيراً من الجيل الذي سبّقه ، وهناك جيل شوق وبالرودي وغيرهما من الشعراء العظام ثم جاء جيل (علي محمود طه وابراهيم ناجي) جيل عظيم ولكن ليس على مستوى تيزير وتألق الجيل الذي سبّقه وهكذا نلاحظ أن اندثار المستوى التفاني يرتبط بضالة المبدول للحفاظ على نفس مستوى السابقين لأن المجهد الحقيقي للارتفاع بالحياة الثقافية لهذه الأمة لا يحب أن ينزعل عن مكوناته عشر قرناً ولا ينزعل عن ابداعاتها فلم يحدث مثل هذا الانقطاع في صدر الإسلام ، فقد كان هناك شعر جاهلي عظيم ، وكان هناك شعر بعد الإسلام عظيم ، فلم يحدث انقطاع ، أما في حياة الثقافية اليوم فإن الواقع يدلّ ردّينا ، فالشاعر مختلف عن فكره وإحساسه ولغته ولم يعد هناك ما يشعرك بأن هناك قوة كامنة في الداخل ، تنهى ، حتى عندما حاول بعضنا أن يقدم الأعمال الدينية كان يقلد الغرب فيما يقال ، فائدكتور طه حسين عندما كتب (على هامش السيرة) كان يقلد كتاباً أو ربياً كتب عن المسيح وهو نفسه اعترف بذلك ، وعلى مستوى آخر : ليس فقط كم المعرف ولكن الصيحة الأساسية لحركة الأمة ، فإذا كانت هي غيرها ومتناهياً المضارى من ناحية فهي مؤشر السلوك وموجه الحركة العامة ، وهنا يأتي أسأل في أي مجتمع يمكن أن يوجد مثل هذا السكم من الإعلانات؟ عن صلح لصين في دول أخرى ، وفي آية آية يوجد هذا السكم من الإمام الاجنبي لخواص العمل وحملات الخدمة ، أسبابها يدخلها ٤٠ مليون ساعة سنوياً ولا يوجد إمام أجنبي لفندق أو مطعم أو محل ، ولا يعرض فيلم دون (دوبلاج) باقة البلا . أن هناك جهلاً بالقواعد الأساسية

لِسْكُونَاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَيْسَ أَدْلَى عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَنَّهُ عِنْدَمَا تَسْعَنُ الْأَلْأَةُ بِتَدْفُقِ الْحَيَاةِ فِي شَرَائِنِهَا وَلِدِيَا عِلْمَ كَالْفَقْهِ وَأَصْوَلِ الدِّينِ فَإِنْ ذَلِكَ لَا بَدَ أَنْ يَطْرُحْ قَوْتَهُ وَحَيْوَيْتَهُ عَلَى كُلِّ مَظَاهِرِ الْقَافَةِ حَتَّى عَلَى مَنْ يَصْنَعْ عِمْوَادًا فِي مَسَاجِدِهِ، فَالْجُلُوُّ الْعَامُ يَنْعَكِسُ عَلَى أَدْوَاهِهِ الْفَتَنَةِ وَمَظَاهِرِهَا، فَالْأَسْسُ السُّلْيِّمَةُ السَّائِدَةُ فِي جَمِيعِ مَا، تَفَرَّزُ أَشْكَالًا عَلَى مَظَاهِرِ الْسُّلُوكِ فَلَا ظُنُكُّ بِالْأَدَابِ وَالْفَقْنَوْنِ.

الْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَيْسَ لَدِنَا مُتَقْفُونَ، بَلْ هُنَاكَ مُتَهَلِّوْنَ، هُنَاكَ جِيلٌ (مُتَغَرِّبٌ) وَمَعْ سَلَامَةِ نَيْتَهُ تَكُونُ فِي إِطَارِ مُحَمَّدٍ، إِطَارِ الْقَافَةِ وَالْمَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيُعَطَّى فِي هَذَا الْإِطَارِ الَّذِي صَاغَهُ الْاِسْتِشَارَاقُ الْعَرَبِيُّ لِتَقَافَةِ الْمَنْطَقَةِ، وَأَنَا أَرَى أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الَّتِي تَتَرَدَّدُ فِي أَسْمَاءِ تَقَافَةٍ وَلَيْسَ لِمُتَقْفَنِينَ، حَتَّى أَنَّ التَّقَافَةَ لَيَذْرُوْهُمْ بِأَنَّ تَفَكُّرَ الْفَرْبِ سُلُوكِيًّا وَفَكْرِيًّا وَفَصْلِ الْأُمَّةِ عَنْ مَاضِهَا، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ نَظَامَ دَنَلُوبِ الْاِسْتِعْمَارِيِّ فِي التَّعْلِيمِ ظَلَّ مُسْتَمِرًا فِي صِيَاغَةِ الْعُقْلِ التَّقَافِيِّ لِلْأُمَّةِ بِطَرِيقَةِ اِسْتِعْمَارِيَّةٍ، وَبِإِنَّ الْأَسْمَاءَ الْمُتَشَرِّشَةَ تَعْكِسُ أَسْمَاءَ عَاجِزَةٍ عَمَّا تَدْعِيْهُ تَقْدِيرُهُمْ وَتَحْتَ وَمَعْهُمْ (الْابِدَاعِ) وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ تَقْلِيلُ فَلَسْقَاتِ الْفَرْبِ وَأَفْكَارِهِ وَأَشْكَالِهِ الْأَدِيَّةِ وَالْفَنِيَّةِ وَالْسِّيَافِيَّةِ لِتَبَرِّهَا الْعَوْمَ وَتَدْعُى أَنَّهَا اِمْتِلَاكُ أَسَاسِ التَّقَافَةِ وَذَلِكَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ، مَا يَعْكِنُ أَنَّ أَقْوَاهُ بِاخْتِسَارِ شَدِيدٍ أَنْ تَرْدِيدُ تَرْكِيبَاتِ لَغُوْيَةِ بَدَوْنِ مَنَاقِشَةٍ، هُوَ فِي حَقِيقَتِهِ مَأْسَأَةُ أَخْرِيٍّ وَلَا بَدَ منْ الْمُوْدَدَةِ لِلْجَهْرِ الْأَصْبَيلِ فِي مَكْتُونِ الْأُمَّةِ أَنَّ هَا يَكْتُبُ الْآَنَ تَحْتَ شَعَارِ (السَّاقِلَ حَولَ هُوَيَّةِ مَصْرُورِيَّةِ مَصْرٍ) أَوْ عَنْ تَارِيخِ الْمَنْطَقَةِ مَاهُوا إِلَّا اِمْدَادِ تَارِيخِ الْاِسْتِشَارَاقِ وَالتَّبَشِيرِ فِي الْمَنْطَقَةِ وَالَّذِي بِهَا مِنْ أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَةَ عَامٍ، وَالْوَافِعُ أَنَّا نَعِيشُ عَصْرًا سُجِيْفًا اِنْفَقَدَ فِيهِ الْمُتَقْفَنُونَ الرَّوْقَيَّةَ الْحَقِيقَيَّةَ لِمَا يَوْجِهُوهُهُ لِمَنْ الْمُعْرِكَةُ بِبِسْاطَةٍ شَدِيدَةٍ هِيَ الْعَدَاءُ. التَّارِيَخُ بَيْنَ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا سَلَامُ وَالْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُسْيِحِيَّةِ، أَيْ لِغَفَالَ لِذَلِكَ هُوَ خَطِيَّةٌ، عَنْ نَفْسِي لَقَدْ حَدَّدَتْ قَصْبَيَّتِيْنِ فَنِّ أَكْثَرِ مِنْ خَمْسِينَ عَامًا وَهِيَ الدَّفَاعُ عَنْ كَيْانِ أَمْقَى فِي مَوَاجِهَةِ هَذِهِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْعَتَصَرِيَّةِ الْعَازِيَّةِ، فَالْفَرْبُ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَعِرُ تَابِعَالَّهِ، وَلَا خَلَاصٌ إِلَّا بِالْتَّحرُرِ مِنْ أَبْعِيَّتِهِ، لَقَدْ قَسَّمُوا الْمَنْطَقَةَ سِيَاسِيًّا وَالآن يَجْتَهِدُونَ فِي تَزْيِيفِهَا فَكْرِيًّا وَتَقَافِيًّا وَ حتَّى تَنَسَّكُهُ أَوْصَرُ الْأَمَّةِ إِلَّا سَلَامُ وَالْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَنَّا فِي حَاجَةٍ إِلَى وَقْفَةٍ نَهَادَةٍ لِلْمُسْتَعَدَةِ أَوْ إِذْنِ الْمُتَابِيَّيِّنِ؛ وَعَلَى هَذِهِ الْأَسْسِ فَإِنَّ أَنْظَرَ بِهِيَّةِ الْمُكَبِّرِ مِنَ الْقَطْبِيَّالَّفْرَبِيَّةِ

الى يشرها البعض الآن لأنها في حقيقتها لا تستند خير الأمة ، بل الاستمرار في حقيقتها لا تستند خير الأمة ، بل بالاستمرار في حالة مفرغة ، بل إنني اعتبر أن الذين يتجدون عن مصر ، هل هن عربية أم إسلامية أم فرعونية أم متواطئون ينسجون في الواقع قصصاً للخدعية بفرض الاستمرار في تجزيئنا لأنه لابد من النظرة المكلية للأمور فأصحاب الحضارة الأولية يتظرون لها بانتظار كل ، فكيف نعجز نحن عن النظر لحضارتنا بنفس المنظور ، أين هو أثارييخ الذي عند علاقه وانتصاراته مثلكما ، أين الذين تذكروا لحضارتهم مثل الكثيرون من مثقفينا ، لماذا لا تذكر أشـرـشـلـعـنـدـمـاـقـالـأـنـيـيـدـافـعـعـنـالـحـضـارـةـالـمـسـيـحـيـةـ ، ولـمـاـذـاـ فـشـلـنـاـ فـرـوـيـةـ مـتـالـيـنـ وـهـوـ يـضـعـ يـدـهـ فـيـ يـدـتـشـلـلـمـنـأـجـلـنـفـسـالـمـدـفـ ، فـمـكـانـسـتـالـيـنـيـدـافـعـعـنـالـحـضـارـةـالـمـسـيـحـيـةـوـنـفـسـمـاـيـلـقـفـيـهـالـأـمـرـيـكـيـالـرـأـسـمـالـوـالـشـيـوـعـيـالـرـوـسـيـ ، حتى عندـماـنـادـواـبـالـشـيـوـعـيـةـ فـيـ الـاتـخـادـالـسـوـفيـقـيـ لمـيـتـخلـلـواـعـنـلـقـمـبـلـوـضـمـوـهـاـ فـيـاقـمـةـ ، سـتـالـيـنـ دـافـعـعـنـلـفـتـهـ ، وـظـلـتـ كـمـاـهـ بـكـافـةـأـلـفـانـهـاـوـمـرـادـفـتـهـاـ اـتـىـ لـاـتـفـقـ وـمـنـاهـيـمـالـشـيـوـعـيـةـ ، لـأـنـهـمـأـدـرـكـوـاـحـقـيـقـةـهـامـهـ هـيـ أـنـالـفـتـهـ هـيـ أـنـاـ وـبـدـوـنـهـاـ لـاـأـكـوـنـشـيـئـاـ .

أن أخطر ما يحدث لنا الآن أننا نردد المفاهيم التي أرادوا لنا ترديدها ، فالذين يتسلّلون عن (المصر) الذي نعيش فيه ويجب أن يعلموا : أن العصر هو أنا - أنا الذي أوجد عصرى ، وأوربا ليست هي العصر الذهبي الذي يجب أن أركع أمامه ، بل أن الموقف الأهم هو كيف أكون شيئاً صحيحاً وليس شيئاً تابعاً ، على مستوى العالم ليس قرية واحدة ، بل أن كل أمة متميزة بما قضيّة تشغّلها هي يهيئها الأمّة المسوّجية بينما قضيّي أنا هي العالم العربي والإسلامي ، ولا يعني ذلك "المعروف عن مهاتيرات العلم والتكنولوجيا أو التخلّي عن الطبع أو السكينة ، لا بل أعرفها باستقلاليتي أنا لاغيرها يقدر إمكانيات سواء أخطأت أم أصبت ، عصر يتم ثم لا ينتهي على أنا ، ويجب أن تذكر جيداً أن الحضارة الإسلامية كانت هي الحضارة النسمة والميسنة لأنها كان لديها ما يقارب مالدى الأمم الأخرى فأخذت مالآلات وهي معنّى لراحتها الوعائية وليس تحت زعم المصريّة وتعاملت معه على قدر زمانها .

أما ما أخذته أوريا في المصور الوسطى ، فقد أخذوه للاستفادة به ، ولم يأخذوا منه المقائد والثة اليد أو الله أو حتى المترجح ، كما يطاب للأسن بعض منقفيها .

أن موقفه هو أن منقفيها مقلدون للغرب ولذا لم أتردد في القول بأنهم يسررون في الطريق الخطأ ، فنعتنونا مقلدون وليسوا مبتكرين فهم يقلدون نفس مصطلحاته ، نفس الرؤى التي ينادي بها ، أن موقف من أي كاتب هو في حجم رؤيته لقضاياها الكلية ، و موقفه من الخاطر التي تهدتنا ، ليس ببني ويائمه خلافاً شخصياً ، ولكن ذلك لا يعني من الدعوة إلى إعادة تقييم كل هؤلاء الذين تعتبرهم أعلامنا الفكرية ونعيدهم النظر لتاريخنا ولكن المخاوف التي يرددوها الباعثون ، ليس هناك ألم تعيش على بصيرة أفراد في مرحلة معينة ، أن ما يحمله البعض أننا عملنا أعلام ستة عشر قرناً و تلك الوثيقة الإلهية الكبرى وهي القرآن الكريم فلا يمكن أن ننسى ذلك كله .

إذن فالدعوة إلى تقييم كتابيات جيل الرواد والقمم الشواخ ليس جريمة بخمرة بل أنها طبيعة الأشياء ، على الأجيال أن تقيم ميراثها القريب وأن تعرضه على إمعان وفهم الإسلام الأصيل لزى هل كان موافق له أم معارض ، لقد عالت سحابة التغرب والغزو الثقافي حتى حجبت الرؤى الصحيحة سنوات طويلة ، حتى ظن أن كل ما يقدمه هؤلاء الذين لم يرّأ عن طريق النفوذ الغربي هو الحق والحقيقة وهو القول الفصل في الأمور كلها ، ولكن سرعان ما يتبين أن هؤلاء لم يكونوا إلا اقاطل للفكر الغربي إلى ساحة الفكر الإسلامي وأن ميراثهم لامتهم وللقيم الأصولية كانت ضعيفة واهية ، وأنهم خدموا أساساً بانبهارهم بالحضارة الغربية ثم كانت رسالتهم أن يخدعوا وأن يقدمو لنا التصح بأن طريق الغرب هو الطريق الصحيح وأن علينا أن نتجاوز ذلك (القديم) الذي وضنه بالجود وبالبلل لتأخذ (جديد) الغرب لنصبح مثله ولننهض به ، ولم تكن تصيحة صادقة ، أو مخلصة ، هكذا اعتقادوا أو خيل لهم ، أو كان منهم المكرة الخادعون ، ولكن هذه الخافر كلها التي طرحوها تتشفّى اليوم في صورة شمس الإسلام الساطعة بأن كثيراً منها كان زائفًا وفاسداً ، وليس هذا الذي يحرث اليوم من إعادة تقييم هذه المرحلة التي أطلق عليها (جيل الرواد والقمم الشواخ) والتي امتدت منذ جاء لورد كرومر إلى مصر وأنشأ مدرسيه بـ

مدرسة المترفين الذين يحكون مصر بعقل الغرب والذين يؤمنون بالحضارة الغربية وينقصون الأزهر والإسلام واللغة العربية ويدهبون وراثة اليرالى وحرمة الفكر ومذهب الغرب في السياسة والمجتمع، هؤلاء الذين كون عقولهم قانون نابليون الذي ورث الشربة الإسلامية التي حجبت وحجبت عنها التربة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي والمجتمع الإسلامي إقامة على التوحيد والخلق والعدل الاجتماعي . فإذا يدهش العلانيون والغيريون اليوم حين يرون أن حركة اليقظة الإسلامية تقوم منه بغيرها على تقييض هذا الأسلوب الواقع في جوانبه المارقة للصراط الإسلامي المستقيم إيماناً بأن هذا الركام كله الذى اختلط فيه الخير والشر ، إنما يهدف إلى إزالة التغير الخاص والذاتية الإسلامية ويرى إلى الاحتواه والمحاصار والانصراف في بوقة الأمم والتقرير وإخراج المسلمين من طبعهم الرباعي الخاص ومنهج حياتهم وأسلوب عيشهم ولتعليم الغربيين والعلانيون الذين يدهشون من حركة إعادة التقييم لهذه المرحلة ، أن المسلمين على مدى تاريخهم كان عليهم أن يخوضوا هذه المعركة مرة بعد أخرى ، للمحافظة على كيانهم وجودهم ، وأنهم لن يكونوا قادرين على مواجهة الاحتواه الغربي الذى يحاصرهم الآن إلا بفهم هذه الحقيقة والتحرر من هذا الأسر ، وما ساعد على ذلك أنه ظهرت في السنوات الأخيرة حقائق كثيرة وانكشفت مغالطات كثيرة وتصبحت مسائل ظلت مغافلة بالضباب زماناً وتحطمت مسلمات كاذبة ظل الفوذ الأجنبي يخضع بها المسلمين أعواها ومع الأسف فإن أججلا كثيرة قد نشأت على هذه الأخطاء بل أن جيناً نحن نفسه قد خدع ثمة قبل أن ينكشف أمامه الفجر الصادق . وجرينا معه حول السلطان عبدالحميد والاعجاب ببعض البطولات المعاصرة

ومن ثم فإن (العودة إلى النهاج) هي صاحب دعوة مدرسة الأصالة منذ
أحمد بن حنبل حتى صاغها ابن تيمية وابن القيم في منهج أصيل، هذا المنهج لم يتوقف
عن أن يحمله الملاحدون البارار جيلاً بعد جيل فلم يخل منه جيلٌ .

ويجب أن يعلم العذارون والتفريديون العرب والمسلمون أن هؤلاً مقاومين أصلية ضد إقامها الفــكر الإسلامي في النظر إلى أمور المقاومة والبحث العلمي والتاريخي للثباتات احتمالاً فــواحة حــاجــةــ عن تلك الفــاهــمــ المــســتــنــادــةــ من التــكــرــ الغــربــ الــفــقــيــ الــســادــيــ

ورث الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى وال المسيحية الغربية، هذه المفاهيم الإسلامية مستقاة من الفطرة الاصيلة ومن القيم الاساسية التي قدمها القرآن وعرفتها أمتنا منذ أربعة عشر قرناً بينما مفاهيم الراوندة لم تعش أكثر من مائة عام.

وينبع المغزى من ذلك أن محاولة فهم فكرى تابع تحت اسم
الخليطين قديم الإسلام وجديد الغرب مرفوض تماماً لأنه منهج زائف لا يرمى
إلى سيطرة الفكرة الغربية وهزيمة الفكرة الإسلامية، وهو تكرار محاولات
الغاشين السابعين طه حسين وسلامه موسى وعلى عبدالرازق ، وهو ليس أصيلاً
ولا مستحيلاً من تراث هذه الأمة أو منها ، أنها محاولة لتبير الواقع ولخداع
المسيحيين وتفويض الله أن يحلده ، لطرح مفاهيم معمومة ترمي إلى الانحدار عن
مفهوم الإسلام الأصيل في مواجهة الأعداء .

ويسلوا أننا أمّةٌ واحدةٌ فطّهُ غير خادعٍ، ولا مخدوعٍ، ففتح الأبواب لـكل فكر (لـالنستبيـد منه وـنـهي تـجـارب الـأـمـم) وأمامـنا تـجـارب الـغـرب كلـها التي طـبقـها في بلادـنا وـقد تـكـشف فـسـادـها وـتـقـيـنـها، تـجـارب المـارـكـسيـةـ والـقومـيـةـ، والـمـلـانـيـةـ، والـاقـليـةـ، والـبـالـيـةـ، والـإـنـسـانـيـةـ (الـهـوـمـينـيـمـ) وإـحـيـاءـ الـحـضـارـاتـ الـقـدـيـمةـ الـفـرـعـونـيـةـ والـفـيـقـيقـةـ وكـلـ هـزـمـ وـتـحـطـمـ، كـذـلـكـ فـاـنـ فـرـضـ بـجـمـوعـةـ منـ الـأـخـوـاـنـيـتـ تـعـتـقـدـ أـسـمـ الـقـصـمـ الـشـوـاغـلـ، وـهـيـ بـهـوـلـاتـ وـهـمـيـةـ أـمـثـالـ طـهـ حـسـينـ وـغـيرـهـ فـقـدـ أـسـقـطـتـ تـامـاـ فإنـ مـقـايـيسـناـ فـيـ مـيزـانـ الـإـسـلامـ الـبـلـوـلـاتـ وـالـقـمـ تـخـتـلـ .

٥ - سقوط المسلمين الباطل

لقد سقطت كل المسلمين الباطل التي جاهد المغزيليون في طرحها في أفق الإسلام وعاشوا حياتهم يبشرونها ويرددونها ويخدعون الناس بها ، فقد تكشف باطلهم وزيفهم وعرف المسلمون أنهم كانوا مضللين وأن هؤلاء القادة الرواد الشواغن كانوا غاشين لأنهم خادعين لها لا يقولون لها الحق ولا يذلونها على الخير.

كذلك فإن اليقظة الإسلامية اليوم أصبحت قادرة على مواجهة هذا الزيف ، وقد رأى توفيق الحكيم وذكر نجيب محمود ولويس عوض ومصطفى مرعي ، وغيرهم من كيف وجههم الباحثون الحجة باللحجة في أدب الإسلام الجم ، أنهم يعيشون اليوم مرحلة الهزائم وتكتيكات الفكر الوارد لإعلامه ، فقد تبينوا أن هناك فارقاً عميقاً بين الشورى الإسلامية والديمقراطية وبين العدل الاجتماعي وبين الاشتراكية ، أنهم يحسون بالهزيمة عندما يرون سقوط الكبار من مفاهيمهم الضالة ، عن فرويد وماركس وسارتر ودوركايم وزعيمهم دارون كذلك فهم يعرفون اليوم هزيمتهم عندما يسمعون صيحة عودة المرأة إلى البيت وفشل دعوتهم بانفصال الدين عن الدولة وفصل العروبة عن الإسلام ، وفساد دعوى العقلانية بالمعزلة ، لقد كان بكل منهم منه إحسان عبد القدوس للجنس ، وذكر نجيب محمود للحادية ، وأليس منصور للوجودية وإدريس للماركسية وتروفيق الحكيم للتفكير التلמודي وصلاح بجهين للعامية وبهاء وكمال زهيري للمستوجات الخادعة ولويس عوض للفرعونية والإنسانية والشراوة لتأريخ تاريخ الإسلام ، أنهم يحاولون إعادة فكر القومية والعلمانية بعد سقوط بما سقطا منها ، وهناك دعاء التصوف الفطسي ، واحياء الفرق الباطنية ، أنهم يفرقون اليوم عندما يرون خفة العودة إلى تطبيق الشرعية الإسلامية ، أنهم يدعون إلى تحييـة الإسلام عن الحياة الاجتماعية للمسلمين وحشره في مجموعة من الشعائر والطقوس ، ومحصار القرآن الكريم والفصحي وأمهات التراث ، أنهم يدعونا إلى الانصهار في الحضارة العالمية والآدمية وهي في مرحلة الهنية والسوقـوط وينـكرون الهوية الخاصة واتـيزـنـ الذـائـنـ ، ويصلـونـ عـلـى تحـليلـ فـاعـدـتـينـ أـمـاسـيـتـيـنـ فـيـ الـفـكـرـ الـإـسـلـامـيـ وـهـاـ الـجـهـادـ وـالـأـمـرـ بـالـعـرـوـفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـنـكـرـ .

٦ - رواد الأصالة ورواد التفعية

إذا كانت هناك دراسات جادة خاصة تكشف عن انحراف بعض الأسماء الالامية أمثال علی حسين وسلامة موسى وعلی عبدالرازق وتوفيق الحكيم وذکر نجیب محمود ، فإنه من قصر النظر نقبل ما يكتب عن جان الدين الانجليزي ومحمد عبده والسلطان عبدالحید علی أنه داخل في دائرة واحدة ، هذه هي مؤامرة خلط الاوراق التي يعمل التغريب علی وضعها للتضليل .

كذلك فإن الأمر مختلف بين كاتب له آخرين وتجاذبات في بعض نظرياته وأرائه سواء في التاريخ أو الأدب أو الفكر أو الثقافة وبين كتاب أعدوا إعداداً تاماً ليكونوا أداة من أدوات انقراض واندثار الثقافة.

وتحن في هذا المجال لأنجذب وجهها للمقارنة مثلاً بين طه حسين والمقاد (وما يحرصون على أن يضعوا الأسمين معاً) في إطار واحد، فارق كبير بين الكاتبين وبين أهدافهما وبين حساب كل منهما، وهل حظي المقاد في هذه الفترة الأخيرة بمثل ما حظي به طه حسين ، هل أقيمت المهرجانات واستقدم المستشرون ليتحدثوا عنه وليطروا على البلاد العربية ياقون الحاضرات له في الدفاع عنه .

وأنتا قد تأخذ على بعض كتاباً أخطاء أو تجاوزات ولكن ذلك لا يجعلنا نضعهم في دائرة المخاصمة ، ولكن كتاباً آخرين قد يتعرض تماماً على الخط الذي رسّمته وساروا به من أجل تحويل هذه الأمة عن قيمها وعقيدتها، إذن فليس هناك حكم واحد ، ولكن هناك تقدير منضبط لا يظلم ولا يتفهّم الناس أذنارهم .
أقول هذا الدين كتبوا بحسنٍ أو بسوءٍ فيه مخلةٌ لأنّ بين حال الدين الأفغاني

وطه حسين أو بين سلامه موسى والعقاد ، أن البعض يريد أن يخلط الأوراق ليدعى أن الحلة على التفريبيين ظالمة ، ولكن الواقع أن كتاب اليقظة يفرقون بين أخطاء الدكتور محمد حسين هيكل في السيرة أو تجاوزات العقاد في مفهومه للعقبالية وبين تلك الوجهة الكاسحة من التغريب التي يقودها طه حسين وسلامه موسى وعلى عبدالرازق وتوفيق الحكم ولويس عرض ورزيق نجيب محمود .

أما الذين لا يريدون أن يصدقاً أخطاء لطفى السيد وسعيد زغلول وطه حسين فهم أولئك الذين يخدعون أنفسهم بالجزى وراء وهم القداسة المكافذحة للشخصيات المشهورة التي تحضى ، وتصيب ، فلنهم لا يقلون أن يفهموا حقائق التاريخ التي ظلت خافية عليهم زمناً طويلاً .

أن أبرز النواهير التي حفتها عملية إعادة تقييم مرحلة التبعية التي بدأها لطفى السيد وطه حسين واستمرت في توفيق الحكم ورزيق نجيب محمود ولويس عوض هي اكتشاف مخالط التغريب والغزو الثقافى ومؤازرة الاستشراق والتبيير .

١ - اكتشاف ظاهرة الماء طلحات الأجنبية المنقوله وهى المعبرة عن تصورات صالح أجنبية غريبة عن كيان الأمة الإسلامية وعقائدنا ومصالحنا مع تأكيد أهمية الالتزام بمقطلحات نابعة من عقائد الأمة وتاريخها وميراثها وجوهر شخصيتها الإسلامية .

٢ - اكتشاف محاولة تفسير القضايا الكبرى . تفسيراً خاطئاً فاما يقال عن أن الأديان ثلاثة واحدة ، ومحاولة دعوة العرب إلى بدأ جديد للفكر والأدب والثقافة منذ الحلة الفرنسيأ أو محاولة تجديد القومية والاشراكية التي ألمت بـ ١٩٦٧

٣ - كشف زيف الاقتصاد الوضعي ، القانون الوضعي ، التعليم العلائى ، سقوط منهومها الماركسي ، كشف خطأ تفسير معارك حطين وأنقس ودمياط والمنصورية . وعين جالوت على أنها معارك صراع عربى بينما هي معارك إسلامية أساسية .

٤ - اكتشاف زيف أخبار افكار الباعانى والونى والإباحى ، كتبات ابن سينا والخلج وأبو نواس ورسائل أخوان الصفا وابن عربى وتهذيب الأخلاق

لابن مسكونيه ، وكلها لاتهال المفهوم الإسلامي الأصيل وإنما تهال المفهوم الوارد من الفكر اليوناني .

٥- اكتشاف أخطاء أيديولوجيات الفرس وفلسفاته لاسارتو وفرويد وماركس ودوركايم وانكشاف الشخصيات التي لمعت بالباعول على المدى الطويل : جرجي زيدان ، لطفي السيد ، عبدالعزيز فهمني ، سعد زغلول ، قاسم أمين ، طه حسين ، علي عبدالرازق .

٦- اكتشاف ظاهرة سيطرة القصاصين على الحياة الفكرية الحديثة مع أنهم لا يملون أدوات هذا العمل (يوسف إدريس ، توفيق الحكيم ، إحسان عبد القدوس نجيب محفوظ) .

٧- اكتشاف فساد نظرية الإسلام لروح العصر وتبين أن روح الأمة أعظم من روح العصر ماهي إلا طائفة من التقاليد التي سيطرت على المجتمعات مع الزمن بصرف النظر عن اقيم الإسلامية وفساد فكرة الولاء والتبرير والمتابعة وتحسين الواقع وتعديقه بالنسبة لأنحراف المجتمعات وفروعها عن أصل الله وحدوده فيه ، فالإسلام لا يقر الإسلام لروح العصر أو التبعية للأوضاع التي وسنتها الظروف وتراكت على شتان الأمم وأهواها .

الباب الأول

جيل العملاقة والقمم الشوامخ

لطفي السيد وأكذوبة أستاذ الجيل

خلفت لنا فترة التبعية للغرب مساممات خطيرة وكلمات دخيلة وحاولت سحب كثيرة من سحب الفزو الفكرى والغريب أن ترسم صورة خادعة لبعض الشخصيات وكان أخطر ماأطلق فى هذه الفترة كتابة عميد الأدب على الدكتور طه حسين وأستاذ الجيل لطفي السيد فعلى أى مدى كان هذا اللقب صحيحًا بالنسبة لمنشئ حزب الامة ومترجم أرسسطو والخصم الأول للعروبة وللوحدة الإسلامية جميعاً

وفي الحق إن إسم لطفي السيد لمع لماناً شديداً وخدع به كونه وكان لإمتداد العمر وتغير الأوضاع وإقتناص بعض الفرص التي جاءت بها الظروف عاملما من عوامل القداسة التي منيت بها مثل هذه الشخصيات بالرغم من فساد جوهرها .

وليس علينا ان نصدر حكاماً جازماً على شخصية ما، يسلم به الجميع ولكن علينا أن نلف الأضواء الكاشفة على مثل هذه الشخصية من واقع التاريخ وبالوثائق النابية فنم ندع المقاريء ليحكموا : هل كان لطفي السيد حقيقة أستاذ الجيل وأى جيل

أولاً : الدعوة إلى قصر التعليم على أبناء الأعيان بإعتبار أنهم وحدهم الذين سيتوارون الحكم ومقاومة تعليم سواه الامة ومارضة الإتجاه إلى المجانية وذلك حتى يمكن الحفاظة على وجود طبقة ممينة تولى حكم البلاد دون أن يتاح ذلك لباقي أفراد الشعب .

وقد رد عليه مصطفى كامل صاحب اللواء رئيس الحزب الوطنى ولخص آرائه وكشف عن فسادها .

ثانياً : الدعوة إلى العافية : وقد سار في هذا التيار مؤيداً الخطاوات التي كان قد قطعها المستشرقون والمبشرون (مولار - وبلكركس) وكان أبرز مادعا إليه إبطال الشكل وتغييره بالحروف اللينية وتسكين أواخر الكلمات وإحياء الكلمات العامية والمداولة وإدخالها في صلب اللغة الفصحى والتزول باللغة المكتوبة إلى

ميدان التخاطب العامي وكانت وجة دعوته : تصدير العربية باليحية العامة (مقالات في الجريدة خلال شهر أبريل ومايو ١٩١٣). وقد رد عليه عبد الرحمن البرقوق ومصطفى صادق الرافعي بما يكشف زيف هذا الاتجاه

ثالثاً : مقاومة انتضام العربي الإسلامي وقد عارض مساعدة المصريين لغيرهم في طرابلس الغرب أثناء الغزو الإيطالي للإسكندرية عام ١٩١١ وكتب في هذا المعنى تحت عنوان (سياسة المنافع : لاسياسة العواطف) مقالات متقدمة دعا فيها المصريين إلى إلتزام الحياد المطلق في هذه الحرب الإيطالية التركية وإلى العطن بأموالهم أنفسهم في سبيل أمر لا ينفع بلا ددهم وقد أدت هذه المقالات على لفظ السيد عاصمنه بل وطعنها جارحاً على حد تعبير تلميذه الدكتور محمد حسين هيكل في مذكراته .

رابعاً : أيد ووجه النظر البريطانية الاستعمارية في التعاون مع الجاليات المسيطرة الحملة ودعى إلى أن تملك هذه الجاليات في الأراضي المصرية فيكون لها الحق في التملك والسيطرة على البنوك والتبرعات وغيرها .

خامساً : مجد اللورد كروم : الحكم البريطاني الذي أذل المصريين لمدة ربع قرن مسيطرًا على سياسة البلاد وساحفاً لكرامتها ومتسبباً لشروعتها وحياتها يوم خروجه من البلاد تحية الأبطال وقال عنه :

«أمامنا الآن رجل من أعظم عظام الرجال ويندر أن تجده في تاريخ عصرنا ندا له يضارعه في عظام الأعمال : هو اللورد كروم و قال : او برق اللورد كروم عاماً واحداً في منصبه لعهد عيده الذهبي في خدمة دولته ، نشر هذا في الجريدة في نفس اليوم الذي ألق فيه كروم خطاب الوداع فسب المصريين جميعاً وقال لهم أن الاحتلال البريطاني باق إلى الأبد .

سادساً : رسم لطفي السيد خلال عمله في الجريدة (١٩٠٨ - ١٩٤) منهاجاً للحياة الاجتماعية والسياسية والتربية والاقتصادية يقوم على التبعية العامة للنفوذ الأجنبي والإحتلال البريطاني والفكر الغربي تحت اسم عبارة مأكراً خادعة هي

(مصر للمصريين) وقاوم بهذا الفكر ذلك الاتجاه الأصولي الذي كان يحمل لواء دعاء الوطنية الصادقة والفكر الإسلامي المير وكون مدرساً تحقق لها بعد الحرب العالمية الأولى السيطرة على مقدرات الأمور بعد أن أقصى رجال الوطنية الحقة .

سابعاً: تبين أن مترجمات لطف السيد عن أرسسطو (التي ترجمت من الفرنسية) (السياسة . الكون والفساد . الأخلاق) وهي منسوبة إليه، تبين أنه ليس مترجمها وأن مترجمها الحقيقي هو قسم الترجمة في دار الكتب المصرية وذلك بشهادة عديد من معاصري هذه الفترة .

ومنهم (الأستاذ أحمد عابدين مدير دار الكتب السابق ولايزال حيا يرزق) ثامناً: بالرغم من دعوة لطفي السيد العريضة إلى الدستور والحرية فإن الوزارات التي قبل الاشتراك فيها كانت كلها تتسم بطابع واحد وهي جميعاً وزارات انقلاب ضد الدستور والبرلمان والحربيات العامة .

يقول الأستاذ فاروق عبد القادر : أن الباحث في لطفي السيد ليس بوسعة أن يتجاهل هذا التناقض ككيف للرجل الذي كتب مطالباً بالدستور مدافعاً عن الحرية أن يشترك في وزارات عبئت بالدستور وصادرت الحرية ، كيف يشترك في وزارات طابعها الإرهاب والسلو على الحريات .

ناسماً: إن حزب الأمة الذي أنشأه لطفي السيد كان يواجه الاراء صداعاً بريطانية أراد بها الموردة كنوره أن يواجه الحركة الوطنية بمجموع من الإقطاعيين والوزراء والأعيان (الذين وصفتهم بأنهم) أصحاب المصالح الحقيقة ، وقد كان هدف حزب الأمة والجريدة بقيادة الفيلسوف الأكبر لطفي السيد تقدير الاستقرار والعمل على ايجاد شرعة للاحتمال مع الدعوة إلى المعاذنة مع العاصب وتقبل كل مايسهل به دون دطالبته شيء .

هذه مجموعة من الحقائق العامة نصتها بين يدي القارئ العربي المثقف دون أن تقدم حكماً على لطفي السيد وندمه هو أن يصدرهذا الحكم . ولقد تعددت المصادر والأبحاث التي تمكنت حقيقة هذا الرجل فليرجم إلينا من يشاء وكلها تجمع على أن هذه المدعوة التي حل بها لطفي السيد إنما هي خطأ ذكيّة تحكمه من خلط الأسلوب

الغربي والنفوذ الأجنبي ، فإن اللورد كرومر أراد في إطار عمل مرسوم أن ينشئه في مصر جيلاً جديداً يسير في ركب الاستعمار معجباً به مقدراً له ومحباً ولذلك عمل خلال عشرين سنة أوزيد على صياغة هذا الجيل عن طريق المدرسة وعن طريق الثقافة وكانت دعوته الملحة الحارقة أن يريد أنانياً استسلم مصر لابنائهما متى ظهر هذا الجيل الذي يعمل بالتعاون مع الاستعمار ولفت نظر الشباب المتعلّم وهو جيّداً من أبناء الطبقة التي أنشأها النفوذ الاستعماري وسودهـما وجملـها مرـكـزاً اقـيـادـةـ السـيـاسـيـةـ إـلـىـ آـنـهـمـ هـمـ حـكـامـ مـصـرـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ أـقـرـيبـ .. وـكـانـ حـرـيـصـاـ عـلـىـ آـنـ تـشـكـلـ هذهـ القـوـةـ أـوـ هـذـاـ الـحـربـ فـنـسـ الـوقـتـ الـذـيـ كـانـ الـاحـتـلـالـ يـضـربـ القـوىـ الـوـطـنـيـةـ وـأـحـبـ الـأـصـالـةـ لـيـقـضـيـ عـلـيـهـمـ وـيـفـرـغـ الـبـلـادـ مـنـهـمـ وـيـسـلـمـهـاـ لـهـذـاـ الـجـيلـ الـذـيـ كـانـ مـنـ قـيـادـتـهـ : لـهـنـيـ السـيـدـ وـسـمـدـ زـغـلـولـ وـعـبـدـ العـزـيزـ فـهـمـيـ وـقـدـ تـشـكـلـ حـربـ الـآـمـةـ مـنـ بـجـمـعـةـ مـنـ أـحـبـ الـنـفـوذـ وـكـارـ الـبـاشـوـاتـ وـالـمـلـاـكـ مـثـالـ سـلـمـانـ وـحـسـينـ عـبـدـ الرـازـقـ وـحـدـ الـبـاسـلـ وـخـرـىـ عـبـدـ التـورـ وـسـلـيـمانـ أـبـاظـةـ وـعـبـدـ الرـحـيمـ الدـمـرـدـاشـ وـالـطـرـزـيـ وـغـيرـهـمـ وـكـانـ رـأـيـ هـؤـلـاءـ أـنـ الـسـلـطـةـ الـفـعـلـيةـ قـدـ آـلتـ كـلـهاـ إـلـىـ كـرـوـمـ الـذـيـ يـمـيـلـ سـلـطـةـ الـاحـتـلـالـ وـأـنـ مـصـالـحـهـ الشـخـصـيـةـ تـقـضـيـ عـلـيـهـمـ أـنـ يـكـوـنـواـ هـلـيـ وـقـفـ مـعـهـمـ فـأـلـقـواـ حـزـبـهـمـ بـصـفـةـ رـسـمـيـةـ فـيـ ٢١ـ سـبـتـ ١٩٠٧ـ بـرـئـاسـةـ مـحـمـودـ سـلـيـمانـ باـشاـ وـتـولـيـ اـطـفـيـ السـيـدـ غـيـادـةـ بـكـرـهـمـ وـصـحـيـفـهـمـ الـتـيـ جـمـعـواـ لـهـافـ ذـلـكـ الـوقـتـ مـبـلـغـ ٣٠ـ أـلـفـ جـنيـهـ : وـقـدـ ظـبـرـتـ الـجـريـدةـ فـيـ ٩ـ مـارـسـ ١٩٠٧ـ تـصـورـ الـاحـتـلـالـ عـلـىـ آـنـهـ حـقـيقـةـ وـاقـعـةـ وـتـرـىـ أـنـ عـدـ الـاعـتـرـافـ بـشـرـيـتـهـ لـاتـعـنىـ عـدـ وـجـودـهـ وـلـاـ يـقـللـ مـنـ سـلـطـةـهـ أـوـ نـفـوذـهـ وـكـانـ تـرـىـ أـنـ هـؤـلـاءـ الـخـاتـمـيـنـ مـاضـونـ فـ طـرـيـقـهـمـ مـسـتـقـلـونـ بـتـصـرـيـفـ الـأـمـورـ ، رـضـيـ الـمـصـرـيـوـنـ بـذـلـكـ أـمـ كـرـهـوـ وـأـنـ التـخـلـصـ مـنـ الـاحـتـلـالـ يـحـتـاجـ إـلـىـ قـوـةـ لـمـ تـقـرـرـ لـلـمـصـرـيـوـنـ وـأـنـ دـعـةـ الـحـرـكـةـ خـيـالـيـوـنـ يـنـفـقـونـ الـوقـتـ فـيـاـ لـطـائـلـ تـحـتـهـ وـأـنـهـمـ أـحـبـابـ خـيـالـ وـتـرـيجـ .

وبـذـلـكـ إـسـتـقـاعـ لـطـفـيـ السـيـدـ أـنـ يـرـسـىـ مـفـاهـيمـ الـإـلـاـمـيـةـ الـمـصـرـيـةـ الـجـيـفـةـ الـتـيـ تـكـرـهـ الـهـرـبـ وـتـكـرـهـ الـمـسـلـمـيـوـنـ وـتـارـضـ كـلـ تـقـارـبـ وـكـلـ صـلـةـ بـلـ وـتـكـرـهـ الـاتـصالـ بـالـسـكـرـ الـأـهـلـامـ الـتـيـ هـوـ أـسـاسـ الـقـيـادـةـ وـالـنـجـلـيـمـ . وـقـدـ صـورـ هـذـاـ الـمـعـنـيـ وـهـنـتـشـرـقـ

غربي هو لبرت حوراني حين قال عن لطفي السيد ماتلي : كان يرى أن بريطانيا قوية وأن لها مصالح جوهرية في مصر وأنها هي نفسها قد أعلنت عن قائمتها في مصر إلى أن تصبح هذه قادرة على حماية المصالح وإن لا يمكن إخراجها بالقوة . وقد أعلنت بريطانيا تجديد احتلالها وخلقت الشعور بأنها باقية إلى الأبد وأن مصلحة مصر تقتضي التعاون معها في أي تدبير تتخذه في سبيل إنهاء قوة البلاد وهكذا كان ينفي لطفي السيد سالم اثنينيظ والاسترخاء في وجه دعاة الوطنية ولا يقف عند هذا الحد بل بهم بأنهم خياليون مغالون في الخيال ويتم خطتهم بأنها ولا تتركيا بينما لم يكن مصطفى كامل ومحمد فريد إلا دعاة إلى الحسرة والاستقلال والخلاء دون أن يلهموا أى لين لتقدير وعد بريطانيا وكأنها في دعوهما لا يستهدفون العودة إلى التفозд التركي العثماني وإنما كانوا يؤمنون بأن حركة الحرية يجب أن تم داخل إطار أوسع من الإقليمية ويجب أن تكون في إطار الجامعة الإسلامية والمقاهيم الإسلامية الأصلية التي كانت بريطانيا عن طريق حزب الأمة تهدف إلى تحرير المصريين منها ودفعهم إلى التبعية في التشريع والتعليم والاقتصاد لتكون مصر خاضعة تمام الخضوع للقانون الوضعي ولمقاهيم العرب في التعليم والثقافة ولتنقطع الصلة تماماً بين مصر وبين جرائها عرباً ومسلمين وبين الفكير والثقافة في مصر وبين الفكر الإسلامي الأصيل المستند في القرآن والسنّة . ولقد كان لطفي السيد في دعوته هذه ينبعض أهمية الأرضية الإسلامية للفكر والثقافة والعلم ويغالي في التبعية للفكر الليبرالي الغربي الذي كان في هذه الفترة خصوصاً الدين والأخلاق .

* * *

يقول ألبرت حوراني : « إن الانطباع القوى الذي تركه قراءة مقالات لطفي السيد التي نشرها في الجريدة (وهي كل ثروة الفكرية) هو الاندهاش من الدور الصغير الذي لعبه الإسلام في تشكير رجل تلذذ على (محمد عبد) لاشك أنه كان يشعر بأنه هو ومعظم مواطنه مسلمون بالوراثة ، وأنهم جزء من الأمة ، لكن الإسلام لم يكن المبدأ المسيطر على تفكيره فلم يتم بالدفاع عن الإسلام

كالآفاناني ، ولا يرثى كمحمد عبده بإعادة الشريعة الإسلامية إلى مركزها كأساس خلقي للمجتمع . وفي هذا يقول : لست مما يتشبثون بوجوب تعلم دين بعئنه أو قاعدة أخلاقية بعينها ، ولكنني أقول بأن التعليم العام يجب أن يكون له مبدأ من المبادئ . تعمي علىه المتعلم من صغره إلى كبره ؛ هذا المبدأ هو مبدأ الخير والشر .

وهكذا ترى أن مفهومه للأخلاق والمدين مستمد من الفكر الغربي ويعلق حوراني فيقول : « وهكذا نرى أنه تخلّى عن أول مبدأ من مبادئ محمد عبده وامتهن حبه بمبادئ جديدة ». ويقول : لقد أخذ يطرح أسئلة جديدة لاتدور حول الشروط التي تؤدي إلى ازدهار المجتمع الإسلامي أو انحلاله . يقدر ما تدور حول الشروط التي تؤدي إلى ازدهار أي مجتمع أو انحلاله ، كذلك تكن للمفاهيم التي أجاب بها على هذه الأسئلة هي مفاهيم الفكر الإسلامي ، بل مفاهيم الفكر الأوروبي حول التقدم والمجتمع الأفضل .

ويقرر حوراني أن لطفي السيد ورفاقه تأثروا بنمطين من التفكير الأولي : أولاً : تفكير كونت ، وربنان ، وبيل ، وسبنسر ، ودوركايم الذين ذهبوا إلى أن المجتمع البشري متوجه بحكم سنة التقدم نحو طور مثالي يتميز بسيطرة العقل واتساع أفق الحرية الفردية وحلول التعاقد الحر والمصلحة الفردية محل العادات والأوضاع الراهنة .

ثانياً : تفكير جوستاف لوبرن الذي يقول بفكرة الطبع القومي ، وأن كل شعب له بنية ذهنية ثابته بثبتوت بنية الجسدية .

ويقول الحوراني :

إن لطفي السيد يحدد فكرة الأمة على أساس الأرض ، لا على أساس اللغة والدين ، وهو لم يفسّر بأي إسلامية أو عربية قبل بأمة مصر يذهب إلى : أمة القاطنين أرض مصر ، وكان شعوره بوجود مصر شديد بحيث أهل الأحرار على عناصر الوحدة الأخرى . فمعظم القاطنين في مصر يشاركون في الأصل واللغة والدين .

ولا تستطيع أن تتجاوز عرض حياة لطفي السيد دون أن تذكر زيارة للجامعة المصرية في القدس ١٩٢٤ وأشتراكه في استقبال الوند «صهيوني إلى مصر بزعامة» كتور ولزيمان حيث أقيم له حفل شاي في فندق السكرانتون ١٩٣٦ .

(٢)

الحملة على اللغة العربية الفصحى

والدعوة إلى العامية

كانت حملة لطفي السيد على اللغة العربية الفصحى هي أخطر الأعمال التي قام بها واقت دفعته بالتجهيز لأنها يواصل الخطأ التي بدأها الاستعمار البريطاني بقيادة ولوكوكس وقد كانت محاولته محاولة خبيثة بدأها في ١٨٩٩ في مجلة الموسوعات حيث ادعى أن اللغة العربية أصبحت تعلمها أبعد مملاً من تعلم اللغات الأجنبية ، ودعا إلى تشكين حروف الهجاء، وفك الادغام، وإهمال الشكل، وسخر من هذه الضوابط كلها ، ثم وسع نطاق الدعوة عام ١٩١٢ في جريدة الجريدة فكتب أكثر من سبع مقالات (أبريل ومايو ١٩١٣) وهو في هذه الحملة كان خادعاً فهو لم يفاجئه القارئ بالحملة على اللغة العربية (وكذاك خصوم اللغة العربية يفعلون ذلك فلا يكشفون عن خصوصتهم) بل يصدرون عن غيرة مفتولة تدعوهم إلى إدقاء المخاطبة عليها حين يوجهون سموهم وهو لم يدع إلى ترك الكتابة بالفصحي إلى العامية بل تسلل إلى ذلك بطريقة فيها كثير من المكر والمداورة وكانت دعوته إلى إدخال الكلمات الأجنبية (الأتوبيس والبسكلت والجاكت والبنطلون وغيرها) إلى اللغة العربية وقال أنها دخلت اللغة فعلاً وأننا لا نستطيع أن نضع لها ولا لغيرها من المسميات الجديدة أسماء جديدة .

وقال الأسماء الجديدة ما لها لو أخذناها (زي ما فيه) .

وقال أن اللغة ملك الأمة وللكتاب الحرية في الزبادة عليها بأساليب جديدة للفاظ جديدة ، وأنه لا يخرج على الكتاب أو المترجم أن يستعمل من الألفاظ ما شاء لما شاء من المعانٰي ، ويقول تزيد أن لاندر (اللغة العامية) أو لغة الشعب نورت بأبعد عريتها وفصيحتها عن عالم الكتابة والعلم وتزيد أن ترفع لغة العامية إلى الاجتماعي الكتابي ونزل بالضروري من اللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب

والتتعامل، وقال أن العامية وأسماءها لغة، لها مشخصات ثابتة تحددها من جميع الجهات وتحصل لها ميزة تميزاً انتاماً ودعماً إلى استعمال العامية في الكتابة .
وقال أن كل الحروف تكون ساكتة ولا تتحرك إلا بعرف الجملة .

هذه هي المذكرة التي حمل لوائها الطفى السيد الذى اختير بعد ذلك رئيساً لمجمع اللغة العربية وقد عاشت هذه الأفكار قافية في حياته وفسكه بل وعمل الجميع إلى تحقيقها بعد أن ضم إليه عدد من خصوم اللغة العربية أمثال طه حسين وعبد العزيز فهمي الذى دعا إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ومن بعد ذلك عدد كبير من هؤلاء السطوريين التجزيئيين .

وقد وقف عبدالرحمن البرقوقي ومصطفى صادق الرافعى في مجلة البيان موقفاً حاسماً جريئاً في الدفاع عن اللغة العربية وقد حلاً لواء الاتهام للسيد مؤمنين بأن القضاء على اللغة العربية هو قضاء على أقدس مقدسات الأمة الإسلامية .

وكتب مصطفى صادق الرافعى برد عليه تحت عنوان :

الرأى المأوى في اللغة العربية الفصحى

رغموا أنهم يريدون أن تسهل الألفاظ وتكشف المعانى وتكون الكتابة في استواها وجعلها كصفحة السماء فبل البلاحة العربية إلا ذلك، وهل هذا أمر غير عربى بلى وهل يرى فون أصلحهم الله أن الطفل يرى كل ما يدور في مساحة من ألفاظ والدبة كأنه إنما يلقى لها اعتصاماً واعتسافاً واستكراراً إذا لا يفهم من كل ذلك شيئاً إلا بقدر ما يعتناد وعلى حسب ذات بلغ حاجته .

ثم ما هو حكم المأوى - وهو في كل أمة الطفل العلمي - بجانب أهل المعلوم ، أتراء يلقي بهم إلا بيبران تلك الفريدة الفطرية في الطفل الصغير مع أبوه فلم لا تتحمى العلوم وألفاظها وأساليب التعبير عنها ونحو ذلك بما تترافق به شفة الفهم فإذا تعاطاه ذهن المأوى أو حاوله ويكون سداد العلام فيها تطبيقه المأوه وسداد المأوه فيها يطبقه الأطفال .

وأنت إذا خطيت أمر الطفل المأوى وال طفل العلمي وأسندت في حد هذه

الطفولة لم تر إلا طراز أصحابنا وهم أطفال الأقلام فهل يكبر عليهم أن ينكروا ويشيدوا وأن يساووا الفطرة في مجردها فإذا خذلوا الشيء بأسبابه ورأوا الأمر من بابه ، يصدرون رأيهم على جهل فإذا كشفت لهم معناه وبصرتهم بصائره ووقفت بهم على حدوده وأدراهم وجوههم في مرآة النصيحة أنكروا ما جئت به وحسبوك تهري الكذب وأصرروا واستكبارا لأن رأس علمهم أن يظنو لا أن يتحققوا ما يظنو فالرأي هو الرأي في ذاته لا ما يتعلق به ولا ما ينادي إليه .

اللغة مظاهر من مظاهر التاريخ والتاريخ صفة الأمة فكيفما قلبت أمر اللغة من حيث أقسامها بتاريخ الأمة والاتصال الأمة بها وجدتها الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة من تاريخها واحتضانها جلد أمة أخرى ، فلو بقى للمحضر بين شيء وبين من نسب الفراعنة لقيت لهم جلة مستعملة من اللغة اليهودية وإليها وأن في العربية سرآ خالدا هو هدى الكتاب المبين (القرآن) الذي يجب أن يؤدى على وجهه العربي الصريح ويحكم منطقاً واعراباً بحيث يكون الأخلاق بخارج الحرف الواحد منه كاريزم بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مؤداتها ثم هذا المعنى الإسلامى (الدين) المبني على أهلية والمقدور على أنفاس الأمم والقيم على الفطرة الإنسانية والقرآن الكريم ليس كتاباً يجمع بين دفتيره ما يجسمه كتاب أو كتب خمس ، إذ لو كان هذا أكبر أمره لتخللت عقده ، وإن كانت وثيقة ولائق عليه الزمان ، أو بالحرى لنفس من أمره شيء كثير عن الأمم ولا سيما من منه مساغ التحرير والتبدل من غال أو مبطل ولكن عريته الصرىحه الحاله عذراً للموام والمستعجمين في إلحاته إلى أو ضاعهم إذا ثابت لهم قدره على ذلك . وليس يقول بهذا إلا ظنين قد انهاوى صدره على غل واجتمع قلبه على داخلة مكرهه ولا جاهل من طراز أولئك لا يستطيع نظره بتجربه ولا ينفذ بعلم ، وإنما هو آخذ بذنب الرأى لا بوجهه ولكن بتوجهه معه ولا يقبل به ولكن يذهب به الرأى .

إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى المريه فلا يزال أهله يحتسون بين به مذهبين بهذه الجنسية حقيقة أو حكما حتى يتاذن الله يانصر ارض الحلق

وطى هذا البسيط ، ولو لا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس وردهم إليها وأوجبها عليهم لما أطره انتشار الإسلام ولا تراحت به الأيام إلى ماشاء الله وما تماستك أجراء هذه الأمة ولا استقلات بها الوحده الإسلامية ثم تلاحت أسباب كثيرة بال المسلمين ونضب ما بينهم فلم يبق إلا أن تستلحقهم الشعوب وتستلحقهم الأمة على وجه من الجنسية الطبيعية - لا السياسية - فلا تتبين من آثارهم بعد ذلك إلا ما يتثبت عن طريق الماء إذا انساب الجدول في المحيط، على أنك لو اعتبرت على من يجهز العربية وزرئ على سبکها لرأيته أجمل الناس بتركيبها وحكمه اشتقاها ووجوهه تصريفها ثم لرأيت له غرة في تاريخ قومها فهو أن عرف منه شيئاً فقد نجورد من ثمرة المعرفة كان محفظ طلasm لا ينحط فيها حتى يتخبئه الشيء لأن من المس ، ثم ترى الآفة الكبرى أنه مستدرج من حيث لا يعلم فهو يكافأه عبة لغة أجنبية أحکمها بعدواء لغته التي جهلها ويجزي منفعة تاريخ عليه بضررة انتشاره الذي لم يعلمه والناس أعداء ما يجهلون .

٣٠ ربيع الثاني ١٣٣٠ (البيان)

(٣)

سياسة الجريدة

قال الدكتور محمد حسين : أن الجريدة كانت تصور الاحتلال على أنه حقيقة واقعة ، وترى أن الاعتراف بشرعية لاتعنى عدم وجوده ولا يقلل من سلطنته أو نفوذه وقد دعا لطفي السيد إلى الولاء للثقافة الفرنسية والفرنسي وما جم الحركة الوطنية وتأول تصريحات الاستعمار البريطاني وبر وجوده في مصر وقد مقاييس مختلفة عما كانت يؤمن به التوجه الوطني والإسلامي في ذلك الوقت وأيد سعد زغلول في عدم تعليم العلوم باللغة الفرنسية وتعليمها للغات الأجنبية ، ودعا إلى مقاومة تعليم سواد الأمة وعارض الاتمام إلى الجماعة وبعد موافاة السياسة البريطانية ومدح اللورد كرومر عدو الوطنية المصرية وقال عنه أنه رجل من أعظم الرجال.

هذا هو المنهج الذى سارت عليه الجريدة لسان حال حرب الأمة .

قال الشیخ عبدالعزيز جاويش : أما الجريدة فإنها منذ اليوم الأول لها وهي موالية للاحتلال على نحو فيه ذكاء وبراعة فهي تدعى أنها تمثل وجهة نظر أصحاب المصالح الحقيقة وهم أصحاب البيوتات والمقصور وتمثلوا الطبقة الاسترقاطية المصرية التي كونها كروم وقدمت ولادها للإنجليز وتؤمن الجريدة بأن الاحتلال أمر واقع لا سبيل لمقاومته ومن المصلحة الانتفاع بما يمكن الحصول عليه ولكن الموقف المقاولية كانت تكشف تبعية الجريدة يوماً بعد يوم ولم يكن طيباً من الجريدة على لسان لطفي السيد فلمسوف الحرية أن تويد عودة قانون الطبع عن ومن رأى جاويش أنها فهنت ذلك لأنها تعلم أنه لن ينفذ عليها :

«وفي الوقت الذى يدعو فيه الحرب الوطنى إلى مجلس الأمة المتخب الممثل للأمة يذهب لطفي السيد إلى أن (مجلس الشورى) الذى صنعته الإنجليز يصح أن يطلق عليه مجلس الأمة ويقول جاويش فى استهلال إحدى معاركه مع مدير الجريدة .

«إذا سألنا مدير الجريدة عن المجلس الممثل للأمة ، ذلك مجلس الذى يطالب

به ونلح في طلبه ، لأننا الآن محرومون من مجلس يمثل الأمة تجلياً بكلفة طبقاتها وإذا جارينا مدير الجريدة في اعتبار مجلس الشورى مثلاً للأمة لا عبر أن كل ما تقرره كأنه صادر عن مجتمعها وهذا مالا يقول به أعضاء الشورى أنفسهم فأين هذه القواعد التي يقررها الآن مدير الجريدة من مبدأ سلطة الأمة الذي ينادي به في كل حين ، هل يتفق هذا المبدأ الشرعي السامي مع اعتباره مجلس الشورى بنظامه الحاصل مثلاً للأمة أمام السلطة التنفيذية .

و(يلاحظ أن مجلس الشورى ليس مجلساً منتخبًا على النحو البرلماني وليس رأيه ملزمًا للحكومة ، وقد صنعته الانجليز بعد أن ألفوا الدستور) ثم يعرض جاويش لما ذكره لطفي السيد من وصف (مُعطفى كامل) صاحب اللواء بأنه لا ينطق إلا بالكفر ، وأن سياسة اللواء خرقه وكتاباته عصبية ليست من العقل في شيء) .

وقال جاويش : إذا كان ماتحتوى عليه خطبة الإسكندرية لمصطفى كامل كفراً فالإيمان في مذهب (الجريدة) هو الرضا بالاحتلال وعدم المطالبة بالاستقلال وهل يمكن أن يقال أن حزب الأمة متحد مع الحزب الوطني .

وأشار جاويش إلى موقف لطفي السيد من الدين هاجروا تكريماً كرومر عند انتهاء مدة حكمه وحملة مصطفى كامل عليه إذ ذاك وقال جاويش :

(النسب حلته الصادقة على الجريدة عندما كانت تدعى القوم إلى إقامة احتفال بالورد كرومر ونشر في صيفتك الجريدة هذه العبارة :

(وما يذكر لخاتب الورد كرومر من علو الهمة والثبات على مبدأ أن كبار الأعيان طلبوا إليه أن يقدموا له هدية تذكاراً لشخصه يذكر به المصريون الذين أقام بذئن هذا الزمن الطويل موفور القسط من الرفعه الذاتية والشمع وحسن المقام والحلم) .

وردد جاويش في مجال تصوير الفرق بين مفاهيم الجريدة واللواء للوطنية قول مصطفى كامل (أن سياسة الجريدة تدانا على أنها أشد الجرائم تعليقاً بالاحتلال وحسيناً قدحها فيمن استنكروا الاحتفال بالورد كرومر أعدى أعداء المصريين

والطاعن على الإسلام والمسلمين (١٩٠٧/١١/١٨) وأضاف جاويش : قوله ولا عجب من أن يكون مدير الجريدة هو الآلة الخالصة لهذه السياسة .

وأشار جاويش إلى الفارق الواضح بين اتجاه الجريدة وحرب الأمة وبين اتجاه العرب الوطني في موقف خيبر ، عندما هوجمت طرابلس الغرب فهجمت مصر كلها لتدافع عنها وتقدم لها الأموال والرجال والأسلحة لمقاومة الاحتلال الإيطالي الباطش ، الذي كان يدمر السواحل الليبية جارة مصر ، هنا للك تصدى لطفي السيد للإمبريالى من المصريين لوقفهم من طرابلس وقال :

مالنا نحن وهذا الأمر ، أن ما يحدث هناك لا يهم مصر ولا دخل لنا فيه ودعا إلى السياسة المنافع لا العواطف ، ودعا الحكومة إلى حماكة من يحمون لواء الدعوة إلى مساعدة طرابلس .

وقال جاويش (لقد خسر الذين فتقتهم وساوس صدورهم ، وأعمتهم عن الحق سخافات مكتشفاتهم ، يحاولون أن يصرفو الأمة المصرية الإسلامية عن تخفيف ويلات إخوانهم الذين أغارت عليهم دولة الخيانة والعذر ، إخوانهم في الإنسانية . أن مساعدة المصريين للدولة العثمانية مساعدة حرية أمر لا يصح معه اتهامهم بالتعصب .

أى مدير الجريدة ، أى عدو نفسه ، هل نعمت منا أن ندعو المسلمين لنجددة المسلمين ، وأن نستنصر الموحدين لإغاثة الموحدين ، فإذا كنت تريد ، أن الأمر لم يزد على أعمال الاعانة ، أعددنا إلى السيف فسللتها وإلى البنادق فصوبناها وإلى الرماح فشدناها .

أى عدو بلاده ، رأيت مصر العزيزة دشره على وسمها المالي ، ثم رأيت بنظارتك كيف تجلب إليها الأموال من كل جانب فصر عليك أن تخسد ذذمة ، وشق على نفسك أن يستفيد غيرك من أصحاب المزارع ، ثم تعلم (ومثلك من تعلم الفلسفة) .

مكانك مكانك أيها الجبان فـا لك بمقدير تمنيك صورتها واصفـاك ذكرـاها

إن لم تنساً غير لك أن تخفر الأرض بأظافرك ، وأن تردى فيها ثم ارطم رأسك بالحجارة حتى يخرج من دماغك ذلك المخ الذي كان سبب شقاوتك وأصل بلائقك.

وقد أخرجت مدرسة الجريدة جيلاً من الكتاب عرف فيما بعد بمحب الأحرار الدستوريين وانطوى تحت لوائه في هذه المفاهيم طه حسين ومحمد حسين هيكل ومحمود عزmi وعلى عبدالرازق ، وقد تهدى هذه الأفكار في هؤلاء مقاومة للوحدة الإسلامية والمروبة وقبول الاحتيال وانتقام معه وقصر التعليم على أبناء البيوتات وخدم والولاء للفكر الغربي والفلسفة اليونانية والديمقراطية الليبرالية الغربية .

(٤)

لطفي السيد

وترجمة مؤلفات أرسطو

« لم يكن أرسطو معلمًا للمسلمين » .

كان الأستاذ أحد لطفي السيد (أستاذ الجيل) هو أول من ترجم فلسفة أرسطو بترجمة كتاب (الأخلاق) إلى العربية عن الترجمة الفرنسية التي قام بها من اليونانية (بارتلي سانمير) كمطلع لتيار جديد أراد به (التغريب) إدخال الفكر الفلسفي اليوناني إلى الأدب العربي الحديث من طريق شخصية لامعة مثل (أرسطو طاليس) وكانت تلك خطة خطيرة غاية الخطورة ، ذلك أن العرب والملوّن في العصر العباسي عندما ترجمت الفلسفة اليونانية رفضوا أرسطو وما حجمه وكشف زيف منهجه وأنشأوا المنهج العلمي التجاري الذي تبنّاه ووجّه ي يكون وكان أول خطوات الغرب نحو التحرير بعد التبعية لعصر التأمل الذي كان سمة الفكر الاغريقي وهكذا تجد أن الغرب أخذ من المسلمين المنهج التجاري في أول عصر النهضة ، ثم جاء فأعاده المسلمين منهج أرسطو في أول عصر النهضة العربية على يد لطفي السيد في « مقدمة ترجمة كتاب (الأخلاق) » .

يقول : مع أن نقل كتب الفلسفة لم يكن مقصوراً على كتب أرسطو فإن فلسفة أرسطو هي التي غلبت على الفلسفة العربية وطبعتها بهما بها والواقع أن الفلسفة العربية ليست شيئاً آخر غير فلسفة أرسطو طاليس طبعت بالطابع العربي وسيط الفلسفة العربية وبقيت صلة النسب بين الفلسفتين طيبة إلى حد أن الجامعات الأولى في العصور الوسطى كانت تدرس الفلسفة العربية باعتبار أنها فلسفة الماشائين : أي فلسفة أرسطو : هذا ما أورده لطفي السيد ، وقد علق عليه الدكتور صروف بمحرر للقطط (يناير ١٩٢٥) فقال :

أن مقالة الأستاذ (يعنى لطفي السيد) يؤيد الكتاب الأوروبيون الباحثون في الفلسفة العربية : أن ما يعرف بالفلسفة العربية ليس فيه من العربية سوى الاسم

واللغة فهو نذكر يو ناتي منظم عبر عده بلغة سامية وحور بالمؤثرات الشرقية وأدخل
بين أهل الإسلام بممارسة الواسعى الصدر من خلفائهم وبقى حيا بغرة جماعة من
المفكرين الذين لم يخشوا من المجاهرة بأرائهم على أن أهتمم أسامت بهم الفتن وردد
ما ذكره لطفي السيد مما يراه سبيلا في رجوع العرب والمسلمين والمصريين إلى فلسفة
أرسطو فقال : وكما أن النهضة الأوروبية الحديثة عدت إلى درس فلسفة أرسطو
من نصوصها الأصلية فكانت مفتاحا للنقد العصرى الذى أخرج كثيرا من
الواهب الفلسفية الحديثة فلا جرم أن تتخذ نحن من فلسفة أرسطو لسبأ أنها
أشد المذاهب انتفاظا مع طباعنا والطريق الأقرب إلى نقل العلم إلى بلادنا وأيقافه
فيما راجه أن تتحقق في النهضة الشرقية مثل ما أنتج في النهضة الغربية ، وقال إن فلسفة
(العلم الأول) خالدة ماجدها وطن وأخفى عليها زمان ، فقد بنت عليها كل مدينة
صروح مجدها العلمى حتى مديتها الجديدة ، هذا هو الاتجاه الذى بدأ به لطفي السيد
عميل مدير لجامعة المصرية واتباعه بوحنه أستاذ الجيل رئيسا لها وفتح الباب
لله حسين وغيره في الدعوة إلى الاغريق وأرسطو ومذهب علم الأحسان اليوناني .
والسؤال هو : هل حقا كان لطفي السيد أستاذ الجيل صادقا فيما قال وما دعا
إليه العرب والمسلمين من اتخاذ أرسطو منطلقا إلى النهضة الجديدة وقد مضت كتاباته
وكتابات طه حسين وغيرها من بعد دعوة ملحة إلى هذا الطريق . أم أن الأمر كان
فيه شبهة وخديعة . وهل كان حقا (ارسطو) هو منطق الحضارة الغربية في عصر
النهضة وما بعدها ، أم أن أول عمل قامت به النهضة هو نقض أرسطو وتربيته
والحملة على منهجه واعتبار منهجه هو عامل التجميد الذى عاش فيه الغرب ممثلا
قرولا حتى جاء نور الفجر مع منهج التجريب الإسلامي الذى أطلق العلاقات إلى
عصر العلم الحديث ، ندع هذا للباحثين ، لقد كان علماء المسلمين [إذ لا أقل من القرآن]
هم الذين أنشأوا المنهج العلمي التجربى الذى كان أول حجر في بناء الحضارة
والعلم بشراكة :

دراير وبريفولت وجوسťاف لوبيون في القديم وسارتون وهونك وغيرهم في مصر الحديث ومن أهم الكتب في هذا الشأن كتاب هونك (شمس الله تشرق على الغرب) وكتاب (أوريا ولدت في آسيا).

إذن فلم يكن لطفي السيد صادقاً في دعواه ولم يكن عميد الأدب العربي طه حسين أمنياً حين نقل إلينا هذا المنهى ، ذلك أن المسلمين نقدوا أرسطو أولًا (في القرن الرابع الميلادي) ثم جاء الأوروبيون فنقدوه ورفضوه في القرن الخامس عشر الميلادي) واستعملوا أسلوب المسلمين في نقاده ، والتسووا منهج المسلمين الذي دفعهم إلى ذروة الحضارة والعلم والتكنولوجيا الآن .

إذن فلماذا هذا التعارض : يسأل عن هذا الاستشراف والاستمار ، ذلك بأنهم على حد تعبير الدكتور محمود فاسم : نقلوا المسلمين إلى أرسطو ونقلوا أنفسهم إلى منهج المسلمين (جابر وابن الهيثم والبيروني) .

ذلك أن أرسطو هو الذي سيضع المسلمين مرة أخرى داخل الفوقيمة المنطقية التأملية ويعبرهم من ثمرات منهج التجريب الذي أنشأوه دعاء الغرب .

وهكذا نجد أن هذا المنطلق على يد لطفي السيد وطه حسين وجماعة من أتباعهم يتسع ويتدحرج حتى يقرر : أن العرب خضعوا لمنهج اليونان وأرسطو في القديم ولما كان الفسكل الحديث هو ثمرة فكر اليونان فإن تبعية المسلمين والعرب له لا يهدى شيئاً غريباً ولا جديداً ، لأنهم كانوا تابعين لليونان من قبل فلا عجب أن يتبعوا ماجدهم وأحفاد اليونان ، لم يكن أستاذ الجيل صادقاً إذن ولم يكن الدكتور طه حسين صادقاً في هذا ، فإن المسلمين لم يقبلوا أرسطوا ولم يعتقدوا فكر اليونان وإنما المكسن هو الصحيح ، ذلك أنهم قاوموه ونقدوه وأبادوا عن وجوه الخلاف العقدي بينه وبين منطق القرآن وتصدى كثيرون منهم لهذا وفي مقدمتهم الشافعى وأبن حنبل والفرزال وأبن تيمية .

وإذا كان الخلاف مازال واسعاً حول ما كتبه الفارابى وأبن سينا وهل هو فلسفة إسلامية أو متابعة للشائين اليونان من المشائين المسلمين ، فإن رجلاً كريماً قد ولى قسم الفلسفة في كلية الآداب هو الشیخ مصطفى عبد الرزاق قد فصل في هذا الأمر على نحو صحيح ، ومن خلال دراسات الجامعة نفسها ، وبالرغم من سيطرة طه حسين على عمادة كلية الآداب حين قال : إنما تلتزم الفلسفة الإسلامية في كتب المتكلمين والفقهاء ، وأن الإمام الشافعى واضح (علم أصول الفقه) هو

أول الفلسفية في الإسلام وأن مقامه في العربية هو بمثابة ارسطو في اليونانية ، وبذلك نشأت مدرسة الأصالة في مجال الفلسفة وامتدت من بعد ذلك وكانت من أتباعها الحضيري وأبو ربيه وعلى سامي النشار ، ومنذ ذلك الوقت وقد صدر كتاب (تمهيد في تاريخ الفلسفة الإسلامية) عام ١٩٤٧ وقد كان منهجه قد تغير قبل ذلك بوقت طويل ، فقد تحررت الفلسفة من التبعية الغربية وبرزت مدرسة الأصالة فيها وهو ما يزال عسيراً في مجال الأدب وال النقد الأدبي فإن التبعية لمذاهب التقى الغربي الواقف ما زال قوياً .

وقد أثبتت مدرسة الأصالة في الفلسفة الإسلامية (مصطفى عبد الرزق - أبو ربيه - النشار) أن المنطق الأرسطو طالبي : هو منهج الحضارة والفكر اليوناني لم يقبل في المدارس العقلانية الإسلامية وأن النهج التجريبي الإسلامي هو الذي عرفته أوروبا بعد قرون من مطلع حضارتها البدائية لما ينتهيه للحضارة اليونانية وأن اكتشاف وجود هذا النهج لدى المسلمين يفسر روح الحضارة الإسلامية ، فالحضارة الإسلامية حضارة عملية تجريده تتجه إلى تحقيق الفعل الإنساني في ضوء نظرية حية ملؤها كذلك ، فقد كشفت الابحاث المتعددة عن اضطراب خطير في المراجع التي اعتمد عليها الفارابي وباعتراف الدكتور محمد عبدالرحمن مرحباً : أن الفكر الذي نقل إلى المسلمين من اليونان والإغريق لم يكن صحيح الأصول بل كانت صورة زائنة دخلت عليها مفاهيم المعرفانية والناساطرة المرجعية وعوائقهم وكانت تهدف إلى خدمة مفاهيم دينية ، ومن هنا كان فسادها في أن تطلي الفكر الإسلامي شيئاً ، ومن ناحية أخرى نجد تبين أن المقاومة للفلسفة اليونانية ومذهب ارسطو بالذات قد بدأت منذ أن تمت الترجمة وأن المعارضة بدأ من ذلك اليوم الأول ، ذلك أن الفكر الإسلامي كان قد تم تشكيله قبل الترجمة على أساس قيمة القرآن من التوحيد والأخلاق ، ومن الربط بين الوحي والنقل ، ولذلك فإنه كان من المهم أن تتصهر فيه الفلسفة اليونانية أو ينحصر فيها ، خاصة وهي فلسفة مجتمع وثقى قام على العبودية واعلام الشهوات وعبادة الجسد فضلاً عن أن مخاذير الترجمة من فساد وانتهاء وتحريف نصوص وأن كانت طائفنة من الفلسفه أطلق عليهم اسم المشائين قاموا بمحاولة شاقة وعسيرة لإدخال الفلسفه اليونانية في إطار الإسلام

ولكن المحاولة فشلت تماماً ، وكانت وقفة الإمام الغزالي في وجه الفلسفة اليونانية وقفة حازمة ردت السهم إلى صدور أصحابه فقد كشف عن الفرق بين الفلسفة الرياضية والطبيعية وبين الفلسفة الإلهية ورفض الأخيرة لأنها متعارضة مع التوحيد وأعلن أن الكلام في الطبيعتيات برهاني، أما في الأدلة فهو تخميني . وفي الفلسفة الإلهية عارض الغزالي القضايا السكريّة الثلاث : التي تقرّها الفلسفة اليونانية وتختلف مع مفهوم الإسلام .

١- ما يقولون به من أقىم العالم .

٢ - وأن الله (جل وعلا) لا يحيط علما بالجزئيات .

٣ - وإنكارهم للبعث ، وهاجم الفلسفه التي جحدوا الصانع [وزعموا] أن العالم قديم كالدهرية والزناقة ، والذين قالوا أن النفس تموت ولا تعود ومن أنكروا الآخرة .

ويقول الدكتور النشار : أن المنطق الارسطي قد نقل إلى العلم الإسلامي وأثر فقط في المدرسة الشائعة الإسلامية وبقيت المدارس الأخرى المتبنية عن النظام الإسلامي بعيدة كل البعد عنه ، تجاهله وتجاهده ، وكانت قد وضعت مطامع مختلف تمام الاختلاف في روحه وجزيئاته .

وقد وصل علمائنا في مجال البحث من منهج أرسطو إلى حقيقة أساسية هي أن: هنطبق أرسطو عبر تمثيلا دقيقا عن المجتمع اليوناني المبودي المنقسم إلى سادة يتآملون ويعبدون [السادة] هم الصورة والميدان هم المادة ، ولكن المجتمع الإسلامي يختلف عن المجتمع اليوناني اختلافا كبيرا تقويم دولته على الأخوة والمساواة وتنطلق من نقطة النظر في السمات والأرض والعمل والكسب والسمعي والتجربة ومن هنا اختلف منهج المجتمع الإسلامي عن المجتمع اليوناني من جملة جوانب أحدهما: التوحيد وإلغاء العبودية والممارسة في مجال العلم وبذلك بدأ ذلك التعارض الواضح العميق بين المجتمع ومجتمع وفكرة وفكرة خرج الفكر الإسلامي من الطبيعة الارسطية التي ترى أن العلم لا يكون إلا بالشكل أما العلم الجرئي فليس على ، فتقديم السكري الإسلامي خطأ هذه القاعدة ، وبذا النزعة التجريبية من الجزيئات وبذلك نخرج

المفكرون المسلمون عن المفهوم الارسطي للحد والتعريف ، واستطاع رجال الأصول والفقه أن يقيموا نظرة جديدة للتعریف تقوم على أساس الواقع ، وأدى ذلك الخروج عن حدود القياس الارسطي إلى الحصول على تابع عملية وأصبح طابع الفسکر العلمي الاسلامي هو طابع التجربة ، ونقد المفكرون المسلمون قياس ارسطو وقال عنه ابن خلدون أنه قياس ذهنی ، أما المسلمين فقد عرقوا مالم يعرف اليونان وخطوا أخطر خطوة في تاريخ البشرية وهي بناء قاعدة العلم الحديث نفسه : تلك هي التوحيد بين التأمل والممارسة العملية وأولى المسلمين اهتمامهم بالرابط، العلیه بين الأشياء . وعلى هذه الرابطه بين الأشياء قامت التجارب ، وعلى هذه الرابطه العلیة (البحث عن العلة) أقام البيروني والرازی وجابر بن حیان وابن سينا تجاربهم العلیة وفي نفس الوقت قام المنجز العلی في الفسکر حيث فسر ابن خلدون حركة التاريخ وتطور العلاقة البشرية .

وبهذه النظرة المتطرفة للكون والانسان اختلف الفسکر الاسلامي اختلافاً كبيراً عن الفسکر اليوناني المترجم وتناقض معه في مختلف فروع الثقافة من علم وأصول وفقة وفلسفة عقلية ونظرة إلى الإنسان ولم يكن هذا الاختلاف عابراً أو طارتاً وإنما كان نتیجه طبيعية لاختلاف التكوين الاجتماعي للدولة الإسلامية عن الحضارة اليونانية وبذلك ظهر الفسکر الاسلامي في جوهره فسکر تجريبياً تجاوز منطق ارسطو وأطلق على التجربة العلیة رابطاً بين التأمل النظري والممارسة العملية وخرج بذلك على الفلسفة الارسطية والأفلاطونية .

وقد صور كثیر من الباحثین أثر منهج ارسطو فوصفه الدكتور محمود قاسم بأنه كان منهجاً عقلياً وأنه ضلل كثيراً من مفكري العرب ثم وقف حائلاً دون إزدهار الحضارة العربية ويرجع عقمه إلى أنه كان خلواً من الخيال وأنه كان أكثر اهتماماً بالقضايا العامة أجردة منه دراسة التفاصيل والجزئيات ، يستدل على صدق دعواها وتوضعها ب بتاريخ النهضة الاوروبية فإنها لم تتحرر من الجمود الذي فرضه عليها منهج اليونان إلا بعد أن عرفت مناهج العرب في العلم والفلسفة ولأنه لم تشهد ببرهان نفسه ، ذلك أنه يصف (يوجي بيكون) بأنه الامير الحقيقي

للفكر الأوروبي في القرن الثالث ، ويجب أن تعلم كيف جاءته إمارة الفكر ، إذ ليس في هذا المجال خالق من العدم ومن اليسير أن نكتشف سر أصلاته إذا نحن يبتنا أنه أول من نادى بمهاجمة النهضة الأرسطية طليقى في أوروبا ودعا إلى اصطدام نهج العرب فهو يأخذ على معاصريه بأنهم يصيرون لعنة لهم على الرأي العام من أنه من الممكن أن يربون بالرياضيات على كل ما هو ضروري لنفهم الطبيعة ولو لا الرياضيات لاستحصال علينا أن نعرف أشياء هذا العالم معرفة صحيحة تعود علينا بالنفع في الأمور الإنسانية والأمور الدينية أيضا ، كذلك يأخذ عليهم الانصراف عن استخدام الملحوظات والتجارب مع أن الطبيعة لا تكشف أسرارها إلا بدراسة الأمور الجزئية حتى تصعد بنا إلى القوانين الكلية .

ووهكذا يتصرّف المنهج الإسلامي على المنهج الأرسطي وحطمه في عقر داره بضم أن حطمه في مجال الفكر الإسلامي نفسه .

لـفليذا أردنا أن نبين فسكون أرسطو وجدهناه يقول بالنظام العبودي اليوناني
ويرى أن (نظام الرق) هو أصلح نظام للبشرية وأن العبد إذا تحرر من عبوديته
 فهو عبد والأمير إذا استعبد فهو أمير، ومن حممه الله تبارك وتعالى ناقص وضال
وماديتة في التفكير بكونه أساس المذهب المادي واضح لاشيه فيه ، ولذلك فقد
كان لا يلدن يصحح الفسكون الإسلامي موقفه من أرسطو وفلسفته وخر ما يذكر
في ذلك ما كتبه الإمام الجليل ابن تيمية في كتابه منطق القرآن في مواجهة منطق
أرسطو وما فصلناه في دراسات أخرى .

مراجعة عامة

في مراجعة عامة لحياة لطفي السيد تتكشف مجموعة من الحقائق تلقي الضوء على شخصيته والدور الذي قام به :

أولاً : أن مترجمات أرسسطو (التي ترجمت عن الفرنسيبة) السياسة ، الكون والفساد والأخلاق هي منسوبة إليه ولكنها ليس هو مترجمها في الحقيقة وإنما قام بترجمتها قسم الترجمة في دار المكتب المصري وقد شهد بذلك الأستاذ أحد عابدين أحد مديرى دار المكتب .

ثانياً : دعوته على قصر التعليم على إبناء السراة والأعيان .

ثالثاً : حضانته وحمايته لطه حسين في كل المواقف التي تعرض فيها طه حسين للخطر .

رابعاً : كراهيته للعلم الإسلامي والعروبة ومعارضته للانضمام إلى أحد هما وللحاجة حتى وفاته على الانقليزية المصرية .

(من حديث عبد الحميد المكتب في أخبار اليوم)

خامساً : أنشأ جريدة الجريدة شركة يرأسها محمود سليمان باشا من كبار المتعاونين مع المحتل ، لمواجهة الحزب الوطني ودعوه إلى الجلاء ، اشتراك في إنشائها الأقليعيون المصريون أ尤ون الاستعمار وحزب الآلة الذى تولى جريدة هم الذين كان كرومر يطلق عليهم أصحاب المصالح الحقيقية ، وكان لطفي السيد يرى أن السلطة الفعلية في البلاد هي سلطة المعتمد البريطاني ووقف المهاجمه مع الاحتلال .

سادساً : الوزارات التي اشتراك فيها تقسم كالتالي واحد وهي جميعها وزارات انقلاب ضد الدستور والبرلمان والجريدات الهمامة ، والتي كتب لطفي السيد مقالات مطولة يطالب بها .

سابعاً : هجومه الشديد على اللغة العربية الفصحى ودعوته إلى تطوير العالية واستئصالها ووصف زكي مبارك أسلوب لطفي السيد بأنه كالرحى التي تظاهرن الغربون

ناعنا : تعد مدرسة الجريدة لطفي السيد هي الأساس للتيار العلماني التحريري الذي حلته من بعد جريدة السياسة بقيادة عالم حسين وهيل و محمود عزى وعلى عبدالرازق وكأنوا يسمونها الفسكرة الليبرالية فكانوا جميعا يكرهون الفسكرة الإسلامية والوحدة الغربية وعاشوا يحاربونها .

ومن العجيب أن عدو اللغة العربية هو الذي تولى رئاسة بجمع اللغة العربية فقاده نحو الأهداف التحريرية .

ويقول أحد الباحثين أن لطفي السيد هو أول من ضرب وحدة الفسكل العربي الإسلامي وقسمه إلى تيارين : قومي وديني و Saras الأحزاب المصرية المشتبكة من حزب الأمة (الوفد ، الأحرار الدستوريين) على نفس الطريق الذي رسّمه كرومر ونفذه لطفي السيد والذي كان سعد زغلول أكثر إيمانا به ، وقد حل لوانه سعد زغلول بعد ثورة ١٩١٩ واستطاع هذا الاتجاه أن يسيطر بعد الاستقلال وأن يتمثل نفوذ الحكم والسيطرة السياسية بينما وقف الاتجاه الإسلامي في حدود ضيقه وبرز من خلال الجميات الإسلامية والأزهر بعد أن انتشرت حركة التبشير في الجامعات الأمريكية وسقوط الخلافة وظل مسيطرا حتى أسلم نفسه لحركة بوليو التي عمقت خطر العثمانية عميقاً كبيراً وفتحت الباب واسحا أمام الماركسية الليبية .

$$k_1 = -\pi R \partial_x - \frac{1}{2} \partial_t + k_0$$

وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنُونَ

and every day and night as the sun and moon that they
will bring them back again.

الفصل الثاني

جورجى زيدان



—
—
—

خطبته تبرأ منها ، لكنه لم يذكر ذلك في خطبة أخرى .

(١)

تاريخ آداب اللغة العربية

تاريخ آداب اللغة العربية ، مؤلف ألقه مارونى ترى في مدارس الشيوخين هو جورجى زيدان وعلمه باللغة العربية وآدابها لا يؤمّله لفهم مؤلفاتي وهو الفرنسي الثقافة ، ولذلك كان الشيخ السكندرى يقتلا فيها كتب عنه .

قال الشيخ السكندرى : الأمور التي تؤخذ على الكتاب كثيرة :

أولاً : الخطأ في الحكم الفنى ، أي تقدير غير الحقيقة العلية سواء كان ذلك بقصد من المؤلف أم بغير قصد .

ثانياً : الخطأ في الاستنتاج ، وهو ما يعذر فيه المؤلف لأنّه اجتاد من عند نفسه .

ثالثاً : الدعوى بغير دليل ، وهو ما يقرره المؤلف من غير دليل عليه ، وقد يكون في ذاته صحيحاً ولكن سوقة ساذجاً يتبع حالاً للشك .

رابعاً : الخطأ في النقل وهو آت من تصرف المؤلف في عبارات المؤلفين يقصد اختصارها ، أو من تسرّعه في الجمع ، وقلة مراجعة الأصول .

خامساً : قلة تحرى الحقيقة بمراجعة الكتب المعتبرة والتاريخ الصادقة ، ووزن كل عبارة عیزان العقل والاصفاف وقياس الأمور يأشبهها ، بل كثيراً ما تروج عند المؤلف أقوال الخصم في خصوصهم ، وأقوال الكتب الموضوعة لأخبار المجنون ، أو لذكر عجائب الأئمّة وغيرها .

سادساً : تناقض بعض أقوال الكتاب .

سابعاً : الاختصار في كثير من التراجم والمباحث ، وأهمال ما ليس من شأنه أن يصل ، مما يزيد في تشوّش المفهوم .

ثامناً : ادخال مالبس من موضوع الفن فيه ، لغير مناسبة أو لمناسبة ضعيفة جداً .

ناسعاً : الاستدلال بجزئية واحدة على الامر الكل ، وهو كثير الحصول في جميع كتب المؤلف وفي أكثـر استنتاجاته ودعاؤه .

عاشر ١ : تقليل المستشرين في مزاعمهم أو نقلها من غير تعيين .
حادي عشر : اضطراب المباحث وصعوبة استخراج فائدة منها لاختلاف عبارتها ، أو عدم صفاء الموضوع للمؤلف .

ثاني عشر : اضطراب التقسيم والتبويب ، أما بذكر المباحث في غير موضوعها ، وبذر الرجال عصر في عداد رجال عصر آخر .

ثالث عشر : التحرر واللحن وما كثيراً الشبوع في جميع كتب المؤلف .

رابع عشر : تهافت المؤلف على تطبيق قانون الشووه والارتفاعات حتى على الأمور التي فيها تدل والخطاط لا يشنـه ولا يرتفـه .

أولاً : الخطأ في الحكم الفنى :

١ - قول المؤلف (وكان أبو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى أنه لم يكن يحسن الأعراب ولا يطال به) .

وقد عزا هذه العبارة إلى (ابن خلkan - وفيات الأعيان ج ٢) فالذى يقـنـع المؤلف يصدق عبارته بعد أن تبرأ من تبعـتها ونسجـاـها إلى مؤرخ عظيم ، ولكنه إذا آثرـها ابن خلـkan في هذه الصفحة ، بل إذا قرأـها ترجمـة أـى حـنـيفـة من أوـلـها إـلـى راجـعـ لم يـشمـ منها رـاحـةـ هذهـ الـأـفـاظـ بـلـ المـعـانـىـ .

٢ - قوله المؤلف (وكان آئـةـ الفـقـهـ فـيـ الـدـيـنـ ، فـأـرـادـ الـمـنـصـورـ تـصـفـيـرـ أـمـرـ الـرـبـ وـاعـظـامـ أـمـلـ الـهـرـسـ لـأـنـمـ أـنـصـارـهـ - أـىـ الـعـبـاسـيـنـ - وـأـهـلـ دـوـلـهـ ، فـكـانـ مـنـ جـلـةـ مـسـاعـيـهـ فـذـلـكـ تـحـوـيلـ أـنـظـارـ الـمـسـلـيـنـ عـنـ الـخـرـمـينـ ، فـيـ بـنـاءـ تـعـاهـدـ الـفـقـهـ الـخـضـرـاءـ مـعـالـنـاسـ (ـكـنـاـ) وـقـطـعـ الـمـسـيـرـةـ عـنـ الـدـيـنـ ، وـنـقـيـهـ الـمـدـيـنـةـ يـوـمـذـ الـإـلـامـ)

مالك الشهير فاستفتأه أهلها في أمر المنصور ، فأفني بخلع يمته خلعواها ، وأبابروا
محمد بن عبد الله من آل على .
ومن عباراته يفهم أن جمهرة أمة الفقه كانت بالمدينة فقط ، وأن المنصور كان
يكره العرب كراهة حملة أن يرتد عن الإسلام ويحاول صرف المسلمين عن
توليه وجوههم شطر قبليهم ، وأن أهل المدينة استفتوا مالكا في سلح المتصور
فأفتابهم .

وكل هذه اللوازم باطلة فلم تكن جمهرة الفقه بالمدينة بل كانت في كل الأقطار
ثم كيف يكرة المنصور العرب هذه الكراهة وهو عرقى ، وإن عم النبي
وخليفته في أمته وشرعيته .
أما عن الثالث فينافي ما نقدم ، واعتذار المنصور بعد ذلك مالك عما وقع ،
كذلك فإن المنصور لم يقطع عن أهل المدينة إلا بعد مبايعتهم محداً بن عبد الله .
ومن خطته في الحكم عده ظاهر بن الحسين - فاتح بغداد وقاتل الأئم - في
علماء المنشين كتاب الرسائل ، مع أن هذا الاسم لا ينطبق عند علماء الأدب إلا على
الكاتب في ديوان الرسائل ، ولم نجد فيه ظاهر بن الحسين منشيناً فقط .

ومن الخطأ في الحكم زعم المؤلف أن علم الكلام ومنذهب الاعتزاز نجا
في العصر الثاني من حكم بي العباس أي بعد ١٤٢ هـ مع أن المشهور في التاريخ
أنه لما كثرت الزنادقة والملائحة في زمن المهدى ، أوعز إلى العلامة أن يجاجهم
بالأدلة العقلية ويدون ذلك في الكتب ففعلوا وسموا المتكلمين .

ومن الخطأ في الحكم جعله أبا منصور عبد الملك التمالي صاحب *يتيم الدهر* ،
هو صاحب التفسير الكبير المعروف بـ *تفسير التعلي* ، والتعليق هو الاسم الحجة
الثالث (أبو الحجاج أحمد بن إبراهيم التعلي) فهو شخص آخر غير أبيه صدور التمالي .
ومن أخطائه قوله أن القصائد طالت في العصر الثالث من حكم بي العباس
ولم ولد القصائد لم يختص في عصر دون عصر ، وقوله : أن العرب لم يدركوا شاؤ
اللوثان والقرس في تطوير القصائد ، فإن المؤلف لم يدفعن إلى الفرق بين الشعر
الشوري والاعجمي ، فإن الشعر العربي ينظم القافية فيه من بغير واحد

وقافية واحدة وروى واحد، وشعر الأمم الاعجمية ليس له قافية،
ومن المطاف الاستنتاج ، رغم المؤام أن التصوف لم ينشأ إلا في العصر
الثالث أي بعد ٢٢٤ هـ وينهى على ابن خلدون وغيره من يرى أن اشتقاقه من
التصوف ، ويرى أن اشتقاقه من كلمة سرها اليونانية (بمعنى الحكمة) ،
وأقول أن طريقة القوم قد اشتهرت بهذا الاسم قبل شروع ترجمة الكتب
اليونانية وانتشار الفلسفة .

ومن حجا الاستنتاج واعتراض الكلام واختلاطه : الفصل الذي كتبه
التلوق عن السيرة التبوية ، فقد جعل سيرة ابن احجاج وابن هشام واحدة ، وابن هشام
لم يكن راويا ، والحقيقة أن سيرة ابن اححج سيرة كبيرة مستقلة عن سيرة ابن هشام ،
وهي التي يطمئن في شعرها ولم يتفق على صحتها وأن ابن هشام لم يكن هو الراوي
لهذه السيرة بل لحسن سيرته التبوية عن سيرة ابن احجاج وغيرها من كتب المغاربي .

ثانياً: دعاوى المؤلف :
ومن دعاوى المؤلف يعني دليلاً دعواه أن ابن قتيبة أول من تحرراً على النقد
الأدبي فالف في أكثر فنون الأدب المعروفة ،
فإن أراد المؤلف : أنه أول من كتب في نقد الشعر ، فليس بصحيح إذ شبهه
إلى ذلك كثيرون منهم محمد بن سلام الجمحي ، في كتابه طبقات الشعراء ، وقبله
ألف أبو عبيدة كتاب نقائض جرير والفرزدق .

ومن دعاوى المؤلف قوله : أن الشعر في العصر الأول من بن العباس قد بطل
استعماله في العصبية ، كما بطل استناد الخلفاء للشعراء بسبب انتصارهم لفرق
على غريق ،
والحقيقة أن الشعر يبقى يستعمل في العصبية طوال العصر العباني الأول وبعده
العصر الثاني ، بل نجد فتح الخلفاء العباسيون في العصبية باباً شرفاً من عصبية القبائل
وهو تحضير العباسين على الطالبيين .
ومن دعاوى المؤلف قوله : ولم يكن للشاعر العربي بد من الرحالة إلى بلاد
العرب لاقتراض أسلوبهم ، فليقل لنا المؤلف ما هي رحلات أبي نواس ومسلم

والحسين بن الصحاح ، وطبع بن إبراس وحاد عبرد وأيان اللاحق إلى بادية العرب .
أن الرحلة إلى بلاد العرب كانت خاصة بالعلماء ورواة الأدب والفقهاء مثل
الخليل والأشعري وأبي عبيدة والكسائي .

ومن دعاوى المؤلف أن ابن المفع كان يعرف اليونانية جيداً ، ولم يرق كتب
الأدب والتاريخ من ذكر هذا .

ومن دعاوى المؤلف في الكلام على طريقة أبي الحسن الأشعري في علم الكلام :
أن الناس عولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين الآراء ، فكيف يعقل أن منها
يمسى بين آراء كل الطوائف ، وفيهم من ينافق مذهب الآخرين ، وظاهر
الامر أنه اعتدل بين مذهب المعتزلة والسلفية من أهل السنة .

ومن دعاوى المؤلف : عن المسؤول الخليفة العباسي أنه أهلك جماعة من العلماء ،
وأحط مراتبهم وعادى العلم وأهله .

فن ابن للمؤلف هذا الكلام وكل هذه الغارة على المسؤول من جزاً أنه رفع
السنة بخلق أقرآن ، ونهى الناس عن الجدل فيها بعد أن أنهكت دينهم وأخلاقهم
وأنه أمر أهل الذمة باليبس شارات تميز بهم وأنه صادر بمحنة شرط الطيب وبغض
الكتاب لخيانة ظهرت له منهم .

ومن دعاوى المؤلف أن الانشاء في العصر الثالث العباسي قد صار له طريقة
خاصة بهما (كلاسيك) أخذ من اصطلاح الأفرنج ، ثم أخذ يسرد شروطا
للانشاء المدرس ، والمتبع لها يجد أن أكثرها لا يختص بعصر دون عمر ، وأن
أغلبها أمور طبيعية وعادية في كل زمان .

ومن دعاوى المؤلف زعمه أن العرب نقلت محاضراتها عن اليونان ، وما نقله
المؤلف من تعرف المحاضرات (نما يؤكد أنها فن عربي بحت كان يطلق قد يعا على
عدة علوم من أنواع التاريخ والأخبار والنواذر والشعر منه كامل المفرد وأعمال
القالي وكثير من كتب الماجستير وأبي حنيفة الدينوري .

ومن دعاوى المؤلف أن كتب (السيرافي) لم يصلنا منها شيء وعد منها كتاب التحويتين البصريين والكتاب في دار الكتب المصرية في نسخة قديمة وأظنهما من كتب الشنقيطي .

ثالثاً - الخطأ في النقل :

أخطأ المؤلف في نقل عبارات المؤلفين أما بتصرف فيها تصرفاً أفيد معناها ، وأما بتحريف الكلم وأما بنقلها من نسخة معرفة من غير تحيص . وهو كثير ..
ومنها خطأه في تسمية أسم رجل واحد على مسميين (أحمد بن يوسف ابن صبيح) فقال أحمد بن يوسف وزير المأمون ، وابن صبيح .

ومن نقاص المؤلف في توضيح ما نقله عن السيوطي ، ناقلاً عن كتاب العين ومحتصر الزبيدي ، أحصاء المستعمل من اللافاظ العربية والمهمل منها . فاستخرج المؤلف من كتاب الزبيدي أحصاء المستعمل من اللافاظ العربية ٤٥٢ لفاظاً مع أن كتاب القاموس (وهو ليس إلا قطرة من بحر اللغة العربية) يشتمل على سبعين ألف مادة ، متوسط ما في كل منها من المزيد والمترافق عشرون كلمة على الأقل أي نحو مئتي ألف كلمة فكيف ولسان العرب ، به ثمانون ألف مادة متوسط ما في كل منها ثلاثون كلمة على الأقل .

رابعاً - عدم تحري الحقيقة والضوابط :

اعتقد المؤلف أن ينقل إلى كتبه ما يعتقد بذاته ، أو ما يكون دائماً على السنة عامة القراء والوراثتين من غير تحيص لحقيقةها . لكل من تعرض لندوين التاريخ في السياسة أو الأدب لا يكتفي برؤاية كتاب واحد أو كتابين أو بما يذيع على السنة الناس بل يجب عليه تحقيق الجزء وتحيصه والأخذ بالرواية أقربية من العقل .

ومن ذلك نقله عبارة ابن خلسا كان عن أن الأمين جمع بين سببية والكسائي في مجاس للمناظرة وأن الكسائي زعم أن العرب نقول كت أغان

الذئب أشد لساع من النحلة فإذا هو إليها . . . المشهور أن المناظرة جرت في مجلس يحيى بن خالد البرمكي .
ومن ذلك أنه لم يتعذر الحقيقة والصواب في تعداد كتب الواقدي .

خامساً — التناقض :

فـنـذـكـرـهـعـنـابـرـوـمـيـوـمـاـشـكـكـهـمـنـنـسـبـةـكـتـبـالـعـيـنـإـلـىـالـخـلـلـ،ـوـنـاقـضـالمـؤـلـفـنـفـسـهـفـنـشـأـعـلـمـجـعـرـافـيـاـفـيـالـعـصـرـالـعـبـاسـيـالـثـانـيـ.ـوـمـنـنـاقـضـالمـؤـلـفـقـولـهـ:ـنـشـأـعـلـمـجـعـرـافـيـاـفـيـهـذـاـعـصـرـ(ـالـعـصـرـالـثـانـيـالـعـبـاسـيـ)ـبـعـدـنـقـلـعـلـمـالـقـدـمـاءـإـلـىـالـعـرـبـيـةـوـفـيـجـمـاتـهاـكـتـابـبـطـيـمـوـسـ،ـوـعـلـيهـمـعـوـلـمـفـيـتـقـوـيمـالـبـلـدـاـنـ.ـعـلـىـأـنـالـمـسـلـمـيـنـيـدـقـوـيـوـضـعـجـعـرـافـيـاـقـبـأـطـلـاعـمـعـلـىـهـذـاـكـتـابـ،ـلـأـسـبـابـغـيرـالـتـىـدـعـتـالـيـونـانـإـلـىـوـضـعـهـالـخـ.ـ

وهـذـاـنـاقـضـمـنـالـمـؤـلـفـإـذـذـكـرـجـعـرـافـيـاـأـوـلـبـعـىـجـعـرـافـيـاـالـرـياـضـيـةـ،ـوـأـعـادـهـمـائـاـنـيـاـبـاسـمـجـعـرـافـيـاـالـتـخـلـيـطـيـةـ،ـالـتـىـكـاتـتـتـسـمـىـعـلـمـالـمـسـالـكـوـالـمـعـالـكـ،ـوـالـمـرـوـفـأـنـالـعـرـبـأـشـتـغـلـوـبـالـجـعـرـافـيـاـالـيـونـانـيـةـقـبـلـالـعـصـرـالـثـانـيـ،ـوـالـمـأـمـونـوـعـلـمـأـوـهـمـنـصـحـأـغـلـاطـبـطـيـمـوـسـوـغـيـرـهـ،ـفـيـعـيـطـالـأـرـضـوـقـطـرـهـوـمـقـيـاسـالـدـرـجـةـالـأـرـضـيـةـ.

وـمـنـنـاقـضـالـمـؤـلـفـوـتـحـيـرـهـقـولـهـفـيـأـيـالـعـتـاهـيـةـ:ـقـدـنـظـمـفـكـلـأـبـوـابـالـشـعـرـوـأـمـتـازـمـنـهـبـالـرـهـدـوـرـوـخـذـمـسـيـرـةـحـيـانـهـأـنـهـكـانـمـتـرـدـدـاـمـقـلـبـاـعـلـىـأـنـتـمـنـعـأـيـالـعـتـاهـيـةـعـنـقـولـالـفـزـلـبـعـدـأـنـأـمـرـهـبـهـالـرـشـيدـيـخـالـفـدـعـهـ.ـوـالـرـأـيـأـنـهـذـهـالـعـلـلـلـوـصـدـقـتـعـلـىـكـلـشـاعـرـيـتـكـسـبـبـالـشـعـرـلـتـبـرـمـتـالـدـنـيـاـبـأـثـرـالـخـرـوـرـيـنـوـالـمـوـسـوـيـنـ.

سادساً — الاختصار فيما يجب الاطلاع فيه :

وـمـنـأـعـجـبـأـمـوـرـالـمـؤـلـفـأـنـهـيـلـمـ،ـوـيـلـمـأـنـالـنـاسـتـلـمـ،ـأـنـهـيـلـفـكـتـابـفـيـأـدـابـالـلـغـةـالـعـرـبـيـةـلـأـدـابـالـلـغـةـالـيـونـانـيـةـالـقـدـيـمةـوـلـأـلـفـارـسـيـةـوـلـأـلـلـغـاتـ

الأوربية ، ثم تراه إذا خاص في ذكر بحث من مباحث الأداب العربية أو عند النبغاء أو ذكر ترجمة شاعر أو كاتب ، أقتصر على ذكر نتف قليلة أو أقتصر على العدد القليل من مشهورى النبغاء وأختصر ترجمتهم مكتفيا بذلك ما لا يلزم الناقد الأديب ويدرك السكتب الذى يراجعها من شاء التوسع .

وأشار إلى تقصير المؤلف بأهماله ذكر الجرمي من تحفة العصر الثاني مع ترجمته لابن ولاه وأبي جعفر النحاس ، وأهماله ذكر الأوزان والقوافي التي طرأت على الشعر في جميع المصوراتى ذكرها كالموايا والموبيت ، وتحصيصة لائني عشر صفحة من كتابه لموضوع أجنبى عن موضوع أداب اللغة العربية بالمرة ، وهو أداب اللغة اليونانية وأطوارها وترجم فللسقة اليونان .
وهو ذلك إسهام المؤلف في شرح الأدب والأنشاد عند الأفرنج وذكره بعض قصص الأفرنج الخرافية .

ومن التطويل المخل بالغلام وضع الكلام في بحث تأثير القرآن الكريم اللغة العربية في هذا الجزء ومن حقه أن يدرج في الجزء الأول ومن التطويل تكرار الكلام في موضوعين أو ثلاثة لنغير موجب مثل وصف التمثال والخلافة عند الشعراء .

سابعاً - الاستدلال بحادة جزئية على أمر كلٍّ :

اعتاد المؤلف في كتبه أن يستخرج من حادثة جزئية أمراً كلياً وهذه الخصلة من أكثر ما ينبع عليه النقاد وقد عمل بها في كتابة هذا غير مرأة (وقدم الباحث في ذلك نماذج متعددة) .

ثامناً - تقليد مستعربى الفرنجة حتى في الخطأ :

للمصنف ولع بنقل ما يكتبه المستعربون عن العرب وأدابهم ولو خالف الواقع . ومن ذلك نقله فضولاً بربةً مشوية بالخطأ من كتاب يكملن الانجليزى وبـ كلامان الألمانى مثل مقالة الشمر في العصر الأول وغيرها .

من ذلك أن وضع ما يصلح أن يذكر في أدب الفرانجية في أداب العرب ، وما ينبغي أن يجعل في عصور ظهور الإسلام جملة في حصر بنى العباس ، ومن يجب أن يترجم له في عصر معين أو في طائفة بعينها ترجم له في عصر غير عصره طائفة غير طائفته ، بحيث تضطرب المباحث وتدخل العصور .

من ذلك ذكره أن الخلاف بين النحوين المكوفين والبصرىين حصل في العصر الثاني وما بعده من عصور الدولة العباسية ، والحقيقة أنه حصل في العصر الأول .

ومن ذلك تأخيره الكلام عن نشأة علم الفرائض إلى العصر الثالث مع قديم دونه دون الفقه في العصر الأول .

عشراً - ثافت المؤلف :

المؤلف ثافت وولع بالشيء لا يؤبه له ، أو بالأمر يناسب " مقاماً خاصاً " فيفهمه في كل مقام ، كما فعل هذا في كتابة في مواضعه شئ .

من ذلك حالة التشوه والارتفاع ، فيس بها كل أمر حتى خرج بهقياس إلى عكس ما يراد بها وذكر أن اضطراب العلاقة الإسلامية وإنخلالها إلى آثار ومهلك ضخمة متناسبة منها كثرة من دواعي التشوه والارتفاع في حين بعده المؤرخون من دواعي الانحراف والقناة .

حادي عشر - المحن والإغلاط اللغوية :

لا تكاد تمر بآقارىء صحفة إلا وهي مشتملة على خطأ لفظي ، أو مافي التحوز أو الصرف أو اللغة ، وإذا كانت هذه الإغلاط تعدد بال什رات بل بملفات فانتها لا تستطيع تعدادها .

وفي النهاية يختتم الشيخ السكتندرى رحمه الله نقده خاتماً مؤدباً حيث يقول :
والنتيجة أن الكتاب على ما فيه من مواضع النقد لا يخلو من منافع في موضوعه وغير موضوعه . وهي عبارة مؤدية تمنى أن المؤلف لم يكن منضبط المنهاج فكان كلامه أحياناً يخرج عن موضوع الكتاب .

(٢)

تاریخ التمدن الإسلامي

يقول العلامة دشبل العماني ، المصلح الشهير مؤسس جمعية ندوة العلماء في لكتنبو بالهند (نشر التقديم في مجلة المثار والتي كان يصدرها الشيخ رشيد رضا راجه الله على حلقات المجلد ١٥ ١٣٣٠ - ١٩١٢ م) :

إن الدهر دار العجائب ، ومن أحدي عجائبها أن رجلاً من رجال العصر (جرجي زيدان صاحب الهلال) يوثق في تاريخ تمدن الإسلام كتاباً مرسك فيه تحريف الكلم ، وتمويه الباطل وقلب الحكاية والحقيقة في النقل وتمعد الكذب ، بما يفوق الجد ويتجاوز النهاية) .

ويشر هذا الكتاب في مصر وهي غرة البلاد وقبة الإسلام ومفرس العلوم ثم يزداد انتشاراً في بلاد العرب والمسلمين ، مع هذا كله فلا يتعطّل أحد لدعائسه .

ولم يكن ليحتزىء على مثل هذه الفظيعة في مبتداً الأمر ، ولكنه تدرج إلى ذلك شيئاً فشيئاً ، فإنه أصدر الجزء الأول من هذا الكتاب ، وذكر في مثاب العرب ديسسة يتطلع بها على احساس الأمة وعواطفها ، ولما لم يتتبه لذلك أحد ، ولم ينفع لأحد عرق ، ووُجد الجو صائباً ، أرخي العنان وتمادي في الغي . وأسرف في السكایة على العرب عموماً ، وخلفاء بنى أمته خصوصاً .

إن الغاية التي توخاها المؤلف ليست إلا تغيير الأمة العربية وإيهامها ، ولكن لما كان يخالف ثورة الفتنة ، غير بجري القول ولبس الباطل بالحق .

بيان ذلك أنه يجعل العصر الإسلام ثلاثة أدوار : دور الخلفاء الراشدين ، ودور بنى أمية ، ودور بنى العباس ، فدح الدور الأول ، وكذلك الثالث ولسا بين الناس (مقدمة المقطف الراشدين ، وهم ساداتنا وقدوتنا في الدين ، وبمدهم لبني العباس وهم أبناء عم النبي صلى الله عليه وسلم وبهم نثارنا في ثبات التمدن وثورة

الملك ، ورأى أن (بني أمية) ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم ، ولا مدافعين ، تفرغ لها وحل عليهم حلة شتماء ، فما ترك سنتها إلا وزعراها [إليهم وما خل حسنة إلا وأبترها منهم .

ثم لو كان هذا لاجل أنهم من أول هروان أو لكونهم من سلالة أمية لكننا في غنى عن الذب عنهم والحياة لهم ولكن ذذبهم أنهم «العرب» على صراحتهم مشابهتهم العجمة مهملقاً . وقد حصر الباحث أحاطته في عدد من الأصول العامة :

أولاً : عصبية الغرب على العجم :

أطال المؤلف وأطّل في إثبات هذه الدعوى ، وقال أن العرب يعاملونهم معاملة العبيد ، في عدّيد من المواقف (العنوان العام في الجزء الرابع صفحه ٥٨) .

وأعلم أن المؤلف في اتفاقان باطله أطواراً شتى :

منها تعدد الكذب ، ومنها تعصي الله لواقعه جزئية ، ومنها الخيانة في النقل
وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنها الاستشهاد بمصادر غير موثوقة ، مثل كتب
الماضيات والمساكيات ، وغير حاف على من له أثاماً بتاريخ الفروس والعرب ،
أن الفروس كانت قبل الإسلام تحقر العرب وتزدريهم ، ولما أرسل رسول الله
عليه السلام كتابه إلى كسرى العجم ، أشمار وقال : عبدي يكتب لي ؟ وكتب يردحوز
للي سعد بن أبي وناص فاتح القادسية أن العرب على شرب ألبان الإبل وأكل
اللصب بلغ يوم الحال إلى أن تمكنا دولة العجم فأفأ لك أنها الدهر الدائى .

لهم لما شرف الله العرب بالإسلام ، انتصافت العرب من العجم ، واستئنافوا
من سيادتهم عليهم وجاءت الشريعة الإسلامية ماحية لكل خر وخترة ، فقال
رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في خطبته الأخيرة في حجة الوداع :

أن لا فضل للعرب على الجميع ولا للجمعي على العربي ، لكنك أينما أدم
حيثما إرتفع المعايير وتساوى الناس ، وإن مع ذلك يقيس في بعض الناس من
كلا الطرفين حنوزات كافية في حدودهم ، كانت سبباً لحبوبه حزبين متحاولين
بعضهما :

الشورية : وهي التي تعتقر العرب وترميمهم بكل معيبة ، والثانية : المتصببون للعرب وقد عقد ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) باباً في حجج كل من الطرفين وصدر هذه الآتوال بقوله (قال أصحاب العصبية من العرب) وأنت تعلم أن هذه المصبية ليست كل العرب ولا أكثرها ولا عشر مشارها ، فهؤلاء شردة معمورون في الناس ، ولكن المؤلف ما اقتصر بذلك ، بل وبما نسب قول رجل معين معلوم الاسم إلى العرب عامة .

وقد مضى جرجي زيدان في دعوه متابعاً كتابات المستشرقين في اتهام العرب بانتهاص الموالى فقال أنهم منسومون من المناصب الدينية المهمة (الجزء الرابع ص ٦) .

فقال الشيخ التعمانى : إن البلاد التي كانت عواصم الأقاليم وقواعدها في مصر بنى أمية ، كان كل أئتها من الموالى ففي مكة عطاء ، وفي اليمن طاووس ، وفي الشام مكيحول ، وفي مصر يزيد بن أبي حبيب ، وفي خراسان ضحاك بن مراح ، وفي البصرى خسن البصرى ، ومع كونهم أجمعاماً وكونهم أولاد الإمام ، كانوا مادة الناس وقادتهم ، تذعن لهم العرب ويحترمهم خلقها بنى أمية وولاية الأمور . وقد عالج هذه النقطة بما عرض مطولاً بما يؤكد أن الموالى كانوا في أيام بنى أمية بأعلى محل من الشرف والمكانة وأن كل ما أوردته جرجي زيدان وسايقه من المستشرقين افتئات ظاهر وتحن وظاهر .

استند جرجي زيدان على نص حاول فيه الادعاء بأن عمال بنى أمية كانوا يفرضون نوعاً من الجور والشدة . يقول « وإذا أتى أحدهم بالدرام ليؤديها في خزانة يقطع الحاب منها طائفة ويقول : هذا رواجها وصرفها واستنه في هذا على كتاب الخراج لابي يوسف . »

ويقول الشيخ التعمانى :

أيتها المؤلف الفاضل : أليس لك وارع من نفسك ؟ أليس لك وادع من إيمانك ؟ ات惚روا على مثل هذا المكذب الظاهر ؟ والمن اتباخش جبرة ؟ فإن

أبا يوسف ما تكلم في شأن عمال بني أمية ببنت شفعة ، وإنما ذكر عمال هارون الرشيد وأساتذتهم العمل في جبهة الخراج .

وكتاب الخراج لأبي يرسف بين أيدينا . وأن ما استند إليه عن عمال هارون الرشيد ، فكيف يأخذ المؤلف أقواله وينقلها من حيث أنها هي العرق التي كان عمال بني أمية يجدهمون الأموال بها .

ثانياً : متساوٍ ببني أمية :

ويقول الشيخ النهاني : أن موضوع الكتاب ليس إلا بيان تمدن الإسلام ؟ فما يتحقق في ذلك لإبداء متساوٍ ببني أمية .

ولعلك تقول لابد في تاريخ تمدن الإسلام من بيان منهج السياسة ، هل كانت مؤسسة على الاستبداد والجور أو العدل والتصفية ، بغير ذلك إلى كشف عوار بني أمية عرضا ، أناشدك الله أما كان لاحد منهم مأثرة تذكر ومنقبة تنقل ، وسياسة تتفعّل البلاد ، وعدل يعم الناس ، نعم أن خلفاء بني أمية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين ، وليس هذا عارا عليهم ، ولا فيحطّ بالزيل لهم فإن إدراك شأن الراشدين والله يوقّهم أمر خارج على طوق البشر ، وليس فيه مطعم لاحد ، ولا موضع رحمة لمجهود .

ولكن التوازن والتطابق بين الأموية والعباسيّة ، وإنما هم ملوك فيهم الحسن والمنصور والعادل والجائر بل الذي أعدّ لهم سيرة وأوفاهم ذمها لا يخلو من عثرات لا تُقال وهنات لا تذكر .

فلو لزم المؤلف جادة الصواب ، ووف لكل أحد قسطه وأعطي كل ذي حق حقه ، لاصراح واسترحنا ، ولكنكه مال إلى واحد فأطوى في مدحه (العباسي) ونال من الآخر فأمسك في تحنيه وذمه (الأموي) .

ثم أنه لم يفارق في مدحه وذمه عمود الكتاب أي ذم العرب والخط من شأنهم فإنه ذم بني أمية لأنهم العرب ، ومدح العباسيين لأنهم العرب ،

ولا لأنهم من سلالة بنى هاشم أو من أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم بل لأمر واحد : لأن دولتهم دولة أجنبية .

ثالثاً : حريق خزانة الاسكندرية :

عقد المؤلف بابا لإثبات أن حريق خزانة الاسكندرية كان بأمر عمر بن الخطاب، وأطّال وأطّل في ذلك واستدل عليه بستة دلائل (الجزء الثالث) أهمها رغبة العرب في صدر الإسلام في محو كل كتاب غير القرآن .

وقد كشف الشيخ النعاني أن هذا غير صحيح ، وأن المسلمين نظروا في كل الكتب ، ونقلوا في تفاسيرهم روايات مختلفة ، فيها الغث والثين مما نقل إليها من الأديان الأخرى ، فلو كان أهل القرون الأولى يغضبون ماسوى القرآن ويجهون ما كان قبله من العلم - كما يدعى المؤلف - فلن روى الاسمائيات وأفاصيص التلمود والتوراة وحشاها في التفسير ؟

ثانياً : أورد ماجاه في تاريخه مختصر الدول لابن الفرج ثم نقل رواية الإحرار يرميها وأطّال في إثبات أن أبا الفرج ليس بأول من روى هذه الرواية ، بل ذكرها عبد الطيف البغدادي عرضاً في ذكره عمود السوارى وذكرها إنقطنى في تاريخ الحكماء .

ولا تنازع المؤلف في أن أبا الفرج مسبوق في ذكره هذه الرواية بالمعنى والمبغدادي ، ولكن ماذا ينفعه ذلك ، فإن البغدادي وهو أقدمهما من أهل القرن السادس للجرة ، قد ذكر الرواية من غير إسناد ومن غير إسناد ومن غير إسناد على كتاب .

ويقول : لقد تهود المؤلف من صباء قبول مختلفات أهل الكتاب وأوهامهم وسبب ذلك أنه يزن التاريخ الإسلامي بينان غير ميزانا ، ولذلك يصعد إلى كل صوت ويستمع لكل قائل ، ولكل فن أصول وقواعد ، وما لم تكن الرواية ملائمة لهذه الأصول اليقينية لا يلتفت إليها أحدا .

ومنها أن الناقل للرواية لابد أن يكون شهد الواقعه ، فإن لم يشهد فيليب سند الرواية ومصدرها ، حتى تصل الرواية إلى من شهدتها بنفسه .

ومنها أن يكون رجال السنن معروفين بصدقهم وديانتهم ، وأنت تعلم أن اليغدادي والقطنطى من رجال القرن السادس والسابع ، فائى عبرة برواية تتعلق بالقرن الأول يذكر أنها من غير سند ولا رواية ولا إحالة إلى كتاب .

أما كتب القدماء الموثوق بها ، فليس لهذه الرواية فيها أثر ولا عين وهذا تاريخ الطبرى واليعقوبى والمعارف لابن قتيبة ، والأخبار الطوال للدينورى ، وفتح البلدان للبلاذرى ، والتاريخ الصغير للبغارى ونقاوة ابن حيان والطبقات لابن سعد ، قد تصفى حنامها وكررنا النظر فيها ، وهم أن فتح الاسكندرية مذكور فيها بقصتها وتعصيضاً فليس لحريق الخزانة ذكر .

والحاصل أن حقيق أهل ربه قضوا بـأن الواقعه غير ثابتة أصلاً ، منهم (جيبيون) المؤرخ الشهير الإنجليزى و (درير) الامريكانى و (سيديبو) الفرنسي و (كارليل) الألماني والمعلم (رينان) الفرنسي وعدتهم فى أفكار ذلك أمران :
الأول : أن الواقعه ليس لها عين ولا أثر فى كتب التاريخ الموثوق بها كالطبرى وابن الأثير والبلاذرى وغيرهما ما ذكرنا .

والثانى : أن الخزانة كانت قد صاعت قبل الإسلام ، اثبتوها بذلك بدلائل لا يمكن إنكارها .

رابعاً : الضغوط على أهل الذمة :

ادعى المؤلف أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كتب عدداً لنصارى الشام ، وذكر نصه منقولاً عن سراج الملك للطرطوши واعتقد بـأن فيه ضغطاً على النصارى ، ثم اعتذر لغير بـأن نصارى الشام كانوا يعيشون إلى قيسار الروم ، وكانوا من بطانته يتبعسون له فلذلك احتاج إلى الشدة بهم والتشنيق عليهم .

يقول الشيخ النعمانى : كل من له أدنى مسكن في التاريخ يعرف أن الطرطوши

ليس من رجال التاريخ ، وكتابه كتاب أدب وسياسة ، وهو من رجال القرن السادس ، وإنما الم Howell على المصادر القديمة الموثوق بها : *« تأريخ الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وأبن الأثير وغيرها ، وهذا ما كان يعنى على المؤلف ولكن لاجل هوى في نفسه أعرض عن كل هذا ، وتشبه برواية واهية تختلف الروايات الصحيحة المذكورة بإسنادها ورجالها . وتلم الشیخ التعمانی رواية اقاضی (أبو يوسف) في كتابه الخراج ، وهي تكشف عن اعتراف أهل الذمة بوفاة المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم . »*

ختام :

وقد أشار السيد رشيد رضا - رحمه الله - في دراسة له عن جرجي زيدان « صاحب الہلال » بعد وفاته ، كشف فيها وجه هذا الشعوبى ، فقال : أنه أظهر بعد الانقلاب العثماني (١٩٠٩) نزعه جديدة ، هي إحياء المذهب الشعوبية ، ذلك أنه زار الاستانة ولقي فيها بعض زعماء الاتحاد والترق ثم عاد متبعاً بالنضضة التركية الزائفية ، مستنكراً عدم مجازاة العرب لإخوانهم أترك في الانضمام على خطبة الاتحاديين واترق إلى تعریک العناصر وادظام العرب في الترك .

وقد كتب في الہلال ما يشعر بهذه النزعه من مطاعن في العرب ، أو دعوها بعد ذلك في كتاب *« تاريخ الدين الإسلامي »* ، وفعلن لها أخيراً من لم يكن يحفل بها ، وزادهم التفاوتاً إليها ترجمة جريدة (أندام) التركية لتاريخ الدين الإسلامي ونشره بالتابع ، وهذا ما حفظ الشیخ شبل التعمانی إلى الرد عليه وأخفى شبهاته .

الأستاذ والتلميذ :

وكان الأب لامنس اليسووعي تدرّته في نقد العرب وبني أميه ، كما كان سو فان فهو وزن دليله في الحديث عن ما اسمه الحلة على المولى ، وهو أكبر متخصصي المستشرقين ، ولجرجي زيدان سوم أخرى في كتابه عن أدب العرب .

(٣)

روايات جورجي زيدان لارو آيات الاسلام

هدف افساد مفهوم الشخصية الاسلامية والبطولة

إن إعادة النظر في كتابات جورجي زيدان تكشف بوضوح أنه يمثل اتجاه الاستشراف والتبرير والتغريب حاملا شبهاته وسموته وعانيا على غوسها في أباءات التاريخ الإسلامي ، وقد كانت هذه الكتابات بمثابة المصدر إلى أن ترجمت دائرة المعارف الإسلامية ، التي كتبها متصببو المستشرقين : وتبين أنها تناهيا من حيث وحدة المصدر .

ثم جاء بعد ذلك طبع حسين وأحمد أمين وأمين الخولي وغيرهم ، فأدخلوا التاريخ الإسلامي في مراحل جديدة أشد خطورة ثم جاءت بعد ذلك محاولات التفسير المادي للتاريخ الإسلامي التي حل زمامها عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .

روايات جورجي زيدان :

أما المجال الذي استطاع جورجي زيدان أن يبث فيه سموته ، فهو مجال الشخصيات فقد ألف عددا من الأقصص تحت أسم روايات الإسلام ، دس فيها كثيرا من الدسائس والمؤامرات والاهواء ، وحاول أفساد مفهوم الشخصية والبطولة الإسلامية حيث أساء أسامة بالغة إلى الأعلام من أمثال صلاح الدين الأيوبي ، وهارون الرشيد واللطاطس عبد الحميد وعبد الرحمن الناصر ، وعبد الرحمن الغانقى وأحمد بن طولون . والأهالى والأمون ، وعبد الرحمن الداخل ، وشجرة الدر الخ . ومازالت هذه الروايات نظرة بين وقت آخر مطبوعة طباعة فاخرة لتخدع الشباب بذلك الأسلوب الفصوصى المسموم ، وقد أقام جورجي زيدان تصورة على أساس خطير :

أولا : تصريمه للخلفاء والصحابات والتابعين بصورة الوصولين الذين يربلون

الوصول إلى الحكم بأية وسيلة ، ولو كان على حساب الدين والخلق القويم ، مع تجريحهم وأتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات .

ثانياً : تزييف النصوص التي أقللها عن المؤرخين القدماء وحوّلها عن هدفها تحوّلاً أراد به السخرية والاستخفاف بال المسلمين وبنّى عليها قصصاً غرامية باطلة .

ثالثاً : استهدف من حشد العلاقات الغرامية ، ذات المواقف المشبّهة داخل روايات تاريخ الإسلام أنارة غزيرة الشباب وتحريّك شهوة المراهقين ، مستغلّاً صحف ثقافة الكبارين منهم وجعلهم بالغاية التي يرمي إليها في رواياته مع الاستشهاد بالإيات الشعرية المكشوفة الساقطة ، التي تحرك الغرائز الدنيا .

رابعاً : تبيّن من البحث الذي قدمه عالم أذربيجي درس باستفاضة روايات جرجي زيدان أن معظم الأحداث التاريخية في رواياته قد خرفت وبنّيت على أساس فاسد نقد ظل جرجي زيدان - على حد تعبير الباحث - ينقب وينقر وبجهد نفسية في مرجح الحق بالباطل . وتقديمه في أساليب براق جذاب ممتدداً على فن أدبي ذي أثير بالغ ، وذلك هو فن القصيدة والرواية ، حيث لم يكن حريراً على تحرّي الحقائق التاريخية قدر حررصه على الحبكة القصصية وخلق الحوادث المثيرة خلقاً ، وتدعم عمل جاهدوا على طمس التاريخ الإسلامي وتشويه معالله ، بغية تنفير أبناء العرب والمسلمين من ماضي أباائهم الجيد .

خامساً : من أخطر شبهاته أنه قال بإشراف القرآن ، وشكّل في مصادر العربية الأول ، ودحى بن العباس لأنهم أنزلوا العرب منزلة الكتاب (على حد قوله) ونسب أحراق مكتبة الإسكندرية إلى عمر بن الخطاب .

وقد طبع اللبنانيون - ودار الملال في مصر - روايات جرجي زيدان مزدane بالصور الملونة والألوان الصارخة بقصد استهواه ، الشباب وحثّهم على قراءة هذه الكتب التي لا تطيلهم إلا صوراً مشوهة لتاريخ أمّتهم وأخباراً ملفقة بغية التشكيك في ذلك التاريخ .

سادساً : أعطى نفسه الحرية المطلقة في تفسير أحداث التاريخ في معظم رواياته ، مستناداً إلى ما يسمى موقف الأديب من التاريخ ، وكانت تفسيراته متعصمةً متكلفةً ، تحفي خوالة لإثارة مشاعر السخط في نفوس المسلمين .

سابعاً : تفسيره لتصريحات هارون الرشيد مع أخيه العباسية وجعفر البرمكي وما أثير حولهما من أخبار ، بما لا يتفق مع ما عرف عن الرشيد من أنه كان يحج عاماً ويغزوا عاماً ، بل وما لا يتفق مع ايسير قواعد التفكير والمنطق السليم وفي رواية (الرمانوسية المصرية) - والتي تحكى قصة فتح عمرو بن العاص لمصر حاول أن يقول أن الحب بين أرمانوس وأركاديوس قائد حصن الروم ، هو السبب في هزيمة الروم وأنتصار المسلمين ، وأنهم المسلمين بأنهم دخلوا البيوت ينهبون ويسلبون عندما فتحوا بلبيس ، وهو منافق تماماً لما أورده المؤرخون المنصفون من المسلمين وغير المسلمين .

فتاة غسان :

ثامناً : في رواية [فتاة غسان] والتي تحكى فتوح الشام وبده ظهور الإسلام أو رد شبهة بأن النبي محمدًا عليه السلام أخذ تعاليمه من الرهبان ، وتأثر بتوجهات الراهب بحرا واتسمت كتاباته بالسخرية والاستخفاف بوتاقي الهدا النبوى ووصف حادثة شق صدر النبي عليه السلام بالغرابة ، وادعى أن هناك خصومة بين خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح رغبى الله عزماً وأخذ مصادره في هذا من كتب المستشرقين .

تاسعاً : في رواية (عذراء قريش) - والتي تناولت عصر الخلفاء الراشدين ، أيام منعنة على تجريح الصحابة رضي الله عنهم ، وإلهاهم بعضهم بالقدر وتدبرهم المؤمرات ، وأنهم السيدة عائشة رضي الله عنها بالليل إلى سفك الدماء والتزويغ إلى الشر .

ووصف الخليفة عثمان رضي الله عنه بأنه رجل إمامة وذليل ومستسلم لابن عممه ، وأقرى على (على ابن أبي طالب كرم الله وجهه) وفسر الفتنة تفسيراً معملاً وأتهم علياً رضي الله عنه بالتهاون في المطالبة بدم عثمان .

عاشرًا : وفي رواية ، العبامة ، التي تحكى قصة نكبة البراءة - أئم الريشيد
بالاستهان والتجن والإستبداد والظلم ، وقدم تفسيرها خاططاً ومفرضاً لقلل
بني برمك ، وشوه شخصية العباسية أخت الرشيد .

الحادي عشر : في رواية (شارل وعد الرحمن) - والتي تحكى جزءاً
من عصر الولاة بالأندلس - ذُعِمَ بأن القواد وأمراء الجنادل من المسلمين كانوا
مشغولين بحب فتيات التصارى وقد فقدوا بمحابين ، وأن هذا الحب قد صرفهم
عن أمر الفتح ، فتركوا جنودهم في ساحة القتال وادعى أنهم كانوا يبتعدون
بالنائم أكثر من أهمتهم بما عذبوا ، وجرى على تصوير حروب الإسلام
غير أنها حروب غنائم .

الثاني عشر : أجرى على لسان أبي سلم الحراساني من الأفقاء ، ما قال
من أن العرب كانوا يعتقدون غير العرب ، وبسوء منهم سوء العذاب ثم يفتخرؤن
عليهم بالبروة ، وطمس معالم التاريخ الإسلامي في هذه الرواية بالدس والأفقاء ،
وقدم صوراً باهرة للكنيسة ورهبانتها ، وأشاد بالاديرة والرهبان حيث جعلها
مهجراً الصعفاء وللذات التائبين والخائفين .

وفي رواية الأمين والمأمون كان واعظ التعامل على العرب ، واصفاً أيام
بالاستبداد وسوء التصرف مع الأجناس الأخرى التي تربطهم رابطة الإسلام
قبل كل شيء .

وفتاة القبور :

الثالث عشر : في رواية ، فتاة القبور - التي تحكى أخبار الفاطميين
ومن عاصرهم - حاول التشكيك في إنساب الكثيرين من حكام المسلمين ،
وكذلك عمد إلى التشكيك في نسب الخليفة المعز لدين الله وأعتد في قصصه
الغرامية على الخيال إذ لا يوجد ذكر لكل هذه المواقف في جميع كتب التاريخ
و وخاصة حاكم سلجماسة الأمير حدون ، بل أن صاحب سلجماسة في كتب التاريخ
يختلف تماماً عما جاء في رواية زيدان ، مما يؤكّد ميل زيدان إلى التزوير والتحريف .

بل أن صاحب سلجماسة هو محمد بن داسول ، وليس الأمر حميدون ، ولم يقل ابن الأثير أن له بنتا شغلت إقاند جوهر خطيبها لابنه ، وقد أعطى زيدان اليهود في روايته دوراً أيجابياً ، وجعلهم أصحاب الفضل الأول في إزالة الدولة الأخشيدية ، وأقامه دولة القاططين مقامها .

الرابع عشر : في رواية صلاح الدين تأقيق وتزوير وأفساد للتاريخ ، فقد ذهب إلى أن الخليفة العاضد لما ضعف أمره استدعى صلاح الدين وأوهله خبراً وأن صلاح الدين نقض هذا العهد بعد سويمات ، وحاصر قصر الخليفة وأخذ كل ما فيه ومن فيه .

ولا ذكر في كتب التاريخ لتلك الوصية والإشارة في كتب التاريخ إلى سيرة الملك هذه .

وهذه الوصية التي ذكرها (زيدان) لم ترد في الكامل لأن الأثير ولا غيره وهي ملقة مزورة ، كذلك فقد ذهب زيدان النصوص التي نقلها من ابن الأثير ، نحوه ليتحوّلاً أراد به السخونة والاستخفاف بال المسلمين وبني علیاً فصاعداً غرامية ، بالمثلة في الحديث .

ولم يعن المؤلف بالتصوير الحى لشخصية صلاح الدين ، ولم يسجل موافقة الجامعة ، وصرف الشباب عن الحديث عن الدور المهم الذى قام به صلاح الدين ، بالحديث عن مكائد الشاشين - الاستئمانية . وتهديدهم لصلاح الدين ، وأعتمد على روايات طائفة المشتاشين ، تلك الجماعة الضالة المنحرفة ، وحاول أن ينسب إلى صلاح الدين قصصاً غرامية كاذبة .

الخامس عشر : وفي رواية (شجرة الدر) والتي تحكي أحداث نهاية مصر الأيوبي وبداية المماليك في مصر . حاول أن يصور نساء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بصورة النساء الالاتي يتاجرن بأعراضهن ، في سيل الحصول على ما يتطلبن إليه ، وليس معه أى دليل من التاريخ وهذه الدعاوى التي أودها حول شعرة الدر تختلف عن الحقائق الواردة في الكتب التي أرخت لهذه الفترة من أمثال التحريم الظاهرة لأبي الحسان ، والمواعظ والاعتبار في الخطاط والآثار، وصبح الأعشى الفلمقشندى .

(انته)

التلاعب بالمراجع :

- ال السادس عشر : وخلاصة ما يصل اليه البحث حول روايات جرجي زيدان :
- (١) تحويل موافق الشخصيات التاريخية .
 - (٢) أثاره الشكوك حول البطولات الإسلامية .
 - (٣) تحمد أغفال الحوادث التاريخية المهمة .
 - (٤) أضفاء حالات مثالية على الأديرة والرهبان ودور النصارى واليهود في التاريخ الإسلامي .
 - (٥) التلاعب بالمصادر والمراجع .

رأى مجلة الموسوعات

قالت مجلة الموسوعات (١٨٩٩) : لم يلتزم جرجي زيدان بتمحيص الحوادث التاريخية ، فاختلق شخصاً ونسب إلى بعض الشخصيات الإسلامية البارزة مالبس فيها ، مما أثار جمود المسلمين .

عذراء قريش (أسناء) بطلة الرواية لا وجود لها ، لأنها في ذهن المؤلف ، وقد يكون له بعض العذر التأليفى كفاص ، ولكن الباطل أنه نسب محمد بن أبي بكر ، المعروف عنه الرشد عشق هذه العذراء ، بل أن صاحب اللال بنى على هذه الباطل باطلًا ، فاختلق سبباً من عنده ليس له أسانيد تاريخية وفي نفس يوم بعض الأحداث وزعم أن عشق محمد بن أبي بكر (كان سبباً) في أزدับاد هياجعه على عثمان رضى الله عنه ، ونسب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما عشقه لهذه العذراء الوهمية ، وغيره محمد بن أبي بكر منه .

وأدعى أن الأمام علي رضي الله عنه أعيوب بعذراء قريش ، عندما أدخلت عليه في زي رجل مع أن الدين كان يبحث على عدم تشبه الرجال بالنساء بالرجال وقد عرف عن (علي) كرم الله وجهه تمسكه بالدين مما ينفي عنه أنه يعجب بمثل هذا .

وقد أقر (جريجى زيدان) بخطئه في هذه الرقائع (هلال مايو ١٨٩٩) وحاول أن يدافع عن نفسه ولكن دفاع الطائر الذى وقع في شبكة الصياد .

ونقول : (أن الجملة أنطوت وبقيت القصة في أيدي القراء ، يعاد طبعها دون التفات إلى هذه الملاحظات) وقد أرسل العلامة رفيق العظم ، إلى جرجى زيدان (١٨٩٩) يواخذه على أغفاله الاعتبارات التاريخية وينكر تأليف التاريخ الإسلامي برمهة في قالب قصصى .

وهذه الملاحظة قد تكررت من الناقدين ، وقد انتقدوه في شأن هذه القصص وما أورد فيها من أخباره الكاذبة ، وثانياً بسب المشق والغرام إلى رجال سلفنا الكرام ، وقد أشارت جريدة المؤيد إلى ذلك في التعليق على قصة (الحجاج بن يوسف) فقالت : الحوادث الغرامية لم تستند إلى أحد من رجال السلف العظام والأئمة الذين يحملون عن هذه الاعترافات ، هذا فضلاً عن الاخطاء في الأمور التاريخية المشهورة .

the following table, which is also the same as that in the
table of the same name of the Statistical Bureau.

الفصل الثالث

أحمد أمين — بُنْر الإِسْلَام

علي عبد الرزق — الإِسْلَام وآصْوَلُ الْحُكْم

1
The
2
3

4

5
6
7

أحمد أمين — فجر الإسلام

يقول الدكتور مصطفى السباعي في بحث مطول نشره في مجلة الفتح (في ٤ حلقة) إن كتاب (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) للأستاذ أحمد أمين (عبد كلية الآداب بالجامعة المصرية) ١٩٤٠ م ، من أشهر الكتب الحديثة المؤلفة في تاريخ العلم والثقافة في عصور الإسلام الأولى .

ومع أن المؤلف معروف لدى الأوساط العلمية بمنجزه العلمي ودقة البحث وحب التأليف ، فقد وقعت له في هذين الكتابين أخطاء ، لا أحب أن أصفها ، حتى لا أتهم بالبلafفة ، وحسبني أن أقول : أنها مما لا يجوز السكوت عليها بحال من الأحوال . ولما رأيت أن السكوت عن تلك الأخطاء والتحريفات جنائية في حق الدين والعلم فقد أسرعت بكتابة هذا البحث ، في نقد فصل واحد من كتاب فجر الإسلام وهو فصل « الحديث » .. وسيرى القارئ ، أن الأستاذ أحمد أمين : أولاً : تأثر إلى درجة كبيرة ببحوث المستشرقين وكتاباتهم في علم الحديث . ثانياً : تأثر بأراء رؤوس المغزاة وطوابق الشيعة من يتشيع لبعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم . ثالثاً : استنتج من عنده بعض آراء ليس لها أساس علمي ولا مستند تاريخي صحيح .

رابعاً : لم يلتزم الأمانة ولا الدقة فيما نقله من النصوص والأثار . خامساً : لم يعتمد في تاريخ الحديث على كتاب علوم الحديث ، بل اعتمد على كتب الأصول ، وخاصة كتاب (مسلم الثبوت) وشرحه ، ومن هنا أورد كثيراً من الأحاديث ، منها ما لم يهتم له على أصل في كتب السنة ، ومنها ما جاء بأسلوب مغاير لما في تلك الكتب .

وقد كان يستطيع الرجوع في معرفة هذه النصوص إلى مراجعتها الحقيقة ، لو لا أنه يسعى إلى غرض معين فهو يتضليل الأدلة من هنا وهناك من غير تحقيق ولا ثقيق .

وللأستاذ أَحْمَدُ أَمِينُ أَسْلُوبُ خَاصٌ فِي بَثِ آرَائِهِ الَّتِي يُخَالِفُهَا الْجَمْهُورُ، مُتَبَعًا فِيهَا بَعْضُ ذُوِّ الْأَهْوَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ ذُوِّ الْأَغْرِيَاضِ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ، وَمِنْ خَصَائِصِ هَذَا الْأَسْلُوبِ أَنَّهُ يَأْتِي بِالْفَكْرَةِ فَلَا يَلْقَيْهَا إِلَيْكَ فِي كِتَابِهِ دَفْعَةً وَاحِدَةٍ وَلَا يُظْهِرُهَا لَكَ عَلَى أَنْتَ رَأَيْتَ مُبْتَدِعًا أَوْ مُسْتَشْرِقًا، وَلَكِنَّهُ يُوَزِّعُ شَيْئًا مِنْهَا هَذَا وَشَيْئًا هُنْكَارًا مُتَطَلِّفًا فِي الْأَسْلُوبِ، مُظَاهِرًا بِالْبَحْثِ وَالتَّحْقِيقِ، وَلَا يَسْتَبِعُ أَنْ يَسْتَندُ فِي خَلَالِ ذَلِكَ إِلَى نَصِّ حَرْفٍ أَوْ حَدِيثٍ ضَمِيرٍ أَوْ رَأْيٍ هَزِيلٍ أَوْ يَنْسِبُ إِلَى الْعَلَمَاءِ قَوْلًا لَهُ يَقُولُوهُ، وَإِلَى بَعْضِ الْمَذاَهِبِ آرَاءً لَمْ يَدْهُبُوا إِلَيْهَا، فَلَا يَنْكَدُ يَنْتَهِي مِنْ بَحْثِهِ حَتَّى يَسْكُنَ قَدْ أَحْكَمَ بِهِ الْفَكْرَةِ فِي شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ غَيْرِ لِازْعَاجٍ لِلقارئِ، وَلَا إِسْفَراً لِشَعُورِهِ.

وَهَذَا الْأَسْلُوبُ إِسْطَاعَ الْأَسْتَاذَ أَنْ يَنْجُو مَعَ الْحَقِّ بِزِمْلَانِهِ مِنْ بَحْثِ الْجَمْهُورِ وَأَنْ يَنْمِلَ ثَقْتَهُ بِإِخْلَاصِهِ وَتَجَرُّدِهِ لِلْحَقِّ وَالْعِلْمِ.

وَكَمْ كَانَ الْأَسْتَاذُ أَحْمَدُ أَمِينُ بارِعًا فِي التَّشْكِيكِ فِي أَحَادِيثِ السَّنَةِ، مَا يَدِلُّ دَلَالَةً قَوْيَةً عَلَى أَنَّهُ يَشْكُكُ فِيهَا جَمِيلًا - كَمَا يَقُولُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ - وَكَمْ قَالَ مِنْ قَبْلِ بَعْضِ رُؤْسَاءِ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْفَرَقِ الْأَنْصَالِيَّةِ وَالْمُبِتَدَعَةِ.

وَمَا يُؤَكِّدُ هَذِهِ الدَّلَالَةُ أَنَّ أَحَدَ الْمُتَسَبِّبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي مَصْرُ، مَعْنَى تَلْقِيَةِ عُلُومِهِمْ فِي جَامِعَاتِ رُوسِيَا الشِّيُوعِيَّةِ (يَقْصُدُ : إِسْمَاعِيلُ أَدْهُمُ أَحْدُ) قَمْ مِنْذَ سَنِينَ بِوَضْعِ رِسَالَةٍ عَنْ تَارِيخِ السَّنَةِ، انتَهَى بِهِ الْبَحْثُ فِيهَا إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهِنَا، مُشَكُوكَةٌ فِي صَحِيحَتِهَا عَلَى الْعُمُومِ، وَمِنْ مِنْزَعِهِ، أَنَّهَا ذَهَبَ إِلَيْهِ قَدْ وَافَقَهُ عَلَيْهِ : فَلَانْ وَفَلَانْ ، وَالْأَسْتَاذُ أَحْمَدُ أَمِينُ بِسَكَّانِ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ.

وَأَنْتَرَنَا مِنَ الْأَسْتَاذِ أَنْ يَكْنِبُ هَذِهِ الْاِتِّهَامَ إِنْظِيعَ النَّسَبَةِ إِلَيْهِ تَلْكِيدَ الشِّيُوعِيَّينَ فَلَمْ يَفْعَلْ، بَلْ قَرَأَ مَا لَهُ فِي بَعْضِ الْجَمِيلَاتِ الْأَسْبُوعِيَّةِ مَا يَقْبِدُ تَلْكِيدَهُمَا حَسْلَلَ لِصَاحِبِهِ، وَعَدَ ذَلِكَ حَمَارِيَّةً لِحَرْيَةِ الرَّأْيِ، وَرَحِبَّرْ عَشَرَةً فِي سَيِّلِ الْبَحْوثِ الدِّينِيَّةِ الْمُخَالِفَةِ مِنْ كُلِّ فَقْصِبٍ وَهُوَيِّ.

قَالَ أَحْمَدُ أَمِينٌ : وَيُظَهِّرُ أَنَّ الْوَضْعَ فِي الْأَحَادِيثِ حَدَثَ فِي عَدْ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الحديث : من كذب على عامداً متعمداً فليتبوأ مقعدة من النار ، يغلب على الطلاق
أنه [ما] قيل لحادثة ذور فيها على الرسول ﷺ أ . ه .

وقول الأستاذ مصطفى السباعي : أن هذا الذى استظره أحد أئمـن لا سند له في التاريخ ، ولا فى سبب الحديث المذكور ، أما التاريخ فقطاع بأنه لم يقع في حياة الرسول (ﷺ) أن أحـدـاً من الناس زور عليهـ كلامـاً ، ورواهـ علىـ أنهـ حديثـ منـ أحـادـيـنـ عـلـيـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ ، ولوـ قـعـ مـثـلـ هـذـاـ لـتـواـفـ الصـحـابـةـ عـلـيـهـ لـشـنـاعـتـهـ وـفـقـاعـتـهـ ، كـيفـ وـقـدـ كـانـ حـرـصـهـ شـدـيدـاـ عـلـىـ أـنـ يـتـقـلـاـ لـنـاسـ كـلـ ماـ يـتـصلـ بـهـ شـفـاعـةـ .

أما الحديث المذكور فقد إنفقت الكتب والسنّة على أن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إنما قاله حين أمرهم بتبلیغ حديثه إلى من بعدم. وظاهر من الروايات أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قد عمل أن الإسلام سينتشر، وسيدخل فيه أقوام من أجناس مختلفة في بصورة قاطمة حتّى وجب التحرّي في الحديث عنه، وتحذب الكذب عليه بالعلم يقاله.

وليس في هذه الروايات إشارة فقط إلى أن هذا الحديث قيل لوقوع تزوير على الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ) .

قال أَحْمَدُ أَمِينٌ : وَحَسْبُكَ دِلْيَا عَلَى مَقْدَارِ الْوَضْعِ ، أَنْ أَحَادِيثَ التَّقْسِيرِ إِنْ ذَكَرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حِنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يَصُحْ عَدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ ، قَدْ جَمِعَ فِيهَا آلَافُ الْأَحَادِيثِ ، وَأَنَّ الْبَخَارِيَّ وَكِتَابَهُ يَشْعُلُ عَلَى سَبْعَةِ آلَافِ حَدِيثٍ ، مِنْهَا تَحْمِلُهُ آلَافٌ مَكْرُرَةً ، قَالُوا أَنَّهُ اخْتَارَهَا وَجَعَلَتْ عَنْهُهُ مِنْ سَبْعَةِ آلَافِ حَدِيثٍ كَانَ مَقْدَارَهُ لِلْفَلَلَةِ فِي عَصْرِهِ أَوْ أَهْرَانِهِ .

ويقول الأستاذ مصطفى الصباعي : أن كثرة الوضع في الحديث ما لا ينكره أحد ، ولكنه عندما أراد أن يستدل على مقدار الوضع فاستشهد بشيئين : أحاديث التفسير وأحاديث البخاري - وظاهر عبارته في أحاديث التفسير أنه يشك فيها كلها ، إذ ينقل عن الإمام أحمد انه قال (لم يصح منها شيء) مع انهم قد جمعوا فيها آلاف الأحاديث .

والإمام أحد لا يخفى مكانه في السنة . فإذا قال في أحاديث التفسير (لم يصح منها شيء) كان ما روى فيها مشكوكاً بصحته أن لم يحکم عليه بالوضع ، أليست هذه نتيجة منطقية لـ **كلام الأستاذ** .

الصحيح صحيح دون شك :

أما أحاديث التفسير ، فلا يخفى على كل من طالع كتب السنة أنها أثبتت شيئاً كثيراً منها بطريق صحيحة لا غبار عليها ، وما من كتاب في السنة إلا وقد أفرد فيه مؤلفه بباباً خاصاً لما ورد في التفسير عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو الصحابة أو التابعين .

وقد اشترط علماء التفسير على أن ما يفسر كذاب الله عن وجّل أن يعتمد فيه على ما نقل عن النبي ﷺ في ذلك .

وقد جعلوا التفسير بين منقول وغير منقول وأوجبوا على المفسر أن يرجع إلى الأول ويعرفه لو لم يصح منه شيء ، بل لو لم يصح منه شيء كثير ، لما فعلوا ذلك .

أما ما نقله عن الإمام أحد ، فهو يشير بذلك إلى ما روى عنه من قوله : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير واللاحم والمزارى » ، والكلام في هذه العبارة من وجوه :

أولاً : أن في النفس من صحتها شيئاً ، فإن الإمام أحد نفسه قد ذكر في مسنده أحاديث كثيرة في التفسير ، فكيف يعقل أن يخرج هذه الأحاديث ، وينبهها عن خيرة شيوخه في مسنده . ثم يحکم بأنه لم يصح في التفسير شيء !!

وأيضاً فهم قتضى هذه العبارة : أن يكون كل ما روى عن أخبار العرب ومتنازى المسلمين مكتذوباً من أصله ، وليس هناك من يقول بهذا .

ثانياً : إن نفي الصحة لا يستلزم الوضع ، والضعف ، وقد عرف عن الإمام أحد خاصية نفي الصحة عن أحاديث وهي مقبولة ، وقالوا في تاويل ذلك أن هذا اصطلاح خاص به .

ثالثاً : أن الإمام أَحْدَمْ يَقُولُ أَنَّهُ لَمْ يَصُحُّ فِي أَحَادِيثِ التَّفْسِيرِ شَيْءٌ ، وَإِنَّمَا قَالَ « مَلَائِكَةٌ لَيْسُ لَهُمَا أَصْلٌ » وَلَا يَخْفِي مَا بَيْنَ الْعَبَارَتَيْنِ مِنْ فَرْقٍ ، إِذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَرَادَةً نَفْيَ أَنْ يَكُونَ لِلتَّفْسِيرِ كِتَابٌ مَأْتُورٌ .

رابعاً : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَرَادُ الْإِمَامِ أَحْدَمَ مَا صَحَّ مِنَ التَّفْسِيرِ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَا لَمْ يَصُحُّ .

والكلام في أحاديث البخاري :

وَنَنْتَقِلُ إِلَى أَحَادِيثِ الْبَخَارِيِّ وَقَدْ زَعَمَ الْأَسْتَاذُ أَحْدَمُ أَمِينُهُمْ قَالُوا : أَنَّ الْبَخَارِيَّ إِخْتَارُ أَحَادِيثِ كِتَابَهُ وَصَحَّتْ عَنْهُ مِنْ سِيَّاهَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ ، وَلَا إِدْرَى مِنْ قَالَ هَذَا القَوْلُ ٩٩

إِذَا عَلِمَ الْحَدِيثُ وَرَجَالُ الْمَصْطَلِحِ ، فَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ الْبَخَارِيَّ لَمْ يَجْمِعْ فِي كِتَابِهِ كُلَّ مَا صَحَّ عَنْهُ ، فَإِذَا كَانَ الْمَلَائِكَةُ يَقْرَءُونَ أَنَّ الْبَخَارِيَّ لَمْ يَخْرُجْ كُلَّ مَا صَحَّ عَنْهُ يَكُونُ مَا نَقَلَهُ الْأَسْتَاذُ أَحْدَمُ أَمِينُهُمْ نَقْلًا غَيْرَ صَحِيحٍ .

وَحَاوَلَ الْأَسْتَاذُ أَحْدَمُ أَمِينُهُمْ يَشْكِيكَ فِي عَدْلِ الصَّحَابَةِ فَقَالَ : الَّذِي جَرَى عَلَيْهِ الْعَدْلُ مِنْ أَكْثَرِ نَقَادِ الْحَدِيثِ - وَخَاصَّةً الْمُتَأْخِرِينَ مِنْهُمْ - عَلَى أَنَّهُمْ عَدَلُوا كُلَّ صَحَابَى وَلَمْ يَرُمُوا أَحَدًا مِنْهُمْ بِكَذْبٍ وَلَا وَضْعٍ وَأَنَّمَا جَرَحُوا مِنْ بَعْدِهِمْ .

وَيَقُولُ الْأَسْتَاذُ مُصطفَى السِّبَاعِيُّ : مَا أَنْفَقَ عَلَيْهِ التَّابِعُونَ وَمَنْ بَعْدُهُمْ ، مِنْ جَمَاهِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَنَقَادِ الْحَدِيثِ قَاطِبَةً : (تَعْدِيلُ الصَّحَابَةِ) وَتَزْيِيدُهُمْ عَنِ الْكَذْبِ وَالْوَضْعِ ، هَذَا هُوَ الْوَقْعُ وَالْمَعْرُوفُ فِي هَذِهِ الْمَسَأَةِ .

وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ لِغَرْضِهِ - بَعْدِ التَّنْبِيهِ إِلَيْهِ - يَرِيدُ أَنْ يَشْكِيكَ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فَرَعِمَ أَوْلَادَهُ (أَكْثَرَ) النَّقَادَ عَدَلُوا الصَّحَابَةَ ، مَعَ أَنَّ النَّقَادَ قَاطِبَةً عَدَلُوهُمْ لَمْ يَشْذِنْ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ .

وَذَعَمَ ثَانِيًّا : أَنْ قَلِيلًا مِنْهُمْ مِنْ أَجْرِي عَلَى الصَّحَابَةِ مَا أَجْرِي عَلَى غَيْرِهِمْ ،

مع أن هؤلاء الذين تكلموا في الصحابة ليسوا من نقاد الحديث ، ولكنهم من ذوى الاهواء والفرق المعروفة عند المسلمين ، بالتعصب لبعض الصحابة على البعض الآخر .

وزعم المؤلف ثالثا : أن هذا التعديل كان من أكثر نقاد الحديث ، وخاصة المتأخرین منهم ، مع أنه لم يؤثر عن أحد من المتقدمين من أهل العلم - من التابعين فما بعدهم - أنه طعن في صاحب أو ترك الحديث عنه ، أو وضعه في ميزان المرجح والتعديل .

وهناك ثلاثة مزاعم يأتى بعضها أثر بعض ، ليس من ورائها إلا تهويں القول ببدلة الصحابة على الاطلاق ، وتجريء ذوى الاهواء في حقهم ، إذا روی عن أولئك الاصحاح ما مخالف أهواهم ، مع أن أصحاب رسول الله ﷺ هم حماة الدين ونقطة السنة أمناء الشريعة .

لم يكتف المؤلف بهذا ، بل زاد على ذلك زعماً آخر تأكيداً لما روى إليه ، وتقريراً له في نفس القاريء ، حيث قال بعد ما تقدم : (ويظهر أن الصحابة أنفسهم في ذممهم كان بعض بعضهم بعضاً موضع النقد وبذلوا بهضمهم هزلة أسيّ من بعض .. الخ)

وحصل كلامه في هذا الموضوع أن الصحابة كان يشكك بعضهم في صدق بعض ويضع بعضهم بعضاً موضع النقد .. وما ذكره أحمد أمين من أن الصحابة كان بعضهم يضع بعضاً موضع النقد ، مع أن كل ما كان يقع من الصحابة من رد بعضهم على بعض ، إنما هو نقاش على محض مبني على اختلاف آراءهم وتفاوت مراتبهم في الاستنباط أو الاجتهاد ، أو على نسيان أحدهم حدثاً وتذكر الآخر له ، وليس ذلك ناشئاً عن شك أو ريبة أو تكذيب واحد آخر .

ويقول الاستاذ مصطفى السباعي : أن الاستاذ أحمد أمين كان ليقائني توجيهه المطاعن نحو (أبي هريرة) - رضي الله عنه - وبخاراة المستبشرفين والنظام ومن شایعه من المترافق التحامل على هذا الصحابي الجليل ، لقد وزع طعونه في مواضع

مُتَّفِرَّقةٌ مِنْ بُحْثِهِ ، كَانَ حَدِيثُهُ عَنْهُ حَدِيثٌ مُخْتَصٌ مُتَلَّفٌ ، يُحَاذِرُ أَنْ يَجْهَرُ بِهَا
وَيُعْتَقِدُهُ فِي حَقِّهِ مِنْ سُوءٍ .

وَلَكِنَّ اسْلَوبَ الْاَسْتَاذِ وَتَحْرِيفُهُ لِبَعْضِ الْمُقَاتَقَاتِ فِي تَارِيخِ أَبِي هَرِيرَةَ ،
وَحِرْصُهُ عَلَى الشَّكْلِكَ فِي صَدْقَةٍ وَتَصْدِيقِ الصَّاحِبَةِ لَهُ ، كُلُّ ذَلِكَ قَدْ شُمَّ عَلَى سَرِيرَةِ
الْاَسْتَاذِ ، وَأَزَّاهُ الْسَّتَّارَ عَنْ خَبِيْثَتِ نَفْسِهِ (قَالَ عَلِيُّ بْنُ اَبِي طَلْبٍ) ، مِنْ أَصْرَ سَرِيرَةِ الْبَشَرِ
اَللَّهُ رَدَّاهَا ، .

وَمِنَ الْاَنْصَافِ أَنْ نَقُولَ أَنَّ الْاَسْتَاذَ أَحْمَدَ أَمِينَ لَمْ يَكُنْ أَوَّلَ مَنْ إِسَاءَ الظَّنَّ
بِهَذَا الصَّاحِبِ الْجَلِيلِ ، وَلَا أَوَّلَ مَنْ حَرَفَ تَارِيْخَهُ ، بَلْ هُوَ مَقْلُودٌ لِاَسْتَاذِهِ مِنَ
الْمُسْتَشْرِقِينَ ، الْمُتَعَصِّبِينَ الَّذِينَ دَأَبُوا عَلَى تَشْوِيهِ الْمُقَاتَقَاتِ .

وَعِنْدَمَا تَرَجَّمَ أَحْمَدَ أَمِينَ لَأَبِي هَرِيرَةَ : أَقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ نَسْبِهِ وَأَصْلِهِ وَتَارِيْخِ
اَسْلَامِهِ وَأَشَارَ إِلَى مَا رَوَى مِنْ دَعَائِيَّةِ أَبِي هَرِيرَةَ وَمَزَاجِهِ .

وَكَانَ مِنْ حَقِّ الْاِمَانَةِ الْعَلِيَّةِ : عَلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَ لَنَا مَكَانَتِهِ بَيْنَ الصَّاحِبَةِ وَالْتَّابِعِينَ
وَأَئِمَّةِ الْحَدِيثِ ، وَثَانِاهُمْ عَلَيْهِ وَأَقْرَارِهِمْ لَهُ جَمِيعًا بِالْحَفْظِ وَالضَّبْطِ وَالصَّدْقِ .

وَلَكِنَّ الْاَسْتَاذَ أَحْمَدَ أَمِينَ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ هَذَا بَلْ تَعْرِضُ لِاُمُورٍ يَسِيءُ
ظَاهِرُهَا لَأَبِي هَرِيرَةَ جَدِ الْاَسَاءَةِ فَكَانَتْ مُحاوَلَةً مُسْتَوْرَةً لِلْطَّافِنِ فِيهِ تَهْشِيَّاً مَعْ جُولَدِ
ذِيْهِ وَأَضْرَابِهِ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ .

وَقَدْ أَقْتَصَرَ الْمُؤْلِفُ عَلَى ذِكْرِ الشَّكِّ فِي حَفْظِ أَبِي هَرِيرَةَ مِنْ بَعْضِ الصَّاحِبَةِ ،
دُونَ أَنْ يَذْكُرَ لَنَا إِقْرَارَ جَهُورِهِ بِخَنْقَنَتِهِ وَتَشْيِيْتِهِ ، وَدُونَ أَنْ يَذْكُرَ لَنَا ثَانَاهُ أَهْلِ
الْعِلْمِ عَلَيْهِ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَعْتَرُهُمْ لَهُ بِأَنَّهُ أَحْفَظَ صَاحِبَةَ رَسُولِ اللَّهِ عَلِيُّ بْنِ اَبِي طَلْبٍ
وَأَرْوَاهُمُ الْحَدِيثَ ، وَهَذَا دَلِيلٌ وَأَوْضَعُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقْصُدْ بِهِ قَاتَلَهُ أَلَا الطَّعنُ الْخَفِيُّ
فِي صَدْقَةِ وَالشَّكْلِكِ الْقَوِيُّ فِي أَحَادِيْثِهِ وَمَرْوِيَاتِهِ وَقَدْ أَعْتَدَ الْمُؤْلِفُ عَلَى دَائِرَةِ
الْمَعَارِفِ الْاسْلَامِيَّةِ فِي هَذِهِ الْاِتِّجَاهِ .

إِذَا لَذَكَرْتَ أَنَّ الْاَسْتَاذَ أَحْمَدَ أَمِينَ تَابَعَ جُولَدَ ذِيْهِ (الْيَهُودِيِّ) فِي تَجْمِيعِ

أبي هريرة - رضي الله عنه - واتمامه ، علت السر في توخي الاستاذ لهذه المسألة هنا وتبين خطرات جولد زمير ، ثم رأيت إلى أى حد يكون اللاعب بالحقائق في سبيل الأهواء .

ماذا يضر أبا هريرة أن ينحنه الواضعون أحاديث كثيرة ، ثم كيف يكرن الكذب عليه داعيا للشك في أحاديثه كلها ، لو أن العلامة لم يعزوا الثابت عنه من المتهلل ، لكن هناك عذر في التشكيك بأحاديثه كلها ، أما وأن آئمة الأحاديث ميزوا الصحيح من الموضع وبينوا ما ثبت عن أبي هريرة عالم يثبت ، بطرق هي غاية في الدقة والتحرى ، فلا عذر لآحد أن يتشكيك في أحاديثه جملة ، إلا أن يكون صاحب هوى وغرض يتلس لنشر هواه كل طريق ملتو مموج .

ولعل إفقاريه أدرك من كل ما كتبنا ، أن الاستاذ أحد أمين تابع المستشرين المتعصبين في التعامل على ذلك الصحابي الجليل ومنزلته في الحديث .

ماذا يفتخرؤن :

والاستاذ مفرم جدا بمحاكاة المستشرين ونقل أقوالهم ، ومن ذلك قوله ذكي مبارك عنه :

أن أحد أمين لاجمه أن يريد الحقوق إرباها ألا في موطن واحد ، هو الموطن الذي يقول فيه : أنه استأنس بأراء المستشرين ليقال أنه يطلع على أقوال المستشرين .

والفرض الأول من نشر هذا البحث هو لنبأ ظار الباحثين وخاصة على الأزهر الشريف إلى ما في كتاب (فسر الإسلام) ، (وضحاكه) من اخطاء يعتبر السكوت عليها بعد الأحاطة بها جنابة في نظر الدين والعلم ، وحتى لا ينصحوا تلاميذه باتخاذ هذا الكتاب وغيره مرجعا أساسيا .

(٢)

على عبد الرزاق - الإسلام وأصول الحكم

كانت القوى الأجنبية قد تآمرت على إسقاط الخلافة الإسلامية في دورة طولية تكانت فيها الصهيونية والغرب الاستعماري وجامعة الاتحاديين الذين اسقطوا السلطان عبد الحميد واستولوا على الحكم في الدولة العثمانية تمييداً لتساميم فلسطين إلى الصهيونية العالمية ، وقام دور مصطفى كمال اناتورك بعد انتهاء الحرب العالمية التي دخلتها الدولة العثمانية وهزمت فيها ، وكان سقوط الخلافة رثة أسي وقطيع ضخم إلى هذا الحديث الذي أصبح من بعد عهداً من عود حركة البقطة الإسلامية بإعادة الخلافة .

في هذا الجو المضطرب - الذي انحل فيه عقد الجامعة الإسلامية وبرزت دعوات الإقليمية والقومية وتعزيق العالم الإسلامي إلى قوى محلية - صدر كتاب الشيخ على عبد الرزاق (الإسلام وأصول الحكم) الذي كان بمثابة صريحة نظرية جائزة تحاول أن تقضي على مفهوم الإسلام الجامع ديناً ودولة بإثارة شبهة ماكرة لشدة خادعة هي القول بأن الإسلام دين عبادي وأن الرسول ﷺ لم يكن في ذات الوقت حاكماً إقليم دولة .

وقد صدر الكتاب في مجال معارضنة الخلافة الإسلامية لأسباب سياسية كانت بريطانيا والتفوذ الأجنبي توازراها وكانت تعمل دون عودة هذا النظام الإسلامي الجامع .

ولكن الخطير المفجع من وراء كتاب الشيخ على عبد الرزاق كان هو : هدم منهوم الإسلام بوصفه ديناً ودولة ونظام مجتمع ومنهج حكم جامع .

ولقد إهتزت دوائر الأزهر والعلم الإسلامي لهذا الكتاب المزور وأعلنت هيئة كبار العلماء فساد المنهج الذي قام عليه ، وإن المؤلف قد أخطأ خطأ بالغ حين (جعل الشريعة الإسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور

الدنيا ، مع ان الدين الاسلامي على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وعبادات ومعاملات هي لاصلاح امور الدنيا والآخرة ، وان كتاب الله تعالى وسنة رسوله يشتملان على احكام كثيرة في امور الآخرة .

كما اشار حكم هيئة كبار علماء الازهر إلى ان المؤلف :

اولا : دعم ان الدين لا يمنع من ان جهاد النبي ﷺ كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لا بلاغ الدعوة إلى العالمين .

ثانيا : دعم ان نظام الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان هو وضع عبود واباهام او نقص ووجب للحرمة .

ثالثا : دعم ان مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت ببلاغ الشرعية بمقدار ما من الحكم وانتيفيد .

رابعا : أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام وعلى أنه لا بد للأئمة من يقوم بأمرها في الدين والدنيا .

خامسا : أنكر أن القضاة وظيفة شرعية وقال أن الدين ذهبوا إلى أن القضاة وظيفة شرعية جعلوه متفرعا من الخلافة .

سادسا : دعم أن حكومة أبي بكر والخلافاء الراشدين من بعده - رضي الله عنهم - كانت لا دينية . وهذه جرأة لا دينية .

صدر كتاب الإسلام وأصول الحكم عام ١٩٢٥ سابقا لكتاب الشعر الجاهلي لطه حسين ، وقد كشف الأديم من بعد كيف أن هذا الكتاب من تأليف المستشرق اليهودي مر جيليوت المقيم في لندن وأنه أهداء لعلى عبدالرازق عندما زارها دارسا (١) . وقد ظل هذا السر محظيا إلى وقت قريب حين كشف عنه الدكتور ضياء الدين

الرئيس في كتابه (الإسلام والخلافة في العصر الحديث) الذي صدر عام ١٩٧٢ تقريرا وكان المظنون خلال أكثر من حسين تماما أنه من تأليف الشیخ عبد الرزاق ، وقد عد هو وكتاب طه حسين عن الشعر الجاهلي من الأسس التغريبية التي اعتبرها الشيوعيون والعلمانيون مرجعا لخطفهم وأهدافهم في هدم مفهوم الإسلام في السياسة

(١) درس على عبد الرزاق في الخطباء عام ١٩١٢ لا يكتنوره ثلاث سنوات واضطر إلى البقاء تحت ظروف الحرب العالمية .

وفي الأدب ، وقد قوبل الكتاب عند صدوره بمعارضة شديدة وألفت كتب
كثيرة في ارد عليه وكتب فصول عديدة في الصحف ومن ذلك كتاب الفاضل
ابن عاشور ، ومحمد بخيت ورشيد رضا وكثيرون .

ووجد أنصاره في مئاتهم :

ولقد كان كتاب (الاسلام وأصول الحكم) لعنة على الشيخ على عبد الرزاق
فقد أصاب حياته بالظلم والغباء ولا حقيقة لفته «دى حياته حتى أنه عندما أراد
الماركسيون افتعاله بأعادة طبعه قال لهم : إن هذا الكتاب أثار عليه متابعة كبيرة» ،
ومع ذلك فإن بعض الماركسيين أعاد طبعه وقدم له ، رغبة منهم في تأكيد مفهوم
فالسل لايقره الاسلام ، ويتحذذ الكتاب الماركسيون - المعارضون لمفهوم الاسلام
بوصفه ديناً ودولة - من هذا الكتاب خطوة عملي توالى بث سيمومها في الصحف
والمؤلفات والمؤتمرات ، وربوا على ذلك امثال محمد عماره محمد احمد خلف الله
وحسن حنفي وبعد انه الغروي وسيكون هذا الكتاب لعنة عليهم كما كان لعنة
على على عبد الرزاق ، فات الكتاب قبل أن يموت صاحبه ، وانتوت صفحاته
وصاحبه حى .

ومع الاسئلة فقد كان صدور مثل هذا الكتاب بما تلقفه المستشرقين ليثيروا به
دعوى عريضة بأن في الاسلام مذهبان : أحدهما ان الاسلام دين ودولة والآخر
يقول أن الاسلام دين روحي ويضعون على عبد الرزاق على رأس الفريق الذي
يقول هذا القول ، والواقع أنه ليس في الاسلام غير رأى واحد ، وهو الرأى
الأول ، وأن ما ذهب إليه على عبد الرزاق عام ١٩٢٥م لم يكن من الاسلام في
شيء ، ولم يكن على عبد الرزاق إماماً مجتهداً ، وإنما كان فاضياً شرعاً تلقفته قوى
المغرب باصطدمته تحت اسم التجديد ، حيث دعى إلى لندن لحضور حلقات
الاستشراق التي تروج للأفكار المعاصرة لحقيقة الاسلام وهدم مقوماته ، وأهدى
أصل هذا الكتاب الذي وضع عليه اسمه مترجمها إلى اللغة العربية وطلب إليه أن يضيّف
إلى مادته بعض النصوص العربية التي يستطيع إقتباسها من كتب الأدب .

أما الكتاب نفسه فكان من تأليف قرم من أقراص الاستشراق وداعية من دعاء الصهيونية واليهودية العالمية هو المستشرق مرجليوث الذى شاءت الصدف أن يكون هو نفسه صاحب الأصل الذى نقل منه كتاب الأدب الجاهلى والذى أطلق عليه الأستاذ : محمود محمد شاكر (حاشية طه حسين على بحث مرجليوث) ويعنون (حاشية على عبد الرزاق على بحث مرجليوث) وقد كشف هذه الحقيقة الدكتور أن يطاق الآن اسم : ضياء الدين الرئيس في بحثه القيم « الإسلام والخلافة في العصر الحديث » .

وهكذا تحد أن السعوم المثارة في أفق الفكر الإسلامي توضع أساساً من رجال التغريب ثم تختار لها أسماء عربية لتحمل لوازها وتذيعها إيانا بأن الاسم العربي أكبر تأثيراً وأبعد أثرآ في خداع الجاهير .

ولقد طالما تحدث التغريبيون عن كتاب (الشعر الجاهلي) و (الإسلام وأصول الحكم) على أنهما دعامتان للنهضة ، التغريبية في الفكر الحديث .

وبح أن حركة القنطرة الإسلامية واجهت كتاب على عبد الرزاق المنحوت وفندت فساد وجهته وأخطاءه فإن قوى التغريب ما زالت تعيد نشره وطبعه مع مقدمات إضافية يكتبه شعوبيون يخدعون الناس بأفهام وأسماهم ، وهم يجدون في هذه المرحلة التي يرتفع فيها صوت تطبيق الشريعة الإسلامية والمدعوة إلى الوحدة الإسلامية مناسبة لنفث السعوم مرة أخرى ولن يجد لهم ذلك فرعاً فإن كلمة الحق سوف تعلو وتنشر وتدحض باطل المضللين مما تجهموا له وقدموه في صفحات برأفة منخرفة وأساليب خادعة كاذبة .

إن أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ محمد بنجيت الذى رد على الشيخ على عبد الرزاق في كتابه « حقيقة الإسلام وأصول الحكم » وهو واحد من الكتب التي صدرت في الرد عليه حيث قال :

« لأنك علينا من كثرين من يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه إلا وضمن إسمه عليه فقط ، فهو من وسب إليه فقط ليجعله واعظوه من غير المسلمين صحة هذا العار وأليس ومهلاً ظوب الخرى إلى يوم القيمة » .

وقد علق على عبد الرزاق على هذا المعنى بأن هذا الكتاب كان شوما عليه ، وقد أقصى به كثيرا من المتابع والشبهات ، والحقيقة أنه بعد أن طرد الأزهريون من هيئة العلماء ظل منفيا وممبوحا وعاش بقية حياته منقطعا عن الحياة العامة بالرغم من أن محاولات جرت لإسقاط الحكم وضمه إلى بجمع اللغة العربية وجعله وزيراً فقد كان الكتاب أشد شوماً على حياته من كل ما ألم به .

ومن هذا الخطيب الرفيع الذى ألقاه الشيخ محمد بخيت بدأت محاولة الدكتور ضياء الدين الرئيس فاستطاع أن يصل إلى الحقيقة وهى أن كاتب الكتاب هو المستشرق مرجليليوت اليهودي الأصل ، وهو أول من شن الهجوم على الخلافة لأن بلاده « بريطانيا » كانت في حرب مع دولة الخلافة ، وقد أعلن الخليفة العثماني الجihad الدينى ضدّها ، والتصوّص في الكتاب قاطعة بأنه كان موجها ضدّ الخلافة العثمانية فإنه يذكر بالاسم « السلطان محمد الخامس » الخليفة في ذلك الوقت الذى كان يسكن في قصر يلدز » وهناك نص على « جماعة الاتحاد والترقي » وهى التي كانت تحكم تركيا : أي دولة الخلافة طوال أعوام الحرب العالمية الأولى .

ويقول الدكتور الرئيس : أن الآباء الذين تلاميذ الماسونيين وقد تربوا في مخالفهم واعتقوها شعراهم ومقاصدهم وقاموا بدور مهم وهو فتح باب فلسطين أيام اليهود المهاجرين ، وكان السلطان عبد الحميد قد رفض عروضهم ، وكانوا هم (أى الاتحاديين) أدلة الصهيونية العالمية في إسقاط هذا السلطان المناضل .

ورجح الدكتور الرئيس أن مرجليليوت اليهودي الذى كان أستاذًا لغة العربية في جامعة اكسفورد ببريطانيا هو كاتب الكتاب ، لأن آراء الكتاب هي آراءه التي كتبها من قبل عن الدولة الإسلامية ، وفندتها الدكتور الرئيس في كتابه :

« النظريات السياسية في الإسلام » وثبت خطأها وبطلانها بالأدلة العلمية ، وهو يكتب عن الإسلام بزرعة حقد شديد ، ويتسم لسلوبه باللغاظات والملومات المضللة والمقدرة على القوى ، كما يتصرف بالإلتواء ، وهذه الصفات كلها تظهر في هذا الكتاب المنسوب إلى الشيخ على عبد الرزاق ، ومعرفة أن الشيخ ذهب

إلى بريطانيا وأقام فيها عامين فلا بد أنه كان متصلاً بالستر مرحيوث ، أو تلذذ عليه ، وكذلك توماس أرنولد الذي يشير إلى الشيخ ويصفه بالعلامة فقد ألف كتاباً عن الخلافة بشكل عام والمئانية بوجه خاص ، وقد نقدناه .

يقول الدكتور الرئيس في كتابة : « النظريات السياسية الإسلامية » :

والقصة تتلخص في أنه إبان الحرب العالمية الأولى وال الحرب دائرة بين الخليفة العثماني وبريطانيا أعلن الخليفة الجهاد الدین ضد بريطانيا وداعاً المسلمين أن يجرواها ، أو يقاوموها ، وكانت بريطانيا تخشى غضب المسلمين المhood بالذات ، أو ثورتهم عليها ، في هذه الفترة كلفت المخابرات البريطانية أحد المستشرقين الإنجليز أن يضع كتاباً يهاجم فيه الخلافة وعلاقتها بالإسلام ويشوه تاريخها ليهم وجودها ومقامها ونفوذها بين المسلمين .

وقد إستخدمت السلطات البريطانية هذا الكتاب في الهند وفي غيرها ، وبعد أن انتهت الحرب كان الشيخ عبد الرزاق قد اطلع على هذا الكتاب أو غيره عليه ، هذا إن لم يفترض أن هذا كان باتفاق بينه وبين هذا المستشرق الذي اتصل به حينما كان في إنجلترا أو في بعض الجهات البريطانية التي كانت تحل في الحفاء على هدم فكرة الخلافة ، أو التي تحارب الإسلام ، فأخذ الكتاب فترجمه إلى اللغة العربية أو أنه لمح لغته أن كان بالعربية ، وأضاف بعض الأشعار والآيات القرآنية التي يبدو أنها لم تكن في أصل الكتاب وبعض الهوامش والفتورات ، وأخرجه للناس على أنه من تأليفه ظنا منه أنه يكسبه شهرة ، ويهزمه باحثاً عليه ، ومتغلباً على نظريات جديدة ، غير مدرك ما في آرائه أو في تناهيه من خطورة ، ولا يستغرب هذا لأنه لم يدرك أن إنكار القضاء الشرعي هو إنكار لوظيفته نفسها وعمله ، وإنما لوجوده وكانت هذه البدعة السائدة في ذلك الوقت بين كتاب (السياسة) جريدة من أسموا أنفسهم « حزب الأحرار الدستوريين » وهذا هو الذي فمه الأستاذ الجليل أمين الرافعى فكتب في جريدة الأخبار أنه لم يستغرب أن يقدم الشيخ على عبد الرزاق على إصدار هذا الكتاب لما عرفه عنه من الصحف في تحضير

العلوم ، والآراء في العقيدة ، ثم قال : هذا إلى أنه انصر منذ سنتين في بيته ليس لها من أسباب الظهور سوى الآفقيات على الدين و تقمص أنواع الفلسفة والملحدين و مصار خليقاً باسم ، الأستاذ الحقق ، والعلامة الكبير .

ولم يعرف الأستاذ أمين الرافعي أن المؤلف المحقق ربما كان غير الشیخ على عبد الرزاق ، ولكن كلامه يكاد يكون إثباتاً لذلك وهناك قرائن أخرى أوردها الدكتور الرين :

أولاً : ذكر اسم كتاب مترجم عن التركية طبعة ١٩٢٤ بينما هناك فقرة تنص على أن تاريخ التأليف قبل عام ١٩١٨ وأنها ذكرت باسم السلطان محمد الخامس وقيل في الهاشم أنه كتب في عهده وأقرب تفسير لذلك أن الكتاب ليس من تأليف شخص واحد .

ثانياً: يتحدث المؤلف عن المسلمين. كأنه أجنبي عنهم وهم منفصلون عنه، فيزيد كلامه بضمير الغائب ولا يقول (عندنا) أو (العرب) أو نحو ذلك كما يقول المسلم ذلك.

ثالثاً : يذكر الشيخ عبد الرزاق (عليه وقىصر مرتين) ويذكر هذه الجملة التي يسميها الكلمة البالغة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله) مع أن مسلماً صحيحاً الإسلام لا يمكن أن يؤمن بهذا التعبير ، وأن قصر وما لقصر الله رب العالمين .

رابعاً : يتعاطف مع المرتدين الذين خرجوا على الإسلام وشنوا الحرب على المسلمين فيدفع عنهم في نفس الوقت الذي يحمل على رأي أبي بكر الصديق المسلم الأول بعد رسول الله ﷺ فيه كثرة خلافته ويقول أن حاربته لهؤلاء المرتدين لم تكن حرباً من أجل الدين ، ولكن كانت نزاعاً في ملكية ملك ولا يتم رفضها أن يتضمن الوحدة أبي بكر وما هي وحدة أبي بكر يا عدو أبي بكر والإسلام ؟

أليست هي وحدة المسلمين ، ويقول «حكومة أبي بكر» ، أو ليست هي حكومة الإسلام والمسلمين ، وبتكلم عن أبي بكر هكذا بغز احترام أو تمجيل ، كأنه رجل عادٍ أو كأنه يتكلم عدو ،

هل هذا هو أسلوب المسلم ، فضلا عن تهافت الشیخ فی الكلام عن الصحابة وهم أفضل الناس وأحیهم إلی رسول الله ﷺ وخير من دافعوا عن الإسلام وجاهدوا في سبيل الله عن وجله .

وخامسا : أن الأسلوب الذي كتب به الكتاب أسلوب عرب ، ليس مألوفا في الكتاب العربية ، فهو أسلوب مناورات وفراوغة ويتصف بالالتوازن والدواران ، فهو يوجه الطامة أو يلقى الشبهة ثم يصود فينطaher بأنه يتكلّم ولا يوافق عليها ويقتل منها ثم يتقدّم ليقدّم شبهة أو طعنة أخرى على طرفة (أذرب واهرب) وحين ياجم يصوغ عبارته في غموض وهذا يدل على أسلوب رجل سيامي متعرن في المحاورة والخدعة ، وهو اشبه بالأسلوب الأفريقي . وأسلوب الدعايات السياسية أو الدينية التبشيرية وليس هذا ابداً أسلوب العربي الصربيع ، فضلا عن أسلوب أحد الشيوخ المتعلمين في الأزهر وهذا ما يغلب الرأي بأنه كتاب مترجم .

سادسا : لم يعرف عن الشیخ علی عبد الراذق - من قبل - انه كان كاتباً تمرس في الكتابة ومنن على التأليف فيكتب بهذا الأسلوب ويتمعد الطعن في الإسلام وتاريخه وعلماء رجاله ، ولم يعرف للشیخ كتاب او مقالات قبل هذا الكتاب (أى في السياسة والتاريخ) بل ما كتب من قبل كان (كتيباً) في اللغة أو في علم البيان ، وهذا كل لإنتاجه في أربعة عشر عاما بعد تخرجه من الأزهر ، ثم بعد أن كتب هذا الكتاب ظل أربعين عاما لم يكتب كتاباً آخر في نفس موضوعه أو مشلة ولم يحاول اد لم يستبع حتى ان يدافع عن نفسه ويرد على خصومه بكتاب آخر .

سابعا : هناك من المزاعن والأدلة العديدة ما يدعو العقل إلى ان يرجح صحة الخبر الذي رواه فضيلة المقى الشیخ عبد الرحيم ، نقلًا عن كثيرين من أصحاب الشیخ علی عبد الراذق المترددين عليه من أن مؤلف الكتاب شخص آخر من غيره .

ال المسلمين ، وقد غلبتنا نحن انه أحد المستشرقين ، ولكننا نقيد هذا الخبر بان الشیخ قد أضاف بعض فقرات وتعليقات ، وأنه هو الذى أورد الآيات من القرآن .

والظاهر أنها مخصوصة حشرا بمجموعات فى كل مكان ، وأبيات الشعر الذى استشهد بها ، كما كتب المقدمة الى زعم فيها أنه بدأ البحث فى تاريخ اقتصاده منذ ١٩١٥ وذلك ليغطي المقارنة الظاهرة بين وضع الكتاب ووقت صدوره ، فإنه من غير المعقول أن يستغرق تأليف كتاب لا يزيد عن مائة صفحة عشر سنوات .

وفي مثل هذه المسائل بالذات فإن هذه الحالة أسهل ، لأن التقليل أو الترجمة من كتيب بممول ، أو كانت المسألة بتصریح أو إتفاق لخدمة غرضين فالطرف الاول يريد نشر آرائه لغايات سياسية ودينية ، والطرف الثاني له مأرب سياسى ولكن الدافع الذائق أنه يريد الشهرة أو الظهور أو الفرور ، (وقد انتفعنا في هذا البحث بدراسة الدكتور الرئيس وبحث مجلة المجتمع السکوپية وكتاب المعارك الأدبية) .

الحقيقة أن كتاب « الإسلام وأصول الحكم » من الأعمال التغريبية والاستشرافية الخطيرة التي أريد بها هدم القاعدة الأساسية للإسلام وهي قاعدة أن الإسلام دين ودولة في محاولة تنصير الإسلام وجعله مشابها للنصرانية التي هي بمنزلة دين قائم على الوصايا وليس له تشريع ، لأن تشريعيه في اليهودية ، وهذه القضية هي مفتاح الفزو الفكري الذي واجه به النفوذ الاستعماري بلاد المسلمين من أجل هدم هذه القاعدة وحصر الإسلام في المساجد وفي الصلاة والصوم وفرض الأيديولوجيات الغربية في مجال الاقتصاد والسياسة والمجتمع والتربية ، ومن هذا فتح الطريق أمام القانون الوضعي وكسر الحمود التي وضعها الإسلام شأن واقتضاها على محملات اسلام : الربا والزنا والسرقة والإحتلال والميسر وإياحتها وجعلها في نظر الناس مشروعة ، ومن وراء ذلك إمبراطورية الربا التي ترسى إلى تحطيم الضوابط والحدود وذلك للسيطرة على الاقتصاد الإسلامي وهو سدم المجتمع الإسلامي وإذاعة روح المحلول والترف وتغليب مفهوم المجتمع

الإستلاكي اقائم على الشهوات والذات والإباحيات ونعدم قاعدة وأخلاقية المجتمع ونعدم مفهوم المسؤولية الفردية للإنسان وننراهم الأخلاق في بناء المجتمع الرباني في الأرض .

وهكذا نصل إلى أن هذا العمل كان من المؤامرات الخطيرة والتي ما تزال تتجدد سورة يقذف منها الإسلام على أيدي خصومه والراغبين في هدم شرعته .

وبالجملة فإن كتاب الشيخ على عبدالرازق أحدث شرحا استغله خصوم الشرعية إعتمادا على أن كاتبه رجل من الأزهر ومن علما الإسلام وليس الأمر كذلك في الحقيقة وإنما هي المؤامرة الشعوية الضخمة التي قام بها التبشير والاستشراق لاحتراء أمثال على عبد الرزاق وطه حسين وهي مؤامرة مآلها المزعنة والنفلش بإذن الله ..

الفصل الخامس

سعد زغلول

(١)

دعوة صريحة إلى الكتاب المؤرخين :

انشروا مذكرات سعد زغلول المخطوطة لتكشفوا حقيقة هذه الشخصية الخادعة ولتضموه في مكانه الصحيح من تاريخ مصر .
لن الحقائق تكشف عن دور سعد زغلول :

- أولاً - تمجيد اللغة العربية وإنناحة الفرحة للغة الإنجليزية بوزارة المعارف .
- ثانياً - بعث قانون كروم للمطبوعات تحاكمة الصحفيين والكتاب الظبيين .
- ثالثاً - التعاون مع الأجانب لدخول الحضارة الغربية إلى مصر الإسلامية .

سعد زغلول

كان من أهم الأسئلة في ندوة الاعتصام ما قدمه عدد من الشباب استفساراً عن حكمة من شرعن تاريخ سعد زغلول من فضول في إحدى الصحف اليومية وهمى يطابق هذا مع واقع التاريخ ومن خلال نظرية إسلامية صحيحة .

ولاريب أن شخصية سعد زغلول هي واحدة من أكثر شخصيات العمل الوطني في مصر بعد الحرب العالمية الأولى ، ولكنها لا يمكن دراستها ، إلا في فهم الأطار السياسي الذي بدأ منذ أن احتلت بريطانيا مصر وواجهت الحركة الوطنية التي قاومت النفوذ الأجنبي بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد وعدد من المجاهدين الذين عملت القوة البريطانية على تصفيتهم وتقديم جيل جديد من أصحاب أولاد النفوذ البريطاني وفي مقدمة هؤلاء أحد لطفي السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمي .

هذه المرحلة السابقة : ظهور هيئة الوفد المصري التي قادها سعد زغلول لها أهميتها في الكشف عن الدور الذي قام به سعد زغلول في معارضته الحركة الوطنية وكبح جاجها ، وتقديم رجالها للمحاكمة كما فعل مع قديس الوطنية محمد فريد إبان توليه منصب وزير العناية ، وكذلك دوره في تمجيد اللغة العربية وهو وزير المعارف وإنناحة

الفرصة لغة الأنجلizية ، وكذلك دوره في إعادة بعث قانون المطبوعا القديم الذي كان كرمه قد أجازه ثم أوقفه وذلك خاتمة الكتاب والصحفيين الوطنيين والحكم بأقصى العقوبات ، هذه الصفحة لسعد زغلول يجب أن تعرف قبل أن يقدم على المسارح كزعم وطنى بعد الحرب العالمية الأولى .

ولقد اختلفت حول سعد زغلول كتابات المؤرخين والباحثين ، فوضعه كتاب الوفد وأصحاب الولاء لزبته ووضع اقداسة (وفي مقدمة هؤلاء الاستاذ العقاد) وكشف عن حقيقته مؤرخو الحزب الوطنى (وفي مقدمة هؤلاء الاستاذ عبد الرحمن الرافعى) وجاءت كتابات كثيرة بعد ذلك لتصنف سعد زغلول في حجمه الصحيح ، وكان في مقدمة ذلك تلك الدعوة الصريحة الموجهة إلى المؤرخين والكتاب والباحثين أن ينشروا مذكرات سعد زغلول التي كتبها بخط يده فإذا بها هي وحدها القادرة على أن تقدم الناس بغير ولاء ولا خصوصة حقائق هذه الشخصية ودورها وعلها وحقيقةها من خلال كتابات صاحب المذكرات نفسه ، تلك التي كتبها بكل حرية وإرادته خلال فترة تزيد على ثلاثين عاماً من أكتوبر ١٨٩٧ إلى ١٩٢٦ ، وتضم مراحل عضوية الجمعية التشريعية وتوليه الوزارة وفترة المنفى وفترة رئاسته وزارة وتضم ثلاثاً وخمسين كراسة فقد كان يسجل الأحداث يوماً بعد يوم عقب وقوعها مباشرة .

تكشف هذه المذكرات عن أشياء كثيرة أهمها :

أولاً : علاقته سعد بالإنجليز :

يقول عن المورد كرومر : « كان يجلس معى الساعة وال ساعتين و يهدلى فى مسائل شئ كى تدور منها فى حياتى السياسية (مذكرات سعد زغلول كراس ٢٨ ص ١٥١٦) والمعروف أن كرومر فى تقاريره السنوية كل حريقاً على أن يذكر أنه يجد جيلاً جديداً من الشباب المصرى المتفرنج الذى يعجب بالغرب ويحرص على التفاهم مع الاستعمار البريطانى وقبول العمل معهم .

ومن هنا كان صلة كرومر بسعد زغلول عن طريق صهره (مصطفى فهمي)

الذى كان أول رئيس وزراء بعد الاحتلال ، والذى قضى في الحكم ثلاثة عشر عاماً ، وكان أول الإنجليز محبوها عندهم ، وقد أسر إلية سعد زغلول فأعد نفسه ليكون أول وزير مصرى . ولعل من المفاجأة العجيبة أن اللورد كرومر عام ١٩٠٧ أعلن أنه يترك مصر مستحيلاً . لأنه أقام فعلاً القاعدة الأساسية لاستدام الاحتلال وكان في هذا العام قد ألف حزب الأمة ، وأصبح اطفي السيد هو حامل لواء (الجريدة) وسعد ناظراً للعارف ، وقد كرومر ستر في خطبة الوداع الذى أقامها له رجال حزب الأمة من أولياء التفوذ الأجنبى من المصريين جميعاً ، ولم يبح في خطابه إلا رجلاً واحداً : هو سعد زغلول .

ومن هنا نجد سعد زغلول يكتب في مذكراته أثر استعفاه كروم من منصه في ١٩٠٧/٤/١١ وكان يجلس معه كل من حسن باشا عاصم و محمود شكري عندهما تلقوا خبر الاستعفاء فقال : أما أنا فكنت كمن تقع ضربة شديدة على رأسه أو كمن وخر بأهلاً حادة فلم يشعر بالملأ الشدة هولها (كراس ٦ ص ٢٤٠) . وكتب في موضع آخر يقول : (قد أمتلات رأسي أوهاماً وقابي خفاناً وصدرى ضيقاً) (كراس ٦/٢٤٦) .

ويقول لورد كرومر في تقريره السنوى عن تعين سعد زغلول ناظراً للعارف « لم يكن السبب الرئيسي في تعيينه كمن يظن أحياناً أنه إستثناء من الحالة إلى كانت تسير عليها مصلحة المعارف الضرورية فلما واتت قاصرة في أن توفر أية إبادرة لتغير جذرى في السياسة التعليمية ، إنه يرجع أساساً إلى الرغبة فيضم رجل قادر ومصرى مستنير من تلك الطائفة الخاصة من المجتمع المبنية بالإصلاح في مصر » .

وقال كرومر : « كما أن سعد من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أطاعوا عليهم (جيرون) الحركة الوطنية المصرية ، والذى كان بروابطهم تشجيع اتحاون مع الأجانب لدخول المضمار الغربي إلى مصر ، الأمل الذى جعل كرومر يحصر فيه أمله الوحيد في قيام الوطنية المصرية .

وكان سعد في مقدمة الداعين لإقامة حفل توديع اللورد كرومر وكتب في
ذلك إنه يعلن صيغة بالذين ان kedوا كرمه عقب استضافته وقال : إن صفاته قد
انفق السكل على كمالها (كراس ٢٤٥ / ٦) وأشار إلى علاقة غورست خليفة كرومر
به وأنه لما زاره قام فأوصله إلى باب حدائق دار الوكالة البريطانية .

ثانياً : أخلاقيات سعد .

وتكشف المذكرات أخلاقيات سعد وموافقه المتعددة من الحياة الاجتماعية :
وأبرز هذه الجوانب علاقته بالقمار وقد كتب فيها طويلاً فقال في (كراس ٢٦ -
١٣٩٠) : كنت أتردد بعد عودتي من أوروبا على السكلوب (أي نادي محمد على)
إلى لعب الورق ، ويظهر أن هذا الميل كان بداية المرض فأني لم أقدر بعد ذلك
أن أمنع نفسي من التردد على النادي ومن اللعب وبعد أن كان يقليل أصبح يكثير
من التقويد وخسرت فيه مبالغًا طائلة .

وقد بدأ ذلك حوالي ١٩٠١ فقد كتب في أبريل ١٩١٣ يقول : كنت قبل
١٢ سنة أكره القمار واحتقر المقامرين وأرى أن اللهو من سمة الأسلام والاعبين
من المجانين ثم رأيت نفسي لم بت وتهورت في اللعب وأني على زمام لم أستغل إلا به
ولم أفتكر إلا فيه ولم أعمل إلا له ولم أغادر إلا أهله حتى خسرت فيه محبة وقوة
ومالا وثروة (مذكرات سعد - كراس ٣ / ١٢٩) .

وكتب خلال زيارة لأوروبا صيف ١٩٠٨ (أفترس مع المست والبشا
(أي مصطفى فهمي) وحسين (ابن محمود صدق) في الساعة تسعة وبعد أن
تمشي مع الشاشا قليلاً نعود إلى البيت لنذهب إلى البوكر مع المست وحسين إلى الساعة
ثمانية وتمشي قليلاً ثم نعود لنذهب إلى البوكر إلى الساعة ١١ مساء وقد أنفعل أثناء
اللعبة عسى الخسارة وصادف أن الزهر كان يهاكس وكان زهر حسين معيد
ولكن مع ذلك كسبت ولم أخسر غير أن خسارتي كانت من طريفين : طريفى
وطريق المست (كراس ١٣٠٠ - ١٣٠١ ص ٢٤) .

ويتساءل سعد عن الأسباب التي دفعته إلى المقامرة فيكتب ما يلى :

أريد أن أعرف ما أريد حتى أتمكن من معالجة نفسي من هذا الداء ، هل أريد بسطة في الورق ، أنه يقبضه في الكثير الغائب ، هل أريد سمة الجاه ، أنه يضيقه بما يحيط من القدر في تفاصيل الناس هل أريد تناهى آلام تردد على النفس عند خلوها من الشغل وهو كثير ، لاأشعر بهذه الآلام ، ويقول : ما كانت أصفي لتصانع زرجى ولا أرق لتلألما من حاتى ولا اروعى عن نفسي ، وأشار إلى توباته المتعددة ، وعودته عنها فيقول : وقد يخلي لى ان كتابة هذه الحواطر ونسجيل هذه الواردات مما يساعد على الاستمرار في ارتكاب هذا الإثم ، كأن النفس تجده في هذه الأعترافات المكتوبة والاشتiazات المرسومة ، فضيلة تكتها عن الانصاف بها وعن الإفلاع عن نفس الرذيلة او ان الاعتراف كفارة عن الذنب والجريمة المرتكبة ترجيحا .

ويقول : إن اوصى كل من يعيش بعدي من لهم شأن في شأنى انى إذا مت من غير أن أترك اللعب أن لا يحتفلوا بجنازى ولا يحيدوا على ولا يجلسوا لقبول تعزية ولا يدنونى بين أهلى وأقاربى وأصحابى ، بل يعيدها عنهم وأن ينشروا على الناس ما كتبت فى اللعب حتى يروا حالة من تمكنت فى نفسه هذه الرذيلة وبلاست العاقبة . السكراسة ٢٨ ص (١٥٧١) :

وتفىض مذكرات سعد زغلول بالتفاصيل المسمية الى تبين مدى سيطرة هذه الغواية عليه ومحاولة الإفلاع عنها وللتخلص منها وعودته إليها المررة بعد المرة فقد وردت تفاصيل إضافية في السكراسات ٣ و ٢٩ و ٢٨ و ٣٠ في أثني عشر موضعا من هذه الكراسات .

وقد أشارت المذكرات بوعنوح إلى أثر القمار في حياة سعد وخاصة حياته الاقتصادية كما يشير إلى ذلك الدكتور (عبد الخالق لاشين) فقد وقع سعد الذى أتنى الضياع الواسعة تحت طائلة ديون كثيرة مما دفعه عام ١٩١٠ إلى أن يبيع الضياعة التى اشتراها بناحية قرطسا (بحيرة) لقاء أثني عشرة ألف جنيه يقول : (بعث هذه الأطيان وذهب كل ثمنها أدراج الرياح فلم يستند منه فائدة) كما باع الضياعة الأخرى بيسوان ومطروح عام ١٩١٨ بمبلغ ١٦ ألف جنيه وهاد كل

ليرادات سعدى في مد عامين وكانت ٢٠٠٠ جنيهه مرتب الناظار (الوزير) و١٠٠٠ جنيهه لميجارات باق أطيانه وأصبح ديننا يبلغ ٦٥٥٠ جنيهه وبذلك بدد سعد الكثير من ممتلكاته يقول في مذكرة (٢٥ مارس ١٩١٢) :

أصبحت منقبض الصدر ، ضائق الذرع ، ولم أتم ليل بل بي طوله ساءراً تساورني المخوم والحزان وأتنفس الصداع على فرط مني من اللعب وضعف الأموال التي جمعتها بعد العمل وعرق الجبين وسيروري إلى حال سيئة .

وهكذا أجهز القبار على ثروته التي كونها من المحاماة وكانت لا تقل عن ٤٠٠ فدان و ١٨ ألف جنيه فضلاً عما ورثه من صهره مصطفى فهمي : الذي كان يملك ٦٤٨ فداناً و ٨٦٠٠ جنيه وألف أردب قمح وألفي جنيه مواشي وكانت صفية زغلول التي أطلق عليها أم الصرين واحدة من ثلاث بنات خلفها مصطفى فهمي جناد شعب مصر ثلاثة عشر عاماً .

وبعد فعل هذا وهذه ما تكشفه مذكرات سعد زغلول التي نطالب بطبعها وإذاعتها لنرسم صورة حقيقة لهذه الزعامة التي اختلف فيها الرأي فرقها بالهوى والصادفة والولاية السياسية إلى مكان آخر ، وما تردد أن نظلم أحداً ولكننا نطالب بالكشف عن الحقائق عن طريق الوثائق وما يمكن أن توجده ثقة أشد صدقها من هذه مذكرات كتبها الرجل عن نفسه .

ومن خلال المذكرات سوف تكشف أشياء كثيرة خطيرة ومشيرة .

(٢)

سعد زغلول

رأس المدرسة الحزبية في مصر

طل الناس وقتا طويلا يظنون أن سعد زغلول رعيم وظني ، وذلك تحت تأثير التهريج السياسي . والأوهام التي صنعتها الصحف الحزبية وأيدتها تجار الوطنية منذ عام ١٩٢٠ حتى اليوم . فلما انقسمت الحزبية وأخذت تتصارع وتفقدت عند الناس مظاهرها وأمطر الرعماء بهضم البعض وأبلا الآيات تكشفت الحقائق .

كان الناس يظنون أن سعد قديسا وقد كذبتم حقائق التاريخ . فسعد رأس المدرسة التي جاءت بعد ثورة ١٩١٩ ، هو الشرة الأولى لحزب الأمة الذي صنعته الوردة كرومـر عام ١٩٠٨ ليحارب به الحركة الوطنية التي كانت تمثله أذ ذلك في جهاد الحزب الوطني : مصطفى كامل ومحمد فريد وقد أعلن حزب الأمة منذ اليوم الأول أنه يقبل الالتفاق بالآخرين في منتصف الطريق .

وليس صححا ما يقال من أن سعد وشراوى وعبد المزير فهم هم الذين وسخوا بذور الثورة . فلم يكن من المقبول أن تقام دولة بالمندوب البريطاني هو العامل الرئيسي في اندلاع ثورة صنفته جليلة الخطأ كاثورة المصرية عام ١٩١٩ ولا تقوم النورات نتيجة مثل هذه المقابلات ، وأنما تفاصيل نتائجه توجيه دائم طوبى لدى بتأهله في نفوس الأمة زمنا طويلا حتى يأتي اليوم الذي ينتهي فيه هذا الشعور وينغير بصرف النظر عن الأشخاص .

وقد سمى ذلك اليوم المبين الذى قابل فيه الرعماء ثلاثة المندوب البريطاني بعيد الجماد (١٣ نوفمبر ١٩١٨) ولو أثنا على المضيطة الرسمية للحدث الذى دار فى ذلك لخطأنا حتى من مجرد ذكره .

في ذلك اليوم قال سعد النمدوب البريء في هذه العبارات بالنص : « هي سعادتنا أنجاتنا على استقلالنا التام فانا نعطيها خنانه معقولة على عدم تمكّن أي دولة من استقلالنا والمساس بصلحتنا . فعطيها خنانا في طريقها للهند . هي قناة السرير بأن يجعل لها دون غيرها حق احتلالها عن الاقتساء . بل يخالفها ونقدم لها ما تستلزمها المحافظة من الجنود » .

وفي حديث سعد ثلاثة هنات : تسليم قناة السويس . وقبول الاحتلال . والموافقة على الدفاع المشترك .

وإذا كان ما قيل من أن سكرور خلال وجوده في مصر كان يهدف إلى أعداد مصريين ليحكموا مصر باسم بريطانيا فهذا يعني أن هذا الهدف قد تتحقق إلى أبعد مدى في اختيار سعد زغلول .

ونستطيع أن نرجع إلى تاريخ سعد زغلول قبل ثورة ١٩١٩ وقبل الحرب العالمية الأولى فنراه واحدا لا غوض فيه فقد عاصر حركة عرابي وهي أكبر حركة شعبية في عصره فلم يعرف له فيها دور واضح . وعندما قام مصطفى كامل بحركته وقف في صفوف حزب الأمة وحارب المزرب الوطني الفقي . وعندما صار مصطفى فهمي صديق الأنجلترا الوحيد في مصر ، والوزير الذي حكم مصر آنئـة عشر عاما متواطـيـة كان آنـما يـريـدـ أن يـؤـهـلـ نـفـسـهـ لـيـاصـبـ الـوزـراءـ .

تولى مصطفى فهمي وزارة الاستسلام المطلق للإنجليز من نوفمبر ١٩٨٥ إلى نوفمبر ١٩٠٨ وفي خلال حكمه باع البواخر المصرية بخمس الأمان إلى شركة (الـ والـدرـسنـ) وعدهـا ١١ باخرـهـ قـدرـتـ بـمـاـ يـفـيـ بـمـلـغـ ٣ـ٠ـ٠ـ٠ـ٠ـ جـنيـهـ ونـصـفـ مـائـةـ وقد باعـهاـ الوزـيرـ الشـريفـ بمـلـغـ ١٥٠ـ ألفـ جـنيـهـ .

وقال مصطفى فهمي أنا مدمنون لأنجليزنا بثروتنا وسعادتنا وهناتنا .

وفي عهده وقعت اتفاقية السودان . وأنشأ حزب الأمة . وأحتفل بوداع سكرور .

وقد عين مصطفى فهمي صهره سعد زغلول وزيراً فإذا فعل سعد زغلول

السحب من لجنة مشروع الجامعة عقب هذا التعين وكان نائباً للرئيس وحين أن انسحابه كان تحقيقاً لرغبة الاحتلال لكن يحيط المشروع . وقد أصاب المشروع التصور فعلاً بعد أن تركه سعد .

قال مصطفى كامل : كيف لهم سعد المستشار بالاستئناف بمشروع على ثم ينسحب منه بعد أن يصبح وزيراً للمعارف .

وأتجه سعد إلى إنشاء الكتاتيب بعد أن جد مشروع الجامعة . وطلبت الجمعية العمومية جعل التعليم في المدارس الأميرية باللغة العربية فاعتراض وزير المعارف على هذا الاقتراح وقال بالنص :

أنا إذا فعلنا ذلك أسانا إلى بلادنا وإلى أنفسنا أساة كبرى .

ونفذت حملة زغلول أن رفضت الجمعية العمومية اقتراحه وأقرت المشروع بالأغلبية العظمى ودافع سعد مع الأسف عن سياسة الاحتلال في التعليم .
كتب مصطفى كامل يقول : أن الناس قد فهموا الآن بأوضاع مما كانوا يفهمون من قبل لماذا اختار لورد كروم لوزارة المعارف صهر رئيس الوزارة الأمين على وجهه ، الخادم لسياسته .

وعندما احتفل بترديع كروم طعن المصريين ولم يهان تقديره إلا لسعد وقالوا أن سعد زغلول قاوم دنلوب وقيل في الرد على ذلك ليكون أشد على مصر من دنلوب وخلاص منه لرغبات الإنجليز .

وأن كان سعد قد اصطدم بدنلوب وهو ملم يحدث . فاما فعل ذلك لاعتداده بشخصيته وليس لصلحت مصر . ولم يعرف عنه أنه اختلف معه في أمر من أمور الوطن .
وعند ما قام فريد بالدعوة إلى المطالبة بالدستور وأجمعوا الأمة عليه ، صرح سعد زغلول بأن مصر لا تصلح للحكم الثنائي .

وعندما عين وزير العدل سن قانونا بأحالة تهم الصحافة إلى محكمة الجنابات وفي عدده - ١٩١١ - حكم محمد فريد بايغاز منه وحكم عليه بالحبس ستة شهور كما حكم عبد العزز جاويش . وأغلقت صحف الحرب الوطنية واحدة بعد الأخرى .

وقد اشترك في وزارات مصطفى فهمي وبطرس غالى و محمد سعيد ووافق على
اتفاقية السودان .

ثم جاء الوقت الذى حدده الانجليز للدور الذى قام به سعد زغلول :

نفى الانجليز جميع زعماء الحزب الوطنى إلى الخارج : واندامت الحرب
واعلنت الحماية على مصر . فكان سعد زغلول أول من استقبل مندوب الحماية
وأدلى إلى « انقطم » الآخر أ بحديث قال فيه أنه استبشر خيراً يقدهه .
وتولى سعد زعامة الأمة أستباطاً ، كان في سن مرتفعة . وكان مريضاً معتل
الصحة في الوقت الذى وكلت إليه زعامة الأمة ١

ولكن سناه في زعامته كأن شيئاً هاماً هو رضاه الانجليز عنه وأعجبوا
الإنجليز بتلبيذ كرومر وصهر مصطفى فهمي أما ماضيه فلم يكن شيئاً يشرف أو يحمل
على الإعجاب .

ومن صفحات ماضيه غير ماذكرنا موافقة يوم ٩ فبراير سنة ١٩١٠
عندما وقف وحده في الجمعية التشريعية يدافع عن مطالب شركة قناة السويس
لسد عقد امتياز القناة أربعين عاماً بعد موعد نهاية عقدها أي من
الى عام ٢٠٠٨

وكان الوزير متخصصاً لذلك . نديداً الحماس . قوى العارضة في تأييد المشروع .
يوافقه رئيس الحكومة « بطرس غالى باشا » الذي قتل في ٢١ ذي القعده ١٩١٠ قبل
أن يتم نظر المشروع . وقال التحقيق أن تأييد المشروع هو سر اغتياله .

وفي ٤ أبريل ١٩١٠ عاود هذا الوزير تأييد المشروع . ولكن المجلس لم
يأخذ برأيه ورفض أغلب النواب المشروع . وصفق النواب . وصفقت الشرفات
الخاصة بالوزرائين . وانهزم سعد والمندوب البريطاني .

وبدأت مظاهره لم تذكره في تاريخ مصر : خمسة عشر ألفاً من المصريين
 كانوا قد تجمعوا خارج القاهرة . فما أن عرروا بالقرار حتى طافوا شوارع القاهرة
 بمسيقاهم وأعلامهم .

وكانت أول مظاهرة ضد الاحتلال . ثم ماذا ؟

ثم أصبح هذا الوزير بعد ذلك زعيم مصر قاطبة . وأصبحت هذه الألوف
الخمسة عشر التي هافت بسقوط مشروعه ، تهافت له : بالسخرية أقدر حين يصبح
صنيعة الاستهبار زعيماً لوطنه .

يقول جورج لويد في كتابه [مصر منذ عبد كرومر] بصور سعد زغلول
ـ بفضل مجاهود اللورد كرومر أنشأه في مصر في أكتوبر ١٩٠٧ حزب جديد
هو حزب الأمة وصاحبه البريء .

كان أكثر أعضاء هذا بعثاً للامل رجل أصبح أسمه فيما بعد أم الاسماه في
تاريخ مصر الحديثة . ذلك هو سعد زغلول . ولما كان سعد قد اختار لنفسه
مهنة المحاماة فقد وقع عليه اختيار الأميرة نازلي فاضل ليكون محاميها وكيل قضائها .
وقد أوحى إليه أن يتعلم الفرنسيه . وكانت الخطوة الشانية من خطواته
أفتراه باسم مصطفى فهمي رئيس الوزراء الذي كان صديقاً لدولتنا . مواليها
لبريطانيا .

وقد كان سعد في تلك الفترة من حياته قد ظهر بعلاقات سياسية من طبقه
عليه وكان مؤمناً بالصدقه البريتانية . وخاصة شديداً قوياً لسياسة الخديوي
ونشاطه السياسي ولذلك كان لاماً لافتاص لـ كرومر إذا أراد أن ينفع الرأى
العام المصري السياسي الموال لبريطانيا وإذا أراد أن ينفع نفسه أن يقدم عريوناً
لصديقه مصطفى فهمي أن تخذل سعد زغلول لوزارة المعارف المنشأة حديثاً .

بعى أن أحذثك عن الدور الذي قام به سعد :

كانت الأحكام العرفية قائمة في ذلك الحين . وكانت الصحف لا تكتب
حرفاً واحداً إلا بأذن الرقيب . وكان في مكان السلطات الخاصة - إذا شاءت
أن تحمل خبر القبض على سعد في نطاق حديدي لا ينفذ منه ولو ~~كناها~~ هي التي
سمحت للصحف باشرار الخبر والتعليق عليه .

بل طبعت السلطة على نفقةها مئات الألوف من النشرات معلنة أمر القبض
على سعد وصحبه . ونشرتها على طول البلاد وعرضها . لتفلت نظر الأمة إلى الوعي

المجدى في الوقت الذى كانت السلطة تخشى فيه أن يستعيد الحزب الوطنى سيناروه على الجمهور فيوجه الحركة التوجيه الصحيح الذى تحاول انجلترا تقاده .

وحدث ما توقعه الانجليز ، فالرغم من ماضى سعد و موقفه من الحركة الوطنية فأأن الشعب الایض نهى كل ذلك .

وهكذا اشتعلت الثورة وتعالت الاصوات هائنة ، « بالاستقلال » ،
ووصلت ابناها إلى سعد وصحبه في مفاهيم داندھش [لأنهم لم يعموا اليها ولم يكونوا يتوقونها] .

وخدعت مصر أى خدعة بوطنية سعد رغلوى فاسلت قيادها من منتصف العينين تحت أغراء الالفاظ الرنانة .

أنه زعيم المصادفة البخت ، الذى تسلم آمال شعب في الوقت الذى خلانية عزىin الأسد . الأسد هنا هو بالطبع : [قيسis الوطنية] محمد فريد ، [تسلم هذه الآمان إلى ربها مصطفى كامل ومحمد فريد وخياباني سيلها بخيانتها وما يملكان .. وضى هذه الآمان الغالية بين يدى الرجل الذى كان خصم الحركة الوطنية وجلادها .

وبفضلة حدث الانحراف الذى أصحاب الوطنية المصرية فانتقلت من الطريق السليم الثابت الصريح إلى أسلوب اقصايا والمحامين . الدوار المليفووف المضطرب . لم ينجي على لسان سعد كلمة « الجلاء » ، كلمة الحزب الوطنى الصريحة الواضحة . ولكن سعد قال كلمة أخرى : « الاستقلال » ، وهي كلمة غامضة مبهمة مطاعمه غير واضحة ولا محددة .

وحارب سعد الحزب الوطنى أعنف الحرب وخسر منه وحارب سعد كل خصومه بكل وسيلة ولو كانت غير شريفة .

كانت الفاظه تتطوى على الخداع والتضليل . فيما ظهر برأس يثير التفوس ولائكته في حقيقته « الماء » الذى وضعه سعد على نار الثورة التى قامت بغير قياده وفي غيابه .

ولما أسللت الأمة له قيادها . مزق و جدتها في سبيل التصوّمة الشخصية . ولم يستطع أن ينكر ذاته و غروره في سبيل الحفاظ على القوة التي في يده ، فضرب الإنجليز به خصومة و ضربوا خصومة به . فسكن الخلاف الحاد وأمات الروح الوطنية الفواره .

ونقل معركة الوطنية من ميدانها الأصيل في الصراع مع الغاصب المحتل إلى الصراع بين أبناء الوطن نفسه . و سلك سبيل التنازع على العظمة التي ألقاها لهم الإنجليز وأطلقوا عليها « الحياة الدستورية » .

ومن يومها أصبحت الحياة السياسية المصرية سلسة من المؤامرات والمناورات في سبيل سقوط وزير وتولي وزير آخر .

وتحت ضغط شهوة الحسک رفض سعد أن يظل زعيماً وطنياً . وكان هذا أول الوهن فقد خدعه ما كدو ناله خدعة كبرى حين قال له أنه يستطيع أن يصل معه « القضية » المصرية وها يتناولان فنجاناً من القبوة .

وسعد زغلول هو أول من قبل بدأ « المعارضة » ، والجلوس مع الغاصب على مقائمه واحدة وأول من أجاز فضل قضية السودان وتجمدها ، ولم يلبث أن صرخ هذا التصریح الخطير « الإنجليز يخصوم شرفاء معمولون » ، ولم يكن قدوة للشعب في تصرفاته . بل كان متعالياً وأستقراطياً . ولم يؤثر عنه أنه اتصل بالفلاحين أو العمال على وضع شعبي .

وفي بياناته عن مشروع مذكرة أظهر روح الرجل اليأس الميؤوس الذي يرى أن شيئاً خيراً من لاشيء . ولم تكن فكرة « الجلاء » يوماً من برناجيه .

وعندما طرد الجيش المصري من السودان وسئل عن موقفه قال : ليس عندنا تحريره ، وكانت صيغة سعد الاتختالية « الإخلاص فوق المكافأة » .

وعندما قتل زعيماً حزب الأحرار الدرستوريين حسن عبد الرائق وأصحابه راهدلى وهاجم الوفديون دار الأخبار التي كان يحررها أمين الرافعى ولما سُئل عنه قال : لا تطلبوا مني حياة أنصارى مني خصوصى .

ولم يتقدم الأمة بغير نامح كامل وكانت سنة استئنافها الوجهاء من بعده .
وعندما أصدر التوكيل اختلاف مع الأحزاب على صيغته وغلب على الفاظه
الإيجاز والإيمان . وتال أن وكالة الأمة فانوتيا وشرعوا تسقط يوم اجتماع مجلس
الأمة . ولكن سعد ظل يذكر التوكيل . والواقع أن التوكيل كان له بعثة خاصة
تفرق وتفوقت .

وعندما قتل السردار فرمان الميدان فراراً خرياً واستقال وأعطي الفرصة
لم خلفه للتسليم بكل مطالب الإنجليز وأذعن لرأى الإنجليز حين أصرروا على
الآن يكون رئيساً للوزراء .

واختلف رأى سعد في الدستور قبل الحكم حين قال : أنت كلما قرأت دستور
ثورت باشاً اعترق الحمى وأخذني الدوار . . . وحين وصل إلى الحكم بعد شهور .
وقال عنه أنه «وضع على أحد ثنايا نظم المالية» .

وعندما ولّ الوزراء أنسد المالية إلى توفيق نسيم ورئاسة مجلس النواب إلى
أحمد مظلوم وتمكناً من خصوم الوطنية .

وقد وضع سعد نفسه «وضع المداسه حتى انتشرت على السنة الناصر الأفاظ
الدعيبة المالية بالأكاذيب والتضليل» .

ومن هذا عباراته «أن في إخراج زغلول إخراج للأمة . لو رفع الوفد
بحيراً لانتخابه . الاستقلال على يد سعد خير من الاستقلال على يد عدل» . . .
ووقف سعد من خصوصه موقفاً غاية في الضفة . فقد كان ديكستاتوراً بطبيعة
عنيفًا في خصوصاته يرى شخصية أهل من القضية الوطنية .

حارب وفالمفاوضات برئاسة عدل . وأرسل المنذر بين والبرقيات الاتهامات
من قدره . واعتمد على ثقة الشعب .

ولم يعرف بالإيهام . بل عرف بقلة الصبر وسرعة الغضب ، مما صرف عنه
أعوانه وأنصاره . ولم يبق حوله إلا الخاسدين الذين يتعلمون في المناصب
دون الأهداف .

وقال سعد في هذا الاتجاه «الأناني الفردى» ، وددت لو أن أجعلها ذلة

ذغولية لها ودعا ... ، مبررا بذلك تصرفاً في تعين أهله وأقاربه وبالرغم من أزهريته ، تذكر للدين ودافع عن القوانيين الاوربيه ، ولما إلى الصلاة لفرض واحد هو كسب الأزهريين إلى صفه .

وقد وصف مطر الوفد على عهد سعد زغول «أن هيئة مؤلفة من أعضاء أكثرهم ليسوا من الفلاحة المتطرفين . بل أصلهم من حزب الأمة القديم ، الذي كان عرضه التعميم الدستوري تدريجياً بخلاف الحزب الوطني الذي هو حزب الثورة ومعارضة الإنجليز » .

وقال مطر ، أن الهيئة المستحقة للاعتبار هي المعروفة بالوفد والتي يرأسها سعد زغول باشا والتي تتسلط على العقول المصرية تمام التسلط .

ولو في هذا حين على الأقل — مؤلفه أعضاء أكثرهم ليسوا من الشلة المتطرفين ، بل أصلهم من حزب الأمة القديم . الذي كان عرضه التعميم الدستوري تدريجياً بخلاف الحزب الوطني الذي هو حزب الثورة ومعارضه البريطانيين .

ومن أدلة غطرسته وطغيانه أن طلب إليه ثروت العودة إلى الوحدة فكتب إليه سعد يقول : «أمامك المنابر العامة فاعلما أن وجدت سعيها . والجرائد السيارة فاكتتب فيها أن وجدت قارئاً . والمرادى الخاصة فتحدث فيها أن وجدت نصيراً ما أنت بزعم في هذه الأمة ولا رئيس حزب فيها حتى تكون هناك أهمية لخلافك أو وفاته

وبالرغم من هذا فإن سعد عندما فرض الإنجليز ثروت رئيساً للوزارة ذرته قبل هذا الوضع وصانع ثروت .

ومن آيات «شرفه» أن محمد فريد الرعيم المصري المنفي في براين أرسل برقية إليه بعد تشكيل الوفد المصري هذا نصها .

«نحيي فيكم الوطن الغائب . ونرجو لكم كل التوفيق والله ياخ » ورنسن سعد أن يحيي .

وعندما ذهب الطلاب إلى سعد في باريس يعلمه بأن محمد فريد مريض في بولن وفى حاجة إلى الدواء وطلبو إلينه من مال المصريين الذى أرسل إليه ما يعين الرعيم البطل ، رفض سعد بشدة وقال أنه لا يعطى لجئون .

وقال : مصطفى الشوربجي أن سعد زغول كان يريد أن يكون ملكاً على مصر قال علوه باشا (٧ ديسمبر ١٩٢٣) أن سعد بعد وصوله إلى باريس من منقاء للدفاع عن القضية المصرية وعلم أن ولسون رئيس الولايات المتحدة قد اعترف بالحياة على مصر . بدأ سعد يقول لا يذكر قوله بالآمل لباقي شبه وأن واجبنا قد انحصر في تنظيم هزيمتنا . وبين علينا أن ترجع إلى مصر متفرقين حتى لا تقع علينا مسؤولية الفشل . . . وقال الشوربجي أن سعد ألح على عدل في انتصارات باريس خضر . وسعى سعد حتى مهد لنا طريق المفاوضات مع ملنر . . وكان يطمع في الملك .

ومن سجله عبد العزيز فهمي في مذكرةاته بأن سعد كان يقول لملنر : شعبى يريد كذا وأنه حين ذات يوم ملنر في عرش مصر صدمه ملنر صدمة ولحمة اليأس من أول صدمة في الوقت الذى كانت الأمة فيه تباهى باسمه .

وبعد ثليل هذه الصورة تعطيك حقيقة المدرسة السياسية التي صنعتها سعد زغول وعاش عليها زملائه وتلاميذه بعد ثورة ١٩١٩ إلى أن تلاشت بعد حركة يوليه ١٩٥٢

(٣)

سعد زغلول واللغة العربية

كانت الجملة الأولى على اللغة العربية قد بدأت بقيادة ول寇وكس ثم انتهت إلى لطفي السيد في جريدة (الجريدة) لسان حال الإنجليز تحت اسم أصحاب المصالح الحقيقة ، غير أن الاستعمار تابع هذه الجملة بجملة أخرى في مجال التعليم نفسه فعمد إلى فرض لغته على تعليم جميع المواد باللغة الإنجليزية في مختلف فروع التعليم .

وكان كرومر قد أشار بتعيين (سعد زغلول) ناظراً لل المعارف في أكتوبر سنة ١٩٠٦ واستقبل تعيينه بالتحفظ من جانب الوطنيين الذين تمنوا له أن يحقق أمال البلاد في تعليم العلوم باللغة العربية وخفض مصاريف التعليم وتحقيق مشروع الجامعة ، غير أن سعد زغلول لم يbeth أن انسحب من مشروع الجامعة وتيئل أن ذلك تحقيقاً لرغبة الاحتلال في إحباط المشروع ، وكانت بريطانيا قد وضعت خططاً منها منذ اليوم الأول لاحتلالها على أساس اقتسام على اللغة العربية فقد أشار مستر دوفرين في تقريره الذي وضعه لتنظيم الاحتلال عام ١٨٨٢ إلى خطر اللغة العربية في مصر وقال :

لأن الأمل في نجاح تهذيب العمل في مصر لا يزال ضعيفاً مادام الصبيان لا يتعلمون اللغة العالمية بدلاً من تعليمهم لغة القرآن الشريف كما يفعلون الآن ، فإن نسبة الهمة إلى الفصحى في اللغة العربية هي كنسبة اللغة الإيطالية الحديثة إلى اللغة اللاتينية القديمة .

ثم ثبت أن توات الدعوات إلى الطامية والتي وجدت من الرد عليها وتنبيه ما محل بريطانيا على تأكيد عملها بوسبيتين :

الأولى : التعليم باللغة الإنجليزية وجعلها اللغة الأساسية على أن تصبح لغة

ثانوية وقد أيد هذا الاتجاه « سعد زغلول ، وزير المعارف إذ ذاك ودافع عن اللغة الإنجليزية .

الثاني : هو قيام المصريين أنفسهم بالدعوة إلى العامية وقد بدأ لطفى السيد حلته هذه عام ١٩١٣ وتبه قاسم أدين .

وقد هبت الجمعية العمومية (مارس ١٩٠٧) في مصر بالدعوة إلى التعليم باللغة العربية وطالبت بها وألقيت الشیخ على يوسف خطاباً ضافياً في هذا الموضوع أمام الجمعية العمومية .

قال : من القواعد التي لا خلاف فيها أن تعلم العلوم بلغة الأمة أكثر نفعاً وأعظم فائدتها ، على نحو لا يقدر من تحملها بلغة أجنبية ، ذلك لأن التعليم بلغة الأمة بنقل العلوم لطبيتها إليها بخلاف التعليم باللغة الأجنبية فإنه بنقل أفراد الأمة المتعلمين فقط من هذه الأمة لهذه العلوم ، وإذا كان بالعلم حياة الأمم فهو لا تحييا إلا إذا دب في جسمها كالدم في الشريان ولا طريق له في حلاله سوى اللغة التي هي إله النقام .

لذلك كانت الحكمة المصرية أول من اسكنرت في إنشاء المدارس المنظمة على سن المدارس ارتقية قد جعلت اللغة العربية أساساً للتعليم حتى كان الأستاذ الأوروبي يعلم والترجم المصري بهاته حتى وجد من المصريين الأساتذة الأكفاء في جميع العلوم المصرية لأنهم كانوا يتربون الكتب ويتلقونها بالعربية في جميع العلوم .

ولكن حصل خطأ في طريقة التعليم في المدارس الاميرية من بعض الذين كانوا قابضين على أزمتها منذ بضع عشرة سنة إذ قال بإستعمال اللغات الأجنبية أدلة التعليم في المدارس العالية ثم حصل التوسيع في هذا الخطأ بمقادير تزيد كلما طال الزمن لآها منحصرة في ثلاث علل كما يقولون :

(١) قلة الأساتذة أوطنين الأكفاء (٢) الكتاب العربي الممزوج في العلوم

المدرسة . (٢) فقر اللغة في الاصطلاحات الفنية التي تزيد كل يوم في الطول باللغات الأجنبية .

والمعتقد أن ما يسمونه علامها في الواقع تتابع محاولة لعدة واحدة هي هجر تعلم العلوم لأن هذا المجر يستدعي جلب الأساتذة من غير المصريين وفي كل عام منه تقرر التعليم باللغات الأجنبية يزيد عددهم في مدارس الحكومة وهذا الجلب أفضى إلى قلة الأساتذة المصريين الأكفاء بالضرورة كما أفضى إلى قلة الكتب المدرسية بل إلى فقدانها بالمرة .

ولما كان إستمرار طريق التعليم باللغات الأجنبية مؤدياً ولا ريب إلى حصر العلم في دائرة ضيقه جداً من الأمة ، ودقلاً باضطرورة للأستانة الأكفاء من الوطنيين ولأشباب الكتب العلمية والفنية التي بلغة البلاد وعية لها اللهم شيئاً وكل هذه النتائج مضار كبرى تلحق بالأمة المصرية ولا علاج لها إلا تعديل طريقه التعليم الجاريه الآن باللغة الأجنبية ، فأنا القول من هيئه الجمعية العمومية المأذون الشرع في ذلك من السنة المقبلة (الأزيد ٢ مارس ١٩٠٧) .

وكانت هذه هي وجهه نظر جميع الوطنيين الغوريين ، غير أن سعد زغلول بوصفه ناظر المعارف أفقى كلّه في الجمعية العمومية ردّاً على وجهة نظر أصحاب هذا الرأي معارضنا إياه معارضه تامة فقال :

أن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لحسن رشتها أو إتباعاً لشبوتها ، ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الأمة ، أن مركز الأمة من الأمم الأخرى وإحتلالها بالأجانب وإشباك المصالح الأجنبية بالمصالح الوطنية كل ذلك أوجب تعلم العلوم باللغة الانجليزية لكي يتقوى بها التلاميذ فيها كما يذهب ، ويمكّنهم أن تستفيدوا من المدنية الأوروبية ويفيدوا بذلك بما وقوفاً على الدخول مع الأجانب في مفترق الحياة : حياة العلم والأعمال ، شعرت الأمة بهذه الضرورة

قبل شعور الحكومة بها فأرسلت كثيراً من إبناتها إلى المدارس الأجنبية كمدارس الفرير والجزرويت والأمرikan التي تعلم علوم فيها باللغات أجنبية .
واضطرت الحكومة أن توجب التعليم باللغة الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية) وعندما أنشئت مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية التي أنا أحد مؤسيها وأينا أن لا تدخل اللقب: الأجنبية فيها ولكن لم ثبت أن شعرنا بهذا الخطأ فعدلنا عنه واضطربنا بإدخالها ، وفي الحقيقة إذا فرضنا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية فإننا نكون قد أسانا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبيرة لأنه لا يمكن الذين يتعلمون على هذا التحول أن يتوقفوا في المبارك والبرد والحكم المختلفة والمصالح العديدة التابعة للحكومات والشركات والبنوك ، وإذا ثابت النظر عن هذا كله صادقنا صعوبة مادية هي قلة المتعلين الأكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنون المختلفة باللغة اليدوية وستحصل مع وجود هذه الصعوبة الشروع لأن في التعليم باللغة العربية وإذا كتم مع ذلك تراهنون على الإقتراح المقدم لكم عن (تعلم العلوم باللغة العربية) كشمكم يحاول الصعود إلى السماء بغير سلم ، أ ، ه ..

هذا هي وجهة نظر زعيم الأمة في اللغة العربية فهو يرفض تعليمها ويصر على إيفاد اللغة الإنجليزية هي لغة التعليم في مختلف العلوم (ما بعد اللغة العربية نفسها) وقد رد الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد على إفتراضات سعد زغول فقال :

إن ما فعلته نظارة المعارف من نسخ التعليم باللغة العربية وجعله باللغات الأجنبية لم يكن لحاجة البلاد وليس سببه إقبال الأمة على المدارس التي كانت تعلم باللغات الأجنبية كما تقول ناظر المعارف بل الأولى أن تدل إن إقبالها على مثل مدارس الجزرويت والفرير كان منشئه ضعف التعليم من حيث هو في مدارس الحكومة ، وقد قلل ناظر المعارف إن التعليم في مدارس الحكومة ضعف إلى حد أتنا ننتجه إلى إرسال أبنائنا إلى المدارس الأجنبية .

هذا وقد وافق المجلس على التعليم باللغة العربية ، غير أن ناظر المعارف وضع عبارة مالها إلا أنه لا يمكن تنفيذ المشروع لأن الصعوبات الموجودة وهي ذات الصعوبات أمكن تنفيذه .

وما يذكر أن أحد حشمت عند تولي وزارة المعارف جمل التعليم في أكثر المدارس باللغة العربية .

هذا وقد هاجت كبريات الصحف الوطنية سعداً وإتجاهه ولم تدافع عنه إلا جريدة الأخبار لصاحبها يوسف الخارن التي كانت تسير في فلك الإستعمار تحت عنوان اللغة العربية وسعد زغلول في ١٠ مارس ١٩٥٧

ويقتضينا الموقف هنا أن يتتحدث عن موقف سعد من دنلوب ، فقد أثار المقاد وبعض أنصاره أنه عارضه دنلوب وكان يتجاهله وتلك أكذوبة لها طابع زائف ، فكيف يمكن أن يعارض سعد دنلوب والذي هو وزير المعارف الحقيقي وقد اختير سعد عن ولامه للإنجليز الذي هو مصدر الثقة فيه ، وإذا كان سعد قد اتخذ موقف مامن دنلوب فإن هذا من المسرحيات الإستعمارية التي تريد أن تعطى أول وزير مصرى لأخقاره كرومر من تلاميذه صورة البطولة والوطنية الساذبة وهل من المقبول أنه جاء وزيراً على غير رغبته المستشار الإنجليزى وأصحاب السلطة الفعلية في البلاد .

(٤)

موافق سعد

وتحتاج أن تشخص موافق سعد على النحو التالي :

أولاً : موقفه من المتمدن البريطاني في مقابلة ١٣ نوفمبر وعباراته معروفة [متى ساعدتنا إنجلترا على استقلالنا أتم فلاناً نعطيها ضمانه مقوله على عدم تمكين أي دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة إنجلترا ، فنعطيها ضمانه في طريقها إلى الهند وهي قناة السويس ونجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء بل وتحاليفها على غيرها ونقدم لها ما تستلزمها هي المحافظة من الجنود .]

وقال سعد : لا نتجزء لسوق هنا ولا في الخارج إلا لرجال الدولة الإنجليزية .

ثانياً : موقفه من اللغة العربية في التعليم وهي واحدة تمامًا حتى بعد أن صدر قرار الجمعية العمومية بالموافقة فقد وضع سعد زغول المقربات دون تنفيذه ، وقد هدد سعد المصريين في خطابه بقوله : أن عدم تعليم باللغة الإنجليزية سيحول بينهم وبين التوظيف في البخارى والبريد والمحاكم المختلفة وقد أغضب هذا التصريح أولئك وحمل عليه الشیخ عبد العزیز جاويش حالة قاسية تحت عنوان : (ظلموك يا سعد) .

ثالثاً : موقفه من تجديد إمتياز قناة السويس وقد كان معروفاً أنه في صلب الاستعمار وأن الأمة كلها خرجت تهاجم القرار وتآيد سعد له بل أن الجمعية الموممية رفضته أيضاً .

رابعاً : موقفه من زعيم الأمة محمد فريد ، حين رفض معونته وهو في أزمة مرضية في برلين وكانت البلاد قد جمعت لسعد زغول قبل سفره إلى أوروبا يضعه ألف من الجنيات .

خامساً : القائد الحقيق ثورة ١٩١٩ هو عبد الرحمن فهمي وهي ثورة جاتمت وليدة الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل و محمد فريد . وقامت بعد سفر سعد زغول وقد دهش لها حين علم بها .

سادساً : عين سعد زغول وزيراً لل المعارف ثُمَاً لوقف شقيقه (فتحي زغول) الذي كان رئيس المحكمة دنشواى ، وما كاد يلي وزارة المعارف حتى إستقال من عضوية لجنة إنشاء الجامعة الأهلية متذرأً بأن أعماله و مشاغله تحول بينه وبين إستمراره في عضوية اللجنة بينما كانت اللجنة هنا أدخلت في عمله كوزير لا حريم منها في عمله كمستشار يفصل في قضايا الناس .

وقد قال مصطفى كامل :

كان سعد زغول أول وزير وحب المصريون بدخوله الوزارة وكان قد أختبر رئيساً للهيئة التي تألفت لإنشاء الجامعة المصرية الأهلية وكان لورده كروموري في إنشاء هذه الجامعة ما لا يتفق مع سياسته في أن الغرض من التعليم في مصر هو تخرّج موظفين للحكومة لكنه لم يكن يستطع التصرّح بهذه الممارسة من غير أن يجد مسوغاً لتحويل التيار إلى ناحية أخرى لذلك بدأت أبوابه تذيع أن نشر التعليم الأولى بين فئات الشعب أجيده على البلاد من إنشاء الجامعة وأخذت الحكومة تشجع إنشاء الكتاتيب فلما عين سعد وزيراً لل المعارف قبل أن الغرض من تعيينه أن يترك رئاسة مجلس الجامعة أضاعافاً لهذا المشروع .

وقال عبد الرحمن الرافعى (في كتابه مصطفى كامل ص ٤٠) : وقد تبين أن إسحاب (سعد زغول) من رئاسة اللجنة كان تحقيقاً لرغبة الإحتلال لكي يحيط المشروع وقد أصابه الركود فعلاً بعد إنسحابه من اللجنة وبخاصة لأن الحكومة خلقت في هذا الحين بإيعاز من الاحتلال حرفة إنشاء الكتاتيب .

أما ما ذكره العقاد من أن سعد كان مع حركة اللغة العربية وإنشاء الجامعة فهو دفاع غير مؤيد ببيان دقيق .

سادساً : إنتهاء سعد إلى المسونية :

نشرت المصور (٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٧) تحت عنوان الأمة والحكومة تشيعان الفقيد العظيم) : أشارت إلى وفاة البنائين الأحرار الماسون في تشريح جنازة الرعيم فقد كان رحمة الله ظبا من أقطاب المسونية وقالت جريدة المقطم : الجمعة ٢٦ أغسطس ١٩٢٧ في الصفحة الأولى ما يلي :

حداد المسونية على فقيد البلاد الأعظم :

فقد المسونية المصرية بفقد سعد العظيم الحالم عذراً كبيراً وغفلة كثيرة وزخراً وفيها كانت تتعزز بفضله وستقام حفلة جنازه ماسونية للفقيد الأعظم يعلن عن موعدها فيما بعد .

وقالت المقطم : إن درجة سعد زغلول في المسونية ورواد صالون نازل فاضل في التنظيم الماسوني يفسر لنا نوع الصدقة مع قاسم أمين ويوضح الخط الفكري الذي سار فيه رائد تحرير المرأة وإهدائه كتاب المرأة الجديدة إلى سعد زغلول . ونشر المختل الأكبر الوطني المصري (المقطم ٢٥ أغسطس ١٩٢٧) بياناً إلى الأخوان الماسون جاء فيه .

لقد ربعت البناءة الحرة من الفاجعة الآلية التي أصابت عصيرة البنائين الأحرار خاصة والأمة المصرية عامة بموت رعيم مصر واحداًها المرحوم المفتر له سعد باشا زغلول الاستاذ الأعظم الفخرى الخ الخ .

وأشارت المقطم إلى تاريخ سعد زغلول فقالت :

كان سعد زغلول من المؤثرين بتأثير الشيخ محمد عبده ، وكان الشيخ أول من لفت نظر اللورد كرومرو إليه وقال أنه يتضامل بأن يكون من خير دعاة الاصلاح والتجميد المصريين وأنه مستعد لأن يصل مع الجملة ولما خطب اللورد كرومرو خطبة الوداع في القاهرة ١٩٠٨ قال : أن زغلول رجل ذرية

مة تدر شجاع وأن مجال التقدم أمامه متسع وقد دفع زغلول باشا عن الاقتراح الذي اقترحته بريطانيا لإطالة مدة إمتياز قناة السويس فلقي معارضة شديدة دبرها الخديرو السابق غير أن زغلول أدى المهمة التي عهد إليه بها بشجاعة وبلغة ، .

وقالت المقطم في ١٨ مايو ١٩٢٤ : تحت عنوان [أول دليل ماسوني] شرع داود تفليس أفندي من واسعى الدليل المصري الكبير بموافقة الحفل الأكبر الوطني المصري بإصدار دليل مفيد يجمع بين دفتيره كل ما يهم الاخوان الماسون وغيرهم معرفته مصدرا يرسم ذي الرئاستين الآخ الكل الاسترالم صاحب الدولة سعد باشا زغلول المهدى له الدليل بصفته الرئيس الفخرى الاعظام حلاوة على رسوم رعاه العفيرة ، . اخ

الفصل السادس

قاسم أمين

100%
100%
100%
100%

100% 100% 100% 100%

100%
100%
100%
100%

(١)

كانت حركة تحرير المرأة التي قادها قاسم أمين مؤامرة لاستعمارىة تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم حتى قال محمد فريد : إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريضاً في الآداب العامة وأحدثت إنتشاراً مفرغاً لمبدأ العروبة وأصبحت ساحات المحاكم غامضة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلن .

لقد تراجع قاسم أمين بعد قليل من دعوته إلى تحرير المرأة وجاءت [ددى شراوى] فاحتضنها دوائر الماسونية والتغريب واليهودية العالمية .

في محاولة لتفويم حركة قاسم أمين لتحرير المرأة بعد أن تسربت وثائق عدة تكشف عن خطأ أشبه بالمؤامرة وراء هذه الدعوة ، وتوارقى الأسئلة إلى أم المصريين « صافية زغلول » وإلى زعيمة البهضة النسائية في مصر « هدى شراوى » التي دعت بعض الأفلام التي تحمل الحقيقة أو تخدع كثييرها إلى إقامة تمثال لها والحقيقة أنه لم يكتفى تعرف خلفيات هذه القضية يجب أن نذكر شيئاً منها هو أن كتاباً ظهر في مصر عام ١٨٩٤ (أي بعد الاحتلال البريطاني بهام واحد حمام مصرى « وال لسكروم ولفود الأجنبي يدعى « مرقص فهوى » تحت عنوان « المرأة في الشرق » ، صور فيها خطأ الاستعمار في المطالبة بتحقيق أربعة أغراض :

أولاً : اقتضاء على الحجاب الإسلامي .

ثانياً : إباحة الاعتلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثاً : تقدير الملاقي ووجوب وقوفه أمام القاضى .

رابعاً : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامساً : إباحة الزواج بين المسلمين وغير المسلمين ،

وكان هذا الخطط هو النواة الأساسية للتفوز الأجنبي الذي تدرس على صوته حركة قاسم أمين وهدى شعراوى . . ذلك أنه لم تمض سنوات خمس حتى ظهر كتاب « تحرير المرأة » ، فكان ذلك خطوة على الطريق ظن البعض وما يزال يظن سلامتها وثقاها وبعدها عن الهوى وتحررها من أي خلفية موحية .

فما هي هذه الخلفيات لذلك المحتوى ؟

أولاً : كتب داود برکات رئيس تحرير الأهرام بجريدة الصادرة في ٤ مايو

١٩٢٧ مقالاً :

فقال فيه : إن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق داركور ، المصريين ، ورد عليه بكتاب باللغة الفرنسية وفند إتهاماته ، مما ظهر هذا الكتاب وصف بأنه لم يكن في صف النهضة النسائية ، فقد رفع الكتاب من شأن الحجاب وعده دليلاً على كمال المرأة ، كما ندد بالدعى إلى السفور وقد رأت فيه الأميرة نازلى فاعل نعم بضها . . ثم استطرد يقول (وكانت الأميرة نازلى فاعل ولها طالون يحضره سعد زغول و محمد عبد العزى وجاء من الشاميين إلى تولى السلطة في مصر تحت قيادة الغزو البريطاني وبرعاية اللورد كرومر) .

ويقول داود برکات متابعاً :

وقد أشير على جريدة انقطم - وهي لسان الإيمان في مصر في ذلك الوقت أن تكتب ست مقالات عن الكتاب تفند أخطاء قاسم في هذا الاتهامة . ودفأه عن الاتهام ، رابطة كاره اختلاط الجنسين . . ثم أوقفت الجلة بعد اتفاق الشيخ محمد عبد عبده و سعد زغول مع قاسم أمين على تصحيح رأيه . . وقد حل الشيخ محمد عبد العزى إلى تحرير المرأة في دروسه في « الرواق العجمي » ، بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند الله . . وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبد عبده كتب بعض فصول الكتاب أو كان له دافع في مراجعتها وما أورده ناطق السيد أنه اجتمع في جنيف عام ١٨٩٧ بالشيخ محمد عبد عبده وقاسم أمين و سعد زغول

وأن قاسم أمين أخذ يتلو عليه مقررات من كتاب تحرير المرأة وصفت بأنها تم
عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه .

ثانياً : كتب فارس نمر صاحب المقطم مقالاً في مجلة الحديث (الخطية)
عام ١٩٢٩ وأشار إلى هذا الحادث فقال :

«إنه ظهر كتاب للدوق داركور يهاون فيه على المصريين طعناً مراً ، وبخس
النساء بأكبر قسط منه .. إذ راهن بالجبل وضعف مكانهن في المجتمع .. فامتناع
الشباب وقطعوا قاسم أمين للرد على كتابه .

ويستطرد فارس نمر يقول :

وهنا أشير لحقيقة لا يكاد يطأها إلا ندرة في مصر .. هذه الحقيقة أن كتاب
قاسم أمين الذي رد فيه على «دوق داركور» لم يكن في صف النزعة النسائية التي
كانت تتشبث بها الأميرة نازلى .. بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف
الفرنسي «ويرفع من شأن الحجاب» ، ويعده دليلاً على كمال المرأة ، ويندد
بالداعيات إلـ السفور ، وإشتراك المرأة في الأعمال العامة .. ولما ظهر كتابه
هذا شاء ما به إخوانه من أمثال محمد المويحي ، ومحمد بيرم ، وسعد زغلول ..
وزأوا فيه تهريضاً جارحاً بالأميرة نازلى ، وتشاوروا فيها بينهم في الرد ، واتفقوا
أخيراً أن أولى الكتابة عن هذا الموقف وعرض فصوله وانتقاد ماجاه به خاصاً
بالمرأة ، وبدأت في الكتابة سلسلة مقالات عنه .

ولتكن ذلك التقديم يرق في نظر قضاعة محكمة الاستئناف ، ورأوا فيه مساساً
بهم .. لأن قاسم أميني كان أحدهم ورأوا أن أفضل وسيلة يبذلونها لكي أتعجب
عن الكتابة أن مؤلفه يرجو الأميرة نازلى فاضل لكي تطلب إلى ذلك وقطع
الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة .. وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة
كما حضر الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويحي .. وبمد قليل تحدث الشيخ
محمد عبده مع الأميرة في هذا الشأن .. فالتقتت إلى سموها وقالت لي : أنها لا تجد

بأساف أن أكف عن الكتابة في الموضوع . . وكانت هي لم تقرأ الكتاب ولم تعرف أنه يشمل الطعن فيما تدعوه إليه . . فلما رأى ذلك محمد المولى ع قال لسموها : أنه يدهش من طلب الأميرة وخاصة لأن الكتاب معرض لها . . ففي ذلك الدعوة عليها ، وكانت إحدى نسخ الكتاب موجودة عندها . . وبعثا حاولت أن أقفل باب الحديث في هذا الشأن وخاصة بعد أن لمحت عليها معلم الاضطراب والجد والعنف . . فلما اطلمت على ما جاء به ثارت نورة شديدة ووجهت الغول بعنف إلى الشيخ محمد عبده . . لأنه توسط في هذا الموضوع . . ومررت الأيام بعد ذلك وانفق محمد عبده وسعد زغلول والمولى ع وغيرهم على أن يتقدم قاسم أمين بالاعتذار إلى سمو الأميرة . . فقبلت إعتذاره ثم أخذت يتردد على صالونها . . وكلما مررت الأيام إزدادت في عينه ، وإرتفاع مقامها لديه . . وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذي كان الفضل فيه للأميرة نازلى والذي أقام الدنيا وأقعدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب .

(إنتهى كلام فارس نمر) :

ثالثاً: أشارت هدى شعراوى في محاشرة لها إلى هذا المعنى ، وكشفت هذا السر الذى ظل حافياً زمناً طويلاً ولم يكشف إلا بعد وفاة قاسم أمين بعشرين سنة : غير أن الذى يلفت النظر أن قاسم أمين عدل عن رأيه هذا من بعد ، وتبيّن له أنه أخطأ الطريق . . وقد تبيّن هذا حين صرخ قاسم أمين في الحديث له إلى صيغة «الظاهر» ، التي كان يصدرها الخاتم محمد أبو شادى حيث أعلن رجوعه عن رأيه وأعلن أنه كان خائفاً في (تفويت) الدعوة إلى تحرير المرأة . . هذا التصرّف نشرته جريدة «الظاهر» ، في أكتوبر ١٩٠٦ .

قال قاسم أمين :

«لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى إقفاله أثر الترك بل الإفرنج في تحريك نسائهم وغالبتهن في هذا المعنى حتى «عوّدهن» إلى تمزيق ذلك الحجاب . وإن الم

لإشراك النساء في كل أعمالهم وما بهم ولا لهم .. ولكنني أدركت الآن خطراً هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس .. فلقد تبعت خطاوات النساء في كثير من أحياط المعاشرة والإسكندرية لاعرف درجة إحترام الناس لهن ، وماذا يكون شأنهن معهن إذا خرجن حاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حديث الله على ما خذل من دعوى وأستغرق الناس إلى معارضتي .. رأيهم ما مررت بهن أمرأة أو فتاة إلا تناولوا إليها بالسنة البداء ، ثم ما وجدت زحاماً في طريق مررت به إمرأة إلا تناولتها الآيدي والأسنان جميعاً .. أني أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصدته من قبل ..

ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذي نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أن قاسم قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته (الى جات إستدراجاً ومرضاة لنفوذه ولؤست خالصة لوجه الله تعالى) أنها لم تكن قائمة على أساسها الصحيحة وهي الدعوة إلى تربية الخلق والإيمان بهن، وأنها لم تسكن على طريق الحق .. أو ربما أن قاسم رأى بعد أن تغيرت الظروف بزوال كرومر ووفاة محمد عبده وإطفاء نفوذه تازلي فاضل (ربيبة كرومر) أن يتخفى من هذه التبعه .. وربما كان لي بعض التحارب أثراً لها في نفسه .. وما يروى أن صديقاً عزيزاً زاره ذات مرة فلما نتسع له الباب قال : حيث صدّه المرء من أجل التحدث مع زوجك ! فدعه قاسم .. كيف يطلب مقابلة زوجته .. فقال له صديقه : ألسْت تدعوه إلى ذلك ؟ إذن مساداً لا تقبل الشجارة مع نفسك .. فأطرق قاسم أمين صامتاً .. وما يذكر أن السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة قاسم أمين كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح ..

وقال محمد فريد وجدى :

أن دعوة قاسم أمين قد أحدثت ندهوراً مريعًا في الآداب العامة ، وأحدثت انتشاراً مفرعاً عالمياً الفزوبي ، وأصبحت ساحات المحاكم خاصة بقضايا هتك الأعراض وهو رب الشابات من دور أهلهن ..

ونعت الدكتورة بنت الشاطئ ما تكشف من حركة تحرير المرأة بما أسمته
مهرة أية موجعة .. تقول بنت الشاطئ :

« إن الرجال ساقو نا لتعمل لحسابهم .. وهم يوهموننا أننا نعمل ويعملون
معنا لحسابنا . ذلك أن الرجال ربوا لنا الخروج زاغين أنهم يوثروننا على أنفسهم
ولكتهم كثيرو في هذا المزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السآمه والضجر في
ديناهم » .

ثم قالت بنت الشاطئ :

« إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمنا للتماوز ويكفي أن أشير في إيجاز إلى الخطأ
الأخير الذي شوه نهضتنا .. وأعني به إنحراف المرأة الجديدة عن طرقها الطبيعى
وتروفها عن التفرغ لما تسميه : خدمة البيوت وتربية الأولاد .. ونحن نرى
البيوت أصبحت مقفرة منها .. أما الآباء فتركتوا للخدم .. وفدى نشأ هذا
الإنحراف الضال نتيجة أن نادت منادات بمحذف نون النسوة في اللغة كأنما
الأنوثة شخص وملة وعار .. وأهدى الإنحراف بالأدواء كعمل من الأعمال
الأصيلة لنا حتى سمعنا من يسأل كيف تعيش أمينة برئة معطلة .. يقصد بالرقة
المعطلة هؤلاء الباقيات في بيوتهن يرعين الأولاد .. وزعموا أن المرأة تستطيع أن
تجتمع بين عملها في البيت ووظيفتها في الخارج .

إنتهى كلام الدكتورة بنت الشاطئ .

أما ما هي ملابسات زعامة هدى شعراوى لحركة النسوية .. فالواقع أن هناك
عدة ملابسات لا يفسرها إلا فهم تاريخ الحركة الوطنية في مصر لرجلين : أحدهما
والدها محمد باشا سلطان سلطاناً آخر زوجها على باشا شعراوى .

أما والدها محمد سلطان فيقول الدكتور عبد العزيز رفاعي في كتابه « محمد
سلطان أمام التاريخ » :

« إنه كان من أعلام النوررة المرائية ، ولكنه تسکر لها في أحلك أوقاتها ، ومشي

في ركاب أعدائهم : الخديو والإنجليز ، حتى نال حظوظه من الخديوري بالإحسان ، ومن الإنجليز بالتقدير ، وقد أثبت ما أورده السيد محمد رشيد رضا في كتابه : « الأستاذ الأمام محمد عبده » ج ١ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ عن الدور الذي لعبه محمد سلطان في خدمة مخابرات الإنجليز في سبيل الوصول إلى معسكر الرايدين في التل الكبير وهكذا حمل لواء الخيانة للثورة العرابية ، وطاف بيبرس سعيد والإسماعيلية لمساعدة الجيش الإنجليزي الراهن والإيقاع بجيش عرابي معلنا الثقة في الجيش الغازى ومعاهتنا الأهالى على حياتهم . وقد أغمى بهم حسن نيات الإنجليز إزاء المصريين ، وأبان لهم لا يستهدفون غزو البلاد ، بل يستهدفون تأديب العصاة .

وتابع سلطان نشاطه فأخذ يفرق الناس عن عربي ، ويجمعهم لمعاونة الإنجليز فأرسل إلى شيخ بدوى النادى المقيم فى الصالحية ويدعى سعود الطحاوى والآخر إلى محمد صالح المحوت ليتفق معهما على إستئالة العربان ولم يكتفى محمد سلطان بنشاطه فى الجاسوسية وبث الدسائس فى منطقه القناة وفى ميدان المعركة ، بل مد نشاطه إلى داخل البلاد ليقضى على كل معاونة شعبية لحركة عرابي ، ووافق « ولسى » قائد القوات البريطانية للتفاوض مع مشايخ العربان .

كما كانت الأموال التي أعدها الخديوى لرشوة شيوخ البدو فى سلطان عبده (راجع بذلت : التاريخ السرى ومذكرة سلطان إلى الخديوى فى الإسماعيلية بدار المحفوظات التاريخية دوسيه رقم ٢) .

وكان سلطان هو الذى أبلغ الخديو هزيم عرابي ، ودخل سلطان القاهرة من هو يتطلع لفجر جديد فى حياته بعد أن سجل خيانته ، وكتب تارikhya بنفسه ، وتلده الخديو النشان الحجرى الأول رفيع الشأن ووضعه على صدره بيده ، وأعطاه عشرة آلاف جنيه تعويضا للأضرار التي لحقت به ثم عينه رئيسا لمجلس شورى القوانين .

ولكن ضربة الفهد لم تزل له ليتمم بها إشتراكى من أميين فداءه ، مرض

السرطان وأشتد به المرض وتوفي في أوروبا سنة ١٨٨٤ ، وقد أنعم الإنجليز عليه بنيشان سان ميشيل وسان جورج الذي يحمل صاحبه لقب « سير » .

هذه هي خلفية الحياة الاجتماعية لقائدة النسوة والتي تزوجت وهي في الرابعة عشر من رجل غني موسى صديق لوالدها يبلغ الخمسين من العمر هو على شعراوى باشا أحد ثلاثة الكبار الذين قابلوا المندوب البريطاني بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى (سعد زغلول و عبد العزيز فهمي) بوصفهم من رجال حزب الأمة الموالى للإستعمار الإنجليزي لعرض مطالب البلاد .

ولم يلبث شعراوى باشا أن توفي وقد كان الثلاثة هم دعاة الرلام البريطاني والتعامل مع الإنجليز والأشخاص لمقاصيم الحزب الوطني في المقاومة قبل الجلاء .

وأقدّت السيدة هدى شعراوى الفرصة سانحة التبرير خاصة وأن السيدة صفية زغلول إبنة صدقي فهمي الذي حكم مصر بالحديد والنار خلال أول الإستعمار البريطاني ثلاثة عشر عاماً و الزوج سعد زغلول والسياه بأسماء الآخرين أم المصريين ، تستأثر بالزعامة السياسية فأرادت أن تفتح مجالاً جديداً تفرد فيه بالزعامة فكان ذلك هو مجال المرأة خاصة وأنها نزعت نقابها في ثورة ١٩١٩

وأقدّت لافتتها حفاعات تحرير المرأة العالمية والمنبثة في أوروبا وخاصة في باريس وبرلين وبروكسل والتابعة للحالف الماسوني ونظمات الصهيونية العالمية ووجدت فيها طيراً سعيداً فدعتها إلى حضور المؤتمرات النسوية العالمية التي كانت الصهيونية العالمية تدبّرها من وراء ، والتي كانت تستهدف بأحداث الضجيّج حول حقوق المرأة السياسية في البرلمان والحكم خلخلة المجتمعات الإسلامية ودفعها إلى طريق الانهيار .

والمعلوم أن هدى شعراوى لم تطلق في دعوتها من أي مطلق إسلامي ، بل على العكس من ذلك كانت سيدة سافرة بروفة لها صالون وتحلق حولها عدمن الرجال المجندين لكتاب الخطب والكلمات التي كانت تلقّبها في الاحتفالات وكانت تتفقّ على ذلك من أوائل سلطان باشا التي دعّمت ثورة العرابية ، وكان في

مقدمة هؤلاً، إبراهيم البلباوى باشا محامى دنشواى والشيخ محمد الأسرى الشاعر . . وقد إستطاعت أن تجند بعض الشباب ، وأن ترسل بهم في بعثات تعليمية خاصة على حسابها إلى أوروبا و منهم من عمل في الصحافة من بعد ، وحمل لواء الدعوة إلى تقبيل هدى شعراوى و دعا إلى تلك الأفكار التي تحرض المرأة على التحرر من القيود الاجتماعية ، والإللاقى حتى كان أحدم يقول لواحدة سأله :

« لو كنت بغير أولاد لقلت لك إنركيه ورزقك على الله ، والمعروف أن للسيدة هدى شعراوى لم تكن تهاباً في دعوتها بالمفهوم الإسلامى للمرأة ، أو تهدر عن فهم حقيق رسالة البيت والأسرة ولم تكن تتحرك في هذا الإطار . . وإنما كانت تضع أمامها المرأة الغربية كمثل أعلى . . وذلك فقد شجعت أسباب الزينة والأزياء والمواد المستحدثة . وكانت أجنحتها من المثقفات ثقافة فرنسيبة وذات الولاء الماركسي والصهيونى ، ولم يكن للمفهوم الإسلامى لديهم أي أهمية .

ويقول الأستاذ حسين يوسف :

إنه لم يكن عجبًا أن يحصل الاتحاد النسائي بعامة هدى شعراوى الأهداف التي يحرص الاحتلال على الوصول إليها ، وأن يردد في عام ١٩٧٣ نفس المبادئ التي نادى بها مرقص فهنى من قبل ، وتورط فيها قاسم أمين . ولما كان دعاء تدمير مفاهيم المرأة المسلمة لا ينامون فإنهم يدعون اليوم إلى تجديد ذكرى هدى شعراوى بإقامة تمثال لها . . والهدف هو دعم هذه الأفكار المسمومة التي تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم .

(۷)

المرأة المسلمة و موقفها من قضية تحرير المرأة

منذ مطلع العصر الإسلامي ، وقد استبان حقيقة موقف قاسم أمين وجامعة صالح نازل هاتم فاضل من المرأة ومن الحجاب ومن مختلف قضايا المجتمع الإسلامي في ضوء تيار الغزو التفاصي والتعريف الساسى الذى كان يشكل وجوده . ومن أجل ذلك كان سعد زغابول هو الرجل الذى أهداء قاسم أمين كتابه (المرأة الجديدة) وكان سعد موقفه من المرأة فى المظاهرات حيث انتزع النقاب من وجه إحدى السيدات علامة على الدخول فى عصر السفور .

الصحافة: لطفي السيد

تحرير المرأة: قاسم أمين

وآخر دور عبد العزيز فهمي قليلا حتى انشى الجمع للقوى المدعى إلى كتابة العربية بالمحروف الاتينية.

ومنها الآن أن نعرف موقف المرأة المسلمة من قضية تحرير المرأة .

تقول السيدة صافي ناز كاظم :

«في مولد هذا الشمار البراق (تحرير المرأة) افسخ المجال أمام الرواد المظام من تجاه الثقافة القدامين من أوروبا ومن أمريكا أخيراً ليصوروا ويحولوا محلين بأشكال وأنواع بضاعة الثقافة الغربية بمورثتها الحسانية اليونانية الإغريقية ، ومعها نماذج المرأة الأوروبية والأمريكية التي كانت قد نالت حريتها حدثاً مشكلاً من وصيف فكري وأجتماعي وديني خاص بها .

كانوا يعرفون الكلمة التي تقال تهراً وتجتذب والبضاعة التي تدمر لتسكت

وتذهبن الآن (من صاينه وصليبيين وماسون) دعوتم إلى مصر التأسيس من الذات لحساب التبعية الفكرية لغرب يمقتنا ، دينا و جنسا وتاريخنا ، ويمارس علينا تفوقا وغطرسة واحتقاراً وهو يقذف الانشو طوراه الانشوطه لتنفس حول أعنافنا جاذبه جهازنا عند أقدامه .

جهازنا نحن : المسلمين أصحاب العزة من الله (ولله العزه ولرسوله وللمؤمنين) كان مطليهم أن نظر يا كبار لا يتجاوز أوروبا بسبب ماوصلت إليه من قوة البخار والكهرباء ، وتصحها أمامنا قدوة ومثلا أعلى نسمى الوصول إليه وتشكل بشكله ومن ثم يصير كل شيء يتسب إلينا أو تنسب إليه يتعلق بنا إذ يتعلق به من أصولنا يصير سلفيا جاماً مرفوضاً .

كان المطلوب أن تعتقد ملهم بأن أوروبا والغرب قلعة للحرية والديمقراطية والقرن وإحترام الإنسان بينما يدوس العمل الأوروبي الغربي وجه الوطن الإسلامي باغتصابا وإرغاماً وسحقاً تماماً للإنسان حرية وكرامته واستقلاله .

هؤلاء يكتب عنهم لويس عوض علهم اليوم يؤيد أبناءهم أبناء الثقافة الغربية والوثنية الفرعونية (القومية المصرية) ويضعهم موضع الاستحسان والإفتخار ، مما يثبت لنا أن عمليةنا الحسائية سليمه حيث نضعهم نحن موضع الاستيهاء والإدانة .

جعلوا القضية : قضية تحرير المرأة مع إسقاط التعين (المسلمه) ومن ثم ربطها بقضية تحرير المرأة في العالم ، كما صارت هناك قومية خاصة إسمها القومية النسائية تربط المرأة المسلمة بالمرأة المسيحية بالمرأة اليهودية بالمرأة عابدة البقر والأوثان بالمشاركة بالملحدة ، كان قضيتين واحدة ومتابنهن واحدة وأهدافهن واحدة ومتقدثن واحدة وكان السعي فعلاً حينها لتأخذ المرأة المسلمة ملامع المرأة الغربية وكما تطابقت صورتها مع الغربية كلما زاد الإعجاب بها وفريضها حتى سقطت المرأة المسلمة فيما لم تسقط فيه حتى عابدة البقر التي ظلت معتزة بزها الخاص (السارى) وتميزها بالنقطة الحراء بين عينيها .

كذلك كان الدأب الأعم لفصل قضية تحرير المرأة المسلمة عن قضية تحرير الوطن المسلم وفصل قضية الظلم الواقع عليها من الرجل المسلم ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعمّد إلى أن جعلت المرأة المسلمة تقف خصماً أمام لوطن المسلم، صندوق بعثتها تتمارة رعياً وهلعاً .

كما قيل لها هناك من يطالب بتطبيق حكم شريعتك وتتفرج أسرارها فرحة
بانتصار إيماني كلما خرجت النظم العلمانية بقانون خائب للأحوال الشخصية
وتقاوم من قوانين العرب المستعمر لبلادها، المهيمن على مقدرات أهلها، المستذل
لناسها، المقصد لحرماتها.

وكان قاسم أمين من أسهموا بمحاربة في إلتواء النهضة المصرية عن إنبعاثها العربي الإسلامي لتسكون نهضته نهضه نفعاً اجتماعياً صوريّة مستهلكة لاتباع مصانع الفكر العربي ونافذة عرض دعائى له تدعى به جماس وتدبرق منه الد Mour أحياناً تقليد رجاله ونسائه ونظام معيشته .

إن دعوة قاسم أمين خدمت أهداف الماسونية الداعية إلى إضعاف سيطرة الإسلام الأيديولوجية بإعتباره دنيا ودولة، إن دعوة قاسم أمين في حقيقتها هي دعوة لخواكاه أوبريا.

إن قضية السفور حالة طارئة بدأت على استحياء منذ ما يقرب من خمسين عاماً ولم يسكن السفور مسيطرًا إلا على شريحة صغيرة من تعداد المرأة المصرية (المسلة، القبطان، عل، المواه) فإن المرأة الرفيفه والصعيدية لم تتخلى أبداً عن الحجاب.

كانت المحبوبة هي الحرة والمسافرة هي الأمّ (العبدة) ومن هنا فإن هناك علاقه بين الماسونيه والصهيونيه في الاستراتيجيه مع إختلاف التكتيك للقضاء على الإسلام بمحضها هذا نعطي السفور بعدها سياسياً .

إن الاستعمار يستهدف الإسلام ويضرب أي حركة إسلامية فقد ترك على الله
المربيه - لغة القرآن - وعلى المرأة المسلمة وأصنف لها أن تمسك المرأة

الجزائرية بمحاجتها كان سلاماً ضد فرنسي المرأة وصناع سمعتها المريرة والإسلامية .

وتشكّف السيدة صاف ناز كاظم سعوم قاسم أمين في كتابه المرأة الجديدة حيث يهاجم المدنية الإسلامية ويدعو إلى التغريب :

يقول : نحن : لا نستغرب أن المدنية الإسلامية أخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها، وليس خططوها في ذلك أكبر من خطأها في كثير من الأمور الأخرى .

ثم يقول : الذي أراه أن تمسكنا بالماضي إلى هذا الحد هو من الأهواء التي يجب أن نهض جسماً لمحاربتها لأنها ميل إلى التندى والتحقير ، وهذا هو الداء الذي يلازم أن ينذر إلى علاجه وليس له من دواء إلا أنا نرى أولادنا على أن يعرفوا شؤون المدنية الغربية ، ويقفوا على أصولها وفروعها وأثارها .

فإذا أتى هذا الخين وترجو أن لن يكون بعيداً — إنجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا إنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في آخرتنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم المصرية الحديثة .

ولا يمكن أن يوصف هذا الكلام إلا أنه (ردة) من مستشار وصف بالعقل والحكمة ولكنها (نزلت مع المترافقين إلى مطامع المناصب الكبيرة والحظوظ في صالون نازلى فاضل .

والمعلوم أنه بعد أن دافع قاسم أمين عن حجاب المرأة المسلمة في كتابه (الصربون) حدثت مؤشرات من الأميرة نازلى على قاسم أمين مما أدى حدوث متغيرات في فكر قاسم عرفت في كتابه تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة .

وكان كتاب تحرير المرأة نوعاً من الاعتذار للأميرة التي أغضبها كتابه الأول ، وقيل أن الشيخ محمد عبدة ومحمد المولى الحسني وسعد زغلول إنفقو على أن يقدم قاسم الاعتذار للأميرة نازلى (عندما هاجم المرأة غير المتحجبة في كتابه

المصريون) ودفع قاسم أمين الثمن غالياً يتعين على المقاوم ويعاول أن يلوى
عنقها حتى خرج كتابه (تحرير المرأة) .

و جاء في كتابه (المرأة الجديدة) فخرج عن أفكاره الأصلية التي كانت تعل
من شأن المدينة الإسلامية .

ولتجه إلى حجاب المرأة المسلمة وأخذ يحاول أن يدلل على أن حجب المرأة
ليس من الإسلام وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج عن صحيح الإسلام .

ومما عليه الإشارة إلىه : القول بأن الشريعة ليس فيها نص يوجب الحجاب ،
على الطريقة المبسوطة ، وإنما هي (عادة) عرض للسلبي من مخالطة الأمم
فاستحسنوها وأخذوا بها وألبسوها لباس الدين ونسى قول الله تبارك وتعالى :
« يا أيها النبي قل لازوا جلك وبناتك ونساء المؤمنين يذين علیهن من جلابيهم
وليضرن بخمرهن على جيوبهن ذلك أدنى أن يعرف فلا يؤذن » .

حاشية : وفي رسالة السيدة صاف ناز كاظم (في مسألة السفور والحجاب) .
تجاءلت تماماً موقف صالح نازل فاضل (سعد زغلول ، محمد عبده ، ل KH)
وموقف الأميرة من كتاب المصريون وموقف جريدة المقلم كما أنها لم تذكر
نصوص قاسم أمين في تكريم المرأة المسلمة أولاً (يراجع أحد خاكي في كتابه
قاسم أمين) كما لم تذكر تراجع قاسم أمين عن دعوته قبل وفاته .

الفصل السابع

ساطع الخصري

«عرب نعم ، إسلام لا : أنا (لا يك)»

$$\sum_{k=1}^{n-1} \frac{1}{\sin^2(\pi k/n)} = \frac{n^2-1}{3}$$

$$m_{\rm min} \approx 10^{-10} M_\odot$$

$$=\alpha\omega\left(\overline{\sigma}_{11}\omega_1\omega_2\right) -\omega_1\left(\overline{\sigma}_1\omega_1\omega_2\right)$$

$$F(x_1,x_2)=x_1\sin x_2+x_2\sin x_1=0$$

(١)

سقطت نظرية ساطع المصري فيلسوف القومية العربية ، لأنها قامت على أساس التفسير العربي للتاريخ ، ففصلت العروبة عن الإسلام وهو أول من جعل العنصرية والعرق والدم بدليلاً لفهم الإسلام الذي يقوم على الأخلاص الإنساني ، وهو أول مسؤول عن التعليم العالي الترك في الوزارة التي شكلتها الاتحاديون بعد سقوط الخلافة مباشرة وأول من صرخ بأن قومية إمبراطوريات تقوم على الدين وأن الإسلام دين تعبد ويشكر أنه نظام حياة ومجتمع ، والحقيقة أنه ما ذنب العروبة والإسلام إذا كان ساطع المصري غربي الفكر والنحو أعمى النطق يتعامل أن لغتنا لغة فكر وعقيدة وأن ديننا يجمع بين المسادة والروح وبين المقل والقلب وبين الدنيا والآخرة .

حدثني الدكتور محظوظ الوكيل مدير مكتبة الجامعة العربية في جنيف ، وهو رجل صادق مؤمن ، أنه في خلال عمله زار الأستاذ ساطع المصري سويسرا ورأى السيد عبد الفتاح حسن السفير المصري دعوه إلى طعام للقداء فلما قدم مع الدكتور الوكيل حياد السفير المصري فقال :

مرحباً بالناضل الكبير في خدمة العروبة والإسلام ، وقد عجب الرجلان من ساطع المصري الذي رد في هنف وحدة .

«عرب نعم .. إسلام لا .. أنا لا يليك ..» .

وكلمة «لا يليك» تعنى أن صاحبها علماني أو لا ديني .

ما تزال ندوة الاعتصام تركز على تاريخ الإسلام والعرب المعاصر وعلى الأعلام البارزين : سعد زغلول ، لطفى السيد ، ساطع المصري الخ وقد أحرز ساطع المصري شهرة وافرة في سنوات ما بعد سعيد الحرب العالمية الثانية باعتباره فيلسوف القومية العربية ، حيث روج لنظرية خطيرة كانت بعيدةً الآخر في حجب العروبة الأصلية المرتبطة بالإسلام فكراً وعقيدة ، وبالعلم الإسلامي تكاملاً وإلحاداً .. لقد كان دعاؤه حركة اليقظة في البلاد العربية يرون أن الجامعة الإسلامية

فاقتنة بين العرب والمسلمين (فرساوتركا) بعد زوال الدولة العثمانية . ولكن ساطع الحصري كان من أوائل الدعاة إلى فصل العرب عن المسلمين بمفهوم القومية العربي الواحد الذى طرحة فى أفق الفكر السياسى العربى . وهذا يرجع إلى أن ساطع الحصري كان ثمرة من أنضج ثمار المدرسة الاتحاجية التركية ، وأكبر الدعاة الذين نقلوا مفهوم القومية الطورانية التركية إلى أفق العروبة التي كانت ترتبط بفهم الإسلام في العلامة بين الشعوب التي جمعها التوحيد واقرآن ونبوة محمد صلوات الله عليه وسلم والفسكر الإسلامي الأصيل .

لقد كان ساطع الحصري مدرباً للتعليم في الدولة الاتحاجية التي حكمت تركيا بعد إسقاط السلطان عبد الحميد بمفهوم العلانية والطورانية .

وقد تعلم في مدرسة الاتحاجيين ، وآمن بفلسفتهم ، ونقل فكرهم ومذاهبهم إلى العرب ، وذلك في سبيل تزويق الوحدة الإسلامية الجامعية عرباً وتركياً وفرنساً وخلق أسلوب اقرميات والآقليميات التي تقسم على الصراع والاستعلاء بالجنس والعنصر .

وهو أول من حمل لواء العنصرية والعرق والدم بدليلاً لمفهوم الإسلام الذي يقوم على الأخاء الإنساني . وقد كان فلاسفة الفكر القومي التركي من الاتحاجيين تلاميذ الفلسفة الوضعية متبعين بالنزعة الطورانية المدوانية . وقد استمد ساطع الحصري مفهومه للعروبة من مفهوم القومية الغربية ، والنظرية التي طبقها الاتحاجيون في تركيا . فقد ركز على اللغة والتاريخ وعزماً عن الفكر الإسلامي الجامع ككل كما ركز طه حسين على الأدب وعزله عن وحدة الفكر الإسلامي .

ونظرية ساطع الحصري التي روحت لها بعض الأحزاب السياسية الغربية قد أثبتت خلال أكثر من ملائين عاماً فشلها الذريع ، وعجزها عن العطاء ، لأنها فرغت مفهوم العروبة من قيمة وتاريخه وعنصره الأخلاقية الروحية وجعلته مفهوماً مادياً خالصاً .

ولند اعتيرف ساطع الحصري بأن إسرائيل قومية تقوم على الدين ورفض

اعتبار الإسلام مقوماً بوصفه ديناً (مفهوم الالاهوت). ذلك أن مفهوم ساطع الحصري للإسلام ناقص، فهو يراه ديناً لا هوية وليس ديناً ومنهج حياة ونظام مجتمع على النحو الذي يؤمن به دعامةعروبية الإسلامية.

لقد فهم الإسلام على أنه «دين عبادي» كما فهم الأوروبيون المسيحية، ولم يفرق بين الدين بعامة والإسلام، ولم يفرق بين العصر والبيئة والجذور الثقافية التي يختلف فيها عن مفهوم القومية في أوروبا.

ولقد كان مفهومه للفروعية ناقصاً . فلم يصل إلى مفهوم «العروبة المتراطط مع الإسلام» ، هذا الترابط الجذري الذي لا سييل ولا فسقاك عنه.

ويزكي كثير الباحثين أن ساطع الحصري لم يعايش المناخ العربي قبل أن يضع بمحوره آرائه ، وأنه استهدي بمناخ البلقان والنظيرية الألمانية في حر كنه القومية التي رفع فيها شعار اللغة في مواجهة الدولة الثانية للتخلّي عنها ، وأنه كان حاذقاً على الترك حقد الحافل المسؤولية التي احتضنت الانتحاريين ووجهتهم وجهها ، ودفعهم إلى الدعوة إلى الذئب الأغبر كرمز لها بدلاً للقرآن.

وقد كان أكبر أساتذته في مفهوم القوميات «ماكس مولر» و«نوردو»، وهما فيلسوفان يهوديان قدما من وراء نظرية اللغة إلى إحياء القومية اليهودية.

وقد أعتبر ساطع الحصري اللغة أساس القومية ، وعارض نظرية الأرض التي دعا إليها أنطون سعادنة دون أن يتتبّع إلى أن الفكر لالله هو مصدر الوحدة.

وقد أجرى ساطع الحصري الجدل حول عديد من النظريات الأوروبيه في القوميه دون أن يواجه جوهـر المفهوم العربي الإسلامي المصدر والجذور: هذه الجذور التي تجعل من العسير فصل المقهـعن انفكـر وإعتبارـها مـقـومـاً منفصـلاً، أو الـاعـبـادـ على نـظـيرـة بـقاءـ اللـغـهـ أو ضـيـاعـ اللـغـهـ معـ أـنـ الـاسـاسـ هوـ بـقاءـ المـقـيدةـ والـفـكـرـ الـذـيـ يـحـمـيـ وـجـودـ الـآـمـ الـحـقـيقـ.

والواقع أن ساطع الحصري كان غربيـيـ السـكـرـ أـسـاسـاًـ بلـ وـغـرـبـيـ الـدـوـقـ.

أبعدهم النطق ، وأن تركيبة الثقافي والإجتماعي يحول بينه وبين تبني نظرية عربية إسلامية أصلية مستمدۃ من واقع الأمة الإسلامية وكیانها ، وذائقتها التي لا تفصل فيها اللغة والتاريخ عن الفكر نفسه . وفي ذلك مقالة أو جهل . ذلك أن اللغة العربية ليست لغة أمّه خسب ولکنها في نفس الوقت لغة فکر وعقيدة ، فإذا كان العرب وهم مائة مليون يتحدثون بها فإنها لغة العقيدة والفكر لأنّه ما يزيد على ألف مليون من المسلمين يربطون بالقرآن الكريم والسنّة الشريفة ، وذلك التراث الضخم من الفقه والعلم والتاريخ . وأن اللغة لا تفصل عن الفكر وأن تاريخ العرب لا ينفصل عن تاريخ الإسلام .

ومرجع ذلك إلى أن ساطع المصري نشأ — كما ذكرنا — في بيتهما الأتحاديين الآتراك الذين كانوا صناعَ الفكر الغربي ، والذين نشأوا في أحضان المنظمات الماسونية ، وحملوا لواء الإيمان بالفصل من الدين والمجتمع ، وفهموا الإسلام فيما غريباً على أنه دين لا هوى .

وعلى هذا الفهم الخاطئ القاصر قامت نظرية ساطع المصري التي لمعت سنوات تحت تأثير الحدّاد والأهواه حتى أن بعض دعاة المسؤلية في العالم العربي راح يفسر عن طريقها تاريخ الإسلام كله فيرى أنه تاريخ قومي عنصري عربي ، ومن ثم وجهت عبارات الحقد والخصومة إلى الأمة الإسلامية وهذا هو الثرة الحقيقة التي تهدف إليها حركة الغزو الثقافي التغريبي من طرح هذه النظرية القومية ، الأقلية العنصرية المدعوانة الوفدة . بدلاً عن المفهوم الأصيل العروبة في إطار الإسلام كما كان يفهمه شكيّب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وحسن إلّينا ومصطفى السباعي ومحمد المبارك .

هذه النظرية المضطربة التي خدع بها ساطع المصري الكثيرين ، التي سايرها كثير من المثقفين قبل أن يعرفوا سموها الحقيقة . فلما عرفوها هاجروها وكشفوا زيفها .

والنظرية مضطربة من أساسها . ولو كان ساطع المصري حسن إليه لصح

هوفقة من فهم الدين فهماً غريباً لا يكياً وفهم الإسلام بمعناه الجامع بين المعتقدة ونظام المجتمع . لقد أعتمد أساس نظرية مفهوم الدين الاهوئي بمفهوم أوريا والهرب للدين ، ولذلك عجزت النظرية عن أن تتحقق في إطار الفكر الإسلامي ، بل إن كل الناصل التي عالجها كانت عناصر البيئة الغربية في مواجهة الصدع بين الجامعة المسيحية الأوروبية وبين القوميات الأقلية والى كانت ورائها اليهودية الصهيونية لتزكيق هذه الوحدة والسيطرة على كل قطر على حدة . وهو نفس ما أرادته بالنسبة للجامعة الإسلامية التركية التي وقفت أمام دخول الصهيونيين إلى فلسطين و موقفهم من السلطان عبد الحميد واضح معروف .

إن كل التجديفات التي تعاملها نظرية القومية الواقفة لا توجد أساساً في المناخ الإسلامي هذا فضلاً عن اختلاف مفهوم (العروبة) عن مفهوم القومية في الغرب فضلاً عن اختلاف مفهوم الإسلام عن مفهوم الدين بصفة عامة .

ومصدر خطأ ساطع الحصري أنه يجز عن فهم أبعاد الفكر الإسلامي وأعمقه ، وعلاقة العرب بالإسلام ، وعاش في مؤلفاته خادماً لنظرية القومية الأوروبية الواقفة التي قدمها التفود الأجنبي من بين مقام ليحطم الوحدة العربية الإسلامية الجامعة بعد أن يعجز عن فرض الأقلويات القائمة على التاريخ القديم كالفرعونية والفينيقية والأشورية والبابلية .

وذلك أنه لما رأى هذه المحاولات تهافت ورأى أن العرب يتوجهون إلى الوحدة أراد أن يفرغ هذه الوحدة من مضمونها العقائدي الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة إلى مفهوم انتصادي مادي صرف ، وبذلك فشلت نظرية القومية الواقفة كما فشلت مناهج التعليم الغربي ، والقانون الوضعي وأسلوب التنظيمات السياسية الليبرالية وغيرها .

ولقد وقف ساطع الحصري في وضوح موقف الخصومة والخذد والتحصب على الإسلام كلاماً عرض له ، وقد تجاوزه طويلاً في أبحاثه لأن العرب لم يعرفوه خلال تاريخهم الطويل . وكانت حماقتاته للفصل بين اللغة العربية والفكر الإسلامي

من ناحية . وبين تاريخ العرب وتاريخ الإسلام محاولة ساذجة . ثم كشف نفسه وأسقط مكانته كاملة حين أتت به القومية اليهودية القاتمة على الدين ، بينما عارض عنصر الدين في فهم القرمية العربية وإن كانت كلة (دين) لا تؤدي معنى الإسلام حين يكون البحث حول المروبة .

وقد ثبت أن ساطع الحصري قد خدم بدعوته وفكرة مفاهيم المسئولية والنظرية القومية الواقفة التي كان الفوذ الغربي حريصاً على تلقينها للعلم العربي . وهي ليست إلا صورة من مفهوم الأقلية العلانية والمعروف أن ساطع الحصري كان من أعمدة وزارة المعارف في تركيا متذلاً أوائل حكم الاتحاديين في تركيا العثمانية إلى أن انتهت الحرب الأولى . وإنما كان من آخر الموجين للبرامج التربوية والتعليمية في العراق . حيث عمد إلى فصلها عن الإسلام فصلاً تاماً . وكان دورهأشبه بدور الدكتور طه حسين في التعليم المصري .

لقد حاول ساطع الحصري أن يقيم (فكراً عروبياً إقليمياً) منفصل عن الإسلام في روحه ومضامينه وشريعته . ولقد تجاهل أعماق الآخر ترك الإسلام في الفنون والثقافة ، واللغة والتاريخ وتجاهل أثر القرآن الكريم في اللغة العربية وفي العرب ، ومدى ترابط ذلك إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة بالأمة الوسطى الخنفيسية السمحاء التي جاء بها إبراهيم عليه السلام فربطت هذا العالم الوسطى (علم العرب والإسلام) بروابط تاريخية وثقافية عميقة دعمتها الأديان السماوية التي نزلت في أرض الرافدين ، وختمتها رسالة الإسلام العالمية التي نزلت في الجزيرة العربية .

(٢)

عجز الحصري عن فهم الفارق بين الكتلة الإسلامية

والقومية الغربية وبين العروبة والإسلام

أشار ولIAM L . كليفلاند في كتابه [ساطع الحصري من الفكره العثمانية إلى العروبة] إلى ما ترتب على توجهه القومي فيما بعد مؤيداً في ذلك فلسفة الحصري التي نسبت إلى التربية خطاً عظيماً في تكوين الآراء والآهواه والاتجاهات فالحصري تعلم في المدرسة الملكية في إسطنبول ولم يستطعه القرآن مثلما كان يفعل معظم تلاميذ السلطة العثمانية في عصره .

ويرى كن كليفلاند على هذا الفعل في حياة الحصري ويرى أنه هو السبب في أن ظهر في كتاباته بصورة المعادي للإسلام لا سبب واضح إلا أن النسخة القومى الأوربى معاد للكتلة لسبب تاريخى أوربى خاص .

فالدين فى أوروبا أخفق فعلاً فى منع اتحاد أولئك الذين قدر لهم الارتباط بأسباب تحدى الدين ، كما يقول كليفلاند : لكن الإسلام إستطاع أن يوجد شعوبًا لم تكن العوامل الأخرى قادرة على توحيدها .

لقد أشار كليفلاند إلى تأثير الحصري ب موقفه المتشاقض الحاد بين القومية والكتلة فى أوروبا وهو ما ليس له مثيل في المجتمعات الإسلامية بل أن كليفلاند يرى أن موقف الإسلام من القوميات مختلف عن موقف المسيحية في الغرب .

ويرى أن الإسلام كان قادرًا على التوحيد الحضاري الذي يقرى على الزمن ، حيث ينزع الباحثون إلى اتخاذ عروبة القرآن نموذجاً على عوامل التوحيد الحضاري وإن كان الإسلام أحدث نتاجات حضارية أخرى فأنشأ تراثاً غنياً إسْتَهْنَاعَ

يوحد مجتمعات لم تكن جميعها مسلمة بالضرورة فالالفتوحات الإسلامية دفعت المسلمين إلى دراسة الجغرافيا والعلوم العسكرية وتدوين الواقع والتاريخ وتنظيم الادارة وتطور النظم الضريبية والرياضيات والموسقى والمعمار ، وهذه جميعها شكلت حضارة إسلامية ذات سمة خاصة وهي سمت الإنسان الملتزم إليها أيا كان دينه أو مذهبـه .

أما الاتساع الحضاري في أوروبا في عصر ظهور القوميات فسئلـك ماـنـك مختلفـةـ أهمـ ماـ فيهاـ اللـغـاتـ العـامـيـةـ هيـ التيـ عـبـرـتـ عنـ هـذـاـ الـاتـسـاعـ الحـضـارـيـ فـكـأنـهـ لـابـدـ منـ أنـ تـوـرـ الـقـومـيـاتـ النـاشـئـةـ عـلـىـ السـلـطـةـ الـأـسـمـيـةـ اـتـيـ كـانـتـ تـمـثـلـاـ السـكـنـيـكـ ،ـ فـ مـؤـسـسـاتـهاـ وـسـلـطـنـهاـ ،ـ أـمـاـ الـاسـلـامـ فـلـمـ يـكـنـ لـهـ يـوـمـاـ تـلـكـ الـمـؤـسـسـةـ الـدـينـيـةـ الـمـركـبـةـ الـكـهـنـوتـيـةـ وـلـاـ اـحـتـكـرـتـ فـيـ التـشـرـيعـ جـهـةـ مـنـ الـجـهـاتـ وـكـانـتـ لـهـ فـيـ الـمـقـابـلـةـ وـاحـدـةـ بـجـمـعـ الـمـسـلـمـيـنـ اـهـ .ـ

هذهـ هـيـ الـفـوـارـقـ الـعـمـيقـةـ بـيـنـ الـاسـلـامـ وـالـعـرـوبـةـ وـبـيـنـ الـمـسـيـحـيـةـ وـالـغـربـ وـالـقـومـيـاتـ الـتـيـ عـبـرـتـ سـاطـعـ الـحـصـرـيـ عـنـ فـهـمـهـماـ حـينـ حـاـوـلـ أـنـ يـدـقـقـ الـمـوـذـجـ الـغـرـبـيـ فـيـ الـعـلـاـقـةـ بـيـنـ الـمـسـيـحـيـةـ وـالـقـومـيـاتـ عـلـىـ الـاسـلـامـ وـالـعـرـوبـةـ .ـ

وـمـنـ هـنـاـ كـانـ فـشـلـهـ وـسـقـوطـ نـظـريـتـهـ وـعـزـزـهـاـ عـنـ الـاسـتـجـابـةـ الـحـقـيقـيـةـ ،ـ عـلـىـ هـذـاـ التـحـوـيـلـ الـذـيـ كـشـفـ عـنـهـ وـلـيـامـ كـلـيفـلـانـدـ فـيـ كـتـابـهـ عـنـ سـاطـعـ الـحـصـرـيـ .ـ

وـيـقـولـ كـلـيفـلـانـدـ :ـ أـنـ الـاسـلـامـ لـمـ يـنـقـضـ الـعـرـوبـةـ بـلـ أـغـنـاهـاـ وـأـهـدـهـاـ بـكـاجـاتـ حـضـارـيـةـ جـعـلـهـاـ صـفـهـ وـسـمـةـ خـاصـةـ بـيـنـ الـأـمـمـ وـأـمـكـنـتـهـاـ مـنـ أـنـ ثـرـتـ مـرـمـهـ وـقـارـعـةـ الـغـربـ الـتـيـ حـلـلـاـ الـفـرـسـ عـلـىـ عـاـنـقـهـمـ عـشـرـةـ قـرـونـ مـنـذـ مـاـ قـبـلـ الـإـسـكـنـدـرـ ،ـ وـأـصـبـحـتـ هـذـهـ حـضـارـةـ إـسـلـامـيـةـ عـنـ الـعـرـبـ مـنـ سـمـاتـ قـومـيـهـمـ وـمـلـاـعـهـمـ الـمـيـزةـ أـيـاـ كـانـتـ عـقـيـدـهـمـ الـدـينـيـهـ .ـ

وـغـاـيـةـ مـاـ يـقـولـ كـلـيفـلـانـدـ :ـ أـنـ التـنـاقـصـ الـمـاـدـ بـيـنـ الـقـومـيـةـ وـالـسـكـنـيـكـ فـيـ أـورـيـاـ

لا يجد له مثيلاً في المجتمعات الإسلامية، وهذا هو سر موقف الحضري الجاف من الإسلام غير أن البعض يرى: أن ساطع الحضري إنقلب من مفهوم الاتحاديين حول القومية الطورانية إلى العروبة أو نقل مفهوم الاتحاديين إلى العروبة أو حاول تقديم المفهوم الملائكي الذي تجمع حول فكر الطورانية الذي قدمه أعداء الإسلام وأصحاب الولاء الغربي، حيث حاول تقديم هذا الفكر في قضية الإسلام والعروبة ومن هنا كانت تجاوزاته ومحاذيره .

الفصل الثامن

سلامة موسى

卷之三

10. *Journal of the American Statistical Association*, 1953, 48, 37-42.

Journal of the American Statistical Association

(١)

محاولة إعادة سلامه إلى الحياة محاولة خاسرة وقد باءت بالفشل التربيع .
سلامه موسى الرجل الذى لم يعرف في تاريخه الطويل موقف يدعو فيه لتحرير مصر من الاستعمار البريطانى وقد سقطت جميع آرائه وكشفت حركة اليقظة عن زيفها وفسادها .

لقد كانت كل كتابات سلامه موسى وأفكاره في حقيقتها جائع خيوط المخطط المأسوى التلمودي بباطله وهدمه وأخذه ولقى عرض أن سلامه موسى كان يلفظ الإسلام والمسيحية مما وهو الذى أضاف إلى قائمة الرسل والأنبياء فرويد وماركس ودارون ولينين .

كان السؤال الأهم في الندوة عن الظاهرة الخطيرة التي حاولت بها بعض الجهات طرح كتب سلامه موسى في السوق مرة أخرى بأعداد كبيرة ، ونشرت عدداً من كتبه ماعداً كتابه (اليوم والغد) الذى قال بعض أصحاب الولاد أنهم لن يعيدوا طبعه والسر أن هذا الكتاب يكشف حقيقة سلامه موسى ، ودعوته المسمومة ، والشعوية والماركسيّة جميعاً .

والحق إن كتابات سلامه قد تجاوزها الزمن ، ولم تهد تمثل أى عطاء ثقافي بعد أن سقطت كل هذه الدعوى التي روجها الاستشراق والتغريب في الثلاثينيات والأربعينيات . . شأنه في هذا شأن طه حسين ومحمد عزمي وعلى عبد الرزاق ومن تبعهم أمثال حسين فوزى وتوفيق الحكيم ولويس عوض وغيرهم .

والواقع أن النفوذ التغربي لا يهد ولا يتوقف عن فلاته وإن بدا أنه يغير جلده بين حين وآخر ليخدع أجيالاً جديدة بتلك السموم التي قدمها على أيدي حملاته ثم تكشف زيفها .

دعا سلامه موسى إلى استعمال العاصمة وهدم العربية » وجدد الدعوة

لويس عوض في مصر ويوسف الحال وaines فريجيه في الشام وكانت النتيجة
هي الفشل المحقق .

دعا سلامة موسى إلى الفرعونية وجدد الدعوه بعده كثيرون ولم يصلوا
إلى شيء .

دعا سلامة موسى إلى الفرعونية ، وجدد الدعوة إلى إبطال حكم من أحكام
الدين وذلك ببيان ميراث المرأة ، وقد لاقته الباحثون درساً قاسياً مثيراً .

دعا سلامة موسى إلى المalar كسيه وقد كشفت الأيام زيف دعوه وفساد وجهته .
والحقيقة أن سلامة موسى لم يكن إلا رجلاً يحمل التراب فيذروه في وجه
الناس حقداً وكراهة لهذه الأمة أن يتحقق لها أملاك إرادتها وخدمة لكل
التيارات الخاقنة عليها والكارهة لها . وفقد كان الكاتب في هذه الفترة يعترف
بأنه ماركسي أو غربي أو داعياً لنفرنسا أو إنجلترا ولكن سلامة موسى كان يعمل
لكل هذه الجهات عن طريق المسئولية والمحظوظ الصهيوني الذي كان يخوضن كل
فكره . فكان ينشر من كتائمه مقتطفات عن (دارون) ومذهبة ، وعن
(فرويد) ومذهبة ، وعن إقليمية مشوبة بالفرعونية ، وعن العامية مشوبة
باللاتينية ويختضن كل كتاب هذه السوم من (ولكوكس) إلى (ماركس)
ويدعى ا ويناقض دعورته مدح الخديو إسماعيل ، وموالاة الاستعمار البريطاني
ولاري ب فقد تخريج سلامة موسى من مدرستين :

من مدرسة تربية أبناء العرب الذين يقعون في خان القوى العظمى فقد ذهب
سلامة إلى بريطانيا وفرنسا في ذلك الوقت الباكر وجد لهذه الغاية أما الأخرى
فقد كان تابعاً لمدرسة شابي شمبل ، جورجي زيدان ، وفرح أنطون ، وبقرب
صروف ، هذه المدرسة التي كونها التبشير في بيروت ، ثم قذف بها إلى مصر
والبلاد العربية فتولت مقاليد الصحافة والثقافة وحملت حقدها الوافر على الإسلام
والخلافة الإسلامية ، واللهجة العربية ، و تاريخ الإسلام وسيرة الرسول ﷺ .

إن هناك وقائع خطيرة كافية لحقيقة سلامة موسى بعد أن فضحه أصحاب

دار الفلاح الذى كان يعمل عنده ، ويحصل من ورائهم بعض الجهات لتشي بهم (أبريل ١٩٣١ — مجلة الدنيا الجديدة) وقد نشرت بالزنگراف خطاباته الى شرل فهارستشول :

كتب هذا أبان وزارة اليد الحديدية التي شكلها محمد محمود ، وتاريخ الخطاب ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ وهو لا يزال في دار الم FLAG ما يزال يتلقى مرتبه منها ، ويدخلها كل يوم يتسم في وجه أصحابها ، ويظهر لهم الود والأخلاق وفي الوقت نفسه يدرس لهم ، ويتحجس عليهم ، ويرسل التقارير إلى وزارة الداخلية .

ثم عاد يتسمس بالوفد (أبريل ١٩٣١) فكشفت دار الهلال هذه الوثيقة وقالت: «أنت تخسّس اليوم بأعتاب الرفد، وتعلّق بزعيم الوفد إن لدى دار الهلال العهان القاطع على ثباتك وغدرك».

لم يقف الأمر عند هذا الحد .. فقد أرسل خطاباً (نشرت صحف دار
البلال) صورته الزنكسفرا فيه موجهاً إلـي الأستاذ حسين شفيق لمصرى في ٣ نونبر
١٩٣٠ هذا نصه :

عزمی حسین :

بعد التحية : تعرف المخصوصة بيني وبين المسؤولين (أى أصحاب دارالاىال) فأرجوكم أن ترسل لي خطاباً على اسنان سورى وقع يشتمى فيه بإضفاء إسكندر مكادوس أو غيره من الهاكسوس . وأنا في انتظار الخطاب .

أَخْوَلُهُ سَلَامٌ مُوسَى

وقد علق الأستاذ حسين شفيق المصري على هذا يقول :
كان يريدني أن أزور خطاباً ، وأن أفتري على أمّة ، وأن أنزل إلى الدرك
الأسفل من النزاله بالكيد لقوم ليس بيني وبينهم غير الصدقة والمؤدة .

هذا اللعب من لعب الصبيان فعجيب أن يكون منه وهو يتأدي بأنه فيلسوف
من علماء النفس ، أغفر له كل شيء إلا أن يظن بي ماظن من الجهل والحق . وهو
يدعوني إلى كتابة ذلك الكتاب الذي أشتمنه فيه بتوقيع رجل برىء لا ذنب له
إلا أن في الدنيا رجالاً لا يحاسرون ضمائركم ، ولا يرون أبعد مما بين أنوفهم
وجبابهم .

بل ويذهب سلامه موسى إلى أبعد من ذلك فيقول :

« وما يدل على أن حركتنا الوطنية بأيدي ناس غير قادرين على الاصطلاح بها
أن الحركة التي قامت في العام الماضي وكانت غايتها إصطناع القبة فاعونها
وقتلواها في مهدها . فأثبتوا بذلك أنهم لا يزالون آسيويين في أفكارهم ، لا يرثبون
في حضارة أوروبا إلا مكرهين . وقد أدرك مصطفى كمال الذي لم تتعجب بعد من حضرتنا
رجالاً مثله ولا زيهنه ولا يعرف مقدار ما للقبعة من القيمة والإعلان بالإخلاص
عن آسيا ، والانضمام إلى أوروبا ، ولم يمنع لاستعمال السيف في هذا » .

ويقول :

هذا هو مذهبى الذى أعمل له طول حياتى سراً وجهراً فأنا كافر بالشرق ،
مؤمن بالغرب وفي كل ما أكتب أحارب أن أغرس في ذهن القارئ تلك النزاعات
التي إسمت بها أوروبا في العصر الحديث ، وأن أجعل قرائي يقولون بوجوههم
نحو الغرب ، ويتصلون من الشرق ... ليس هناك حد يجب أن تقف عنده في
إنقباضنا من الحضارة الأوروبية .

ويقول :

وليس علينا للعرب أى ولام ، وإدمان الدرس لثقافتهم مضيعة للشباب ،

وبعده لفواهم . وكيف يمكننا أن نعتمد على جامعة دينية بينما في العالم نظرية تقول : أن الإنسان لم يكن راقياً فابحث كما تقول الأديان . بل هو كان منحطاً فالفرق تكمن هنا في نظرية انتظار بل كيف يمكن لانسان مستيراً فرأى تاريخ السحر والمقاتلة أن يطلب منه أن يخدم جامعة دينية . إن الجامعة الدينية في القرن العشرين وقادها شيخه .

ويقول :

لاغرفة بما يقال من أن الإسلام أمر بالشوري فإن خطب جميع الخلفاء ثبّت لهم كانوا ينظرون إلى أنفسهم نظراً بأيوب بل البابا نفسه إذا قيس إليهم بعض الأشياء يعد دستوراً .

ويقول :

إن أكبر تجربة إجتماعية رأها العالم هي الشيوعية الروسية الحديثة وظهور الشيوعية هو بمثابة حاجز بين الماضي والمستقبل فهي تفصل الاثنين فصلاً واحداً وهي على ما فيها من تقاضل اليوم وعلى مابين الناس البعدين عنها من الرعب فإنها ستكون بذرة بحثة أنظمة إجتماعية في المستقبل .

وهكذا تحوى كتابات سلامه موسى كل التسوم التي علموه أن يثيرها في أفق العرب والمسلمين يوماً بعد يوم ، علدوه أن الاشتراكية هي الهدام الأكبر لل المسلمين واذراره كل ما هو هرب ، والداعية الشيوعية ، وكذلك الداعية للإباحية .

يقول سلامه موسى :

ليس من وصلحة الإنسان أن يعيش في قفص من الواجبات الأخلاقية ، يقال له هذا خشن فابتعد وهذا سيء فإيجاده

وعلوه الدليل على انتقامه من العرب والآسيويين .

يقول سلامه : وحي أيضا :
 وأجل يجب أن ترتبط بأوروبا ، وأن يكون رباطنا بها قوياً تتزوج من أبنائنا
 وبناتها ، ونأخذ منها كل ما يجده فيها من اكتشافات وابحاث وتطور للحياة
 نظرها ، وتطور منها تطورها الصناعي ، ثم تطورها الاشتراكي والاجتماعي ،
 وبجعل أبنينا يجري وفق أثباتها بعيداً عن منهج العرب ، وبجعل فلسفتنا رافق
 فلسفتها .

هذا هو سلامه موسى الذي يزعمون أن يحيوه مرة أخرى ويجددوا مكره ،
 هذا الفكر الذي يحتذوه المسلمين والعرب اليوم وإن كانوا قد خدعوا به هناك
 يوم كان دعوة التغريب تموي كتاباتهم بالسموم !

إن ما قدمه سلامه موسى عن الماركسية والفرويدية والدارونية هي كلامات
 بمحنة قد جاوزها البحث العلمي الآن ، وكشف زيفها فقد ظهر الآن فساد مادعا
 إليه دارون وتبيّن أن وراء إذاعة دعواها ونشرها كانت التلمودية التي ت يريد أن
 تقول أن الإنسان حيوان لم يهد لفرويد اليهودي نظريته في الجنس وكانت الماركسية
 والفرويدية والدارونية من أدوات الفكر الصهيوني ، الذي حاول أن يؤسس
 مدرسة في البلاد العربية والإسلامية . كما دعا إلى اليهائية التي عرفها في لندن
 سنة ١٩١٤ عندما اتصل بجماعة الدهريين ولم يدع كتاباً من كتبهم لم يقرأ أو مكانت معظم
 مؤلفاتهم في نفس الأديان السماوية — على حد تعبيره — ولا بد أنه اتصل بمحافل
 الماسونية ، وتعلم فيها فأأن كل اتجاهاته كان ماسونياً تلمودياً ولم تعرف حقائقه
 إلا بعد أن ترجحت بروتوكولات صهيون إلى اللغة العربية عام ١٩٤٨ وأن كل
 خواشاهه وخطبه كان ثمرة هذه التبعية الماسونية التلمودية وقد أشار كثيرون إلى
 أنه لم يكن مسيحياً صادقاً وإنما كان ولائه لفرويد وماركس .

وقالوا الشجرة الفلستية تمر ثمار ديننا وكل شجرة لا تمر ثمراً جيداً قطع
 وتلقى في الطريق

ولا ريب أن دعوة سلامه موسى إلى وحدة الأديان هي من مفهوم اليهائية ،
 وأن اهتمامه بالسلطان « أكبر » اليهودي الذي أجرى هذه التجربة داخل في دعوه

كذلك دعورته إلى وحدة الوجود ، ومذهب (سيبو نزا) في وحدة المادة والقورة والروح والجسد هي من طريق خطه الواضح وكذلك فهو يرى أن حرق جثمان الميت أظهر وأنظر !

وقد تمنى سلامه موسى أن يحرق جسمه بعد موته ، وقد عمل على نشر آراء تو لستوى وغاندي لأنها تحاول مواجهة مفهوم الإسلام الجامع ومفهوم الجهاد وحتى ديانة المسيحية فإنها لم تسلم من مفهومه وهو يعتقد أنها جبعت عن عقول الناس نور الثقافة اليونانية وحررتها ، وأن هذا الحجب والمحاجة ظل أثما وأخيماته سنه حتى بدأت بشائر النهضة الأوروبية التي كان أساسها الخروج عن سلطان الكنيسة وأطياقيها على النفس والعقل البشريين ، والعودة إلى أسس الثقافة اليونانية وحررتها .

وقدبشر بدين جديد دعا إليه ودخل هذا الدين في عقيدته، أنه [دين البشرية] كما يسميه وهو مادعا إليه (أوجست كوت) ويرى أن دين البشرية بذرء من ديانة بوذا وهو دين لا يدعى إلى الإيمان به ، أو الخلود في العالم الثاني ، ولا ريب لهذا الاتجاه الذي استكمله بانيا آخرين آمن بهم ماركس وفرويد ويوحى باسونية وولاته التلودي الصريح ، كذلك فإن دعوته إلى العالمية هي دعوه الصهيونية العالمية التي تزيد هدم الأمم المسلمة في مرحلة ضعفها واحتواها للسيطرة عليها وتذليلها في أتون الأممية .

ولا ريب أن حمة سلامه موسى على اللغة العربية الفصحى ، والشعر والأدب العربي هي دعوه مبنية للحملة على الإسلام والقرآن وهي الدعوه التي حل لواءها ليس بوض مركب وتقى دعورته في مجموعة موالاة الدعوة الشعورية التي ترمي من وراء القضاء على العرب وكيانهم إلى القضاء على الإسلام باعتبار أن ذلك هي قاعدته الأساسية .

لقد كانت أصدق كله لباحث معاصر أنه لم يعرف سلامه موسى مقال وطبي واحد دعائياً إلى تحرير مصر من الاستعمار البريطاني .

أن حاولة إعادة سلامه موسى إلى الوجود حاولة باطلة فقد شقطت آراؤه
جيمها وكشفت حرکة البقظة عن زيفها وفسادها .

ما هو رأي مصطفى صادق الرانعى في سلامه موسى ؟

يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى :

رأى في سلامه موسى معروف . لم أغيره يوماً . فإن هذا الرجل كالشجرة
التي تثبت مرأ . لاتخلو ولو زرعت في تراب من السكر ، مازال ي تعرض لي منذ
خمس عشره سنة ، كأنه يلقى على وحدى أنا تبعه حماية اللغة العربية وإظهار محاسنها
وبيانها ، فهو عدو دينها وقرآتها ونبيها ، كما هو عدو الفضيلة أين وجدت
في إسلام أو نصرانية .

دعا هذا المخنوول إلى استعمال العامية وهم العريبيه ، فأخراء الله على يدي ،
وأذريه ، أنه لا في غيرها ولا تفريها . وأنه في الأدب ساقط لا قيمة له . وفي اللغة
دعى لا موضع له ، وفي الرأى حقير لا شأن له فلما ضرب وجهه عن هذه الناحية
وافتضح كيده دار على عقيبه واتنس إلى غرضه الذي من ناحية أخرى ، فقام
يدعو إلى (الأدب المكشوف) فأخراء الله مرة أخرى ولم يزد بعلمه على أن
انكشفت هو ، فلما خاب في الناحيتين ، اتجه إلى الشارع الثالث فانتقل إلى الغيرة
على النساء والإشراق عليهن ، وقام يدعو المسلمين إلى إبطال حكم من أحکام دينهم
ولبساط نص من نصوص قرآتهم ظناً منه أنهم إذا تجرأوا على واحدة هانت
الثانية ، وانفتح الباب المغلق الذي حاول هذا الأحق فتحه طول عمره من نبذ
القرآن وترك الإسلام ومحشر العريبيه كان إيليس لعنه الله قد كتب على نفمه
(كمبالة) تحت إذن وأمر (سلامه موسى) إذا محيت العريبيه أو غير المسلمين
دينهم أو أبطلوا قرآتهم ، فـ كانت البدعة الثالثة أن يدعو المسلمين جهرة إلى مساواة
الرجل بالمرأة في الميراث ، فأخراء الله .

ثم قام هذا المفتون يدعو إلى الفرعونية . ليقطع المسلمين عن تاريخهم ، وظن
أنه في هذه الناحية ينسيهم لغتهم وقرآتهم وأدآهم ، ويشغلهم عنها بالمصر ولوجيا ،
والوطني ولوجيا ، ثم أتم الله فضحه بما نشره أصحاب داء الملال .

ويقول الأستاذ ابراهيم عبد الفادر المازني تحت عنوان :
سلامة موسى ليس بشيء لافت لم يكن دجالا !!

بضاعته بصناعة الحواة المشعوذين وله حركتهم وإشاراتهم وأسائلهم . يرغم نفسه أدبيا ، وتعالى الأدب عن هذا الدجل ، وبدعى العلم ، وجل العلم أن يكون هذا دعاؤه ، ويحاكي الملاحدة ليقول عنه المغفلون أنه واسع المذهب ، وليتنسى له أن يضرم الإسلام ويبسط لسانه في العرب ، والحقيقة أنه لا أديب ولا عالم ، وإنما هو مشعوذ يقف في السوق ، ويصفر ويصفق ويصخب ، ويجمع الفارغين حوله بما يحدث من الصياغ الفارغة والضجعة الساذبة .

لقد آن لمن تعنفهم كرامة الأدب أن يقتلعوا هذه الطفليات ، وأن يظروا من حشراتها ونباتها رياضته ، وأن يقصوا عن مجاله هؤلاء الولائم الذين يتخذون أسمى ما في الدنيا وأجل ما في النفس طبولا لهم ، ويتذرون بالتبجح على الدين - على دين واحد في الحقيقة - وعلى العلم والفلسفة والأدب لنيل ما يستحقون ، ويفسدون عقول الناس ، ويبليون خواطرهم بما يغالطونهم فيه ويخادعونهم ،

(٢)

سلامة موسى : دارون ونظرية التطور

حاولت قوى التغريب دفع أفكار سلامة موسى إلى أبعد مدى بعد أن هلك ، ولكن لم يكن ذلك ليجد أى صدى ، فقد تقادم المهد الذى كانت كتاباته تملئه نفوس الشباب بسرقة خاطف ، وتبين فساد النظريات الثلاث التى دافع عنها وسوقطها :

(١) نظرية اللادينية والعلمانية وهذه قد تداعت في داخل المجتمعات التي دعت إليها وظهرت بها .

(٢) نظرية داروين التي تكشفت الأخطاء عن فسادها وزيفها (على النحو الذي يراه القارئ في الفصل الثاني) .

(٣) نظرية التحليل النفسي لفرودي وقد اعتورها زيف كبير ونكشف عن أنها نظرية تلمودية تستهدف تدمير الإنسان وتحطيم وجوده .

يقول الأستاذ لمعي المطبي : أن سلامة موسى وجه سهم قلبه مباشرة إلى عقيدة المصريين جميعا ، حيث ترجم في وقت باكر كتاب (نشوء فكرة الله) لجرانت إليه ، فهم يؤمدون إيمانا راسخا بالخلق (خالق السموات والأرض) فلماذا لأن هذا الكتاب ليعرض عليهم هذه الأفكار ومادم إقتناعه هو نفسه بها سينا وإن كان قد تتلمذ على أفكارات شبيل شميل وكتب عن الداروينية ونظرية التطور ودعى إلى العلمانية .

وقال : الانطباع الأول هو الانطباع الأخير .

لقد غفل الكاتب عن حقيقة جوهرية ، وهى أن الأمة العربية تحرض على التطور والتقدم والتحديث من خلال المحافظة على العقيدة وليس عن طريق اتناقض معها أو مواجهتها إذ أن الشعوب العربية تؤمن بأن العقيدة لا تناقض مع العلم بل أنها تدعوا إليه .

ومن أعماله أنه طالب بـاستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية في الكتابة
هل زعم أن الكتابة بالحروف اللاتينية أيسر ، فثار أهل العربية — على حق —
منذ هذه الدعوة ووجدوا منها سندًا جديداً على اتجاه الكاتب : (المعادى لعقائد
الناس ولغتهم) .

وقد تلذ سلامه موسى على أفكار أطفى السيد وفرح أنهون ويعقوب
صروف ، .

ويقول نعمن عاشر الذي كان يحضر مجالسه الخاصة : أن آراءه وإنجهاهاته
كانت تجتمع في معظمها للتقارب الجارف والخروج عن المألوف ، وكان يخفى نزعته
الطاافية وراء ستار رقيق من العلمية ، ولكنه إنضر أن يكشفها في مقالاته في
جريدة مصر ، وكان يكشفها لللاميذه في اجتماعاته الخاصة مع دعاوه الدائمة في
كتاباته إلى نبذ التحصب وأبعاد الدين عن العلاقات السياسية والمذهبيات الاجتماعية
والتعلمات الوطنية والقومية .

وقد دعا إلى الفرعونية ، وكتابه العريبة بالحروف اللاتينية ، وكانت له نظرات
محددة في معالجة الجنس فضلاً عن النظرة الاشتراكية .

وقد عمل سلامه موسى في جمعية الشبان المسيحية ، وما وصفه نعمن عاشر بأنه
« حبه على الشباب » وندواته ومحاضراته ومناظراته التي كان يشترك فيها وملتقى
كثير من الشباب المسلمين والمسيحيين الذين كانوا يؤمّنون بما يعتقدون .

(١) الاتجاه إلى المذاهب الاشتراكية .

(٢) الإيمان بالغرب .

(٣) كراهية الإسلام .

وكان يوزع على الجالسين ورقة صغيرة يستحب كل منهم رده على ما سيوجه
إليهم من أسئلة كشّاب ليعطوها له في آخر الجلسة حيث قوم بهم حصر ميداني
لمشاكل الشباب .

وقال أنه صودر في حملة عام ١٩٤٦ مع زكي عبد القادر وعصام الدين حفني ناصف

وكان قد أقام في لندن أربع سنوات تأثر فيها بالحركة الإشتراكية الفايمية وكان معيجياً بيرنارد شو وتلندز على يعقوب صروف وفرح أنطون و كان له دوره في مجلة الهلال .

ولاروب أن كتابة « نعمان عاشور » تكشف الكثير وتلقى الضوء على الحلة التي كانت تقوم عليها جمعية الشبان المسيحية في الثلاثينيات بالاشتراك مع الجامعة الأمريكية من ناحية أخرى في التشير واجتناب الشباب، ومع الدور الذي كان يقوم به طه حسين في كلية الآداب، ومدرسة السياسة (محمود عزمي وعلى عبد الرزاق) في حزب الأحرار المستوريين .

وذلك مخطط مدروس كشفنا عنه في كثير من الدراسات وهو فهو طبيعي لمدرسة سعد زغول وظفي السيد في التعليم والصحافة والأحزاب الموالية لكرفورن والاستعمار .

ولو أفصح الأستاذ نعمان عاشور لقال أن سلامه موسى كان يجتمع بالشباب بعد إختباره والتعرف عليه في غرفة مغلقة في جمعية الشبان المسيحية وكان يتناول أخطر المسائل بالنسبة للإسلام والقرآن بعد التأكد من أن الحاضرين عليه يعتقدون الإسلام ويسخرون منه وكان ذلك كله مددًا لمهد شارع المناخ الذي كان يديره (هنري كوريل) اليهودي الميسور الذي أنشأ في مصر خلايا الشيوعية وأحزابها والذي ينتمي إلى التلمذة عليه عدد كبير من الأئمة الالام الآن في مجال اليسار والشيوعية .

وعندما نطالع مواد العدد الأول من المجلة الجديدة (ديسمبر ١٩٢٩) التي أصدرها سلامه موسى بعد أن فصل من دار الهلال نجد أنه أراد أن يسجل برنامجه التغريبي كاملاً فأورد هذه الموضوعات :

العلم وحده (محمود عزمي)

المجددون يقولون بالتطور (سلامه موسى)

دارون ، الفرعونية ، الإغريق
الصراحة في المسائل الجنسية
الهانمية ، الرجعية ، الوطنية والعالمية
التجديد في تركيا
الشرق شرق والغرب غرب
المصريون أمة غير شرقية
دين البشرية
الأزمة الدينية في العالم
الفقة العربية
المادية
العقل وحده ، غاندي
السفرور في العالم الإسلامي
فولتير ، ها فلوك إليس ، نينتشه
البشرية دين جديد
التعليم
السلفيون والمجددون
رأيت أيها القارئ ، المسلم بهذه الموضوعات : هل غادرت قضية واحدة من
قضايا التغريب ، ما أحوجنا إلى بحث جامع في الرد على العدد الأول من المجلة
المجديدة ١

والى يوم وبعض أبناء سلامه موسى يحددون تراث أبيهم نراهم يخافون طبع
كتابه (اليوم والغد) لأنه يكشف خطبه ومؤامراته على العربية والإسلام واللغة
العربية (وهو كتاب قرأته وأنا في السابعة عشره) ولكنهم يطبعون كتاب

(الثورات) الذي هو خدمة أساسية للفكرة الماسونية التي تعمل على تحطيم الأنظمة الروحية والاجتماعية والأخلاقية في العالم الإسلامي « معملاً من شأن الثورة الفرنسية على أساس أنها قمة الثورات ، وإعلان الإعجاب بها مع عدم تعمق القهم المدوافع والغايات التي أحاطت بها ، وأنها هي ثورة الماسونية المفهومة التي أخذت تهدى لها منذ عصر فولتير ، وروسو ، وديدرو والتي غيرت وجه أوروبا كله في سبيل تمكن اليهود للخروج من الجيوش وإخلال الإيمان الوطني بديلة الإيمان الدين ، والقضاء على التنظيمات المسيحية التي حاولت وقف خطتهم وسيطرتهم ، وتحطيم وحدة الجامعة المسيحية في أوروبا ، بل أن البروتستانتين كما يبين من بعد كانوا في خدمة أهداف الماسونية واليهودية وأئمهم حتى الآن هم المؤيدون لفسحة وجود اليهود في إسرائيل » .

وبعد فإن مفتاح شخصية سلامة موسى هي كراهيته للإسلام والعمل في كل معسكر معاد له ، ويبدو أن سلامة موسى حين ذهب إلى لندن جندته الماسونية العالمية في ذكاء خارق وإستغلت نحلته على النحو الذي استغل شيل شيل في مواجهة الدين بصفته عامة والإسلام بصفته خاصة .

نظريّة دارون

كانت نظرية دارون من أولى السعوم التي طرحتها الفكرة الغربية الواندف في أفق الفكر الإسلامي ، لقد جاءت مع الرياح الصفراء التي هبّت على بلاد المسلمين بعد الاحتلال البريطاني لمصر ومع مقدم جماعة خريجي الدراسات التبشيرية : صروف ونمر ومكاريس أصحاب المقطم والمقططف ، ومهمنم الدكتور شيل شيل الذي كانت مهمته الدعوة لنظرية دارون والذي ترجم أشد الكتب الغربية تطرفاً في فهم هذا المذهب كتاب « بخنز » الذي يعد من أشد المتطرفين في المذهب المادي الملاحد .

وهكذا كان شيل شيل رائد هذه المدرسة التي سار في طريقها فرح أنطوان ، وأسامييل مظير وسلامة موسى مع اختلاف في الفروعات ومحاولة افتراض سخط المسلمين ، حتى كان أصحاب المقططف حملة رسالة التغريب وأعداء اللغة العربية والقيم الإسلامية

الأساسية كانوا يظلون الخلاف معه ، وذلك أنه درس الطب ولم يدرس العلوم الطبيعية ولكنها بعد أن سافر إلى أوروبا وقع الحادث الذي غير حياته كلها فقد التقى هناك بأحد علماء المادية ذلك الذي استطاع أن يدفعه في عنف نحو ذلك الطريق الذي جرى فيه ليصادم عقائد الأمة وأن كان خلافة في الأساس قائمة مع معتقداته في مجال التفكير النصراني الغربي .

لقد لقى أحد علماء المادية الذي قال له كلمة هدمت معتقداته هدما ، لقد كانت حملة شيل شمبل على النظم الاجتماعية والقيم والدين المزول أساسا ولم يكن مذهب دارون ودراسته إلا مدخلًا إلى هذه الحملة المادية التي كان يراد بها أن تجتاح الإسلام أساسا ، وقيم فلسفة الاجتماع على القوانين الطبيعية ، ولقد واجه السيد جمال الدين الأفغاني هذا المذهب عندما نشره الاستعمار البريطاني في الهند وفي مصر بكتابه (الرد على الدهريين) وتناول الرد على شمبل كثيرون في مصر والبلاد العربية في مقدمتهم العلامة فريد وجدى الذى وهب حياته لمواجهة الفلسفه المادية وكشف زيفها .

ولقد حاول اصحابييل مظہر أن يقدم منهج الشووه والارتقاء على أنه ليس معارضًا للأديان في محاولة أخرى لتفصل بين المجاهير ولكنها فشل ، كذلك فقد عرض سلامه موسى نظرية التطور ولم تلق رواجاً وقابلها الناس بمزيد من العبر وعدم الثقة فقد كانت تختلف مفهوم خلق الإنسان الذي جاء به القرآن الكريم وأصحابييل حين أعلن أن الإنسان خلق مستقلًا تمام الاستقلال عن الأنواع الأخرى .

ولقد عرضتقوى الاستعمارية (نظرية التطّور) ومفاهيم دارون على دراسات العلوم الطبيعية في أغلب بلاد العالم الإسلامي ، وأحدثت آثاراً بعيدة من الشكوك والازدواج بينها وبين مفاهيم الإسلام عن قصة الخلق وقد تعالج الصياغات في الغرب طالب بإسقاط هذه النظرية من مناهج الدراسة وفي الغرب رفعت القضايا في المحاكم للفصل في هذا الأمر .

أولاً : ليس الخطر الحقيقي في نظرية (دارون) ، ذلك أن دارون نفسه أعلن أنه على غير يقين من دعوه عن الصلة بين القرد والإنسان ، وقد قال في صراحة قاتمة : أن هناك حلقة مفقودة لم يصل إليها ، ولكن الخطر في علامة الفلسفة المادية الذين يصدرون عن مفاهيم التلذوذ والذين يطهرون في إسقاط صفة الإنسانية عن البشرية وإحلال صفة « الحيوانية » ، عليها ، فهم الذين حملوا هذه الأفكار ووسعوها ودفعوها على عسلوم الاجتماع والنفس والأخلاق والدين والأدب ، كمنطلق للصهيونية اليهودية الراغبة في تدمير المجتمعات الإنسانية بنشر دعوى المادية والحيوانية وغيرها ومن هنا اصطنعت فكرة (التطور المطلق) الذي يعارض طبيعة الحياة ومفهوم الفطرة ومقررات الدين الحق ، ومن الجائز أن يكون (دارون) لم يكن يدرك مدى الخطورة من ورائه قوله بأن الأجناس كلها من أصل واحد ، وأن الإنسان من أصل حيواني فإنه قد فتح بابا خطيرا من الشبه التقاطه أعداء الإنسان وساروا به للدعوة إلى « حيوانية الإنسان » الذي كرمه الله تبارك وتعالى وفضلة على كثير من خلقه ولم يتتبه دارون إلى مفهوم الدين الحق الذي أعلن كرامته للإنسان واستغلاله في الأرض ولقد كان لنظرية التطور وتحولها من نظرية يهولوجية إلى نظرية إجتماعية أبعد الآثر في ضرب القيم الثوابت ومنها العقيدة والشريعة والأخلاق .

ثانياً : أن دارون لم يفهم العلاقة بين الطبيعة والأنسان ولقصور نظرته وقلة أداته أكبر من شأن التنازع (تنازع البقاء) وقد حال هذا بينه وبين رفيقه (التعاون) بين الحيوان والنبات الذي هو أوسع وأعم من التنازع .

ويرى العلماء أن (دارون) أخطأ خطأ فادحاً عندما زعم أن تنازع البقاء هو كل شيء ، أو يكاد يكون كذلك ، فقد تبين للعلماء أن التعاون في الطبيعة أكثر من التنازع بل لا يكاد يكون هناك تنازع في عالم الحيوان باختصار البري الذي تفهمه لهذه السكلة .

ثالثاً : فساد نظرية الانتخاب الطبيعي التي جاء بها دارون فقد أعلم العلامة في الأخير أن هذا التفسير الذي تقدمه نظرية التطور والارتفاع قد اهتزت أساساته من جذورها ، وقد انفتحباب أمام نظرية جديدة تفسر اختلاف أجناس المخلوقات .

وأقول جين روستند (عضو الأكاديمية الفرنسية للعلوم وعميد علامة البيولوجيا الفرنسية) أن نظرية التطور التقليدية بعثناها الخرق قد غدت الآن شيئاً ماضياً ، وأنه لا يجوز تفسير التطور بمثل هذه التغييرات السطحية التافهة كاصطفاء طبيعية للجنس الأصلح لمجرد أن علامة البيولوجيا قد أخفقوا حتى الوقت الحاضر في إثبات ما إذا كان بالستطيع انتشار على تغير الأجناس أو التحكم به أو خلقه عن طريق العملية نفسها .

رابعاً : راجع العلامة مفهوم التطور المطلق الذي أصنف على نظرية التطور فأثبتوا أن حقائق الأشياء ثابتة لا تتغير وإنما الذي تغير هو الأصور فقط فنوعة الطعام لا تزال ثابتة وإنما الذي تغير هو صور الطعام وكذلك فيما يتعلق بنوعة اللباس والقتال والأخذ بالسكن ، وبرهنوا على أن التطور ليس قانوناً أخلاقياً وليس كل طور أفضل من الطور الذي سبقه فإن التطور قانون اجتماعي يتحرك في إطار اثواب و لا يقتضى مثلكما تفضيل القبور الأخيرة على الأطوار السابقة والتطور غير المطابق ، والتطور ليس كما تقدماً والجديد ليس الأصلح دوماً ، وهم بذلك قد زيفوا زعم (سبنسر) بأن التطور الاجتماعي تطور حتمي لا شعوري .

خامساً : كشف الباحثون أن دارونيه قد استغلت في محيط السياسة مما أدى إلى إيجاد جو مضطرب أطلت منه مذاهب المتصريه ، فقد كان قول دارون بأن المنابر الضعيفة يجب أن تموت أو تستأصل مما استغلته حركة الاستعمار العالمي كنظرية لتطبيقها على البلاد المحتلة .

سادساً : اتخذت نظرية التولد الذاتي (التي قال بها دارون ولamarck وأرنست

هيكل) منطلقاً إلى الأخلاص وجعلها البعض سندًا في إنكار المفسدة الميدانية ، وأخذت منها فلسفة حنلة لنفي الخالق وإعطاء الماء حسنة قادر على كل شيء ومن ثم دعى هيكل إلى (تألية الطبيعة) وإنكار وجود الله تبارك وتعالى واقول بوجدة الوجود .

سابعاً : اتخذت فكرة التطور وسيلة للقضاء على الأديان والقوانين وذاتية الأمم بإعتبار أن كل شيء بدا ناعصاً شيئاً يثير السخرية والإحتقار ثم تطور فلا قدرة إلا في الدين ، ولا وطنية ولا قانون ولا مقدس من المقدسات وبذا كأنه ما أخرجت النظرية لخدمة رجال الاستعمار والسياسة أكثر مما أخرجت لعلماء الأحياء فقد ترك آثار الصراع من أجلبقاء في أواسط السياسة وال الحرب ، وكان لمبدأبقاء الأصلح أثره في تحفظات الاستعمار وإبادة الأجناس الغلوية على أمراها ، وظهرت من خلال نظرية التغيير العنصري والاستعلاء باللون ، وفكرة الشعوب المخارة (الآلمان واليهود) ، صيغت من خلال ذلك نظرية القوة عند (نيتشه) ومن ذهب مذهبة من علماء الجرمان ، وبها انتفع دعاء الاستقرارية فوجدوا فيها سلاحهم فأعلنوا أنفسهم بأنهم الممتازون والختارون الذين ورثوا من إيمان الأمة سادة البشر ومالكي العروش وصانعي التاريخ، وتلقفها معلموا الحرب على الأديان فأخذوا يضربون بها جدار الدين ويعلون من شأن العلم عليه .

ثامناً : أكد العلماء أن التطور قانون إجتماعي وليس قانوناً أخلاقياً وإنه يتحرك في دائرة الشوابت ولكن لا يقتضي مطلقاً تفضيل تعاور الآخر على الطاولة السابق له فليس كل طور أفضل من الطور الذي سبقه ، لأن التعاور في الحياة قد يكون إرتقاء وقد يكون تردياً وإنتكاساً .

تبين من عبارة بروتوكولات صهيون ، أن دارون ليس يهودياً ولكننا عرفنا كيف ننشر آرائه على نطاق واسع ونستغلها في تحطيم الدين ، تمدربنا نجاح دارون وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم يتبيّن من هذه العبارة الهدف من

هذه العبارة المدفأة هو ترويج نظرية دارون ، ولما كان كل باطل لا يستقر ولا بد أن تتحققه عوامل الفساد فقد تكشف اليوم وبعده مائة سنة فساد نظرية دارون ، وقد أعلن العلماء أنها أسطورة قد إنهاارت ، كذلك فقد أثبتت الحفريات التي ظهرت في مختلف البقاع ، إن الإنسان خلق خالقاً مستقلًا وأنه لم ينحدر من فصيلة القرد ، وقد عارض العلماء البيولوجيون لافتراض أن الخلية كائناً من أصل واحد وأن الإنسان فرع من فصيلة الحيوان في أرق درجات وهو القرد ، وعرف أن قوى كبرى كانت وراء ترويج ذلك ، وقد جاء العلماء اليوم ليعلنوا في صراحة تامة أنه لا علاقة للإنسان بالقرد ولا تتجانس بينهما .

أولاً : البحث العلمي أسقط النظرية :

(١) جال بيفتو رئيس الجمع العلمي الفرنسي : المدوفق هذا العالم نصف قرن تقريباً على دراسة أصل الإنسان واستملاع أن يؤكّد أخيراً أن الإنسان ليست له علاقة تتجانس بالفرد وأن النظريّة التي تقول بذلك مفتقرة إلى البرهان الخامس ، وأن هذه المشابهات بين القرد والإنسان غير كافية للجزم بوجود أصل مشترك للإنسان والفرد .

ثانياً : الحفريات أسقطت النظرية :

(٢) استاذ علم الأجناس البشرية يقول : أن العلماء يستطيعون الآن أن يقولوا بنسبة ٩٩٪ من المقة أن الإنسان سار متضمناً على قدميه منذ بداية نارئنه الإنسان منذ ثلاثة ملايين سنة ، أعلن ذلك في مؤتمر صحفي (مارس ١٩٧٤) وهو يمسك في يديه بمنجم قطع من العظام رجع تاريجها إلى ثلاثة ملايين سنة عشر عاماً في أواخر عام ١٩٧٣ في أثيوبيا ، وقد ظهر الإنسان كائناً فريداً في نوعه ويمتد دنياً من الوحوش السكارمة ، وأن هذه العظام قد سدت الثغرة التي ظل العلماء يتحدثون عنها تحت إسم « الخلقة المفقودة » ، وأن ما وصل إليه الدكتور روتالد جونسون كان خاتمة حفريات كبيرة تمت خلال سنوات ١٩٦٩ وما بعدها في كينيا ووادي أفار في الحبشة ومن ثم ما تبعها أن

المباحث فريدة في نوعها تتميز بسمعة الدمامغ مما جعل العلماء يخرجون باتباع عام
وهو أن سلالة مشتركة نظورت مع إنما كانت له سلالته الخاصة المستقلة .

(٣) الدكتور بير برسون الأخصائي في علم الوراثة (جامعة اكسفورد)
أصدر بالاشتراك مع ثلاثة من زملائه قانوناً أشتهر باسم « قانون القرد » حظروا
فيه على المدارس والجامعات أن تدرس المذهب الدارويني — مذهب الشوه
والارتفاع — وذلك لبطلان النظرية التي كانت تقول : أن الإنسان هو الخليفة
الأخير من تطور انطلاق من أول أنواع القرود .

وبالجملة فقد أصبح العلامة الآآن عن طريق الكشف عن الآثرية وتقديرات العلم
التجريبي — لا الفلسفية — متاكدين بما جاء به الدين الحق وجاء به الإسلام من
أن الإنسان خلق مستقلاً وأنه سيد الخلق ، وصدق الله العظيم « سنرهم آياتنا
في الآفاق وفي أنفسهم حتى يذكرون لهم أنه الحق » .

ومع ذلك فإن البحث لم يتوقف لتؤكد فساد نظرية دارون في السنوات
الأخيرة رويت تجربة العالم ليكي مدير المتحف الوطني في كينيا التي استمرت
ثمانية وعشرين عاماً قبل أن يصل إلى اكتشافه العام وكان أول اكتشافاته عام
١٩٥٩ عندما عثر على ججمة وبقايا عظام متحجرة في شمال كينيا لها صفات تختلف
كثيراً عن صفات القردة ثم اكتشف بعد ذلك ججمة لـ « إنسان أومناه » (Homo Habilis)
أى الرجل البدوى ومن عام (٦٠ - ١٩٦٤) اكتشف مجموعة من الخلوقات فى
جبل كينيا وهى تتميز بأصابع سبابة تشبه أصابع الإنسان وحجمه أكبر ثم
اكتشف ليكى فى أحد جبال كينيا ججمة وعظاماً هزت الأوساط العلمية إذ بعد
قياس عمرها الجيولوجى بواسطة أحجزة الاشعاع الذري وجد أنها ترجع إلى مليون
وستمائة ألف سنة تقريباً وأهم ما يميزها هو حجم المخ فقد وجد أنه حوالي ٨٠ سنتيمتراً
أى ضعف حجم من القرد الجنوبي ويزيد عليه مليون سنة .

ثم أذاع العلامة بعد ذلك ما يلى :

أولاً : أنه لا يوجد دليل على واحد من ألف على أن الإنسان من سلالات القرود وأن الإنسان منذ عشرة ملايين سنة يعيش منفرداً وبعيداً جداً .

ثانياً : الكائنات إنما خلقت مستقلة استقلالاً تماماً فنها الحيوان الذي يمشي على أربع ومنها الزواحف التي تمشي على بطونها .

وصدق الله العظيم إذ يقول (ومنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجليه ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء) .

ثالثاً : أعلن العلماء ظهور الكشف العلمي الذي هدم نظرية التطور هدماً تماماً وهو اكتشاف وحدات الوراثة التي أثبتت إستحالة تطور الكائن الحي وتحوله من نوع إلى نوع آخر ، فقد ثبت أن هناك عوامل وراثة كامنة في خلية كل نوع تحفظ له بخصائص نوعه وتحتم أن يظل في دائرة النوع الذي نشأ فيه فلا يخرج قط من نوعه ولا يتتطور إلى نوع جديد وكل ما يمكن أن يقع حسب نظريات الوراثة هو الإرتقاء في حدود النوع نفسه دون الانتقال إلى نوع آخر .

هذا الكشف العلمي هو الذي أعدم نظرية دارون وأفقرها وقضى عليها .

ويبيق بذلك أن نقول أن كل ما كتبه سلامه موسى في هذا الموضوع هو من ركام الزيف .

الفصل التاسع

ذكر نجيب محمود





(١)

كان السؤال في الندوة عن مخططات التغريب والغزو الثقافي في هذه المرحلة لمواجهة حركة البقظة الإسلامية ، وانكشاف مخططات الاستشراق والتبيير ، وافتضاح كل خيوط المؤامرة التي جند لها عدد كبير من المقربين بقيادة (المعلم) طه حسين . ثم تحطمت كل هذه المخططات قبل رحيله .

والحقيقة أن التغزو الأجنبي قد غير جلده بعد طه حسين وحاول أن يقدم مخططاً جديداً بانتقادات جديدة بعد أن هلك هذا التفريبي الكبير ووضع أمر ذلك في عدة خطوات المختل بسرعة لتخليص الفراغ .. منها عقد مؤتمر ثقافي مطلق في الكويت ضم مجموعة من اتباع الاستشراق والتغريب ، واليساريين ، واتباع الفلسفية المادية . وكان على رأسهم (ذكي نجيب محمود) و (محمد الدويهي) لمواجهة الموقف بعد وفاة ذلك الزعيم الصنم الذي كان يمر في السنوات الأخيرة من حياته بمرحلة الاحتضار .

وكذلك كلف المستشرق (جاك بيرك) بالطرواف في البلاد العربية .

ودول الإمارات لإلقاء محاضرات عن طه حسين في محاولة لاستعادة الثقة به بعد أن تحطمت هذه ظاهرة نتيجة للأبحاث التي كشفت عن دخiliته وخاصة ما كتبه محمود محمد شاكر و محمد نجيب الباريسي وكاتب هذه السطور .

كذلك فقد حاولت جريدة الأهرام في عهد هيكل أن تجمع في نطاقها مجموعة كبيرة من دعاة التغريب أمثال توفيق الحكيم الذي وصف إسرائيل بأنها دولة متحضر . وحسين فوزي الذي تذكر لعروبتها واعتبر بفرعوناته ورضي لنفسه أن يحمل درجة الدكتوراه من جامعات العدو . ونجيب محفوظ الذي عرف بتلذذه لزعم التغريب سلامة موسى وهي ماتزال تحتفظ بهم إلى اليوم بعد أضيف إليهم أنيس منصور ويونس إدريس .

وقد بدا في السنوات الأخيرة أن الآخروا كلها قد ركزت تماماً على الدكتور ذكي نجيب محمود كقائد لهذه الكتيبة الافتربية وقد مهد الدكتور لذلك بأن أعلن أنه أعاد النظر في التراث الإسلامي (وأسماء العربي) في محاولة لخداع البسطاء ولتضليل ما صرط طويلاً في الفكر المادي كانت فيه كتابه المعروف (خرافة الميتافيزيقاً) أي بمعنى صريحة إنكار مفهوم الغيب الذي جاء به الإسلام والادعاء بأنه خرافة وإنكار كل مأسوى المحسوس والمعقول متابعة في ذلك للمنذهب الفلسفي الذي أعتقده طوال حياته مقلداً في ذلك فيلسوفاً أوربياً مادياً يذكر الأديان المزيفة ويفاخر بأنه يمثل مدرسته (أوجست كونت) . وفي طريق كسب الانصار والتقارب إلى الشباب الوعي الموقف يتحدث الدكتور ذكي نجيب محمود عن الإيمان بأنه وعن الإيمان بالاليوم الآخر ، وعن أعلام التراث : الغزال وغيره ، ذلك كله محاولة لالقاء حاجز بين الماضي والحاضر وإحراز الثقة التي تمكنته من بث الفاهيم وآرائه .

ونحن لا نتهم أحداً في عقيدته ولا نتعقب العورات ولا نلتفت ما تتكشف عنه السرائر من وراء الوعي ولكننا نقر بذاته بأن المنهج الذي يدعو إليه ذكي نجيب محمود معارض لمفهوم الإسلام الصحيح من جوانب عديدة وخاصة بالنسبة لتلك القضية الكبرى التي يثيرها في كل كتاباته وهي مسألة القلب والعقلانية فالإسلام لا يعطي العقل هذا السلطان المطلق كله ، ولا يقر مثل هذا المعنى . وإنما يرسم للعقل طريقاً كريماً في ضوء الوحي . والعقل في الإسلام مناط التكليف ولذلك ليس حكماً على كل شيء ، ذلك لأن العقل أدلة تصلح لتكوينها وتفسد إذا تكويتها . وهي إن امتدت بالوحى أصنام وأشرفت عليها أنوار الفهم . أما إذا اهتدت بالتفكير البشري ، فإنها تكون بمثابة أدلة تبرير لكل أهواء النفس .

فالعقلانية بالمعنى الذي يدعو إليه ذكي نجيب محمود نظرية مادية صرفة ومرفوضة تماماً . وإذا كان هو وجماعة المستشرقين والغيريين يعتزون من التراث بالجانب الخاص بانعزالية فإن هذا الأعتزاز لا ينبع إلا إنحرافاً في مفاهيم آلة-ذكر الإسلامي . فالمعزلة عرجوا عن مفهوم الإسلام الجامع المنكملي بين العقل والقلب ، والروح

والمسادة ، والدنيا الآخرة . وأعلوا مفهوم المقل . فانحرفوا وتحجّلوا وحكت عليهم الأمة كلها بأنهم خرّجوا عن مفهوم الإسلام الصحيح حين دعوا إلى خلق القرآن واستعدوا الخلفاء على المسلمين والعلماء . وتهزّهم الله شر هزيمة على يد الإمام أحمد بن حنبل ، وأعاد الإسلام مفهومه الأصيل الجامع .

والموقف نفسه يقفه الإسلام بالنسبة للدعوة إلى التصوف كنطلق وحيد لفهم الحياة والأمور من خلال الحدس والروحانيات وحدها ولقد كان هوى ذكي نجيب محمود في دراساته في التراث مع ذلك المفهوم القلافي الذي انحرف عن مفهوم الإسلام الجامع ، والذي أستمد مادته من الفلسفات اليونانية الوثنية المادوية ، والالحادية الإياباجية التي غامت سماتها على الفكر الإسلامي ثم انقضت تحت تأثير أنواع المفهوم القرآني الأصيل .

كذلك فإن مفهوم الدكتور ذكي نجيب محمود للألوهية مفهوم ناصر وقاصر لا يمثل مفهوم الإسلام (على النحو الذي أورده في مقالته في البلاط) .

لقد مرت البشرية بمراحل كثيرة في فهم الألوهية نافضة وستحرفة وجاء الإسلام بالمفهوم الجامع الحق فلم يجد هناك مجال لإعادة تردّيد هذه المفاهيم بعد مرور أربع عشر قرنا على نزول دعوة التوحيد الخالص .

إن الذي يقبله شباب الإسلام اليوم من الباحثين هو مفهوم الله الحق لامفهوم الآلة كما في مفهوم الوثنيون أو المحدثون ، أو المشركون الذين كانوا يؤمّنون بالله خالقاً ولا يؤمّنون به مصدراً للأمور كلها . وقد جاء الإسلام ليكشف هذه النّقية: وحدتها ، ويدعو إليها : (إسلام الوجه لله) .

أما مفهوم الإيان بأنه على النحو الذي كتب عنه الدكتور ذكي نجيب محمود فهو مفهوم عرفه المشركون ولم يقبله منهم الإسلام . ولعل من أكبر الخطأ عرض مفهوم أرسطو وأفلاطون في الألوهية ومحاولة نسبيته بمفهوم الإسلام مع أنه كان أبعد ما يمكن عن ذلك بل إن القرآن الكريم دحض كثيراً من مفاهيم أرسطو وأفلاطون والفلسفات اليونانية والوثنية والعنوصية لنفسها وتصورها ، وخاصة

ما أدعاه مؤلأه من أن الله تبارك وتعالى يدير ظهره للكون ولا يعلم الخروجيات ، وأن المسادة خالدة إلى غير ذلك من تلك التفاهات ، بل إن مفاهيم أرسطو وأفلاطون للألوهية تدخل تحت ما أسموه (علم الأصنام) فكيف يقدم هذا المفهوم للشباب المسلم اليوم على أنه مفهوم الألوهية الحقة ؟! ولقد كشف علماء المسلمين منذ وقت بعيد فساد مفاهيم الفكر البشري ونقضه . وكيف أنها منحرفة . وكيف أن الله تبارك وتعالى يعلم الأمور كلها (وما تسقط من ورقة إلا يعلها ولا حبة في ظلبات الأرض ولا رطب ولا يابس) .

وأن هذا الكون ليس مخلداً ، ولا باقياً ، وأن له نهاية كما كانت له بداية ، وأن الله تبارك وتعالى يمسك هذا الكون لحظة ، ويديره ساعة بعد ساعة ، وأن كل ما يقوله الفلاسفة هراء .

المسلمون يعلمون أن الكتب المنزلة حرفت وغيرت مفهوم الألوهية الحقة (الله رب العالمين) فنسبه البعض إلى أنفسهم وقالوا : إنه رب الجنود وربهم وحده . وقال الآخرون بأن الله ولدأ وكتبوه ما كان الله أن يستخدم ولد سبحانه ،

وليس مفهوم الألوهية صحيحاً ولا كاملاً إلا في الإسلام وحده فهو مفهوم لسلام الوجه لله (إياك نعبد وإياك نستعين) .

ولقد حاول الفكر البشري أن يزيف مفهوم الألوهية الحقة . وأنخطأت المنسانية حين قالت « المهندس الأعظم » وهناك انحرافات الباطنية والماديّين والوجوديين ودعاة وحدة الوجود والحلول والاتحاد على النحو الذي عرف عن كثيرين . وهناك مفهوم الإسلام بوصفه ديناً لا هوئياً . والحقيقة أن المظلوب ليس إثبات وجود الله تبارك وتعالى ولكن المظلوب بعرفة حقيقة هذا الوجود يعيده عن هذه المفاهيم المنحرفة ويستطيع الإيمان بالله تبارك وتعالى ، الإيمان بشريعة

ولكن الدكتور زكي نجيب محمود لا يلبث أن ينتقض من شأن هذه الشريعة

ويصفها بأنها قاصرة ومحافية للعصر ويطالب بتحقيقها في سبيل تحقيق العصرة ، وهو يقبل بالحضارة الغربية كما كان يقبل بها سلفه طه حسين (حلوها ومرها وما يحمد منها وما يهاب) فما عرف عنه أنه دعا المسلمين إلى أحد العلوم مثلا دون أسلوب العيش ولكننه يدعو إلى شيء غريب هو أن المسلمين ليس لهم فلسفة حياة وهو ادعاء باطل وظالم .

فكيف يمكن أن يقال لاصحاب القرآن الذي وضع منهجاً للحياة والمجتمع غایة في الأحكام جربته الشعوب والأمم أنم عام فأقام لها حياة الرحمة والعدل والأخاء البشري . كيف يمكن أن يقال لهذه الأمة إنها لا تمتلك منهج حياة .

وكيف يقبل وهو العقلان الحصيف هذا المنهج الذي يعيشه الغرب سواء الغرب اللبيرالي أم الماركسي في ذلك الخضم العفن الفاسد المتآكل من الشهوات والإباحيات والانحراف والتخلل والفرارة بشهادة كتاب الغرب والشرق على السواء .

وكيف يغضي وهو الأمين على الكلمة عن أزمة الحضارة وأزمة الإنسان الغربي . وقد قرأت عشرات من الكتابات آخرها ما كتبه (سلجوستين) ودفع به حضارة الغرب التي يكتبها زكي نجيب محمود وحسين فوزي وتوفيق الحكيم . وبخرون بها ويفوصون بأقلامهم في تلك الحم من الدمام والعفن والفساد . وهم يقررون لا إله إلا الله على الأقل ورائحة . ويرون كيف يقدم الإسلام ذلك المنهج النقي الظاهر الأخلاقى الكريم الذى يرفع من قدر الإنسان . وكيف يحق لامة تحمل لواء القرآن (ألف مليون مسلم) أن تتخل عن رسالتها في تبليغ كلمة الله الحق إلى العالمين وتنصر في بونقة الأئمة والحضارة المنارة التي تم بآخر مراحلها .

وهل من الأمانة أن يدعوا هؤلاء أمتهم إلى هذا وهم روادها والائد لا يكذب أئمه ولا يغشاها . إن مسؤولية القلم وريادة الفكر وهى أختتم المسؤوليات عند الله تبارك وتعالى يوم الحساب . وتدكان أولى بهم جميعاً أن يهدوا أمتهم

النصح ويدعوتها إلى أن تقيم حضارة الإسلام بمبددة في إطار (لا إله إلا الله) والأخلاق والرحمة والأخاء الآنساني وأن يتخلصوا أسلوب العيش الإسلامي ليقدموا للبشرية نموذجاً جديداً نقياً تتطلع إليه النقوتين والأرواح اليوم بعد أن عم الفساد البلاد الغربية كلها من جديد . ولن يكون غير الإسلام . وسوف يدمغهم التاريخ بأنهم كانوا رواداً غير مؤمنين على الأمانة ، وسوف تكتب أسماؤهم في سجل الذين عجزوا عن أن يقولوا كلمة الحق ، وأن ينصحوا الأمة وهم الذين عاشوا حياة الغرب ، وعرفوا فساد منهجهم وأساليب حيائهم ، وعرفوا أن هذه الأمة الإسلامية الكريمة على الله أعز من أن تسحق في أتون الشهوات وأن تندم بأيدي أبنائها ودعاتها الذين قلّم أسماؤهم ونخدع الناس شهرتهم .

إن الدكتور زكي نجيب محمود قد أخطأ الطريق حين فهم التراث الإسلامي ذلك الفهم الذي جعله يكره أمثال (ابن الروتنى) و (مزدك) ، و (ماذ)، و (الخلاج)، و (الباطنية)، و (الشموبية) و (إخوان الصفا) وتلاميذه .

ـ كذلك فهو مؤمن بمحضه من المسلمين الخاطئه من عصارة مفاهيم الفكر البشري الوثني المادى فضلاً عن أن إيمانه بالعلم والعقل وحدهما وهو في مفهوم الإسلام قصور شديد عن المفهوم الجامع .

ـ وإنني لأسأل الدكتور زكي نجيب محمود : هل يؤمن بالوحى ؟ هذا هو ملة المقاصلة بفتاوى بيته . وإذا كان يوم به فليذا لم بلن فساد منهج كتابه (خرافة الميتافيزيقا) وإذا لا يؤمن بهذا الوحي الذي جاء به القرآن شريعة ومنهج حياة ؟

ـ وإذا كان الدكتور زكي نجيب محمود قد تراجع عن « خرافة الميتافيزيقا » وغيرها من آرائه . أليس من الشجاعة أن يعلن ذلك صراحة حتى يستطيع أن يكتب إلى صفة بعض الناس .

ـ إن حماولة انتهاك مكان عمه حسين اليوم هو أمر مضيع . فقد انتهى ذلك العهد وصا

الناس وخطت حركة البقعة الإسلامية خطوات واسعة فكشفت عن فساد تلك النظريات والأطروحات الراقصة التي قدمها الآباء العتاه الذين كانوا يستقبلون أبناءنا في الجامعات الأوروبية وهم من اليهود أمثال مرجليلوث ودور كايم وغيره .

أما قول الدكتور ذكي نجيب محمود أن الثقافة الإسلامية في العصر العباسي قد أغرت تقافات الدنيا بغير حساب فهو قول باطل . لقد وقفت الثقافة الإسلامية موقف التحليل والتفرقة بكل ما ترجم ، وأخذت منه ما وجدته صالحاً ومطابقاً لمفهوم التوحيد الخالص . أما ما عدا ذلك فقد رفضته وشنط عليه حرباً عنده ، وأخرج دعاته من طريق الفكر الإسلامي فأطلق عليهم اسم (المشافون المسلمين) إعلاناً لتبعيتهم للعشرين اليونانيين ، ولم تقبل منهم ما جاءوا به .

وأعلن المسلمون أن منهج اليونان أو منهج المنشوصية الشرقي كلامها باطل وأن الإسلام منهج خاص مستقل كما نفعل نحو اليوم إزاء ما يقدمه التفريبيون من فكر الشرق والغرب مما هو ليس مقبولاً في الإسلام بحال . كذلك فإن نظرية ذكي نجيب محمود بالتوافق بين المترجم الواقف الغربي وبين المجدد من التراث الإسلامي (وهو ما يسميه بالعربي استنكاراً) هذه نظرية ليست مستحدثة بل هي نظرية طه حسين وهيلان والزيارات وغيرهم . وهي نظرية اتضحت بطلانها . أما ما تعارفت عليه البقعة الإسلامية فهو أن يقوم أساس إسلامي أصيل من مفهوم الإسلام الجامع (بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع) وفي ضوئه يحاكم التراث كله والواقف الإسلامي (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) ودعوى ذكي نجيب بالموافقة مرفوضة . فالمسلمون على استعداد التضحية بالتقدم المادي في سبيل الاحتفاظ بالقيم الأساسية التي هي في حقيقتها ليست معرفة للتقى المادي ولكنها حالة دون فساد الحضارة الغربية وزيفها وإنحصارها الذي يود هؤلاء القوم إغراق هذه الأمة فيه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

(٢)

يتبع الدكتور زكي نجيب محمود دعوته إلى « التغريب » في مقالات أسبوعية متوجهة على نفس مفهوم الدكتور طه حسين (أن تأخذ الحضارة حلوها ومرها) ولكنه لأن الوعي الإسلامي أصبح قوياً يتنازل عن فكرته التي ظل يدافع عنها ويدعى أنه قرأ التراث وأنه يقبل - فضلاً منه ومنه - أن تأخذ التراث وأن تأخذ حضارة الغرب ، أما الأخذ من الغرب فهو بدون تحفظ ، إما التراث فيمكن أن تأخذ منه ما يتفق مع المصلحة ، أن كلة التراث التي يستعملها عمدة زائفة ومشوشة ، لأنه يحملها بديلاً للإسلام (القرآن والسنة) .

فهو يضعها جميعاً تحت كلمة (التراث) مع أن التراث هو العمل البشري الذي قام به المسلمون في تفسير وشرح القرآن والسنة تحت لبس الفقه وتحقيق السنة وتفسير القرآن وغيره من العلوم .

إن الدكتور زكي نجيب محمود لم يowler نفسه كأن ينبعي اتصبح مقبولاً لدى الشباب المسلم اليوم لأنه مازال يكتب بأسلوبه الجاف الذي أنشأه دراسته الفلسفية (الوضعية المنطقية) فلا يستطيع أرتبح منها ويقف الجاف عثرة أمام دعوته ، يقول : (المصدر الذي استقيت منه معظم ثقافي هو الثقافة الأوروبية بصفة عامة والإنجليزية بصفة خاصة) وقد لبست مع الأسف الشديد طويلاً وأنا لا أعرف من التراث العربي إلا شذرات ، حتى تذهب له منذ سنوات .

نعم ، لقد كان لابد أن يتحدث عن التراث (ليخدع) إناساً مثل الذين خدعهم طه حسين حين كتب (هامش السيرة) إن القيادات التغريبية تريد أن يجعل الأمور أكثر يسراً ، ولكن زكي نجيب محمود لم يطور نفسه كأن ينبعي مع تطور النقطة الإسلامية من ناحية ومن تطور الفكر الإنساني نفسه وظهور عوامل كثيرة

تجمل الغرب بعد النظر في فكره ، إن ذكى نجيب محمد لا ينظر إلى الظواهر الططرة التي تبدو في كتابات فيلسوف مصر جارودى والطبيب بوكاى .. ويعبر على قديمه وبعد الأساليب خدعة معبقاء المضمون الذى يلازمه فى عناه .

إنه يتحدث عن العلم وهو يعني الفلسفة ، إن ما يدعو إليه ويسميه العلم ليس هو العلم ، فالعلم هو ما يجرى في المعامل ، أما الفلسفة فهي محاولات الخداع بفرض الفلسفة المادية في ميادين العلوم الإنسانية والأخلاق والاجتماع والنفس .

وأصراره على [تقدير العقل] يوجد له نفوراً شديداً في بيئة الإسلام ، ذلك لأن الإسلام لا يقدس العقل ولكنها يؤمن بأن العقل مناط التكليف ولكن له حدوده وهو يتندى بالشرع ولا يستطيع أن ينفرد بتوجيهه لأنه إذا وكل إليه الأمر أخطأ وإنحرف ، لأنه في الحقيقة إن بيته إلى شكلته وليس له قدرة استقلالية في الحكم على الأمور ، وهو مدخل كبير للهوى والريف والانحراف .

إن ذكى نجيب محمد يختفى حين يدعو المسلمين إلىأخذ التكنولوجيا والعلوم الحديثة مفروضة مع فكرها ، والمسلمون لا يأخذون أدوات الحضارة ولهم أسلوب عيش خاص بهم وكذلك فعل الفريبيون حين أخذوا أدوات الحضارة من مسلمي الأندلس .

كذلك يختفى حين يظن أن المسلمين أخذوا ثقافة اليونان وبنوا عليها فكرهم (وقول : أن الثقافة الإسلامية أخذت بغير حساب كل ما عرفته الدنيا من ثقافات وأجرتها في شرائها) قول باطل في حين أخذت غربات وفقدت وكشفت وجهاً الخطأ وكل ما أخذته إنما أخذته كمادة خام لها حرية تشكيلها في إطار مفهومها الإسلامي الذى مختلف عن أرجانون اليونان الذى يقوم على العبودية والرق بينما يقوم مفهوم الإسلام على التوحيد والعدل والأخاء البشري .

وكذا يختفى مفاهيمه للعقل تختفى ، مفاهيمه للتقديم (الذى هو عند المسلمين جامع بين المعنوى والمادى ولا يضحي بالمعنوى من أجل المادى) ومفهومه للإصالحة

والماصرة ناقص من حيث يقول : لا بد من مصدرين هما التراث و حصاد الفكر
الأوربوي تلك معاذلة فوق أنها ساذجة لم يعيقها الآن أحد في باطله، فما هو التراث
(هل هو تراث الباطنية والمعزلة والشعوبية الذي أغرم به ذكى نجيب محمود
فعاش مثلًا فترة يدرس مسيئه الكذاب كما قال في الجزائر وهل تكفي عبارة
(حصاد الفكر الأوربوي) لقبوله بكل ما فيه من سعوم وفساد وإنحلال ، إنه
لا يتحدث عن أى تحفظ عندما يتحدث عن حضارة مصر فهو يقبلها كاملة ، ونقول
للدكتور ذكى أن هذه المعاذلة لم تعد مطروحة اليوم ، وكان يقول بها الاعظام
من المفكرين المسلمين قبل خمسين سنة عندما لم يكتُنوا قد اكتشفوا المذكرة التي
تبث عن العبارات الساذجة ، كذلك لم يعد هناك هذا التقسيم الذي يتحدث عنه
جامعة يسودون الأبواب في وجهه الثقافة الأوروبية وجامعة يدعون إلى إنتصاف
الثقافة الأوروبية ، بل أن هناك إجماع على شيء واحد : هو عرض التراث والوافد
جيء على قاعدة : [بناء الأساس الإسلامية] القائمة على الإسلام منهم حياة ونظام مجتمع
وماذا يقصد ذكى نجيب محمود حين يقول (الرأى نأخذه من غيرنا ، فنحن
أنباع لأصحاب آراء مستقلة) من هم غيرنا ، هل هو القرآن والسنة ، أم هم العرب
الذين نزل عليهم ، الحقيقة أنها نؤمن منهج ربنا له أنسنه وقوانيه وحده موده
وشوابته ولا يكون هناك حين أخذ من الإسلام الرأى أى إنتصار لوجودنا
وكياننا لأننا لا نؤمن بأن لا كيان لنا بذاته وهي عبارة يلوكها التفريبيون ليخدعون
بها بعض البسطاء الذين يتحمسون للتبيه ، أى تبعيه : هل التبعيه للإسلام خير
أم للقرب الملحد الملادي الوثنى الذي يستخدم هذه الأقلام وتلك الصحف المفتوحة
أمام ثرثهم إلى أصبحت شدة وتناثة . ومن أخطائه قوله أن المسلمين استخدمو منعac
أرسطوفي فيهم الإسلام وهذا الخطأ جرى تصحيحه منذ وقت بعيد ، وقد أعلن
علماء المسلمين أن للقرآن منطة (وليرأ إن شاء ابن تيميه في منطق القرآن لا منطق
أرسطو) وهو يغض من شأن إبداع المسلمين وأصالتهم في تقديم منهج التجربة
ومنهج المعرفة ذى الجناحين من أجل أن يربط ولاه كاذبا مع المدرسة اليونانية
بولاه متجدد يراد به مع المدرسة الغربية .

وأخطر توجيهاته هي أنه يتكلّم عن العلم وهو يقصد الفلسفة كما فعل طه حسين من قبل ، إن كل ما يتكلّم عنه زكي نجيب محمود لا يدخل في باب العلم ، إن العلم لم ينحرف عن الإيمان باتّه ولا يطالينا بالتبعيّة ودعوته (الوضعيّة المنطقية) تدور في حلقها الموصدة عليه حياته كلياً وقد تجاوزتها الفاسفات والأحداث في الغرب وسكنه ما زال مصرآ عليها وهي عنده (إنكار الغيب) على نحو ما كتب في (خراءه الميتافيزيقاً) وفَقْم على الواقع التجربى المحسوس وإنكار ماسواه ، والإيمان بالجبر الذاتي والاحتکام الصارم إلى العقل (صنعيّ اظن وما تهوى الانفس) .

والوضعيّة المنطقية منهج مؤدّاه أن يستخدم العقل وحده وهو مذهب يريد أن يفسر السكون ويفسر الإنسان مع إنكار ما وراء الطبيعة ، وإذا شاء أن يتحدث عن الله تبارك وتعالى كان عباراته هي عبارات أصحاب وحدة الوجود والمول .

وهو يتناقض مع نفسه في رأيه في التراث فيقول : أن المسودة إلى الشريعة الإسلامية رجعية ، فالملائين الذين لا يؤمنون بالغيب بمحدون ، والمؤمنين الذين يصلون الماضى بالحاضر رجعيين ، فالمسودة إلى المنابع رجعية والتقدمية هي الإسلام من القيم الأخلاقية وهذه مفاهيم معكورة .

* * *

- ٦ - وفي جملة الأمر نجد العناصر التالية في فكر زكي نجيب محمود :
- * أولاً : التبعيّة للتفكير الغربي ومحاولة إحتواه المسلمين في إطاره لقبول فكر الغرب لا المدنية والصناعة .
- + ثانياً : إحياء التراث الذي كتبته الباطنية والشيعوية .
- ثالثاً : إعتماد (الوضعيّة المنطقية) التي هي فلسفة الرأسمالية التي تبرر سيطرتهم على الشعوب
- + رابعاً : تقديس العقل بما يعارض مفهوم الإسلام الجامع بين العقل والقلب ، والروح وال المادة .

إن قضية سلطان العقل قضية مضللة وقد رفضها الإسلام من المعتزلة قدّها .
خامساً : الجمع بين التراث والمعاصرة ، تراث ينتقى ، وفكرة غربى يؤخذ كلها

سادساً : السخرية من الشريعة الإسلامية واعتبار عقوبة قطع اليد أمراً وشيئاً يهدى كرامة الآدميين مع عدم فهم الحقيقة من وراء ذلك وهي : الحيلة دون وقوع جريمة السرقة .

سابعاً : مهاجمة حجاب المرأة المسلمة .

ثامناً : الأصرار على فكرة إنكار الغيب (خرافة الميتافيزيقاً) .
تاسعاً : تعلقه بأهـداب طه حسين وعلى عبد الرزاق وعمود عزى وجميع الملاحدة وإعتبار نفسه إمتداداً لهم .

عاشرأً : مفهومه الديني هو مفهوم وحدة الوجود الذي يؤمن به ميخائيل نعيمه .
والذى يختلف عن مفهوم الإسلام الحق .

(٤)

لم يكن الدكتور ذكي نجيب محمود معروفا في الأوساط الفكرية إلا بأنه إستاذ لفلسفة في الجامعة، يعتقد مذهب [الوضعية المنشقية] وهي النظرية المادية التي حل لهاها في الفكر الغربي او جست كونت وكان معروفا أن كل واحد من أساتذة الفلسفة يعتقد مذهبها ما ، فكان عبد الرحمن بدوى يعتقد مذهب الوجودية ، وفؤاد ذكري يا يعتقد مذهب المادة التاريخية وهكذا ولكننا لم تثبت بعد وفاته الدكتور طه حسين ألا قليلا حتى طبع علينا الدكتور ذكي بمقولة جديدة : أنه كان غافلا عن التراث (ويسميه العرب وليس الإسلامي) ولكنها تنبه إليه أخيراً فدهش لأنّه قضى عمر الطويل دون أن يعرف عنه شيئا فلما أخذ في مطالعته دهش له . ومن ثم بدأت حسلته بالفكرة الإسلامي وهناك أطلق نظرته الاتئقائية التي يرى فيها أن دعوة الباطنية والحلول والاتحاد وغيرهم هم أصحاب الفكر الحمر وكان من رأيه أن علينا أن نأخذ من التراث ما نراه مناسبا لعصرنا ونزع ما لا نراه مناسبا ، وكان كل مفاهيمه يصدر عن النظرية المادية الغربية التي نعا عليها وتربى في أحضانها والتي أصدر من خلالها كتابه « خرافه الميتافيزيقا » أى خرافه الغيب وهو كتاب لم يرجع عنه ولم يهان فيها بيد أنه قد غير رأيه فيه .

ولم تكن نظريته مقبولة في دوائر الفكر الإسلامي لأنّه لم يكن يوماً أساساً بأن الإسلام منهج حياة أو نظام مجتمع وكان موقفه من الارهمية والنبوة والوحى فامض ولم يكن مفهوم أهل السنة والجماعة .

وكانت بعض الجهات قد أعلنت أن الدكتور ذكي نجيب محمر له آخذه .
ليخاف الدكتور طه حسين في قيادة حركة الثورة والثروة الفلاح ، ولكن كان على الدكتور أن يجعل ذكي نجيب منطلقاً في نظر القراء وعند ذلك أهمل بعض الكتاباته فأخذ يتكلم عن الدين وعن هذله الإسلام وعن بعض المؤلفات الفارغة عن يده وبطبيعة الاقتضاء الذين ينتظرون إلى الفرج بأيدي الكفاءة البارزة أجمع

مسلمًا وهي نفس المخالفة التي اختارها التغريب للدكتور طه حسين بعد موافقته
والاخيه ضد القرآن والاسلام حين أعلن عن كتابه (على هامش المسيرة) .

ولكن الدكتور زكي نجيب محمود يختلف اختلافاً واضحأ عن الدكتور طه
 فهو لا يملك ذلك الأسلوب الموسيقى الرنان الذي يجذب القراء ، لأنه ليس أدبياً
وليس له حصيلة من القرآن والمنه أو قراءات التراث تؤهله ليكون في مصاف
الداعية أقادرين على إيجاز دعابة الناس بأسلوبهم البليغ ، فضلاً عن ذلك فإن
الدكتور زكي نجيب محمود يحمل طابعاً من الحدة العنف ، والعناد ، لا يليق
بادعاة إلى شيء ما ، فإن طبيعة الدعابة حتى إلى الغزو الفكري والتغريب أن تكون
لهم مرونة في الحديث وخفه في الخطأ ، وإن لا يصدمو مشاعر الأمة ، وخاصة
عند ما يحابيه الواحد منهم بالرد الكاسح الماضي لخلافة للاعراف الإسلامية
أو تجاوزه لما يراه الناس حقاً، وقد ظل الدكتور زكي نجيب تخطيط ، وقد فتحت
له أكبر الصحف صدرها ، ومنعت نشر أي رأي مخالف أو معارض أو مناقش له ،
وهذا مالم يكن من طبيعة هذه الصحيفه في تاريخها كلها ، لقد أفردت له أكبر
الصحف الصفحات واسعة ، يصول فيها ويجهول ، بأسلوب جاف فلسفى ، وحوار مغرب
تضيق به الصدور ، وينصرف عنه الناس بعد سطور قليله ، فكيف يمكن أن
يكون الدكتور زكي نجيب محمود عبيداً للتغريب أو خليقه للدكتور طه حسين ،
ثم هو حين اصطدم به الناس في (قضية الحجاب) كشف عن قصوره الشام عن
آدم دوره المرسوم ، وأنكشف عجزه عن مسيرة الناس أو اتفاهم وسرعان
ما تعرى ذلك (القناع) الذي يلبسه فإذا ها هو كاتب عنيف جاف لا يصر على القول
المرفوض والدنيا كلها من حوله تشريح عنه ، وما هكذا عدتنا الدعابة ، وإننا
لنؤكّد أن الدكتور زكي نجيب محمد قد سقط في الاستهان وأنه مجرّد من يحمل لواء
زعماء التغريب وعمادة الغزو الثقافي خلفاً للراحل طه حسين وأنه إذا كان يظن
من نفسه أنه زعيم فكر فما هو كذلك ، وما كان ذلك يوماً ، وما هكذا تساق
الabil ياسعد ، وكيف برجل بهاجم تياراً قويَاً كاسحاً ، سلماً صادقاً ، مرتبطاً
بالقطره ، متصلًا بالایمان ، كيف يمكن أن يصور هذا التيار على أنه تخلف وهل

بلغت المغالطة إلى هذا الحد، وهل يمكن أن ينتصر دعاة التغريب في معركة حاسمة كهذه في مواجهة قيم الأمة ودينها وأخلاقها، ما هيكتنا يمكن أن تقاد حركة التغريب وما هيكتنا يمكن كسب الانصار بأغاظة الناس وإبراز مكينونات النفس الخفية المثلثة كراهيه للإسلام ، والخذل على أهله ، والرغبه في تدمير قيمه ، وما كان صاحبكم كذلك بل كان يستطيع أن يخفى أحقاده ، حين تحدث وكأنه من المؤمنين أم أن حركة التغريب قد غارت من أساييهما فانتقلت من إقناع الناس إلى إغاظتهم ، ومن كسبهم ، إلى سبهم ، نحن نعلم أن حركة اليقظة الاسلامية الآن تسير في طريق مختلف وأن أساليب التآمر على عقيده الامة لم تعد مجذع أحداً ، وتخيل إلى أن دعاة التغريب يلقون بأخر سبابهم في رأس غريب وفي أحساس بالفشل ولكن أما كان يمكن أن يكونوا أكثر بجحلاً ، هل كل حال ، لقد كشفوا أنفسهم وخلعوا الثوب الخادع الذي كانوا يتصرفون به حتى يظن الناس أنهم من الصالحين ومن الناجحين المخلصين لبني الأمة وبأن تماماً وبما لا يدع مجالاً للشك أنهم ظلمون لأنفسهم غاشون لأمتهم وأنهم يسررون خندق تيار التاريخ واليقظة والصحوة ، وتلك نهايتهم منها أنسحت لهم الصحف صفحاتها ومهما كان لأسهامهم شهره ولuhan خادع لم يعد مجذع أحداً .

الفصل العاشر

توفيق الحكيم

[نبعه للفكر الونى والمادى من الشباب إلى الشيخوخة]

(١)

منذ أن بدأ توفيق الحكيم كتاباته الأولى كان واضحًا أنه مغرب وأن أ Mata تهلهل فكر الغربي أكبر من أمانته للتفكير الإسلامي العربي وعندما كتب أكبر أعماله : أهل الكهف وسليمان الحكيم : اعتمد على التوراه مصدرًا للقصة وبذلك جاز على مفهوم الإسلام الذي قدمه القرآن الكريم وهو في مخالب القضايا الكبرى المثارية يأخذ جانب التغرب [رأيه في العرب ، الفن للفن ، لا يوجد اليوم شرق ، القبة] وهو الذي عاش في كنف التغود الاستبدادي مؤيداً ومسانداً حتى إذا تغير الوضع أعلم ووقفاً جديداً ثم هو الموالي لكل تيار : الاشتراكية ، الوجودية ، اللامعقولة ، الفرعونية ، اليونانية ، وفي القصة انتقل من الواقعية إلى الرمزية ، إلى اللامعقولة وفي آخر حديث له قال : إن كل أعمالى التي تعبت العصر فيها لا قيمة لها ، ضيّعت حياتي في كتب كان يخجل إلى أن لها قيمة ، ربما كانت لها قيمة في الثلثينات والأربعينات ولكن بعد الخمسينات لا أظن .

ولم يكن توفيق الحكيم إلا ناقل فكر غربي من مختلف مدارس المسرح والقصة وكان للمسرح والقصة اليونانية والغربية يهراً في مطالع المرحلة ولكن ثقافة الأمة وذوقها قد تحول ، وبدأت أشياء جديدة تأسر العواطف والمشاعر .

أما موقفه من العرب ، هذا الموقف الكاره الذي يقوم على إنتقاص الأمة التي أختبرت محل رسالة الإسلام ، بعد أن تهافت أمامة الرسالة لدى أمم أخرى ، فهو موقف مني من الأمم الحائنة التي لها ولاء خلف الإغريق والوثنيات ، يقول توفيق الحكيم : في مسرحية (شهرزاد) صدى الأفكار الكثيرة التي دوت في ذهني أثر إتصال بالفلسفة الأوروبية . كانت الفلسفة الأوروبية في ذلك الوقت تقوم على أن الإنسان هو رب هذا السكون وإن الله (جل وعلا عما يقولون عوا كبيراً) قد مات كما قال نيتشه وأن المتحكم في مصائر البشرية هو الإنسان وحده بحريته

المطلقة، ولذلك كانت موجة الأخاد وإنكار الدين تغمر الحيط الثقافي الأوروبي عندما دهبت إلى باريس في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وقد صدم هذه العقلية الشرقية المتدينة التي أحملها فوجدت كل هذه الأفكار المتصادة متنفساً لها في مسرحية شهر زاد .

و توفيق الحكيم الذي يعترف بألواته ومصادره على هذا التحو هل يستطيع أن يتحرر منها بأن يعود إلى أصلاته أم أنه مضى منطلاقاً في هذا الطريق الذي شقه ومن قبله العلمانيون التغرييون أمثال طه حسين ، و محمود عزzi ، ..

الواقع إن توفيق الحكيم لم يغير طريقه وإنما مضى فيه إلى أبعد المحدود حين وصل إلى الحوار مع الله في السنوات الأخيرة والساخرية من ملائكة الله ومن ملك الموت على وجه المخصوص في عديد من كتاباته وأحاديثه .

أما وقائع حياته فهي تكشف عن تبعية واضحة للفكر الغربي فهو من أوائل الدعاة إلى القبعة الأوروبيه وإتخاذ الحضارة الفربية منطلقأً للعرب والمسلمين وهو الداعي إلى الإقليمية المصرية ذات الطابع الفرعوني الكاره للعرب والمسلمين وهو صاحب النعيه للنسل الغربي في الأدب والولاе للصهيونية العالمية والتلمودية ، وقد تساقطت دعاؤه و مذاهبه ومنطلقانه على مدى الأيام حتى أعلن ذلك صراحة في السنوات الأخيرة ، ولكن المرحلة الجديدة من أح韶 والبلاد العربية جددت فيه الآمل مرة أخرى إلى التشكيك وإثارة البلبلة واقتحام مجالات لا يحسنها ، وعرفت عنه تقلباته المتواتلة ، وبعد أن نعم بالنصر الناصري ، عاد فأعلن جهومه عليه ، ثم فعل كذلك مع السادات .

وقد وصف توفيق الحكيم في هذا المجال بالاتهازية، وقيل له هل نسيت مقالته مدحًا في عبد الناصر وعده فلما ول هاجته هجوماً مريباً في كتابه (عودة الوعي) وخلص إلى نتيجة مؤادرها أن هذا العهد قد جر الخراب على مصر وعم الإرهاب ولإعتذر لنفسه لأن كان فاقد الوعي لا يدرى ما كان يحدث ويجري .

يقول أحد المعلقين : ولعل التربية غير السوية إنعكست على أفكاره ونطاقاته وأسلوب حياته فقد فشل في تربية ولده الوحيد كما أنه فشل في أن يكون انموذجا للأب الصالح الذي يترى به الولد ، هذا إلى جانب فشله كأب في أن يتبع به مع أن الآباء من متع الحياة الدنيا ، وزينتها ، لقد مات ولده مخورا ، قتلتة المرض تحت سمع بصر والده المفسر الذي تطاول إلى الحديث مع الله ، وقد جاء في ذلك في اعتقاده التي رواها خورة مجلة صباح الخير .

ويعدون توفيق الحكيم الأب الروحي لمدرسة الأهرام التي أنشأها هيكل : (حسين فوزى ، وزكي نجيب محمود ، رنجيب حفظوه ، وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس ، وعبد الرحمن الشرقاوى) وهى مدرسة موالية للتغريب والمادية والفسر الإباحى المنحرف ، كل على حسب وجهته والتى تمثل ظاهرة العلانية التى تروج لها وتجعل من صحيفه الأهرام ميدانها والتى تتحملى فيما ينفذه خطایر ، يجعل من شأن هؤلاء الكتاب طرح تصوراتهم دون أن تسمح بمناقشتهم أو الرد عليهم .

ولقد كانت أكبر خطایره ذلك الحوار الذى أجراه وأدخل فيه كلاما على لسان الله تبارك وتعالى مجردا على هذا الجانب ، فاتحا انطريق إلى وجهه خطيرة لم يسبق أن جرّأه كاتب منها بلفت درجته في التغريب إلى الوصول إليه وعندما ذهب له العلامة يافشونه قال في صلف غريب : إنه ما زال مصرًا على ما كمل غير مقتنع بأنه أخطأ وقال بالنص : إن لم أرتكب خطأ لأن كلامي مع الله كان صريحا وليسن الأسلوب ما يكون ولئن لن أغير كلمة واحدة منه وقد جاء في مقابلته تجاوزات خطيرة :

أولا : الاجتراء على مقام الله تعالى حيث لا يجوز لسلم أن يتخيل حدث مع أنه لهذا اجتراء على مقامه .

ثانيا : التشكيك في عصمة النبي ﷺ .

ثالثا : قوله إن الأديان نسبيّة ودعوته إلى التسوية بين الأديان المعاویة .

رابعاً : الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة .

خامساً : إدعائه أن العلماء التجربيون غير المسلمين يدخلون الجنة .

سادساً : مراجعته لغة المcriية ودعواه أنه لا تنفع بها وأن عصرها قد انتهى .

كشف توفيق الحكيم عن نفسه في كتاب (زهرة العصر) فقال :

إنني أعيش في الظاهر كما يعيش الناس في هذه البلاد ، أما في الباطن فما زالت

لي آلتى وعقائدى ومثلى العليا ، كل آلامى مرجعها هذا التناقض فى حيائى الظاهرة

وحيائى الباطنة (١٩٤٣) .

والحقيقة أن مراجعات الحوار مع توفيق الحكيم التي أجرتها العلامة عام ١٩٨٣ ، وبعد أربعين سنة تحتاج إلى هذا النص حتى يمكن تفسيرها وتوضيحها .

وإذا كان توفيق الحكيم يزعم أنه يواجه بأخطائه بما لم يحدث له حسين وغيره فإن عليه أن يعلم أن هذا ليس نفوذ علماء الإسلام بل هو طبيعة الصحوة الإسلامية فقد مضى العبد الذي كان التجربيون يخوضون في الأمور ما ليس من حقهم ثم لا يجدون من يواجههم ويكسر منطقهم الباطل ، وقولته (إن علماء الدين يريدون أن يكونوا لهم وحدتهم حق تشكيل عقليات الأمة على أساس العلم الدينى الذى درسوه فى الكتب المتمدة وطبقاً للخصوص الذى قرأوها وأفروها وحدهم دون أن يقبلوا تطويراً فى أصولها أو أى شئ من المعارف التى تصل إلى تفكيرهم بالحياة على النحو الذى يعيش عليه الجزوiet) .

إن هذا النص يوحى بأن توفيق الحكيم لم يستطع خلال أكثر من أربعين سنة أن ينظر إلى اليقظة الإسلامية وما زال غارقاً في بحثه ببرة الجزوiet ومفاهيم المسيحية الغربية ، ونحن نقول له : أن المواجهة التي يلاقاها ليست مواجهة علماء الدين ولكنها هي تصحيح لمفهوم الإسلام الأصيل الذى هو وحده الذى يشكل عقلية الأمة وليس هو العلم الدينى بمفهوم الالاهوت الغربى ولكن بمفهوم العلم الإسلامي الجامع المتكامل الذى يمثل حقيقة المنهج الصحيح للفكر والثقافة والذى

يوجه كل فكر وثني تغريبي مادي علماني يحاول أن يدخل ساحة الفكر الاسلامي متمسلاً على النحو الذي يقوم به توفيق الحكيم والتطور في الوسائل وليس منتج الاسلام الذي يجمع بين الثوابت والمتغيرات والقابل للتعديلات والتحولات وليس بمفهوم التطور الذي يطبقه توفيق الحكيم على الایدیولوجیات والأديان البشرية .

من أحطاته في هذه الأحاديث : أنه ليس من حق أي إنسان أن يقول أنه يفهم الدين كما يشاء ، فقد تفهم الفلسفات والأيدلوجيات ، أما الدين السماوي الآلى فيجب أن يفهم كما فهمه محمد ﷺ ومن خيانة الأمانة أن يفسر أحد مها بلغ من الثقافة المعاصرة أن يفسر الدين بعقله وأن أمور الدنيا يمكن أن تفكك فيها بالعقل ولكن الدين تفكك منه بعقاية حسر النبوة ، وأن القول بأن كل واحد مادام قد تعلم وترعرع وقرأ كتاباً وصفحاً فهو أن يفهم الدين كما يشاء ، هذا قول مردود ، والدين لا يكون ديناً إلا من مدرسة النبوة ، من التبع .

أما مسألة التخليف في الحوار فإن ذلك مخالف للقرآن والسنّة والشريعة وكذلك خطأ في القول بنصيحة الأديان وخاصة الدين الإسلامي ويقوله أنه لا يشترط الدخول الجنة شهادة (إن لا إله إلا الله : محمد رسول الله) أما دعوى الاجتہاد فإنه لا اجتہاد مع النص ، بمعنى أنه إذا وجد الحكم فيها وإلا فإنه لا يصح إلا للعلماء المختصين في الدين أن يجتہدوا ، وهو ما لا يصح له .

أما دعوه بأنه إنعتمد على القرطبي، فإن الكتب فيها مسائل خلافية كذلك لا يوخد المعنى من هذه الكتب مبتوراً أو يوخد من غير سياقة أو يقرأ على غير وجهه فإنه يأخذ ما يدعي ويدين ما يدعى وإذا كان لكل إنسان أن يفكر كائشاً فإن ما يقدم الناس يجب أن يكون بعيداً عن ما يثير الشكوك والشهابات .

وعندما دعى إلى أن يعتذر إلى الله وأن يخرج من مقام الندية الله أصر على ما كتب و قال أنه يعيش عن شعوره الداخلي ، إذا كان ما قال يعزى إلى تصوفه (١٤ - ٢)

فإن التصوف لا يمكن أن يكون خروجا على الإسلام، أما حكمه على العلامة فهو
المصلين بأنهم يدخلون الجنة حكما باطل لأنهم ما لم يقولوا لا إله إلا الله فـلا
يدخلوها.

وقد كشف العلامة أنه استخدم عبارات غامضة ومجازات بعيدة من شأنها
أن تشكيك الناس في أمر دينهم ، وأن المناجاة لا بأس بها ولكن التأليف والتخييل
على لسان الله تبارك وتعالى فإنه يدخل في تحت باب قوله تعالى : (إِنَّمَا يَنْهَا
(اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكتم عن
آياته تستكرون) لأن التأليف والتخييل غير حق .

وقال الشيخ الشعراوى : أنه نوع صفة كلام الله الأزلية ، وأعطاما صفة
البشرية الراحلة التي تنقض غدا أو بعد غد ، ولپته قيد مراد الله تبارك وتعالى في
إرادته هو فما يريد عقل توفيق الحكيم يقوله الله سبحانه وتعالى في مقالاته ،
ذلك لأنك عندما تنقل كلاما على لسان الله تبارك وتعالى فكلنك قيدت إرادة
الخلق بآرائك إنت أنت أجيء الخلق .

أما عن دفاع الأدباء عن توفيق الحكيم فهو عن غير حجة تلزم من يقرأها
ولكن عن عاطفة ، وعلى الذى تختلفون على توفيق الحكيم حتى الآن أن يقارروا
توفيق الحكيم حين يلقى الله فيجنبوه أهوال هذا اليوم بالتصحية وبالحكمة بدلا
من أن يزيروا له طريق لا يرضى الله سبحانه وتعالى .

وقال الشيخ الشعراوى : أما إدعااته بأن الله لا ينفع بها وأن عصرها قد انتهى
كيف يمكن أن ينقل العالم تائياً ما يحدث في معمله إلا بإستخدام اللغة وكيف أن يمكن
أن يقرأ أي إنسان ويستوعب مآلات إلا بإستخدام اللغة وكيف يمكن ترث
البشرية كلها حضارة عن حضارة عن حضارة ، إلا بإستخدام اللغة .

إن الله التي يمسح منها توفيق الحكيم هي الأساس لكل شيء وهي آية من
آيات الله سبحانه وتعالى ، لتأخذ البشرية حضارتها جيلا بعد جيلا وترتق وتتقدم

ومن المستحيل على البشرة كلاماً أن يرث جيل الجيل الذي قبله في عالم إلا باللغة ..
أما نسبيه الأديان ويقول الشيخ الشعراوى : لا يمكن لآى إنسان أن يدعى أن
الدين الخالص لله حكم مع واحد حكم مع آخر فالأحكام على كل خلق الله
بلا تفرقة ، فالآديان كلها من الله وكيف تكون الآديان من الله سبحانه وتعالى
ثم تتطبق عليها النسبة وهي شيء متغير ، هل النسبة بالنسبة للمصدر أم أن الله
 سبحانه وتعالى هو وحده مصدر كل هذا ، لا أعتقد أن هناك ديننا ند جاء من
السماء يقول لا إله إلا الله ودينا آخر يقول غير ذلك فالداعوة إلى عبادة الله تبارك
وتعالى لم تغير من بدأ البشرية وإلى نهايتها فلا يوجد حكماً يتناقضان بالنسبة
للسنة الواحد حتى يمكن أن نقول أنها نسبة ونسبيه الأديان التي يقول بها
توفيق الحكيم منها إن الله متغير والله سبحانه وتعالى ثابت لا يتغير والعقيدة
لم تتغير منذ آدم حتى الآن ولا يوجد أى تناقض أو تقابل والعقيدة في كل
الآديان سواء وكل نبى جاء بدين يؤكد ما قبله ولا يلغى ما قبله بل يضيف إليه
ويصحح ما حرفته البشرية أرضاء لأهوائهم .

* * *

ومن يطابع المخاورات التي دارت بين توفيق الحكيم وعلماء الإسلام يحسن
بأنه مرواغ كبير ، وفيه خبث شديد ، وفيه سذاجة في الفهم إلا من كلامه
ملقنه برددهما ، وهو بالطبع قد رحب بنشر هذه الأحاديث عملاً بنصيحة المشرين ،
أن يردد كلامات مسمرمه في وسط الأحاديث من شأنها أن تثير الشبهات في نفوس
الذين يقرأونها وكل الخيوط التي تجمعتها هذه الأحاديث توحى بسخرية شديدة
بالواقع فضلاً عن استشهاده بالأحاديث التي لم تثبت ومحاولة القول بأن هذه
الأحاديث نشرتها الأهرام من غير إذنه وقد تحدث كثيرون عن الربط بين نشر
هذه الأحاديث وبين إسلام جارودى ، وحضوره في مهرجان الأزهر والأمور
في نظر توفيق الحكيم محددة بالحدود المادية الصرفة ، وبالحصر الحالى وحده
 فهو ليس بقادر على أن يستشرف الآفاق التاريخية أو المقبلة بالرغم من دعواه بأنه

ولاريب أن نظرة « الإيمان بالفن » تمثل التعبير الكبير للفن الغربي او في الأغريق الضال المتتجدد في دوائر الاصناف و غيرها وقصوره على الفن بمحله محدود الفن و يحمل رأيه في مجال المجتمع و العقائد و الشباب جزئي غير مكمل .

أما وصف الصحف له بالعملاق والشموخ ، وعمق الفكر والريادة فهذه كلها كلمات لا تساوى ثمن الخبر الذى كتبت به ، فهو مغرب ، غريب على الفكر الإسلامي ، متداخل ذيما لا يحسن ، عاجز عن الإصلاح . ولو أن الصحيفة إلى يكتب فيها فتحت الباب أمام الذين يراجمونه لانكى نفذ زيفه واستعجلت تلك الحالات المكاذبة التى يسيغها عليه دعاء التغريب (٥) .

ولَا يزال توثيق الحكيم يكرر علينا أن أوربا هي المقل وبلادنا هي الفص

(ففي مصر الروح والنفس وفي اليوتان المادة والعقل) وهو في هذا لا يمدحنا بقدر ما يهجونا فنحن في القسم الذي ليس فيه العقل، وهذه ظلامه كبرى أن توضع في جانب من لا يملكون العقل والحقيقة أنها تملك العقل والوحى معاً، وبذلك تتكامل نظرتنا بينما تبقى نظرية الغرب ناقصة لأنها قائمة على المادة التي تتصل بالمحسوس في مفهوم العقلانية عندهم، رعجبي أن نظل توفيق الحكيم وهو في عقد المائتين مبهوراً بالعقل الأوروبي مجدداً له، عاجزاً عن استنباط عظمة الفكر الإسلامي وأن أعظم ما يتميز به العقل الأوروبي وهو القدرة على التحليل وربط الأسباب بالنتائج، ومعرفة تتابع الأشياء: هذه الرؤية إسلامية الأساس والمصدر، منقوله من علم الإسلام إلى الغرب في الحقيقة.

ومن ذلك قوله [أن مصر لم تتعجب بعد جيل الثلائينات] يقصد نفسه وجماعة العلمانيين له حمدين وسلامة موسى ومحمد عزى وهم الذين يوصفون بأنهم جيل التنوير اقتباساً من جيل التنوير الغربي الذي لم يكن إلا من التلموديين أو ليفاء المخالفين المسارونية، وهذا تصوير صحيح ولكن توفيق الحكيم لا يرى جيل اليقظة الإسلامية ذاتي يتصدى للتغريب والغزو الثقافي والذي صدح بمعاهد المفاهيم وأعاد الكلمة إلى الأصلاء وللتتابع، وهو الجيل الذي صنع ما يسمى اليوم (الఈاحة الإسلامية).

وحيث يراجم توفيق الحكيم (المقلية العربية) فإنما يخفي في نفسه المذموم والخصوصة للقرآن والإسلام لأن شرطنا لم يمكّن العقنية العربية غيرهما، والقرآن هو الذي صاغ هذه المقلية التي هي في الحقيقة عقلية إسلامية أساساً، أما ما يحاول أن يوجهه إلى هذه العقلية من اتهامات فهي ليست تتعلق بالمنهج الرباني وإنما يتعلق بالتطبيق البشري، ولقد حاول توفيق الحكيم الفتن من شأن الإسلام بالحديث عن بعض عيوب التطبيق الإسلامي وأثاره الشبهات حول بعض الخلفاء

والمجتمعات وهذا حكمة باطل لأن الإسلام المنهج هو وحده الأساس الصحيح أما الخطأ في التطبيق فهو مسؤولية الأجيال والمجتمعات .

ولقد شهد توفيق الحكيم على نفسه في حديثه عن مسرحية شهرزاد أنه عندما بدأ تأليف قصصه كان واعدا تحت تأثير الفكرة الغربية الماحدة .

يقول « في مسرحية شهرزاد صدى الأفكار الكثيرة التي دوت في ذهني أكثر إتصالا بالفلسفة الأوروبية ، كانت الفلسفة الأوروبية في ذلك الوقت تقوم على أن الإنسان هو رب هذا الكون وأن الله (جل وعلا عما يقولون علوا كبيرا) قدّمات كما يقول نيتشه وأن المتحكم في مصالح البشرية هو الإنسان وحده بمحりته الطلاقة ، ولذلك كانت موجة الإلحاد وإنكار الدين تغمر الجillet الثقافي الأوروبي عندما ذهبت إلى باريس في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقد صدم هذا العقلية الشرفية المتدينة التي أحملها فوجدت كل هذه الأفكار المتضاده متৎضاها لها في مسرحية شهرزاد ، فمسرحية شهرزاد هي رد فعل ما كانت عليه أوروبا في ذلك الوقت على قلق نفسي من إنكار الدين وإيمان بالعلم الذي يصل إلى الدرجة التي يحل فيها محل الدين » .

ونحن نقول لـ توفيق الحكيم : أما كان عليه أن يتطرّف مع الفكر الأوروبي نفسه ، الذي تحول كثيرا الآن ، وقد كان معه على نفس الخط كثيرون منهم جاروبي وبوكاري الذين تحولا سريعا واكتشفوا عظمة الإسلام ، أما كان هو الأحق بذلك وهو المسلم العربي ، أم أن هناك ما حال دون ذلك ، ربما عناد نفسي ، وصل به أخيرا إلى الحديث عن « إسلام المجاهز » ، أم أن هناك إصرار على هذا الموقف الذي يحمل التحصومة والكرابحية لا شرف دين . . . لقد تبين لـ توفيق الحكيم أخيرا أنه لم يكن أكثرا من ناقل لكل رماد الفكر الغربي ، وركام الزيف فيه عن تلك الاعمال المرحومية التي وصفت بالخلود والتي عبر عنها هو تعبيرا صحيحا حين قال :

ـ وإن كل أعمال التي تبعت المعر ففيها لا قيمة لها فقد ضيّع حيّاً كان [ج]ـ
ينبئ إلى أن له قيمة، وقد أحسن بانصراف الناس عنها وغلبة الأصلة عليها،
الأصلة التي كشفت زيف روائع الفكر الغربي التي طالما أشادوا بها فإذا هي ركام
بورماد، وقد تبين إنما هي في حقيقة ما أهوا النغوس المليئة بالشهوات والجنون
والغرور في بمحيرة راكرة آسنة غرق فيها توفيق الحكيم وما ذال فارقا.

ولنستطيع أن نقول أن توفيق الحكيم المعدود من القمم الشواخ قد سقط
سقراط شنيعاً في المجالات الآتية :

أولاً : اعتقاده على الأساطير في جميع قصصه واعتقاده على الأحاديث الموضوعة
فيأغلب كتاباته .

ثانياً : فكره المشوش عن الأديان وخاصة عن الإسلام .

ثالثاً : تأثره بالفلك الونفي والفرعون فقد اعتدى في قصة (أهل الكهف)
على نظرية فرعونية وكان افسكته المشوشة عن الإسلام أثراً جمله يختلط بين مصر
القديمة والأديان بصفة عامة ، فالمسلم يؤمن بأن هناك انقطاعاً بفصل ما بينه وبين
التصورات الوثنية والوضعيّة ، كما إنه يؤمن بأن الإسلام هو دين منتد من لدن
آدم حتى محمد عليه الصلاة والسلام يضع التصور التكامل لملاقة الإنسان بربه
ونفسه والآخرين ويرسم له مهاج الحياة ويحدد معلم المستقبل في الآخرة .

ومن أهل الكهف يقول : إنه كان تحت تأثير مصر القديمة (لقد
قرأت كتاب الموي والتوراه والأناجيل الأربعه والقرآن) بينما اسم المسرحيه
(أهل الكهف) توحى بأن معالمها ستكون من خلال منظور إسلامي ولذلكها
هذه مشرفة الفكر والمعنى .

أولاً (عودة الروح) فهي أيضاً تحمل فكررة فرعونية قديمة (الكل في واحد) أي أن الوجودان الجماعي والمعنوي ينبع من ذعيم واحد أو فرعون واحد .

ثانياً : أسلوب تناول المفاهيم الدينية في كتاب (طهني القاعود) وكتاب (الروح) ينبع من نظرية الفكر الصوفى المتعزف (نظرية وحدة الوجود) رابعاً : الترويج لنظرية الفكر الصوفى المتعزف (نظرية وحدة الوجود) وما في الجهة إلا الله ، كما حاول أن يسقط إسقاطات علانية والخادبة روح لها الفكر الوارد منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجرى إنطلاقاً من المفاهيم الكثئفة التي لا تتطابق بحال مع فكرنا الإسلامى .

خامساً : ناقش الله تبارك وتعالى في أمر الأديان السماوية ونبي أو تناهى أن الله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل ، وعارض الله تبارك وتعالى في أمر العقل وألجان تداول الكتب السماوية بعد التعديل والتصحيف وهذا جبل محققة الرسائل السماوية من جهة ومحاولة للدس على نقص كلام الله من جهة ثانية .

سادساً : رأى أن الإيمان الحقيقي ليائماً هو عند العلماء الطبيعيين فلا عبرة عنده بالمقيدة ولا التوحيد ولا العمل ، وهذه قضايا خطيرة مؤداتها الطعن في معظمتراث الإسلام ، - أن لم يكن كذلك - القائم على أعمدة التوحيد والعمل فضلاً عن الترويج للفكر العلائى القائم على الاعتراف بالحقيقة العلية وخدعها مجردة من كل اتصال بالأديان .

سابعاً : أساء الأدب إساءة بالغة عن ما خرج على مقتضى المعرفة الإنسانية والأدب السائد بين المؤمنين وبين خالقهم .

ثامناً : قصر الإيهان على المعرفة أو هو أننى التلقى بمنطق الشهادة فهو عنده لبيان تعبدى لقضى لا معنى له ، وهذا ولا شك منه مذهب طائفة من الفلاسفة والمتكلمين المتحرفين ونسى أن الاقرار باللسان شرط عند أهل الحق .

تاسعاً : خمول نفسه أن يتكلم باسم الله (قبل على الناس ما تشاء على

مستوليك ، هنا منتهى العبث والاستهانة ما يشعرنا أن الرجل كان في حالة غير طبيعية أثناء كتابة هذه الشطحات إذ كيف يتجرأ أن يزوي كلاماً مكتوبًا على الله .

عاشرًا : أنكر رؤية الله يوم القيمة وهي ثابتة وتجاور حدود البشرية بوصفه كلاماً مخترعًا منسوباً إلى الذات العليّة هذا فضلاً عن إفراطه وكذبه .

$\omega_1 \omega_2 \omega_3 \omega_4 \omega_5 \omega_6 \omega_7 \omega_8 \omega_9 \omega_{10} \omega_{11} \omega_{12}$

$\omega_1 \omega_2 \omega_3 \omega_4 \omega_5 \omega_6 \omega_7 \omega_8 \omega_9 \omega_{10} \omega_{11} \omega_{12}$

$\omega_1 \omega_2 \omega_3 \omega_4 \omega_5 \omega_6 \omega_7 \omega_8 \omega_9 \omega_{10} \omega_{11} \omega_{12}$

$\omega_1 \omega_2 \omega_3 \omega_4 \omega_5 \omega_6 \omega_7 \omega_8 \omega_9 \omega_{10} \omega_{11} \omega_{12}$

$\omega_1 \omega_2 \omega_3 \omega_4 \omega_5 \omega_6 \omega_7 \omega_8 \omega_9 \omega_{10} \omega_{11} \omega_{12}$

الفصل أحادي عشر

عبد الرحمن الشرقاوى

(١)

مخططات تكشف أهدافها ولم تعد تخدع أحداً

كانت السكتابات المضللة الماكنة في المقود الماضية تمر دون أن تستوقف النظر أو ربما أستطاعت خداع بمحولات من القراء المسلمين الذين لم يصلوا إلى قدر كبير من معرفة أبعاد عقيدتهم ومسئوليتها الواسعة في مجّلات الاجتماع والتاريخ والحضارة ومن هنا اعدت على عقول الناس وقلوبهم كتابات طه حسين عن هامش السيرة وعن الفتنة الكبرى بكل ما فيها من سوّوم ، وظن البعض أن هذا الذي يقرأون من صفحات الإسلام المكتوبة بأسلوب أدبي أو فلسفي ، وتوقف أمامها القليلون كاشفين عما وراء ذلك من أهداف وأهواء ورغبات في - تزوير - التفسير الإسلامي للتاريخ .

ولقد ثبت من بعد أن هناك مؤتمرات غربية عديدة عقدت في الجامعات الغربية واختارت عدة قرارات من أجل تزيف تاريخ الصحابة وركرت كثيراً على قضيّاً معينة ، مثل قضيّة الخلاف الذي نشأ في أواخر عهد سيدنا عثمان وقضيّة في الدولة الإسلامية ، وقضيّة الرنج والقرامطة والإدّاع بأنّها إنتفاضات إسلامية ، كلّ هذا درس بدقة في مؤتمرات بلتمور وجامعات بريستون وغيرها وقدّمت للباحثين الفاردين من بلاد الإسلام المادة جاهزة ليضعوها في إطار حاتم من أجل إفساد التاريخ الإسلامي وتزويقه وكان جهات أخرى لها ولاء مع الفكر الماركسي من ناحيّة والفكّر الباطني والشوهى والمحوس القديم من أولئك الذين يكتبون عن فلسفات وحدة الوجود والملول والاتحاد وينكرون نضل الأئمة أبي بكر وعمر وسابقهما وأولئك دور كبير في ظلّور هذه الصيغات التي لانكاد تستعمل حتى تجد مواجهة صادقة تكشف زيفها وتقف لها بالمرصاد .

ولعله من الآلات للنظر أن سبعة عشر مقالاً نشرها الدكتور لويس عوض في صحيفة تصادر في فرنسا ووجهت بهما وتحدين مقالاً في الرد عليها وتزويتها

والكشف عن فساد وجهتها في مختلف مجالات العالم الإسلامي من المغرب إلى الهند
في حدود مطاعلينا وربما تجاوزتها إلى مناطق أخرى .

جال الدين الأفغاني المفترى عليه

ذلك أن السيد جمال الدين الأفغاني كان ولا يزال في نظر المؤمنين بهبة
ال المسلمين والصحوة الإسلامية اليوم رمزاً بارزاً من رموزها وقائداً من قادتها
ولا يقبلون أن يضعون به إزاء تقارير أوردتها المخابرات البريطانية عنه تناقصه
وتحاول التيل منه وتحنّن نعرف أن جمال الدين الأفغاني كان له هدف طالما أعلن
عنه وكشف مضمونه ورددته وهو قوله إن هدفه وتنكيس علم برطانيا في الشرق
فكيف يمكن أن تكتب عنه تقارير جواسيسها شيئاً في صالحه ، وبالعكس من
ذلك فإن كتابات المخابرات البريطانية العدو الشديد في ذلك الوقت - وفي كل وقت -
للإسلام ونهضته هي نباضن لواهم ودرر سواطع على صدر جمال الدين الأفغاني
والمجاهدين منه ومهم ما حاول خصوم الإسلام والعروبة وأصدقائه الفرعونية والعلمانية
أن يقللوا من قدره فلن يستطيعوا ، ولقد يجيئ في تاريخه العظيم هنا أو نقص
ما ولكن من الذي لا يعرف التخصص عن البشر وكل بني آدم خطأ ، ولكن في النظرة
العامة وفي المدى الأكبر فإن الرجل قد أفتحم أفق العالم الإسلامي وهو المسلمين
هزة كبرى جاءت إستمداداً من دعوة محمد بن عبد الوهاب وأصوات المسلمين إلى
حركة اليقظة وإلى الصحوة الإسلامية التي يمر بها العالم الإسلامي اليوم في مطالع
القرن الخامس عشر ولقد باه لويس عوض بالخرسان إزاء أكثر من خمسين
كتاباً من أعلام الفكر العربي والإسلامي كشفوا زيفه ورفعوا النقانع عن
هذه المبادىء :

ولكن لويس عوض لاسم على جبينه فهو لا يزعج أحداً ولكن المزعج هو
هؤلاء الذين يتهدّون عن الإسلام وهو من أمنه بالوراثة والجغرافيا وقد رأيت
كيف كبا توفيق الحكيم كبوته الكبرى حين ظن أنه يستطيع أن يحطم سندًا
 المقدس في الفكر الإسلامي حين أراد أن يجعل من حقه إدارة حوار قصصي

مع الله تبارك وتعالى وهو يعلم أنه يحاول التخلص من مسوبيات أساسية في الفسق الإسلامي تجاهما كثيرون لأنها تتصل بالعقيدة في أعلى دراهمه ، وكتاب الدكتور عبد العظيم المطعني (الحكيم في حدثه مع الله ومدرسة المتمردين هل التشريعية) هو القول الفصل في هذه القضية فليقرأه من يشاء .

اقرارات ضد الإسلام :

ولكن الذي يلفت النظر أن تتوالى الأحداث هكذا في مواجهة الإسلام فيكتب لويس عوض في (المصور) عن مصر العثمانية وعن مصر الفرعونية فيخوض أحوالاً شديدة السواد والقناة ولا يستطيع أن يصل إلى ثني ثم تجد تلك الصفحات التي وضعت باسم (الأمام على) في جريدة الأهرام والتي كتبها عبد الرحمن الشرقاوى وكيف جدد خصومته القديمة للإسلام تحت إسلوب برأس من الآباء للإسلام ، وغفل عن أن تاريخه لا يزال معروفاً ومنذكوراً وأن كتابه (محمد رسول الحرية) وتقرير الأمام أبو زهرة مايزال بين أيدي الناس ، والآباء التاريخية والمسؤولية التاريخية فإن تقرير الأمام أبو زهرة أول من حصل عليه الاستاذ محمد نعيم ونشرته الأعتماصم ١٩٧٥

فإذا تجاوره قليلاً فرواية (الحسين شيئاً) قد دعمت أيضاً من جماعة من العلماء من بينهم الدكتور الطيب النجاشي بالظلم الشديد للمجتمع الإسلامي ، على الذي إفترى به طه حسين ، على العصر الثاني لل مجررة في كتابه (حدث الأربعاء) حين وصفه بأنه عصر شك ويهون وفيه جماعة التابعين والأعلام مثل أبو حنيفة والنافع وأبي عبد الله بن حنبل والحسن البصري ، وهو ما ذهب إليه عبد الرحمن الشرقاوى في رواية (الحسين شيئاً) الذى كشف عن أن كاتب الرواية كان حريراً على تصوير المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ بنصف قرن فقط في صورة بشعة ، وكان هذا المجتمع قد تدلى وتهاوى وصار مجتمع عزبدة وتجور ، ومجتمع شفاق وتفاق ، ومجتمع جبن وضعف ، ومجتمع خيانة ونكث المهدود ، مع أن المجتمع كان لا يزال حالاً بعد كبير من صحابة رسول الله ﷺ وفيه عدد ضخم من

التابعين لهم بِإِحْسَانٍ ، وقد وُسِّم علناه الازهـر المسـرحـية بـأـنـهـ تـشـهـرـ بـجـمـاعـةـ منـ أـصـحـابـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ وـ هـمـ قـدـوـةـ لـنـاـ ، وـ قـدـ تـرـدـدـتـ فـيـ المـسـرـحـيـةـ عـبـارـاتـ الـأـنـهـامـ بـالـكـفـرـ وـ الـخـرـوجـ عـنـ الـاسـلـامـ وـ عـبـارـاتـ اللـغـنـ وـ الـتـعـرـيفـ وـ الـتـشـيـعـ بـالـحـرـمـانـ كـاـ صـورـتـ المـسـرـحـيـةـ الـعـصـرـ الـأـمـوـيـ تصـوـرـاـ يـجـاـفـ الـحـقـيـقـةـ فـيـ بـعـضـ الـوـاحـدـ فـوـصـفـهـ بـأـنـهـ عـبـدـ الـأـفـطـاعـ وـ الـأـطـمـاعـ وـ جـرـدـ الـأـمـرـيـنـ مـنـ كـلـ خـيـرـ وـ قـدـمـتـ الـقـصـةـ شـخـصـيـاتـ لـمـ يـعـيشـواـ فـيـ مـرـحلـتـهاـ التـارـيـخـيـةـ أـمـثـالـ وـ حـشـىـ بـنـ حـرـبـ الـذـيـ مـاتـ سـنـةـ ٢٥ـ هـيـرـيـةـ فـيـ خـلـافـةـ عـمـانـ رـضـيـ اللـهـعـنـهـ وـ هـنـاكـ توـعـ منـ الـقـصـوـةـ فـيـ الـحـكـمـ عـلـىـ مـعـاوـيـةـ مـعـ أـنـهـ ضـحـابـ وـ مـنـ كـتـابـ الرـسـولـ ﷺـ فـقـدـ ذـكـرـتـ الـمـسـرـحـيـةـ أـنـهـ عـطـلـ أـصـلـاـمـ مـنـ الـقـرـآنـ وـ زـيـفـ قـاـعـدـةـ الـشـوـرـىـ وـ أـهـدـرـ أـحـكـامـ الـسـنـةـ وـ تـرـدـدـ فـيـ الـمـسـرـحـيـةـ أـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ الـتـعـرـيفـ بـنـظـامـ الـجـبـارـيـ حـيـثـ تـنـاوـلـتـ لـاـشـخـاصـ عـبـارـاتـ الـأـنـهـامـ بـالـلـمـوـ وـ الـتـسـمـحـ بـالـجـارـىـ عـلـىـ سـيـلـ الـتـعـرـضـ وـ الـتـهـمـ كـاـ تـابـرـاتـ فـيـ الـمـسـرـحـيـةـ عـبـارـاتـ مـاـخـوذـةـ مـنـ جـوـ غـيرـ إـسـلـامـيـ كـفـوـهـ (ـمـاجـتـ لـأـقـيـ سـلاـحـاـ ،ـ لـأـمـلـاـ كـلـ بـيـتـ بـالـجـبـةـ ،ـ جـمـتـ لـأـلـقـيـ مـوـعـظـهـ الـغـ)ـ .

كتابات الشرقاوى:

فـإـذـ أـضـفـنـاـ هـذـاـ تـقـرـيرـ إـلـىـ تـقـرـيرـ الشـيـخـ أـبـوـ زـهـرـهـ حـولـ كـتـابـ (ـمـحـمدـ رـسـولـ الـحـرـيـةـ)ـ أـمـكـنـ أـنـ تـتـكـونـ لـنـاـ صـوـرـةـ ذاتـ هـدـفـ وـاضـعـ مـنـ كـتـابـاتـ عبدـ الرـحـنـ الشـرـقاـوىـ الـذـيـ قـدـمـ صـلـاحـ الدـينـ الـأـيـوبـيـ فـيـ قـصـةـ (ـالـنـسـرـ الـأـخـرـ)ـ فـيـ قـالـبـ غـيرـ كـرـيمـ وـ بـجـاـفـ لـحـقـاقـ الـتـارـيـخـ فـوـ يـجـعـلـ مـنـهـ دـعـوـةـ مـبـاشـرـةـ وـ مـصـرـعـةـ الـاسـتـلـامـ وـ الـصـلـحـ مـعـ الـغـربـ وـ طـلـبـ السـلـامـ الـخـادـعـ الـكـاذـبـ ،ـ وـ مـاـ كـانـ هـكـذاـ صـلـاحـ الدـينـ يـوـمـاـ فـيـ حـيـاتـهـ وـ لـكـنـاـ حـاـوـلـاـ لـاستـغـالـ النـصـوصـ الـتـارـيـخـيـةـ لـاهـراءـ النـصـرـ وـ لـقـدـ عـاـشـ صـلـاحـ الدـينـ حـتـىـ آخـرـ يـوـمـ فـيـ حـيـاتـهـ مجـاهـداـ هـؤـمـاـ يـرـفعـ رـأـيـةـ الـجـهـادـ فـيـ سـيـلـ اللـهـ ،ـ وـ هـكـذاـ تـرـابـطـ أـعـمـالـ عبدـ الرـحـنـ الشـرـقاـوىـ عـلـىـ طـرـيقـ وـاحـدـ وـ هـدـفـ وـاحـدـ وـهـوـ يـتـابـعـ مـخـلـطـ طـاـهـ بـحـسـينـ حـولـ بـشـرـيـةـ الرـسـولـ ﷺـ وـ كـانـ كـتـابـهـ (ـمـحـمدـ رـسـولـ الـحـرـيـةـ)ـ جـلـةـ رـابـعـةـ لـكـتـابـ (ـعـلـىـ هـامـشـ الـسـيـرـةـ)ـ اـكـذـلـكـ فـقـدـ كـانـ كـتـابـهـ عـنـ (ـعـلـىـ)ـ هـوـ الـحـلـقـةـ الـثـالـثـةـ مـنـ كـتـابـ (ـالـفـتـهـ السـكـبـرـيـ)ـ إـلـيـاـ نـفـسـ

الأفكار والذريعة والغاية التي رسماها الاستشراف لاعادة كتابة للتاريخ الإسلامي بمفاهيمه الباطنية وأوثقته أعتقدا على مصدر غير مصدر أهل السنة والجماعة، وللتبرع في الأساطير والخيال الفصحي والاعتماد على كتاب الأعوان ومتابعة خصوم الشيوخين أبي بكر وعمر، كل هذا لا يقدم عملاً تاريخياً أو أدبياً له قيمة ذاتية .

أن درجة الوعي الإسلامي اليوم في فهم تيارات التغريب في تحريف التاريخ الإسلامي وتأريخه من طوابعه الحقيقة بوصفه مصدراً من مصادر اليقظة الإسلامية قد أصبحت عالية ودليل ذلك ما كتب في الرد على لويس عوض وما وصل الصحف من ردود على توفيق الحكم وعبد الرحمن الشرقاوي ، نعتقد أن هذه الأقلام لا تستطيع أن تكسب ثقة تارىء واحد من الذين عرفوا خلفيات هذه التيارات ، ولعلم هؤلاء جميعاً أن خطط التغريب والغزو الشفافي قد كشفت تماماً منها حاولوا تغيير جلودهم وبعدها أوراقهم ، أما الصحف فإن مشروطيتها التاريخية كبيرة وفي إخفاء كامة الحق في الرد على الباطل ، وما كانت هذه تدار المساجلات الفسورية في الماضي حيث يسمح لكل صاحب رأى أن يدللي برأيه حتى تبلور الشائع وينكشف الرأى الصحيح للجماهير التي تتحرج مخففاً وشقها ، إما أن تمحى الآراء كلها وويتبين الرأى الواحد المصر على وجهه نظره بهذا ما لا يتحقق مع أدنى أصول الحوار الصحفي .

إنها محاولة لتحطيم الصورة والقضاء على الأصلة ولطرح مزيف من الشبهات والشكوك والسموم على الطريق الذي عده المصلحون منذ ظهر الدين جمال الأفغان إلى اليوم ليسك عليه المسلمون إلى إقامة المجتمع الإسلامي الذي رسّمه لهم القرآن الكريم .

(٢)

كتاب (محمد رسول الحرية)

ـ تقرير الشيخ أبو زهرة ـ

ـ أن المناقشة التي قام بها الشيخ أبو زهرة ركزت على السعوم الناقعة في الكتاب

ـ قال :

ـ لم يسلم الكتاب من الخطأ ، أو بالأخرى كان له [تجاهه] غير إسلامي من
ـ البداية ، فهو مادرس محدداً - عَلَى أَنَّهُ رَسُولٌ يُوحَى إِلَيْهِ بِلِ عَلَى أَنَّهُ
ـ رَجُلٌ حَظِيَّ لَهُ آرَاءً اجتِباعِيَّةً فَسَرَّهَا الْكِتَابُ عَلَى هُوَيْ مَا يَرِدُ ، مَدْعِيَاً أَنَّهُ مُحَاسِنٌ
ـ أَهْبَط يَصُوغُ التَّارِيخَ فِي قَالْبِ قَصْصِيِّ فِي

ـ وقد تكون هذه الكتابة هفيدة لقوم يصغرون من شأن محمد ﷺ ، ويجهلون
ـ من أمره فنزليل عنه ما يتوهون ، وتبين أن له شأنًا ومقاماً في تفكيره ومنحاته
ـ وإنما تكن الكتابة صادقة من كُلِّ الوجوه ففي ذاتها صوير حسن في الجملة
ـ لغير المسلمين ، وفي هذا الحال فقط ، لكن يفسدها طمس الحقائق الكبرى
ـ أو تجاويمها .

مَقَامُ النَّبِيِّ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ أما نشر هذه الكتابة بين المسلمين الذين يعرفون مقام النبي ﷺ ، هند الله ،
ـ ومقام الرسالة الالهية التي حلها النبي ﷺ ، والتي هي مصدر عله ، فإنه لا فائدة
ـ فيها من جهة ، وهي توهين للحقيقة الإسلامية من جهة ثانية ، ثم هي غير صادقة
ـ من جهة ثالثة .

ـ وإذا برو نشرها بين غير المسلمين لتقريب نفوسهم من مبادئه محمد ﷺ ،
ـ فنشرها بين المؤمنين باعث على الفتنة ومنفر للقلوب ومضعف للأيمان .

وأن أول ما يلجه القارئ من الكتاب بعد استيعابه جملة وتفصيلاً :
أن الكاتب يقطع النبي ﷺ عن الوحي ، فكل ما كان من النبي ﷺ :
من مبادئه وجهاده في سبيل الله إنما هي عنده ، لا بواحي من الله تعالى ، وهي
فيه بمحضها بشريته لا بمحضها رسالته .

ولعل العنوان الذي اختاره للكتاب مع إرداده بعنوان آخر صغير - أراد أن
يشير به إلى بشرية النبي ﷺ مبتوته عن الوحي ، وهذا العنوان : قوله تعالى
معلم نايه ﷺ : إنما أنا بشر مثلكم ، فقد اختار هذه الجملة القرآنية ليعلن أن
ما وصل إليه النبي ﷺ من مبادئه جاهد لاجلها ، إنما هو صادر من بشرية
كاملة لا عن نبوة .

ولكي يتم له الاستشهاد ، [قطع الجملة إقطاعاً عما قبلها وما بعدها ، فإن هذه
الجملة وردت في قصرين من نصوص القرآن الكريم أولهما : في آخر سورة الكهف
وهو قول الله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إني أنا لكم إله واحد
فإن كنتم يرون لقائربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربكم أحداً » .

وثانيهما : في صورة فصلت وهو قوله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى
إلى إني أنا لكم إله واحد فإذا سمعتموه فاستقرروه ووويل للشريكين » .

ونرى النص الذي اختاره شعاراً لكتابه مقطعاً عما قبله وما بعده ، فما قبله
هو قوله تعالى مخاطباً النبي ﷺ بقوله « قل » ، وهو يصرخ بخطاب الله تعالى للنبي
ﷺ ، وما بعده هو قوله تعالى : « يوحى إلى » ، قد أبعده ولم يأت به لانه
لا يتفق مع غرضه الذي يهدف إليه لانه يريد نفي الوحي عن الحياة الخالدية .

ولأن القارئ ليسير قليلاً في الكتاب ، حتى يجد الكاتب ينفي الخطاب السماوي
للرسول ﷺ ، فلا يذكر أن جبريل خاطب النبي ﷺ في العيان ، فهو يقول
في أول نزول الوحي بالقرآن ما نصه .

ولكن في تلك الليلة من رمضان ، ألغى قليلاً ثم نام ، فرأى من يعرض عليه كتاباً ويطلب منه أن يقرأ ، فقال ما أنا بقاريء ، ولكنه ألح عليه أن يقرأ ، فسأله ماذا أقرأ فقال له : إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خاق الإنسان من عرق ، إيهأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ، وعندما استيقظ من نومه يحفظ ما سمعه في النوم ويستوضح حله فيما بينه وبين نفسه ، فإذا به وهو بين اليقظة والنوم كأنه يسمع صوتاً بعيداً يقول له : أنت رسول الله وأنا جبريل . (من ٦٨٦٩)

وأن تصوير الرحي في هذا المقام أنه بالحلم في النوم ، يخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن جبريل عليه السلام ، كان يخاطب النبي ﷺ بالعيان لا في المنام .

نعم قبل ذلك الخطاب بقوله - إقرأ - ونذول سورة القلم ، كان إرهاص الرحي يجيء إليه فيما يجيء في رؤيا منامية حتى أنه كان يرى الرؤيا تجيء في الصحو مثل فلق الصبح ، كما صرخ البخاري ، ولكن لم تكن تعتبر خطابة من السماء ، حتى نزول الرحي ومخاطبة جبريل الأمين الذي تردد ذكره في القرآن على أنه رسول الله إلى الذين يصطفهم من الأنبياء لتبلigh الرسالة الالهية لأهل الأرض .

وأنه إذ يقطع الرسالة عن الرسول ﷺ ، ويقطع الرحي عنده ، ويتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحياناً منسوبة إلى النبي ﷺ ، على أنها من تفكيره ، ومن قوله ، لأنها قرآن موحى به وقائله ، هو الله سبحانه وتعالى ، وأن ذلك لم يثبت في الكتاب بكتلة ونضرب على ذلك بعض الأمثلة .

(١) إنذار عشيرته الأقربين :

ذكر في صفحة ٨٠ ما نصه (رأى محمد أن يجمع أسرته من بنى عبد المطلب وأن يدعوهم إلى الإيمان بما جاء به فليس أحب إليه من عشيرته الأقربين) وتراءى بذلك على أنه رأى لرتاه ويقتل الأمر القرافي الثابت وهذا قوله تعالى :

[وأنذر عشيرتك الأقربين، وأخفيض جناحك لمن أتبعك من المؤمنين] ، فنراه في هذا الكلام الذي قاله يناسب كل ما يكتبون بمحى قرآن إلى أنه رأى رأي النبي ﷺ .

(٢) تبّت يداً أبى لهب :

وفي هذا المقام اعترض أبو لهب - عم النبي ﷺ ، فيذكر الكتاب في ذلك ما نصه فامع يا أبو لهب اسمع إذن ، سمعت الرعد ، تبّت لك أنت ، تبّا لك سائر يومك وسائر حياتك ، تبّت يداً أبى لهب وتب (ص ٨٣) فنراه في هذا يناسب إلى النبي ﷺ قوله تعالى « تبّت يداً أبى لهب وتب ما أغنى عنك ماله وما كسب » سيصلني ناراً ذات لهب وإنما أنه حالة الخطب في جيدها حبل من مسد » .

وبهذا نرى أنه يناسب هذه السورة إلى النبي ﷺ ، لا إلى الله سبحانه وتعالى ومثل ذلك جاء في (ص ٨٧) من الكتاب ، فقيها ما نصه : تبّا لها (أى لإمرأة أبي لهب) كما تبّت يداً أبى لهب وتبّت يداً أبى لهب وتب وإنما أنه حالة الخطب .

(٣) القتال في الشهر الحرام :

يذكر استئثار المشركين لأمّ النبي ﷺ بأنه قاتل في الأشهر الحرم فيقول في صفحه ١٨٣ (إنما للكبرية أن يقتل عبد الله (أى ابن جحش) أحداً في الشهر الحرام ، ولكن الفتنة أكبر من القتل وصد الناس عن البيوت المطهية وإخراج أهلها منه أكبر) .

يذكر هذا الكلام منسوباً إلى النبي ﷺ على أنه من عده مع أنه في القرآن الكريم والله تعالى يقول : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبيرة وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهلها منه أكبر عنده الله والفتنة أكبر من القتال » .

(٤) أسرى بدر :

إشتار النبي ﷺ بعد غزوة بدر أصحابه في شأن الأسرى، فأشار عمر بن الخطاب

وأشار أبو بكر بالغفو، وتوسط النبي ﷺ فاختار أن يقتدوا من أهله، وقد

بين أنه سبحانه نبي الحكم فيأخذ أسرى، والمعركة دأمة مستمرة، لانه لا أسرى

إلا بعد أن يعجز العدو عن القتال، وقد نزل في ذلك قوله تعالى : « ما كان لنبي

أن يكون له أسرى حتى يشنخ في الأرض »، تربون عرض الدنيا والله يربى

الآخرة والله عزيز حكيم ، لو لا كتاب الله سبق لمسكم فيها أخذتم فيه عذاب

عظيم » .

هناك في القضية عمل من النبي ﷺ ولو لم توجهه من الله ، لكن الكاتب

يقول إن النبي ﷺ بعد تأمل وتدبر قرر خطا الفداء ، وهذا نص كلامه فقد

أطلق كثيرا من الأسرى ولم يهد - أي لم يرق - غير القليل ، فاقطع يفك وخرج

على أصحابه يقول : إنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يسمعوا النصيحة عمر ، فما

كان له أن يترك لقريش أسرها لتسريحهم على حربه مرة أخرى ، ما كان لنبي

أن يكون له أسرى حتى يشنخ في الأرض » . (صفحة ٢٠٤/٢٠٣) .

وهذا يتبع أنه يرى أن هذا ليس وحيا ، ولكنه من تأملات النبي ﷺ ،

وأن القرآن من عند محمد لا من عند الله .

(٥) إبطال النبي من النبي ﷺ :

ينسب إبطال النبي إلى النبي ﷺ ، ولا ينسبه إلى الله ، مع أن النبي حرم

بأمر الله ، فقد قال الله تعالى في سورة الأحزاب (وما جعل أدعيةكم أبناءكم ذللكم

قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، أدعوهم لآباءهم هو أقسط

عند الله ، فإن لم تعلموا آباءكم فإياخواهم في الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح

فيما أخطئتم به ولكن ما تعمدتم قلوبكم وكان الله غفور رحيم) .

ويقول سبحانه في نفس الصورة : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولتكن رسول الله وخاتم النبيين » ، لكن المؤلف يذكر قصة زيد بن حارثة مع زوجه زينب بنت جحش ، وشكواه منها ، وقول النبي ﷺ له أمسك عليك زوجك ، وبين أن الزوجين أصبهما لا يطيقان الاستمرار ، وينذر كراهة اشاعة أن النبي ﷺ طمع في جمالها ، وما كان للنبي أن يتزوج زوجة متباينة لاته ابنته ، ثم يقول :

ولكن محدثا صل الله عليه وسلم خرج يقول أن المتبنى ليس كالابن تماما فالله شئ آخر ، وأنه إنما يتزوج زينب لكي يدركوا هذا ، وكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعائهم ، فلا حاجة له بجمال زينب ، ولديه عائشة وحفصة (ص ٢١٦) .

فبوق هذا يدعى أن التحرير للبنى من محمد - صل الله عليه وسلم - ويدعى أن محدثا تزوج زينب من تلقاه نفسه ، مع أنه فعل ذلك بأمر من الله تعالى في قوله من سورة الأحزاب ، وإذ تقول للذى أنتم الله عليه وأنتم عليه أمسك عليك زوجك واق الله وتخفي في نفسك ما الله مبده وتخفي الناس والله أحق أن تخفيه فلما قضى زيد منها وطرأ زوجناها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعائهم إذا قضوا منها وطرا وكان أمر الله مفعولا .

فهذا ينسب التحرير إلى النبي صل الله عليه وسلم ، وينسب الزوج لرأي إرثاء الرسول عليه الصلاة والسلام مع أنه ثابت بالقرآن ، ولذلك ينسب ماجاه بالقرآن دائما إلى النبي صل الله عليه وسلم .

ولنا لنيحمد له أنه لم يسر وراء المستشرقين في إدعائهم أخذنا بما جاء في رواية ضعيفة عن بعض التابعين ، إن النبي صل الله عليه وسلم فتن بجمال زينب وكان العلاقان بذلك فله هنا التقدير لهذا .

ذكر - بعد أن قص أخبار موقعة أحد - المعرف فيها - على أنها من قول محمد صل الله عليه وسلم ، مع أنها من قوله الله تعالى ، فهو يقول : (وإنل محمد

صلى الله عليه وسلم - على الناس يحذفهم عن محنة أحد وستة خلاص العبرة من أخطائهم
عسى أن تضيء التجربة لقاسية طريق المستقبل) .

وأن العبرة في أحد كانت يقول الله تعالى في آيات كثيرة من سورة آل عمران
في مثل قوله تعالى : « وَلَقَدْ صَدَّكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَجْسُونُهُمْ يَا ذَنْهُ حَتَّى إِذَا فَشَّلْتُمْ
وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَعَصَمْتُمْ مَنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحْبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ
مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَتَّكِمُوا وَقَدْ عَفَنَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ، إِذَا تَصْعُدُونَ وَلَا تَنَوُّنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ إِلَى أَخْرَاجِكُمْ فَإِنَّا بَعْنَاكُمْ
غَمَّ بِعْنَمْ لَكُمْ لَحْيَاً تَحْزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَحْبَبْتُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَبَصَّرُونَ) وَلَكُنْهُ
دَائِمًا يُنْسَبُ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَلَّمَ يَذَكُّرُ فِي الصَّحِيفَةِ مِنَ الْمُعْنَى أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَ الْعَبْرَةَ فِي أَحَدٍ بِغَرْبِ نَارِ الْأَوَّلِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِمْ .

كذلك يذكر الكتاب أن تقسيم أموال بنى النضرير كان يقول النبي ﷺ
ويقول في ذلك ، قال لهم (. إِنَّ إِخْرَاسَكُمُ الْمَهَاجِرِ لَمْ يَمْلِئْ شَنْتُمْ
قُسْطَمَ أَمْوَالِ بْنِ النَّضِيرِ وَأَمْوَالِكُمْ بِيَنْسِكُمْ جِيمًا وَإِنْ شَنْتُمْ أَسْكَمَمُ أَمْوَالِكُمْ
وَقُسْطَمَ هَذِهِ فِيهِمْ خَاصَّةً) .

وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ ذَلِكُ التَّعْبِيرُ وَأَنَّ النَّصَّ الْقَرآنِ فِي ذَلِكَ صَرِيحٌ بَيْنَ هَذَا
فَاللهُ سَبَحَنَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي سُورَةِ الْحَسْرَةِ [لِلْفَقَرَاءِ الْمَهَاجِرِ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَعَسَّفُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَعْمَلُ وَيَنْصُرُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْلَئِكُمْ مِنَ
الصَّادِقِينَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الْمَدَارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحْبُّونَ مِنْ هَاجَرُوهُمْ وَلَا
يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَا أَوْتَوْا وَيَوْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانُوْهُمْ خَاصَّةً
وَيَوْنَ يُوقِّعُ شَحَّ نَفْسِهِ فَأَوْلَئِكُمُ الْمَفْلُحُونَ] .

وَلَكُنْهُ كَمْ نَاهِيَةٌ يُنْسَبُ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ دَائِمًا إِلَى رَأْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَزَادَ هَذَا حَالَةُ التَّعْبِيرِ الَّتِي لَا نَعْلَمُ لَهَا مَصْدِرًا تَارِيْخِيَا (ص ٢٠٠) .

وهكذا نجد أنه يذكر كثيرا من معان القرآن، وينسبها للنبي صلى الله عليه وسلم فهو يذكر سورة (الكافرون) « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تهبدون .. » على أنها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٠٨) .

وينسب تحريم الخر على أنه للنبي صلى الله عليه وسلم، ويشير إلى تدرج التحريم في القرآن الكريم، ويترك الآيات المختلفة الدالة على ذلك .

ويذكر قصص القرآن على أنها نتيجة تجارة النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في ذلك .. (وقسم محمد ليليه بين زوجاته إثباتا : سودة وعائشة وحفصة ، ولكنه مع ذلك كان يجمعهن عند صاحبة النوبة في الصباح ليعظهن وفي المساء ليسمر معهن ، ويقص عليهن ما رأه في رحلاته ، وكثيرا من الحكايات والأمثال) .

وما كان قصص النبي صلى الله عليه وسلم إلا من القرآن، وما كانت له رحلات في بلاد العرب ، بل أنه لم يخرج من المساجن إلا مرتين إحداها وهو في الثانية عشرة والثالثة وهو في الخامسة والعشرين الأولى مع عمّه والثانية في تجارة بمال خديجة رضي الله عنها .

أخطر ما يقدم الكتاب التشكيك في « القرآن » :

هذه أمثلة سقتها وأنها لكثيرة في الكتاب ، وهي تدل على أنه يرى - أي الكتاب - أن القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم « وفي الحقيقة أنه لم يذكر فقط أن الله سبحانه وتعالى منزل القرآن وباعث محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة » بل إن ذكر الله تعالى يندر في الكتاب بل لا يجد له ذكرا فقط (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) .

ولم يذكر القرآن إلا نادرا ، بل إنك تقرأ الصفحات الكثيرة التي تلغى مائتين أو أكثر فلا تجد ذكر الكلمة القرآن الكريم ، بل الكلمة القرآن فقط ، وإذا ذكر آية ذكر أنها همسة نفس النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتصرت لذلك مثلا :

لقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أذن لبعض الناس بالعودة من حيث خرجوا ، وكان ذلك في بعض الغزوات ، ثم يقول : فإذا ذُرَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَعُودَ إِلَى بَيْتِهِ أَنْ يَعُودَ ، فهذا خيرٌ مِّنْ أَنْ يَقْرَبَ فِي الصَّفَوْفِ لِيُشَعِّيَ الْأَنْزَامَ ، وَيَتَبَتَّفَ فِي الصَّفَوْفِ مِنْ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ الْقُدْرَةَ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْخَطَرِ ، وَالرَّغْبَةُ الصَّادِقَةُ فِي الْإِسْتِشَادِ دَفَاعًا عَنْهَا يَؤْمِنُ بِهِ ، وَهُمْ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَتَقَدَّمُ الصَّفَوْفَ : « عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمْ أَذَنْتَ لَهُمْ » ، وَلَكِنَّهُ عَادَ فِرَأَيَ الْخَيْرَ فِي تَخَلِّيَّصِ الصَّفَوْفَةِ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْخَاتِرَةِ ثُمَّ أَخْذَ يَتَلَوَ عَلَيْهِمْ : [وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرَبِ لَا مَقْامَ لَكُمْ فَإِرْجِعُوهُمْ ، وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ لَمْ يَوْتَنَا عُورَةٌ وَمَا هِيَ بِعُورَةٍ أَنْ يَرْبَوْنَ الْأَفْرَارَا ، قُلْ لَنْ يَنْفَعُكُمْ قَرْرَارُكُمْ أَنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوْ أُلْقِيْتُمْ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ، (ص ٢٨٨)].

وَأَكْبَرُ عَلَامَاتِ التَّشْكِيكِ فِي آيَاتِ اللَّهِ ، أَنَّهُ يَذَكُّرُ الْهَمْمَةَ ثُمَّ يَقْرَبُهَا بِآيَةٍ عَلَى أَنْهَا مِنْ هَمْمَتِهِ ثُمَّ يَتَلَوُ آيَةً أُخْرَى غَيْرَ نَاسِبَهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَا لَأَحَدٍ فِي بَعْنَاطَهِ مِنْ هَمْمَةِ النَّبِيِّ أَيْضًا .

ثُمَّ يُشَيرُ إِلَى نَوْعٍ مِّنَ التَّشْكِيكِ لَأَنَّ الْآيَتَيْنِ يَبْدُو بَيْنَهُمَا تَعَارِضٌ ، مَعَ أَنَّ الْآيَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَانِ مِنْ حِيثِ مَوْضِعِهِمَا ، فَآيَةُ سُورَةِ التَّوْبَةِ (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمْ أَذَنْتَ لَهُمْ) كَانَتْ فِي غَرْوَةِ تَبُوكِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ « وَإِذْ قَالَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرَبِ » كَانَتْ فِي غَرْوَةِ الْأَحْزَابِ وَهُوَ لَا يَذَكُّرُ كَامِةَ الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّهُ مَنْسُوبٌ لَهُ فِي مَقْامٍ يَوْمِيٍّ بِالْتَّشْكِيكِ فِي صَدِيقِهِ .

وَأَقْرَأَ قَوْلَهُ فِي ص ٣٥٤ (بِالنَّسْبَةِ إِلَى الرَّتِينِ الَّذِينَ قُتِلُوا بِعِصْمِ الْمُؤْمِنِينَ غَدَرًا) الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقْتَلُونَ وَلَا تَعْلَمُوا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ عَدَدُ الْيَهُودِ « ﷺ » بِكَتَابَةِ الْقُرْآنِ ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَخْرُجُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى هَوَاهُ ، يَمْلِيُهُ مُحَمَّدٌ « ﷺ » ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَيَكْتُبُ وَهُوَ « الْمُغَيْرُ الْحَكِيمُ » ثُمَّ يَنْدَهِبُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَيَتَنَاهُرُ بِمَا يَصْنَعُ ، ظَلَّ يَصْنَعُ

هذا ، حتى اكتشف محمد أمره فهرب إلى مكة ، ويظل يهزأ بـ **محمد** (عليه السلام) ، وبالقرآن ويوعد الناس أنه حرف كثيراً من آياته ولم يكشفها محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد) .

وأقرأ قوله في صفحه ٣٥٦ (أما لرجل الذي حرف في القرآن الكريم فيعلن توبته وحرق النسخة المحرفة أمام الجميع) ، وأن هذا البيان التاريخي يوم بل شير أن القرآن فيه تحرير وتبديل ، بدليل أن أحد كتاب الوحي قال ذلك .

تلقيف الأخبار :

والخبر على هذا الوجه غير صحيح ، ذلك أن الرجل كان يكتب الوحي أحياناً وليس دائماً ، وما كان للنبي (عليه السلام) كاتب واحد ، بل كان يكتب الوحي من يكون بحضوره عند تزوله من يحسنون السكتة ، وعندما يمل عليه (النبي عليه السلام) ما أوحى إليه ، يقرئه ويحفظه من يكون بحضوره من الصحابة فما كان الرجل ملازماً له ، وما كان الاعتماد على ما يكتب بل على ما يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ الصحابة .

وما تكونت في عصر النبي (عليه السلام) نسخة مجموعة جمعاً هائياً ، ولكن كان محفوظاً في صدور كثرين من الصحابة كأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وعلى أبي طالب وغيرهم كثير رضي الله عنهم ، فلا يقال : أن هناك نسخة كانت محرفة وحرقت وما جاء ذلك في سباق تاريخي قط وما قاله أحد قط من علماء الإسلام .

وأخيراً فإن الردة التي وقع فيها ذلك الرجل ، ما كانت نتيجة طرد النبي (عليه السلام) ، بل أنه ارتد من تلقاء نفسه ثم أخذ يشيع هذه الأكاذيب ، مما كانت حقيقة ولكتنا إدعاء منه هو كذب فيه .

فالنبي (عليه السلام) يحفظ ما ينزل عليه ، وغيره يحفظ ، وما كان من المقبول أن يستمر ذلك التحريف دليلاً واحدة وأنه عند جمع القرآن في مصحف ،

أى تكوير نسخة كاملة منه ، في عهد الشيوخين أبي بكر وعمر ، وكان يبحث عن المكتوب غير المجموع ، إذ كانت آنذاك قطع متباشرة عند الصحابة وفي بيوت النبي ﷺ ، في حين أن المكتوب كما حفظوا ، فيثبتونه في المصحف .

توهين آثار القرآن :

إن في السياق الذي ذكره الكتاب توهيناً لآثار القرآن ، لا يصح أن ينشر بين المؤمنين فضلاً عن أنه في أصله كاذب في ذاته .

ثم أنه ليروهن من شأن النصوص سواءً أكانت قرآن أم أحاديث ، عندما يقرر أن الحكم في الإسلام بالقرآن والسنّة أو الرأي على أنها متساوية والمسلم بغيرها إلا أنها مرتبة .

ويقول في ذلك ص ٢٧٥ (وفي رأي كل هؤلئة ترسخ نصيحة محمد ﷺ)
« أحكم بالقرآن أو السنّة أو اجتهد برأيك ، والأمر شوري يعنكم لا تختلفوا ولا تعلوا في الأرض مفسدين » .

موقف الكتاب ومؤلفه من النبي ﷺ :

هذا موقف الكتاب من القرآن ذكرناه مع ضرب الأمثلة من الكتاب ، لا تكتب عنه مالم يكن بل إننا نستمد البيانات من كتابته .

فلنتوجه بعد ذلك إلى موقفه من النبي ﷺ المعروف من عند الله تعالى ، فإن الكلام الذي كتبه عنه غير قائم على أساس صادقة ، بل على ما ينافي كل الحقائق التاريخية تماماً .

أولاً : إدعاء خروج النبي ﷺ إلى الجهنم :

لادعى المؤلف أن النبي ﷺ سافر إلى الجهنم مع عمه الوزير بن عبد المطلب فقد جاء في ص ٤٢ ما نصه :

(وَهَا هُوَ ذَا مُحَمَّدٌ يُضطَرُ إِلَى أَنْ يَشْغُلُ أَخْيَرَ أَفْوَاتِهِ بِهَذِهِ الْقَوَافِلِ ، لِيُعِيشَ مَا كَانَ يَعْلَمُ بِالدِّينَارِ أَوِ الدِّينَارِ ، وَيَخْرُجُ إِلَى الْيَمِنِ مَعَهُ الْأَزْبَرِ فِي رَحْلَةِ الشَّتَاءِ) .

وَهَذَا القَوْلُ لَمْ يُذَكَّرْ فِي الصَّمَاحِ مِنْ تَارِيخِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَدْ يُذَكَّرْهُ الْمُسْتَشْرِقُونَ مِنْ غَيْرِ سُنْدٍ قَارِئِينَ ، بَلْ بِفَرْضِ يَفْرَضُونَهُ لِيَتَمَّ لِهِمْ مَا يَتَعَوَّذُونَ مِنْ تَوْهِينِ شَأْنِ الدِّعَوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ ، يَادِعَاهُ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ كَانَ رَحِيلَةً وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ نَتْيَاجَةً تَجَارِبَةً لَا بُوْحَىٰ مِنْ رَبِّهِ .

ثَانِيَاً : يَسْتَرِسلُ فِي إِدْعَاهُ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ كَانَ رَحِيلَةً مَعْنَياً بِمَا عَنِ الرُّومَانِ وَالْفَرْسِ .

فَهُوَ يَقُولُ فِي صِ ٦٢ (لَمْ تَكُنِ الْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي تَعْنِيهِ) ، فَقَدْ طَافَ بِالشَّمَالِ وَالْجُنُوبِ ، وَعُرِفَ كَثِيرًا مَا يَحْدُثُ فِي بَلَادِ الْفَرْسِ وَالرُّومِ ، وَفَكَرَ فِي هَذَا كُلَّهُ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ يَهْدِي إِلَيْهِ الْإِنْسَانَ ، وَيُسَيِّطُ الْغَنَّاطُ أَحْيَانًا حَتَّى لَتَتَدَدِّدِيَ الْمَرْأَةُ الْخَنُونُ إِلَى قَلْبِ خَصْمَهَا بِهِ دَأْنٌ يَقْتَلُ ، فَتَأْكُلُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَتَلْعَقُ الدَّمُ .

وَمَا زَالَ الْمَلَكُ الْكَبِيرُ فِي بَلَادِ الرُّومِ يَصْنَعُونَ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مَا يَصْنَعُهُ الْرَّابِونُ الْكَبِيرُونَ فِي مَكَةَ ، وَالرُّؤْسَاءُ وَالدَّاهَقِينُ فِي بَلَادِ الْفَرْسِ ، وَهُنَّا وَهُنَّا يَقْضُى عَلَى الْإِنْسَانِ مَا يَقْضُى بِإِسْمِ قَوْيِيَّتِ الْخَنَافِسِ الَّتِي لَا تَقاومُ وَلَا تَرْدُ ، وَهِيَ قَوْيٌ لَا تَشْبَعُ مِنْ دَمِ الصَّفَارِ وَنَقَاتِ الْمَوْانِ .

وَلَا يَحْمَنَا مِنْ هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا مَا فِيهِ مِنْ إِدْعَاهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَدْ جَابَ الْبَلَادَ الْعَرَبِيَّةَ شَمَالًا وَجِنُوبًا ، وَأَنَّهُ كَانَ مَعْنَيَّا بِعِرْفَةِ مَا عَنِ الرُّومَانِ وَالْفَرْسِ ، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يُوجَدُ مَا يَدْلِلُ عَلَيْهِ فِي التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْمَصَادِرِ "الصَّحِيحَةُ" ، بَلْ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فِي أَيِّ مَصْدَرٍ عَرَبِيٍّ قَدِيمٍ ، وَلَكِنَّهُ خَيَالُ الْمُسْتَشْرِقِينَ سُلْطَانٌ فِي نَفْوسِهِمْ .

ثالثاً : ويندّ ذكر أن النبي ﷺ تعلم الكتابة من ملاحظته الحروف ، وهذا نص قوله في ص ٣١٣ (فتناول محمد الصحيفة من على وحاماً كتبه على ، وكتب هو دلياجتها ، كما أراد مندوب قريش كانت هذه أول مرة يكتب فيها بعد أن تعود ملاحظة الحروف من طول ما أملى على كتبة القرآن) ٠٠ وهذا تحريف للروايات ، فإن الثابت أن علياً لما امتنع عن حذف كلمة الرسول أو محوها مد رسول الله ﷺ يده ومحاصها بنفسه بعد أن استفسر من علي عن موضعها ، وألم على بقية الكتاب ولم يكتب محمد ﷺ يده شيئاً .

رابعاً : يذكر أن محمداً (ﷺ) قد سحر ، فيقول في ذلك في ص ١٧٩ ورأى اليهود موجة نشاط جديدة تهز القلوب فعادت تكيد . وكان من رجال اليهود ونسائهم من يقوم بأعمال السحر . وللسحر إذ ذاك سلطان خيف على بعض العقول ، وضاعت إمرأة يهودية سحراً يقعده عند الخروج وينتهي من النساء ، ولقد صار هو بهذا السحر ولكنه تحداه . وخرج يقود إحدى السرايا وعاد إلى المدينة ساخراً بهذا السحر ، غير أنه امتنع عن النساء ، فأماماً سودة الروحة الكهلة فقد صبرت للأمر عدة شهور ، وأماماً عاشة زوجته الجديدة الشابة فقد احتسبت هذه الشهور ، ثم طالبته أن يصنع شيئاً يبطل به هذا السحر ، وكان هو يدليها وبصطفتها ويتركتها تذكرة على كتفه أمام الناس ، وشعرها يلمس خده ، وهي ترى معه ألعاب الأحابيش في ساحة المسجد .

وهذا الكلام فيه إدعاءات ثلاثة :

(أولاً) : أنه سحر (ثانياً) أن ذلك أثر في قوته التنااسلية (وثالثاً) أنه كان يدلل زوجته أمام الناس .

وهذه دعوى ياطلة ، أما السحر فقد ذكر في بعض الروايات ولكن النقائض والمحققين من العلماء ردواها وثبت بالدليل القطع بطلانها ، ولو أن بعض

اللقاءات قد أدخلت عليه ، وأن المستشرقين يطيلون ذكرها توهينا لشأن الدعوة الإسلامية .

أما أنه أثر في قوته التناسلية فهي مبنية على تأثيره بالسحر ، وقد ثبت بطلانها على أن أكثر الروايات لا يذكرونها .

أما تدليله لروجته أمام الناس فذلك لم يصح وإنما الذي صح أنها كانت تنظر إلى ألعاب الأحياش وتطلع من فوق منكبها وهو جالس دون أن يراها الناس .

خامساً : أن هناك نوعة نصرانية تحدثها في مواضع كثيرة ، تذكر منها أن النبي ﷺ ينادي يا ولدي ، ولا يذكر من النبادى ، فقد جاء في ص ٩٤ ما نصه : (غريب أنت في هذا التيه الذي يتنفس بالحننة والأكذوبة والمنكر) شارد حرين لا تتفق تتأمل في السماوات والأرض ورجوه الرجال والنساء والأطفال .

ما تقاد تصاحلك مستمتعاً بحياتك الجديدة المطمئنة مع المرأة الجميلة التقية (كيمة التي اختارتك للحياة) .

ولا تدرى من الذي يناديه ذلك النداء وقد تكرر ذلك في عدة مواضع فقد جاء في ص ١٣٤ ما نصه :

(طريد أنت يا ولدى ، مسكنين معدب كالمبشرين الأوائل) فلن ينادي هذا النداء ، إن الذي يمكننا أن نفترض به ذلك هو أن هذه نوعة نصرانية ، كما يجري على ألسنة النصارى (آبانا الذي في السماء) وأنه يصح أن يكون ذلك صوت الله يناديه في رعم الكتاب ، ولكن لا أحد في الدنيا يصح أن يكون ولد الله تعالى : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

هذا موقف الكتاب من القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة إلى الخيال الروائي الذي يفتقر إلى الصدق التاريخي في بعض الروايات عن حمزة وغيره والكتاب في الحلة يبيه إلى الناس في دينهم .

حاشية : هذا التقرير الذي كتبه الإمام محمد أبو زهرة عام ١٩٦٢ وقد حصل عليه منه قبل وفاته الأستاذ محمد نعيم الصحفى الإسلامي وقد احتفظ به حتى أتيحت له فرصة نشره عام ١٩٧٥ م . وهذا الذى قام بتناصيفه على هذا التحقيق المنشور الآن .

- ثبت أن السحر لا يؤثر في قلب النبي ﷺ ولا في أسلوب التبليغ والمعروه .
- في دعوى امتناعه عن النساء أنه عَزِيزٌ قد ثبت بعد ذلك إنما يهبه إبراهيم ابنه من ماريا القبطية .

(٣) مسرحية الحسين شهيداً

(مسرحية الحسين شهيداً)

الاصحاح الحرام تشوّه حقائق المعارك الاسلامية وتشير بالصحابة الأجلاء
 (أحمد الشرباصي ، محمد الطيب التجار ، زكي البهلواني) نشرت الاعتصام - مايو
 ١٩٧٥ عن هذه الدراسة للمسرحية تحت عنوان : (مسرحية الحسين شهيداً)
 (١) المسرحية تظهر شخصية الحسين وبشخصية السيدة زينب رضوان الله علیهما
 وهما من آل بنت الرسول الأعظم وقد تكررت الفتوى من العلماء المسؤولين
 عن إظهار هذه الشخصيات الطاهرة .

(٢) تردد في المسرحية التشير بجموعة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم قدوة لنا
 وقد نوه الرسول ﷺ بمكانة أصحاب في أكثر من حديث شريف ومن واجبنا أن نبرأ
 مفاسيرهم وتركز على هنها وننرم بها والا نطيل الوقوف أمام مانسب إليهم من خلاف
 أو خطأ .

(٣) ترددت في المسرحية عبارات الإهانة بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات
 اللعن والتعرىض التشريع بالحرمان وهذا كلّه بين مجموعة تنسب إلى الإسلام وجاءت
 فيها ألفاظ خارجة مثل (أبناء الأمهات الراتينيات ، يا ابن الفاعل ، يا ابن البرصاء ،
 الدعى بن الدعى) .

(٤) صورت المسرحية العصر الاموي تصويراً يجافي الحقيقة في بعض التواهي
 فوصفت بأنه عبد الاقطاع والأطماع وجردت الامويين من كل خبر ونحوه
 لا ننكر أن هذا العصر فيه عيوب وماخذ ولكن هذا العصر شهد أيضاً فتوحات
 إسلامية كثيرة وكان فيه جهاد ونضال فكيف يجرده من كل حسنة ونبأ في
 تصوين فساده كل هذه المبالغة .

(٥) المسرحية تعرض شخصية الصحابي (وحيى بن حرب) عرضاً مخالفاً للسيرة والتاريخ في تعرض هذه الشخصية المسلمة الثانية في صورة سكر مخمور ، قد شرب (نحر الأرض) مع أنه من صحابة رسول الله ﷺ وروى عنه الحديث وقد جاءت أحاديث مروية عنه في صحيح الإمام البخاري .

وتصور المسرحية مقابلته للرسول عند إسلامه تصويراً غير كريم وغير سليم لا تتفق مع التاريخ ولا يناسب المعروف عن مكارم الأخلاق التي تحمل بها سيد الإنسانية ورحمة الله للعالمين : رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فالرسول قد قبل إسلام وحى وقال له (يا وحى أخرج خاده في سبيل الله كما كنت بكمال لتصد عن سبيل الله) .

(٦) والعجب كل العجب أن يوجد « وحى بن حرب » بين شخصيات هذه المسرحية لأن أحديها تدور في سنة ستين الهجرة ووحى حرب قد مات سنة خمس عشر من الهجرة في خلافة عثمان رضى الله عنه فوحى إذن لم يدرك شيئاً من أحداث هذه المسرحية فكيف يضاف إلى أشخاصها .

(٧) هناك نوع من القسوة في الحكم على معاویة مع أنه ح相伴 ومن كتاب الرسول ﷺ فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلًا من القرآن وزيف قاعدة الشورى وأصدر أحكام السنة إلى غير ذلك من التهم الشديدة التي يختلف في تحديدها المؤرخون والباحثون .

(٨) جاء على لسان الحسين رضي الله عنه وأرضاه أنه ذهب حينما اشتلت المخة إلى قبر الرسول - عليه الصلاة والسلام - وقال يخاطب النبي : حدثني أنا لا أعرف ما أصنع فأعنى « والحسين خير من يعرف أن المuron إنما يتمنى من الله تبارك وتعالى وجد الحسين هو نفسه القائل : إذا استفدت فأستعن بالله فحصل عن أن الواقع لا نصيبي لها من الصحة .

(٨) ذكرت المسرحية أن (يزيد) قد فرح بقتل الحسين رضوان الله عليه وهذا يخالف الواقع لأن التاريخ يذكر أن يزيد قد توجه شرًّا من قتل الحسين وأنه بك حين رأى رأسه ولستنا ندرى لمصلحة من يظهر يزيد وهو حاكم المسلمين على أهل تقدير - في مظاهر حقير مثير لو كان أمراً واقعاً لما كان من الحكمة إبرازه .

فقد قدمت المسرحية عقب مقتل الحسين شخصاً يبدو مخوراً والجواري تهظين ظهره ويشخصنه فيسير بين كالمار والتاريخ يذكر فيها يزيد كأن يزيد كان متهم بالإنحراف عن الآداب الدينية قبل المبايعة له فيما تولى الحكم لأنصرف عن هذا الإلحاد أو على الأقل لم يجاهر بمثل ما كان يجاهر به من قبل .

(٩) أن المسرحية مع الأسف كأنها تحرص على تصوير المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسوا، عليه الصلة والسلام بنصف قرن فقط في صورة بشعة وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى ، وصار مجتمع عربدة وفسور ومجتمع شفاق ونفاق ومجتمع جهن وصعف ومجتمع خيانة ونكث للعبود مع أن المجتمع كان لا يزال فيه عدد كبير من صحابة رسول الله عليه السلام وفيه عدد ضخم من التابعين لهم باحسان .

(١٠) تردد في المسرحية أكثر من مرة التهريض بنظام الجواري حيثتناول الأشخاص عبارات الإهتمام بالله والتمتع بالجواري ، على سبيل التعریض والاتهام مثل هذه العبارات (ما تجيز سوى مصاحبة الجواري) ، (تمتع بجواريك الأبكار الخرد) ، (سوق الإمام) .

(١١) تناولت عبارات مأخوذة من جو غير إسلامي مثل هذه العبارات (ما جئت لألقي سيفا) (جئت لألقى موعدة) (لاملا كل بيت بالحبة ، جسوع الفقراء يا مطفئ نور الحضارة) .

(١٢) أختير لون السواد لطائفته من الممثلين والممثلات وهذا السواد شعار

طائفى مذهبى خاص فهل من المصلحة أن تاره مثل هذه العائلية ، وكذا بما من
قام بدور الحسين في ثياب تشعر بأنها إيمان بشخصية غير إسلامية وإن كانت
شخصية لها مكانها في نظر المسلم .

وكان هناك في نفس المسرحية توأج وتدب وتمديد وقد طال هذا وإمتد فما
منى إتفاق ذلك مع تعاليم الدين .

كذلك جاء على لسان أحد الأشخاص من أتباع الحسين رضي الله عنه ما يفيد ،
أن قتال المعارضين للحسين خير من قتال المشركين فهل يحكم على عقائد الناس
بمثل هذه المسئولة .

(٤)

ما أخذ على كتابات الشرقاوى: (حول الامام على)

أولاً : أن مصادر الكتابة عن الامام على - رفاقه ومنهج البحث في سيرة الصحابة تختلف عن المصادر ومنهج البحث في التاريخ العام ، وهو لم يتلزم بهذا المنحى بل عبد لكتب التاريخ وغير كتب التاريخ فاستقى منها مادته وأخباره ، فرجح إلى كتاب (الاعان) وهو مرجع لمورخى الأدب في العصر العباسي يجمع أخبار الشعراء والأدباء والمخفيين والمغافل وبجالس الشراب والطرب ، فإذا وجدت فيه معلومة عن صحابي أو تابعى فيجب الوقوف أمامها طويلاً ، للبحث عما إذا كانت قد وردت في مصدر تاريخي أصليل مما تستكمل به أصول البحث العلمي ، ومصطلح علم الحديث وأصول الرواية في معرفة حال الرواة وصحة المتن وطريق التحمل ولكن الشرقاوى سوى بين المصادر القديمة لتقديمها ولم يفرق بينها ومن هنا وقع اللبس .

ومن مصادر الشرقاوى (الطبرى) والطبرى لا يشك أحداً في صدقته ولكنه اعترف في كتابه أن الكتاب لا يخلو من الواقع المذكر فيه والأخبار المحوولة فلها هوجم الشرقاوى في هذا دافع عن مصدره واعتذر لهذا التحيز الخطير الذى سجله الطبرى في صدر كتابه .

وهكذا فإن المصادر التي رجع إليها الشرقاوى لم تكن كلها كفينا للموضوع فوق في ورطه لم تستجب لنصح الناصحين فيها .

(بتصرف عن بحث الدكتور المطنى)

ثانياً : تناول أشخاصاً لهم بلاء وغناه وسبق إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله ووصفهم بما لا يليق بهم ، فهم لا يزيدون بذلك رسول الله والشواهد الذين

هاجروا في الله بعد ماقرتو وهاجرروا وصبروا وقد قدم لنا الإمام علي في عمارة فتنة وأعصار حنة، وقد يما قرر الفقهاء والعلماء والسلف الصالحون من أدركوا الفتنة وجاوا بعدها الإمساك عن الخوض فيها فما في الصحاحة كلام عدول بتعديل الله لهم ولكل منهم وجه نظر واجتهد والمختلط فيه له أجر والمصيب له أجران.

لِمْ يتناول الكاتب دور اليهود في هذه الفتنة التي آثر الخوض فيها وما فعله عبد الله بن سباء وأشياعه والخدوعون به فهم أسبابها وما أشبه الليلة بالنهار ولم يهنج هرج المحدثين وأهل الآخر من نقده الأخبار على مقتضى قوانين الرواية والجرح والتعديل الذي ميز الله به أمة محمد ﷺ وراح يسوق الأخبار ومها الملقنة كأنها حقائق مسلمة وبين عليها اتهامات ويصدر أحكاماً فاسية وهي أخبار واهية لا تحمل روایتها فضلاً عن اعتقادها في تقرير حكم أو توجيهه لوم خاص إذا كانت تحمل في تناياعها دليلاً بطلاناً ولم يشر إلى مرجع واحد من مراجعه التي اعتمدت عليها فإن كثيراً من أئمة المؤرخين قد ينقولون الشائعات والأخبار التي لا تصدق ولكن باشاعتها اعتقاداً على أن الناس سيفتحون الأسانيد فتفقليتها أو يرفضونها.

(عن بحث الاستاذ عبد المعز عبد الستار يتصرف)

ثالثاً: الحادث في قوله : [ليس لبني اسماعيل فضل على بني اسحق ولا لبني اسحق فضل على بني اسماعيل] والحق أنني ألمح منها كيداً خفياً من عمل اليهود وإنكما افتروه ، بعد أن عزلهم الله عن قيادة البشر وجعلهما في العرب من بني اسماعيل فاليهود من يريدون إن يتساولوا مع العرب والمسلمين وببساطة المبدأ ويفزروا أنهم يرثون إلى مستوى المسلمين على ما هم من بني وكفر وقساوة قلب وعلى أخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وقولهم [ليس علينا في الأمرين سبيل] ونحن نقول : [بل لبني اسماعيل اليوم فضل على بني اسحق] ولله رب فضل على اليهود بعد ما أثبت اليهود ببغيم وعداوتهم أنهم على مدّه ، التاريخ وراء كل فتنه وسبب كل محنة وأنهم كالنشركين لا يرقبون في قوم إلا ولا ذمه .

رابعاً : غرق عبد الرحمن الشرقاوي في أبوطيل الرواة وفي الروايات الشالة

تاجري على لسان (الإمام علي) عبارات ما كان يمكن أن تحرى على لسانه ونقول عليه أخباراً كاذبة كثيل مانسب إليه من أنه قال أنه كان أول من أى يذكر وحصر بالخلافة .

خامساً : إنزلق عبد الرحمن الشرقاوي في أعراض الصحابة واندفع بهدف وفية ميته وليس من باب الخطأ أو عدم الإحاطة بالمصادر ، ولما كانت هذه الفترة من تاريخ الإسلام شائكة ، وكان هو غير متخصص في التاريخ وقليل الدراسة ، والصحابة بحيث أن يتناول تاريخهم بأسلوب مختلف ، يقوم على احترامهم ومعرفة قدرهم وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا حين قال : [أصحاب كالنجوم بأيمان اقتدي بهم اهتدি� بهم] [ويقول] لاتسيروا أصحابي ، من سب أصحابي فقد سبني] .

وقد بدا الفصد من سياق الترد وهو النيل من الآخرين ومن ساقته بالذات وهي نقطة مهمة كان لابد من أثارتها ، وكانت عبارات الكاتب تستهدف التنقيس من قبله من الخلفاء رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قصد الكاتب إلى إثارة خلاف في هذه الآونة بين طائفتين أو أكثر من المذاهب الإسلامية وإيجاد بللة وتباعض بين تلك الأمم والمذاهب ومن هنا دخل في الخطر الكبير الذي جاء عنه التحذير في بعض الآثار : (افترته قاعدة لعن الله من يقتظها) .

الأخطا ، كثيرة وكان بالرجل يرمي إلى شيء من وراء هذه المغالطات غير العلم فابتعد عن الحقائق ، وماذا يقصد بأوصافه التي آتى بها خياله عن ليلة ذي اربع ذي التورين عثمان رضي الله عنه من نائله ، وهو الذي كانت تستحق منه ملايين الرهن ، ومن أين له هذا الوصف البعيد كل البعد عن العلم وعن التاريخ وأقرب ما يكون إلى روایات الجنس ثم كتاباته عن أم المؤمنين عائشة وعن الصحابة طلحة والزبير وغيرهم عند ما وصفهم بغير أوصاف المؤمنين وهم المؤمنون حقاً . عن (عليهما الله الائتمار) ينتهي

سابقاً : بدا الشرقاوى خطته بأن ألف كتابه محمد رسول الحرية على أساس أن الإسلام مظاهر للصراع بين الطبقات وأن الأصنام تم صبها حول الكعبة لأسباب مادية وتم هدمها كذلك لأسباب اقتصادية ومضى في طرفة يفسر الواقع بمعايير الفكر اليساري ونقرأ كتب التاريخ غير مميزينحقيقة وشائعة ، وبين صحيح وموضع وغير مدبر لمسكانة الرجال الذين يتحدث عنهم خاتمة كتاباته بعيدة كل البعد عن المنطق العلمي ، كما جاءه يعيد الآثر في الإسامة إلى الإسلام والصحابة وإلى الآمال المرجوة في الصحوة الإسلامية وجع الشمل وقد ردد الشهادات والتقط النقاط المشكوك فيها التي تعينه على باطله ومنها الخطبة المنسوبة إليه بأنه أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر وهي خطبة تعي أن الخلفاء الثلاثة كانوا مقتضبين حقاً ليس لهم وأنهم طلاب دنيا وعشاق رياسة وأن جهور الصحابة جبن عن مظاهره صاحب الحق المقرء ، وهذا النسق يرمي إلى فتح الباب للطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

ودعواه أن بنى التضليلوا باطل في اسم بيتو التضليل يوماً ، وأنهم حاولوا قتل النبي عليه الصلة والسلام عندما كان بينهم في بعض الشئون وهناك قضية وهب لها الشرقاوى فكره ونشاطه و يريد أن يجر الإسلام إليها جرأ دون هوادة ، هل المسلم أن يدخل أو يكتنز بعد أن يؤدي الحق المقرر عليه في ماته ، أم يجب إلا يمسك عنده شيئاً فوق حاجته وهو يؤكد أنه لا يجوز استيفائه شرعاً لصاحبه فوق نفقته العادلة ، أن هذا هو ميل إلى نظرية كارل ماركس (لكل حسب حاجته) ولكنها يصور الرأى الذي ارتآه على أنه من الكتاب والسنة ، وهو يحاول أن يجعل على ابن أبي طالب ضد رئيس المال مما أدى ماعليه من حقوق وهو يحاول أن يجعل عثناً كأحد الباشوات أو اللوردات الذين يشعرون شهواتهم ويرهبون المجتمع بفضول أموالهم ومن المقرر أن كتابات عبد الرحمن الشرقاوى لا تحك تاريخاً إسلامياً ، فهو يساوى يريد أن يجعل الإسلام وتاريخه مصريون باللون الأحمر والتفكر المادي وإسوق الحوادث سفراً خدمة لهذا الغرض .

فهل صحيح أن الصراع بين التوحيد والوثنية كان صراعاً طبيعياً كما يقول

الأغنياء يدافعون عن وجودهم والفقراًء عن حقوقهم في الحياة السكريمية وعن أحالمهم في عالم أفضل ، أى أحالم هذه وهل صحيح أن موسم الحج كان « يستمر هؤلاء الأغنياء أموالهم في البيع والشراء والربا فيربحون ويربحون ، وهذه الأصنام هي التي تنهجهم كل سلطاتهم على الإجراء والمدحدين والهبيدين وأبناء السبيل وواجه محمد هذا كله بأن الأصنام ضلال مبين فهو يلعن الذين يكتنزون الذهب والفضة ولا ينفقوها في سبيل الله ، هكذا يقول الشرقاوى في تصوير الرسالة الإسلامية : صراع بين الغنى والفقير لا وجود له إلا في دماغ المؤلف .

وآية عدم إكتناز الذهب والفضة تزالت بعد اثنين وعشرين سنة من بدء الرسالة ولا صلة لها بعبادة الأصنام أو الحرب التي شنها الإسلام على الرثانية من أول يوم . حتى الهجرة إلى المدينة جعل لها الشرقاوى أسباباً اقتصادية فإن المرايin في المدينة كان ضخيم أقل ، والهوان الذى يتعرض له المديتون كان أخف ، تأمل قوله : هنا مجتمع آخر أكثر تقدماً من مجتمع مكة ، هنا علاقات اجتماعية أخرى أكثر قابلية لتعاليم محمد ، فالمرأة اليهودى لم يكن قادرًا على استبعاد المدين العربى إذا غير الوفاء كما كان يحدث في مكة ، ولم يكن له الحق فيأخذ امرأة المدين أو ابنته إلا كراههما على البغاء كما كانت تفعل قريش وأجير الأرض في المدينة أعلى درجة من عبد مكة الذين كانوا يحرسون القوافل والمصارف الخ .

ليس في هذا الكلام كله ذرء من صدق والقول بأن العرب كانوا يستحقون العذاب المعاشر ، ويستوفون دينهم من استرقاق أمرأته وابنته وارغاهما على الرزق ، كلام مكذوب ، ما كان شأنها لافي مكة ولا في المدينة وبالتالي فلا صلة للهجرة بهذه الأوضاع المختلفة .

أن هذا الكلام ليس تسويف تاريخ ، بل هو تزوير تاريخ ، أو كما يقال في مصر (سمك ، ابن ، تم ، هندى) وليس في القرآن ولا في السنة المطبرة ولا في السير المؤلفة عن صاحب الرسالة ما يترك مثل هذا الانطباع الغريب عن الجمود الذى بدأت منه تعاليم محمد (١) . كما يصف عبد الرحمن الشرقاوى الإسلام وتنيه وما نزل عليه من وحي وما تهضنه من حضارة .

عن الشيخ (محمد الغزالى بتصرف)

(٥)

أخطاء عبد الرحمن الشرقاوى

في كتابه السيرة والتاريخ

في كل كتاباته الإسلامية يظهر الغرض المبيت المدفون واضحًا :
(محمد رسول الحرية - مسرحية الحسين ثاراً - كتاباته عن الإمام علي)
لأن درجة الوعي الإسلامي الآن في فهم تيارات التغريب قد أصبحت عالية
وما تعتقد أنها يمكن أن تخضع وهذه الأسماء معروفة المؤوية ولذلك فهي لا تستطيع
أن تكسب ثقة قارئ واحد من المؤمنين بالحقيقة الإسلامية ولعل هذا هو ما يرجع
هؤلاء ومن ورائهم ، أن خلط التغريب والغزو الثقافي قد كشفت تماماً فيما
حادلوا تغيرة جلودهم وبهذا خلطوا أوراقهم ومهمماً نشرت لهم الصحف الكبرى
ومهما حالت بين مقترباتهم وبين تصحيحها ، فليوثس هؤلاء تماماً وسيرتد الكيد
إلى نحور أهله .

لأنها عادة لتحطيم الصحوة والفضاء على الأصالة ولطرح مزيد من الشبهات
والشكوك والسموم على الطريق الذي أصبح صالحاً ليسك عليه المسلمين إلى إقامة
المجتمع الرباني ، أنها محاولات يائسة لإفساد الفكر وتزيف التاريخ ولهم القىم
تحت أسماء إسلامية ، ومن خلال ح Mofff محتواه للتغريب والغزو الفكري في روايته
الحسين شهيداً كان حريصاً على أن يصور المجتمع الإسلامي بعد أن اختار الرسول
الرفيق الأعلى بن حصن قمرن في صورة بشعة ، وكان هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى وصار
مجتمع عربدة فجور ، ومجتمع شفاق وتفاق ومجتمع جن رضف ومجتمع خيانة وركض
للهدود ، مع أن المجتمع كان لا يزال يدخل بعدد كثير من محاجة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من النابعين لهم بامتنان (وهذه ستابة خطبة طه
حسين) التي جرى عليها في الهجوم على الصحابة وأتباعهم أما في دراسة عن الإمام

على فقد اعتمد على مراجع معنية أغلىها مشكوك في صحتها وفي مقدمتها الأغافى، وفي هذا تابع أهواه الدكتور طه وخططه حتى ليخيل إلى أنه إمتداد حقيق وتجدد إسثراً فل تفريبي لآفكار طه حسين المسورة التي بها في كتابه الفتن الكبيرة وعلى بنوه في الأربعينات يحددتها الشرقاوى في الثمانينات .

فقد جرىورا، القصص البراق، واعتمد على المصادر المضللة وساير خصوم الباطنية للشيخين أبي بكر وغيره حاول أن يلحق الإساءة بالسيدة عائشة على هوى بعض الفرق .

ويمكن أن نقول بوضوح أن عبد الرحمن الشرقاوى القصاص الذى يغلبه الخيال والبريق والرواية المشيرة لا يصلح مؤرخاً ولا يمكن أن يقبل منه كل ما كتب على أنه تاريخ وهو يمضى في سلك واحد مع جورجى زيدان أولًا وطه حسين آخرًا ومن العجيب أن أحدًا من ندوة لم يشر إلى متابعته لخاتمة طه حسين في هذا المجال .

وفي الوقت الذى بأى كتاب غريبون يشيدون بعظمته الإسلام ورسوله ورجاله ينحرف كتاب عرب لهم أسماء إسلامية عن هذا الخط ويخرصون إلى ما تحت ركبهم في الأعراض والقبائح .

ولقد تأكد ما قاله الشيخ الشعراوى من أن الأهرام أصبحت وكرا لاعداء الإسلام وأن موقف الأهرام من إغلاق الصحفة على كتابها دون أن تسمح بوجهة النظر الأخرى هو من الأئم الذى سوف تخاسب عليها الأهرام عندما يكتب تاريخ الصحافة وما كانت هكذا تجرى المعارك الأدبية في القديم حيث كان يسمح لكل طرف أن يعرض آرائه ، وهذا هي الأهرام تستخلص من قبل توفيق الحكيم وزكي نجيب محمود، والشراوى لخدمة أعداد الإعلام .

ولقد صدق الشيخ محمد الغزالى حين وصف الشراوى بأنه يجمع القمامات

من كتب التاريخ ويصدق أيضاً ما وصف بأنها مؤامرة لضرب الإسلام لحساب المسيحية ولضرب الصحوة التي أدخلت في الإسلام أعلاماً كباراً أمثال جارودي وبوكلوي.

ولعل أسوأ صفحات الشرقاوى هو أسلوبه في الحوار وإدخاله الأفذاع والسخرية فهو كاتب يمكن أن يوضع في صنف الشعراء القدامي الذين تخصصوا في الهجاء المقذع الذى يرفضه الإسلام أسلوباً للحوار فما بالك وصاحب الحق في الرد لا يمكن من أن يقول كلته في نفس المكان ، أى ظلم هذا .

الفصل الثاني عشر

محمد التابعى

(١)

منشى صحافة الآثاره :

الرجل الذى أنشأ صحافة البحث وراء أمصار البيوت والذى نسب عن خفاباً
الأسر والاعراض ، وهو الذى دعا إلى ديكتاتورية الحرب الواحد وحرض
على الدعاهة بالقتل والإبادة . وهو استاذ مدرسة الآثاره فى الصحافة المصرية
والعربية والذى كون هندا الحيل الذى ظهرت آثاره بوضوح فى صحافة
(أغبار اليوم) .

انتهت حياة الرجل الذى كان له أكبر الآثر فى [نهاية الصحافة الزلية] :
الكاريكاتير الساخر ، والبحث خلف أمصار الناس والتطلع إلى ما وراء الأبواب
المغلقة . ذلك هو الاستاذ محمد التابعى الذى تصدر هذا الفن فى الصحافة المصرية
الحديثة منذ عام ١٩٢٦ حينما تولى إصدار مجلة « روز اليوسف » مع السيدة فاطمة
اليوسف هذه المجلة ، ثم انفرد بها الفن حين أصدر مجلة آخر ساعة عام ١٩٣٤
وكانت فنون الكاريكاتير السياسى والساخرية قد بدأها « سليمان فوزى » صاحب
الشكوكول الذى كانت تحمل على حزب الوفد حلقات قاسية عادما مكرم عبید
إلى أقتناص محمد التابعى ليحمل لواء هذا الفن للدفاع عن الوفد بنفس أسلوب
الصحافة الزلية والكاريكاتير والساخرية من كل القيم والإيمان في مهاجمة كل
الأخلاقيات واقتحام أسوار الأسر والبيوت لابتداع فن الخبر الاجتماعى المثير
الذى كان سلاحاً فاسياً في ضرب السياسيين القدامى ورجال الأحزاب
بعضهم بعض .

وقد دفع الاستاذ محمد التابعى باشرافه على مجلة روز اليوسف قمة التمييز
والنجاح والنقد الاذع عن طريق الخبر والكلمة والصورة .
وقد بدى التابعى عمله في الصحافة نافذاً مسراً حيًّا ثم تحول إلى التعليم السياسي

وعندما حوكم وصدر الحكم عليه بالحبس ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ لم يكن ذلك في سبيل الدفاع عن حقوق وطنية وإنما كان من أجل مقالات عن مغامراته في أوروبا عنوان (ملوك وملكات أوروبا تحت جنح الظلام) . يقول الصحفى المعاصر محمد على غريب : إنه لما كانت توجد مجلة الكشكشوك وقد تخصصت فى مهاجمة سعد زغلول ولقيت الرواج العجيب، لذلك صر الرأى فى أن تصبح روزاليوسف مجلة سياسية واستطاع التابعى أن يجهر على مجلة الكشكشوك وقد عرف أسلوب التابعى بالسخرية القاسية والدعاية المنفحة .

ويعد محمد التابعى صاحب هذه المدرسة التى سارت عليها من بعد كل حصحف الكاريكتير فى مقدمتها روزاليوسف ، وأخبار اليوم . . . ويعد مصطفى أمين و محمد حسنين هيكيل وإحسان عبد القدوس من تلاميذ هذه المدرسة العتيدة . وقد تعود التابعى كذا كتب على أمين فى آخر ساعة لا يعود من الخارج إلا يلزم حقائب رحلة جاردة حتى إنهم يكن يستقر فى مصر أكثر من شهرين فى السنة فيفقىء الشتاء فى سان مورتن والربع فى باريس ومونت كارلو ، والصيف بين رأس البر والاسكندرية وإيطاليا ، والخريف فى القاهرة ليسترى من عناء رحلات الشتاء والربع والصيف . . وإنه يوماً فى جزيرة كابرى ويواماً فى مونت كارلو وإنه يسافر ومه أكثراً من عشرين حقيقة تحوى ملابس للصيف والشتاء والربع والخريف وملايس الصبح والضحى وبعد الظهر والمساء والليل وإنه ينزل فى الجناح الملكى لفندق سوفرينا .

وقد دمع القضاة المصرى صحافة الكاريكتير الهرلية هذه فى كثير من الحالات التى قدم لها التابعى بأنها « تنشر فاحش القول وسقفة وإنها غالباً فى اندفاع فى الناس ، والبحث وراء أسرارها فى تعریض وتلبیس ، وإن أصحابها يغضون أقامهم فى السعوم القاتلة والتتصاویر الخلامية التي كان لها أسوأ الآثار فى قرائهما من الشبان المراهقين . وكان التابعى حريصاً على فضح أسرار الأسر والبيوت وكشف خفاليها وأعراضها لحساب الحصومة الغربية » .

هذا هو الأثر الأول والضخم في حياة محمد التابعي الذي ناه من بعده وطوره أتباعه وتلاميذه وحواريه بكل الدور الصحفية تقريباً والذى كان ولا يزال بعيداً الأثر في الصحافة المصرية الحديثة . وما كتابات إحسان عبد القدوس التي ينشرها باللأهرام هذه الأيام عنا بعيد .

أما الأثر الثاني في حياة محمد التابعي فهى موقفه الخطير في التحرير على الدعاة في سبيل الله ورجال الدعوة الإسلامية كراهية في تطبيق الشريعة الإسلامية ، و عملاً على تدمير القوى المؤمنة التي تحمل لواء الدعوة إلى تحرير الحياة الفكرية الاجتماعية من التحيص على الفساد والشهوات والصور العاربة والتচص الماجنة وغيرها من الأساليب التي كان يعمل لها أصحاب التابعى وتلاميذه وهم ينشون في ثنايا كتاباتهم ذلك اللون الخطير الذى أريد به [فساد شباب الأجيال وتدمرهم وإنخلالهم .

وقد وقفت محمد التابعى مرتين موقف التحرير على «جامعة الإخوان المسلمين» في محاولات الخل الذى تعرّضت له مرتين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٤ . وفي كل مرّة كان قاسياً على أهل القرآن ، متّهماً إياهم بكل نقصة ، بخرضاً عليهم باقتتل والسحق والإبادة حتى لا يجد قلباً أو لساناً ينقد تصرفه الفاسد ودعوته الضالة .

أما الأثر الثالث الذى يوضع في ميزان أعماله عند الحساب فهو دعوته الخادمة المسخرة إلى ديكستورية «الحزب الواحد» وتنكّره لكل أساليب الديمقراطية والنظم التى تسمح بالرأى الآخر أو وجهة النظر الأخرى .. وقد غالى التابعى في الدعوة إلى الحزب الواحد وأغرى به حكام مصر في نقرة من أحد فترات التاريخ السياسي كان المصريون يتعالجون فيها إلى نظام دستوري يتحقق الشورى والعدل ، فإذا به يظاهر دعوة الدكتاتورية القابضة على الرقاب والمقول والقوس فكانت تلك من آخر كلماته التى عارضه فيها أقرب الناس إليه وتلبّيه الآثر ، «مصطفى أمين» . ثم أصابت التابعى على إثر ذلك ضربة أقدر إلى لا تختلف إزاه كل ظلم وتدمر لقمه هذه الأمة وأخلاقها .

(م - ١٢)

وَمِنْ أَنْ حَمَدَ التَّابِعِيَّ قَدْ أَغْلَقُوا صَفْحَتَهُ ، فَإِنْ أَصْحَابُ الْمَدْرَسَةِ لَا يَدْرِي
أَنْ يَجْلِدُوهُ فَيَكْتُبُوا عَنْهُ تَحْتَ عَنْوَانِ خَطَارٍ : (أَخْبَارُ الْيَوْمِ ٢٤/١٢/١٩٨٣) ٠

(صاحب الجلالة الذي نسياه) :

حيث يكتب عنه تليذه الأثير ممّا في أمين وآليس منصور وهي صوري
وهو يوصى بالعملاق ، وبمؤسس الصحافة المصرية ومحسررها من سيطرة
الأجانب ونبي مؤلا . أنه إذا كانت المدرسة المارونية (الأهرام ودار الملال)
قد وحّمت الصحافة المصرية خلال أكثر من خمسين عاماً وجهة التسلیم للاحتلال
وللنزو العسكري والتقرير فأُنْهِيَتْ مدرسة محمد التابعي هي التي مصرت هذه المؤامرة
وكانت مرحلة المصريين أخطر من المرحلة السابقة ، ولكن كيف يمكن أن يقال
هذا وعن تلك أقلام تصور إلى ، والقبح والفاحش بصورة البطلة ، على التحري
الذى وجدناه في طه حسين وتوفيق الحكيم و محمد التابعي وما كان محمد التابعي
إلا ترجسياً مفروراً يتطلع إلى اتخاذ قلمه سلاحاً لاذلال خصومه ، ويتحدى من
الكلمات المدوسة المصيبة سيلًا لتهديدهم والسيطرة عليهم ، وما كانت رحلاته
إلى أوروبا إلا غزوات في سبيل الجنس والمناعة ومتابة العورات واللذات الحرمة
وما كانت غزوته إلا في سبيل هذا الاتجاه ، وتلك السهرات التي كان يقيمها
ويدعى إليها أم كلثوم وأسمهان وغيرهما ، وما هذا البذخ به خصومه والأسلوب الماكر
حساب الكلمة وسلطة القلم الذي كان يجيف البعض به خصومه والأسلوب الماكر
الختيش المليء بالسخرية والتهم الذي كان مجده وعلمه هو الذي جعله صاحب
جلالة في بلاط صاحب الجلالة ١ ومن بعد ذلك معارضه لكل تطلعات الأمة إلى
الضياء والنور ، وسفرية بالأزهر وعلمانه ، ودعائه ، وتبعية واضحة للتبريات
السياسية الغريبة ، وتفاق مع حركة يوليو والباحث على تشكين الحكم من
الدكتنورية والاستبداد ودعمه صريحه إلى الحرب الواحد لقد دخل الصحافة
من باب الممرح وتحول إلى فن السخرية بالناس والبيوتات . لقد كان من الباحثين
عن عورات الناس وعن أسرار البيرت وعن قفشات السهرات ونحوها ما ينتهي إلى صلاحها

ف وجه خصوصه وكان الناس يقبلون على رود اليوف أو آخر، ساعة من أجل التطلع إلى هذه المقويات وحياته الصحفية كله حياة المغامرة في سهل نروانه وفي سهل تطلعاته ، هذه هي الريادة للصحافة الحديثة التي ورثها منه مصطفى أمين ، هي القحارة وهي تدمير الشباب وتحويلهم إلى الأهواه والمطامع ، وصرفهم عن القيم والعقائد .

ولقد أكد الكتاب في هذا الاحتفاء بالتابعى على حقيقة أساسية هي متابعة هذا التيار ودعمه وتمييذه وهذا هو ماقلم به مصطفى أمين ومدرسته .

وقد أشار عبدالله عبد البارى : أن اتباعى ترك بصماته قوية وظاهرة على حيل باسره هي مصطفى أمين ، إحسان عبد القدوس ، إبراهيم الورداوى محمد حسينين هيكل ، كامل الفتناوى وغيرهم .

It is with pleasure that I find that you have been so well received at the University of Edinburgh, and that you are making rapid progress in your studies. Your letter was received by me on the 1st instant, and I am sorry to learn that you are still ill. I hope that you will soon be well again, and that you will be able to return to your studies as soon as possible. I am sending you a copy of the "Edinburgh Review" for your information. It is a very interesting journal, and I hope it will be of service to you. I am sending you also a copy of the "Edinburgh Review" for your information. It is a very interesting journal, and I hope it will be of service to you.

الفصل الثالث عشر

لويس عوض

2. $\frac{d}{dt} \int_{\Omega} u^2 dx = -2 \int_{\Omega} u \Delta u dx + 2 \int_{\Omega} u_t u dx$

$$= -2 \int_{\Omega} u \Delta u dx + 2 \int_{\Omega} u_t u dx$$

3. $\frac{d}{dt} \int_{\Omega} u^2 dx = -2 \int_{\Omega} u \Delta u dx + 2 \int_{\Omega} u_t u dx$

(١)

مؤامرة توفيق الحكيم ولويس عوض

- توفيق الحكيم يرى هزل مصر عن البلاد العربية وتحويها إلى فندق سياحي على الراوينين العرب تقدم لهم كرم الضيافة من المتعة والواحة .
- لويس عوض يحاول تحطيم دور مصر الرائد في مواجهة انفاس العرق و موقفها التاريخي من الانصار التترى والحروب الصليبية .
- كرامتهم للإسلام ثابتة في الأعماق لا ظهر على السطح ولكن تبدو في التصرفات وطريقة معالجة القضايا والمشاكل .
- طه حسين يقول في تمجيد الفرعونية وإعلاء شأنها على الإسلام : إذا كان الإسلام سيف حجر عثرة في طريق مصرينا الفرعونية لنبدنه .
- كان الإسلام وما يزال روح المجتمعات ومهد الحضارات الإنسانية وقود الحركات الوطنية والتحررية .
- لا غزو فالإسلام هو الذي صنع الشخصية المصرية منذ أربعة عشر قرناً والإسلام اعتنقه المسلمون واعتنقه غير المسلمين حضارة وثقافة وعادات .
- دارت التآولات حول يوميات كتاب الصحف اليومية وما أنواره لويس عوض وتوفيق الحكيم والسيد ياسين من وجوه النظر حول علاقة مصر بتاريخ الغرب والإسلام ، وبالدولة العثمانية والغرب ، ومحاولة تصوير مصر على أنها شخصية فرعونية غارقة في الوثنية أو منازلة إلى الله . وتجاهل هذه الدراسات أن الإسلام هو الذي صنع الشخصية المصرية منذ أربعة عشر قرناً وأن تاريخ وعلماء التاريخ قد أعلنوا بما لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح ٠٠٠ سواء منهم الفريون أو العرب عن أنه قد حدث إنقطاع حضاري جب كل ما كان قبل دخول مصر في الإسلام ، وإن تاريخنا من خصماً طويلاً استمر أكثر من ألف سنة من تاريخ

اليونان والرومان في هذه المنطقة من الشام إلى مصر إلى أفريقيا كل هذا التاريخ بقراءة ولهاة ونفاهيمه وقيمه قد أصبح في خبر كان بعد دخول الإسلام بقرن واحد فقد اعتنق المجموعة كلها الإسلام ، ، ، اعتنق المسلمون دينه واعتنقه غير المسلمين حضارة وثقافة وعادات ، ، وقد أشار كرومير إلى هذا المني حين قال : إن المسلمين والمسيحيين يصدرون عن أساس أخلاقي ولجتماعي واحد مع طول التأثير .

ولكل إخواننا ينسون هذه الحقيقة الواضحه ويناقشون الشخصية المصرية على أنها شخصية مبنية لم يصنها القرآن أو الفقافة الإسلامية أو الفكر الإسلامي أو اللغة العربية ، وينسون أن المنطقة كلها هجرت لهاها القديمة بعد قررين من دخول الإسلام إليها ، كذلك فقد كان الإسلام ولا يزال روح المجتمعات وشاره الحضارة وقوداً لحركات الوطأية والتخرُّج ، ولقد كانت الدعوات إلى الأقليمة والقويميات أو واحدة الفكرنة والمنهج . . . ولذلك سرعان ما عجزت عن تحقيق أشواق النفس العربية الإسلامية . . وستظل هذه الظاهرة الإلحادية الفكرية والاجتماعية أساساً مكيناً وحصيناً حصيناً الشخصية المصرية ما عاشت . لأنها عميقه الجذور من ناحية ولأنها منبهره فيها أنها صار عضواً بجزء خصوم الإسلام من القضاء عليه .

إن الدكتور لويس عوض لا يستطيع أن يخرج عن التفسير الفرعوني الوثني الذي سار عليه في كل كتاباته وعرف به ومن ثم قد أصبح في تقدير الباحثين غير منصف ولا راغب في معرفة الحقيقة الحالصة لوجه الحق وحده .
ولقد جاءت تساؤلات عن محاولات ترفق الحكم في تحديد مصر عن البلاد العربية وعزلها ، والى درجة إلى جعلها فندقاً عالمياً سلحاً يقام للرافدين من كل مكان الملة والرفيه ، وكان في ذلك مشاركاً للدكتور لويس عوض في تحطم درجه مصر العالمي الذي عاشت تقرم به في مراجعة التيارات الفاربة والغرومات الطائمة

الى واجهت عالم الاسلام ، وكان لها دورها الخطير في رد هذه الافروات وحماية علم الاسلام وحماية الغرب نفسه كما حدث في الاعصار التترى وفي الحروب الصليبية .
وفي الاستعمار الغربي الحديث ، وسوف يكون لها دورها الخطير في دفع الغزو
الصهيونية ووقاية المسلمين والعرب منها ..

ولاريب أن دعوة توفيق الحكيم تصدر عن مفهوم بعيد أشد البعد عن الاتهام
العربي الاسلامي . ولقد كان توفيق الحكيم طوال حياته يغدر بذلك معلياً
 شأن العنصرية في جديشه عن مصر ، كارها لطابع مصر العربي الاسلامي .
وبالرغم من أن الدكتور طه حسين أعلى من شأن الفرعونية على الاسلام حتى قال
قولته المشهورة : «إذا كان الاسلام يقف حجر عثرة أمام مصرتنا وفرعونينا
لنيذناه ، بالرغم من هذا فإن الدكتور طه حسين يرى أن رأى توفيق الحكيم في
العرب أشد تحاماً وتعصباً من رأى كثيرين من متخصصيه المستشرقين أمثال ربنا
وذرزى . ولعل التقارب في هذا الرأي بين توفيق الحكيم ولويس عوض يرجع
إلى مصادر الثقافة الغربية الواحدة التي فاثرها كلها في فترة كانت العادات
الأجنبية سوانا إلى فرنسا أو إلى إنجلترا تستهدف بحق مقومات هذه الأمة
والقائمة في أتون الألفية فهى كراهية مشتركة للعروبة والاسلام ، وهى متدة
إلى اللغة العربية وإلى القرآن وهي مبثوثة في الأعمق لا ظهر على السطح ولكنها
تبعد في التصرف وفي تناول القضايا .

وبالرغم من أن توفيق الحكيم قد لخص تفسير القرطبي وظن بعض الذين
يأخذون بظواهر الامور أنه في الطريق للتعرف إلى الاسلام إلا أنه لم يلبث أن
كشف عن تلك المحاولة المسمومة التي ترددتها طائفه معروفة الآن باسم طائفه
الحادعين المسلمين باختلاط عن الشريعة الاسلامية وذلك حين رد ما كان يقويه
منذ سنوات عن كلويز الشريعة الاسلامية وهي دعوه يحمل لوادها من وقت
بعيد : محمد الروحي وعبد الحميد متولي و محمد احمد خلف الله وآخرون يهمني

تدليل الشريعة لبرهان أوضاع المجتمعات الحديثة وفي مقدمتها الربا وعلاقت المرأة والرجل خارج نطاق الزواج ، واحتواه الشريعة الإسلامية ونصرها في داخل القانون الوضعي على النحو المسموم الذي دعا إليه عبد الرزاق السنوري منذ سنوات وهي دعوى ممدة يغنمها الفساد الأجنبي ليحول بها دون قيام المجتمعات الإسلامية أو عودتها إلى طريق الأصالة ، ومن أهم هذه المحاولات المسمومة : القول بتغير الأحكام مع تغير الزمان (وهو قول محدود جداً يتصل بالفترعيات) ويعتمد في ذلك على نص الشيخ محمد عبد العذى يوشه الماركسيون وأعداء الشريعة وهو لا يمثل الإمام المجتهد ولا المتخصص في هذا الأمر ، وإنما هي إجهادات كان لها وضعاً وظروفاً في وقت كانت الشريعة الإسلامية تضرب بالبساط على أيدي كثيرون في مصر ولباقي في المغرب وهي لا تمثل إجهاداً يمكن الأخذ به ، كذلك الحذا الذي وقع فيه على عبد الرزاق حين أراد أن يصف الإسلام بأنه دين روحاني ويلغي نظامه الاجتماعي لإلغاء تماماً وتد تلقي بعض المستشرقين هذه التصوصص الرائفة التي لم يعتمد فيها على كتاب أو سنة لضرب الإسلام . كذلك هناك ما يثار من شبهة التبats والتغيير ومحاولة وضع المقيدة في مكان الثبات والشريعة في مكان التغير وهذا أيضاً غير صحيح على إطلاقه . وأن الشريعة الإسلامية إنما جاءت خالصة ثابتة صالحة لكل العصور والبيئات إن أن يرى الله الأرض ومن عليها .

وقد دحض الدكتور عبد المنعم النمر شبهة توفيق الحكم هذه التي ما زال يرددوها منذ سنوات حين قال له : كان الحكم يريد أن يجعل كل ما شرعه الله لتنظيم حياة الإنسان خاصاً للتغيير بتغيير المجتمع ورائمه ، ومن هنا تبرر الخطأ في التفكير ، بل والخطر أيضاً على شريعة الله إذ مني ذلك ومؤداه لو قبلناه أن ننسى نيس الزنا والخمر والرقص حتى قبل المجتمع بذلك وتحلل من عقوبات السرقة والحرابة والزنا ومن كل شيء حرمته الله ورسوله أو قبل الجميع بذلك وهذا اتجاه خطير يهدى الشريعة وبالنيل كپلها لأنه يجعلها كلها فاسدة وخاضعة

لهمى الناس وما يتجلون إليه في حياتهم في أي مكان وفي أي عصر وانه بباركة
توعل على يقول لرسوله : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواه
الذين لا يعلمون) .

و نقول أن الجماعة ينتدبون أحدهم فترة بعد فترة ليشير القضية ثم ينتظرون نعمة
ليعود آخر إلى إثارتها وكل همهم أن يخرج المجتمع الإسلامي العربي والمصري من
شريعة الله إلى قبول الربا والرشوة والمساهم في أمر العرض وإستعراض المرأة
لعلات جسدها ومرقصة الآيات . وهذا ..

الحقيقة أن قضية المرأة تأتي في المقام الأول من عملية تحطيم المجتمع ، وهي
تهدف إلى تغيير الأسرة وتعاون على ذلك قوى كثيرة منها القصة والمسرحية
والاغنية والصورة الماربة وبعض كتاب اليوميات الذين يزينون التيارات التي
تهدى المجتمع مثلثة في بعض الروايات الجنسية والسكرة والرقص .

وتحمرى الصحف لاهثة وراء ثغرات يسمونها نصراً للمرأة سواء في مجال
الرقص أو الغناء أو قيادة السيارات وكلها أمور لا أهمية لها تستهدف إخراج المرأة
من مكانها الحق ووضعها الصحيح . وتلك مجموعة أخرى من الكتاب لها صلاتها
بالروتاري والليونز وخدمات الهم وانتمير .

* * *

بحلث صفحات الدكتور لويس عوض أحقاداً و معمراً باللغة الخطأ عميقة
الأثر :

(أولاً) من أخطرها حملته على اللغة العربية الفصحى و دعاوأه الكاذبة في
مواجتها كراهية للإسلام والقرآن ، وقد كان من أخطرها كتابه « مدخل إلى
فقه اللغة العربية » التي حاول فيه الادعاء بأن العرب جاءت من القوقاز ، وأن
اللغة العربية لغة آرية ليس لها أي تميز خاص وقد خاض في شبهات حول الإيجاز
القرآنى وغيره على نحو مضلل .

(ثانياً) موقفه من الشعر العربي وتجويهه على الأصلية واحتضانه لشعراء

التفصيلية من أمثال : صلاح عبد الصبور وأدونيس والسياب وغيرهم ودعوه إلى تحطيم عارمود الشعر وكسر بلاغة اللغة العربية وهي دعوى قدّها ما زال يرددوها ويجددها .

(ثالث) موافقه المتعددة من التراث الإسلامي والفكر الإسلامي وهي موافق توحي بالشيبة في سلامه البحث وعليه ، والاتجاه إلى أفكار المشترقين ومتابعتهم وكراهيّة أمة العرب والاسلام ، والتي تكشف عن أحقاد دفينة .

وقد واجهه كثير من المفكرين وكشفوا زيفه ، وفي مقدمتهم الأستاذ محمود محمد شاكر في كتابه « أسماء وأباطيل » .

(٢)

(التشكيك في القرآن)

مقدمة في اللغة العربية :

التشكيك بما يحصل في طيابه من جهل وتجميل باللغة العربية وأفتاء على الناتج واتهام على الفكر الإسلامي وقلب للحقائق باسم العلم بتناول القيم الإسلامية صراحة ومن خلف ستار التشويه ، وهو يتضمن شم يهمج على غرضه في جرأة ولقد أبرر الخلط الذي ملأ به صفحات الكتاب (٦٠٠ صفحة) ذلك الكشف الجديد في نطاق البحث عن كلمة (محمد) حيث قرر الدكتور أن العدد (٢) العربية مأخوذ من جذر هندي أووري وهو في المصرية القديمة من جذر غير هندي وأن ثلاث المصرية القديمة هي خاتمة ، وختت المصرية وحمد العربية وإذا كان الأمر كذلك - في نظره ، كان معنى الصمدية بناء التوحيد على قبول نظرية الابناؤ ورفض مساواة المسبح له في الجوهر .

ثم يصل إلى القول بأن كلمة (محمد) في العربية وهي من الأسماء الحسنية كلها محبة لأنها مادة جامدة لم تشق من فعل ولم يشق منها فعل وهي غامضة المعنى ، لآخر الاستعمال ، وأشهر استعمال طاف في الصمدية ولهذا اربط الفاسرون معناها دائمًا بتوكيده التوحيد وأنكار التشنيف في مفهوم الصمدية .

ومكدا حكم الدكتور على كلمة صد بأنها تساوى كلية (خاتمة) المصرية التي تعني (٣) ثم يتساءل كيف يصف القرآن الكريم بها الله سبحانه وتعالى (قل هو الله أحد الله الصمد) إذ كيف تكون الكلمة تعني ثلاثة أو ثلاثة ويقول الله سبحانه أنها تعني التوحيد المؤكدة .

وخطأ الدكتور في الربط بين كلمة (خاتمة) المصرية وكلمة (محمد) حيث

لا يوجد بينها أى آنابه وهي وسيلة من وسائل المستشرقين في الاستنتاج بخلاف الأسس الدينية من أجل الآهوا والاحقاد والطعن في القرآن الكريم وما يتضمنه والقضاء على يقرره كل دارسي للعربية من أن القرآن دستور العريبة المحافظ لها ، هذا لي ما ينشئه استنتاجه ذلك من تشكيل في وحدانية الله الخالص من شوائب الشرك ، ولم يقدّم لويس عوض أى دليل مقنع للارتباط بين كلة (خت) المصرية وكلة (صد) العربية يقدم على سند صحيح ، وإنما سنته تحت الكلمات والخصوصية خلف غريب المصطلحات ليفرق القارئ في ماتهات ، فإذا كان التاريخ لا يوافق الدكتور فيها قال فأن علم الله يبرأ من كل ما حاوله باسمه فليس التشبه بين الكلتين داعياً لأن يكون مدلولهما واحد ولو كان بين مخارج حروف السكتتين تتشابها أو تقارباً لقلنا تهم أو أخطأ ، أما يربط بين حرف المخاء المثلثي وحرف الصاد الصغيري فهذا لا يعني ألا العبث والافساد المقصود .

ومن تحضيره تؤدي إلى تطعيم الكلمة عن اللغة العربية ، بعد أن جعل اللغة العربية فرعاً ضليلاً من اللغات الأخرى فقرر أن الكلمة محيرة لأنها عادة جامدة تشقق من فعل ولم يستحق منها فعل ، فجعل الكلمة عن الكلمات المشابهة وجدها ليقول فيها ما شاء له الاقتراح والهوى كأنها شاة أفترسها ذئب بعد أن تحايل فعنها عن ذميالتها وهو في سبيل ذلك يضرب بماجم اللغة العربية عرض الحائط ، ويتجاهل الشعر الذي تضمن الكلمة في هيئاتها المختلفة .

أن الدكتور لو نظر في معاجم اللغة لما قامت لقربيته قائمة ، فكيف يقرر أن الكلمة جامدة ، ومعجم متوسط من معاجم اللغة العربية مثل (لسان العرب) يصرح بأن (صد) وبضمـه صـدـاً وـصـدـ إـلـيـهـ كـلـاـهـاـ قـصـدـهـ وـصـدـ صـدـاـ لـأـمـرـ قـصـدـهـ وأـعـتـمـدـ لـهـ بـالـعـصـاـ قـصـدـ وـصـدـ رـأـسـهـ قـصـيـداـ إـذـاـ لـفـ رـأـسـهـ بـغـرـفـهـ أـوـ ثـوبـ أـوـ مـنـدـيـلـ وـأـصـدـ إـلـيـهـ الـأـمـنـ اـسـنـدـ ، وـالـصـدـ (ـبـالـتـجـرـيـكـ)ـ السـيـدـ الـطـاعـ

الـذـيـ لـاـ يـقـعـيـ دـوـنـ أـمـرـ ، أـوـ الـذـيـ يـصـدـ إـلـيـهـ فـيـ الـحـوـائـجـ أـيـ يـقـعـدـ وـالـصـدـ مـنـ أـ

صـنـائـهـ (ـتـمـالـيـ وـتـقـدـسـ)ـ لـاـنـهـ أـصـدـتـ إـلـيـهـ الـأـمـرـ فـلـمـ يـقـعـنـ فـيـهـ غـيـرـهـ .

ـ وـ الدـكـتـورـ تـجـاهـلـ سـيـاقـ وـرـةـ الـأـخـلـاصـ فـلـاـ يـرـفـ (ـأـنـ السـيـاقـ يـوـكـهـ هـنـدـاـ الـمعـنـيـ)

إذ يقول السورة (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يمكِن له كفواً أحد) فوصحَ الله تعالى بالآحادية يعني أنه غير متجزء وليس كائناً يتوجه . عدم التعدد والوصف بالآحادية يعني عدم النجف .

أما إذا كان الدكتور يعلم بذلك فأنتا تكون في صراحة أمام طاعن في القرآن الكريم وأحكامه لأنك وحالك هكذا يعني أن الآية الأولى من السورة تناقض الآية الثانية منها .

عن (دكتور إبراهيم عوضين) يتصرف

(r)

(الهجوم على لغة القرآن)

في مواجهة اللغة الفريدة : (لغة القرآن) رأينا الحالات الشرسة توجه دون كل للتبيل من إصالة هذه اللغة وصودها .

وقد اتخذ الهجوم ثلاثة محاور :

(الأول) : قادة سلامه موسى وأمثاله من التفريين وقد دعوا إلى طرح المحرف العربي واتخاذ المحرف اللاتينية بدلاً وروج أصحاب هذا الاتجاه للزعم القائل بأن اللغة العربية جامدة وخدودها سبب من أسباب تخلف العرب ونسوا أن أصحاب المحرف اللاتينية لم تشفع لهم حروفهم اللاتينية يوم إن كانوا متخلفين .

(الثاني) : أما المخمور الثاني فقد جعل ألوته بعض تلاميذه الغرب الذين رأوا
على فكرة رسول لهم الباطل فراوه حسناً ولهذا فقد شجعوا العامة لغة : خطاب
ولغة كتاباً وساعدتهم على ذلك تقدم وسائل الأعلام التي ثبّتت هذه القضية .

(ثالث) : المحور الثالث الشرس نجده يظهر في حالة التشكيك في أصل اللغة العربية وفي القرآن ثم في أصل العرب ذُهِّم وهذا مانجد في كتاب الدكتور لويس عوض (مقدمة في فقه اللغة العربية) .

وَأَهْمَمْ أَبَاطِيلِهِ اِنْهَانٌ :

(١) إن العرب بصفة خاصة والساميين بصفة عامّة فقد نظروا إلى تاريخ كانوا يقطنون مكاناً آخر غير الجزيرة العربية وأن الجزيرة العربية لم يكن مهدّم الأولين فلقد نفروا لها من مكان آخر - وهو مكان مشرّك نزل فيه الساميون والأولون حيّماً وأنا له لا يوجد جنس يسمى بالساميين لأنّي في إطار اشتارة العامة النجدية الأوّلية.

(٢) لم يهجر السكان العرب من داخل شبه الجزيرة بل على العكس كانت الهجرة من خارج الجزيرة إلى داخلها .

ويتجاهل الدكتور لويس البراهين التاريخية وما يؤكد هذه التاريix من أن الهرات السامية خرجت من الجزيرة العربية لأسباب اقتصادية ومناخية ، ودلائل التاريخ كالتاير إلى أن بابل داشر وكنعان ومصر والحبشة كانت كلها هدفاً لفارات من أقوام قدموا إليها من الجزيرة العربية ومع هذه الأدلة القاطعة نجد لويس عوض يصر على تجاهل الحقيقة ليجعل من العرب ولقائهم كما مهملاً في عرف التاريخ .

كذلك فقد ساق الدكتور عبد الغفار حامد تسع أدلة علمية يثبت بها أن اللغات السامية ذات طريقة خاصة تختلف في جوهرها عن اللغات الهندية والأوروبية التي يزعم لويس أن العربية جزءاً منها أو نتاج للتعامل معها وتتلخص الأدلة التي سلفها في بيان طريقة التعبير في السامييات (ومنها العربية) فلما أحمله في السامييات نوعان : اسمعية وفعلية في الاسميةوضع المستند إليه (المبتدأ) في الصدر و تكون فعلية الجملة مستنداً يختزلنا بشيء من ذلك المستند إليه - المبتدأ أو الخبر - ولا توجد رابطة بينهما من فعل مساعد أو غيره (Tobe) كما هو الحال في مجموعة اللغات الهندية الأووية ، هذا الاختلاف الجوهري يعد دليلاً على تهافت رأى الدكتور لويس .

كذلك يحاول أن يتخذ من القول يقدم القرآن سلباً يصل منه إلى تأثير المسلمين بالعصارى الذين قالوا - يقدم الكلمة - في زعمهم « والدكتور لويس يلجاً في هذه إلى طريقة المشبهة والمحسنة الذين تناصوا قول الله تعالى (ليس كمثل شيء) ولهذا وقع الدكتور في خطأ يسره له وسبله في نظره [إعانته بالثالوث المزعوم وبأن الله ولها سبحانه وتعالى عما يقولون على كثيرة] .

وفي الإسلام كلام الله النفسي قديم ليس بمخلوق أما حزوف القرآن وكلماته المنطورة فهي حادة .

ويزعم الدكتور لويس عوض أن الخوارج والشيعة والمعتزلة كلها كانت
ثورات مضادة لشرف قريش وسيادتها وكان الهدف منها إسقاط قريش من هذه
المزعزة وبالتالي ينسحب هذا على العرب من وراء ذلك كله على لعنتهم وهذا كلام
ساقط فالامر ليس ، كما ذعم وبكفى أن ننظر إلى الشيعة لترى تهاون مزاعم الدكتور
لويس فالشيعة هم أنصار آل البيت وليسوا ضد قريش ولا يتورع الدكتور عن
اتهام العلماء العرب بالتعصب بل والتطرف في العصبية وهو مالم يقم عليه دليل لهم
إلا إذا كان الحقد قد أضيف إلى قوائم الأدلة العلمية .

ويكشف دكتور لويس عن حقيقة نواهيه فيقول :

إن نظرية التعصب للغة العربية يحملها لا تقبل الألفاظ الدخيلة وهو السبب
في دخول الحرية في مأوى شطرها إلى لغتين : لغة الكتاب المقدس ولغة السلام
الدارجة ، ولو أنها أخذتنا ببدأ التعرّيب والامتصاص والتثنية اللغوين السائدين
في جميع اللغات لتغيرت حال مما جننا ولحقت قوانين الصيرونة على النحو العربي
والصرف العربي بما يقرب اللغة الفصحى من اللغة العامية .

نعم هذا ما يريد لويس عوض للعروبة لغة القرآن : يريد لها الفناء بالانصراف
مع الزمن في غيرها ليصير القرآن أبعد عن التأثير في حياة المؤمن ، وهذا شيء
يعارف من أن الميارجى كان قد شرع في تصحيح لغة الإنجليل مما يشوها من
ركاكة إلا أنهم أشاروا عليه بالكشف عن ذلك حتى لا يكون فيه تدريم للعبارة
القرآنية أو نغمة القرآن ، ويأتى لويس عوض هنا ليهدى العبارة القرآنية بالمسكر
والدهاء فهو يتنمى أن يرى اللغة المخلقة التي صرعت غيرها صریعه قلمه الواهى
ولكن إن له ولأمثاله ذلك .

وفي الحقيقة أن علماء العرب لم يكونوا متخصصين وكانوا في دراستهم
موضوعين إلى أبعد الحدود فلا مجال لما يقوله لويس عوض وغيره بما لا يقوم
عليه دليل صحيح وبرهان ناجح .

وتشير وجهه الدكتور لويس إلى هدف خفي يرمي إليه هو هدم التوحيد في الإسلام وإن أمر الربط بين الألفاظ العربية وألفاظ اللغات الأخرى لا يمكن أن يتم على تلك الصورة التي حاولها لويس عوض بين (جبل) (وصحد) لا يتبين أن تم على تلك الصورة التي تخرج عن نطاق المقارنات السديدة المبنية على ما أصله علم الأصوات الحديث وهي محاولة عرجاء بل عجيبة إذ لم يحاول صاحبها أن يرجع إلى الأصول اللغوية والشرعية بل ساق الشبهة بلا دليل .

عن (محمد عبد الرحمن عوض) يتصرف

(६)

أن لويس عوض يرى أن اللغة اللاتينية نوعت إلى لهجات هي الفرنسية والإيطالية والاسبانية والبرتغالية وقد حولت هذه اللهجات إلى لغات وأن اللغة العربية مثل اللغة اللاتينية ، وإن لهجتها العامية يمكن أن تتحول إلى لغات منفصلة تماماً عن الأصل . قال لويس عوض نهيز الرأى وما يزال يصر عليه ويعمل له ، وقد نادى به في مقدمة ديوانه بلوتو لاند سنة ١٩٤٧ وعاد إلى هذا إلى الرأى عام ١٩٧٨ في مقال بجريدة الاهرام (١١ مايو ١٩٧٨) حتى يكرر في هذا المقال بكل تحديد ووضوح . أن اللهجات العامية تشبه اللهجات اللاتينية التي كانت منتشرة في أوروبا قبل خمسائة سنة ، وهو يدعو إلى أن تتحول اللهجات العامية إلى لغات مستعملة ، وهو رأى مصر عليه ينادي به في كل مناسبة ، وقد عاد إلى هذا الرأى في كتابه (مقدمة في فقه اللغة العربية) الصادر ١٩٨٠ فالفكرة التي تصرى في الكتاب هي فكرة التشابه بين اللاتينية والعربية واستقلال اللهجات العربية الأخرى عن أصلها ، وفي حماولة واسعة للتشكيك في مكانة اللغة العربية العلمي ، وهو يحاول من أن يفصل من اللغة العربية والإسلام وبين اللغة العربية والعروبة وأنه من الممكن أن يكون هناك متعلمون بالعربيه لعدة أجيال مثل المصريين ولا يكون لهم شأن بالعرب والإسلام ، ويرى لويس عوض أن كتابته باللغة العربية العلمي هو خيانة لمهدى الذى أخذه على نفسه بين أشجار الدردار عند الشلال فى كهوجرج .

ويذكر الدكتور لويس عروبة مصر ويصر على تجريد الثقافة العربية من اصالتها ويفعل الأدلة التي تثبت أنها منقوطة عن الثقافة الغربية ، وأن نقده للثقافة العربية نقد لاتهم ، أو هو ثورة ضد هذه الثقافة من داخلها وأنه يعامل الحضارة الإسلامية على أنها ديانة فقط فضلاً عن إنكاره لإصالة ابن خلدون ، والمغربي وأشكارهما وادعاؤه أن اللغة العربية نفسها متأثرة باللاتينية أو تابعة لها ،

ودعوته إلى إحلال العافية محل الفصحى ودفاعه عن المعلم يعقوب وهو من أقباط مصر تعاون مع الفرنسيين أثناء احتلالهم لوطنه وحارب إلى جانبهم ، وقد اعتبره الدكتور لويس عوض داعية إلى الاستقلال بينما يحاول التشكيك في أخلاص دعيم إسلامي كبير هو جمال الدين الأفغاني مثيراً من الشبهات حول علاقته بالإنجليز وإن الدكتور لويس عوض تحكم في كتاباته عقدتان : هنا الإلقاء بمعنوية والطائفية وإن كان لويس عوض لم يقل في قوميه مصر إلا ما كان يقوله أحمد لطفي السيد والمقاد وطه حسين وسواهم من كبار الكتاب الذين كانوا في السياسة مصر بين غير عربين .

(من حوار بين أحمد عبد المطى حجازى ورجاء النقاش)

(٥)

ما هو الحجم الحقيقي للدكتور لويس عرض ، وهل أصبح حقاً من الأساذنة
الكبار بالرغم من مرور الأعوام الطوال ، لا أظن أنه أبدع شيئاً مما أو حصل
عليه نافعاً أو اكتسب خبرة أو صقلته الأيام .

ولذا كانت ثبرة لويس عوض هادئة باردة فليس لأنه لا ينفعل أو لا يتصرف
ولكن لأنه تمرس على القتل المد فالبلوه ليس إتزانا وإنما هو احتراف للظلم ،
وما درج عليه من براعة في صناعة السموم ولم ينس محاوره أن يسخروا منه في
إصدار الأحكام العامة دون معرفة أو علم أو شك أن يسدد إلى قلبه سهاماً نافذاً
لولا أنه اكتفى بأن يسكن على وجهه ولثاه زجاجة من الخبر الأسود وقد أفعم
نفسه في أشياء كثيرة لا يحيدها :

(١) حاول الشعر في مطلع حياته وبشر بموت الشعر العربي وطالب بكمـسر
عمود البلاغة العربية ولم يمـت الشعر العربي ولم تحطم أعدمة البلاغة العربية ولكن
شعر الدكتور لويس عوض هو الذي مات وبادت نظرية في أحـيـاء البلاغة العـامـية
وتـشـمـ عمودها .

(٢) وحاول أن يكون مؤرخاً مع أنه لم يـتـخصصـ فيـ التـارـيـخـ فـفـشـلـ فـشـلاـ
ذرـيعـاـ وـكـثـرـتـ سـقـطـاتـهـ وـتـضـاعـفـ عـشـرـاـهـ وـيـكـنـيـ آـهـ أـشـادـ بـبعـضـ الخـوـنـهـ وـالـجـوـاسـيسـ
الـذـيـنـ آـتـاـوـنـواـ مـعـ الـحـلـةـ الـفـرـنـسـيـةـ ضدـ أـبـنـاهـ وـطـنـهـ مـنـ أـمـاثـلـ الـمـلـمـ يـقـرـبـ وـرـفـعـهمـ
إـلـىـ مـصـافـ الـأـبطـالـ .

(٣) حاول دراسة الأدب العربي فـماـ إـسـتـقـامـ لهـ منـبعـ وـماـ حـقـقـ شـيـناـ فـهـذاـ
الـجـمـالـ وـدـلـيـلـ فـشـلـهـ تـحـقـقـ بـشـكـ وـاضـعـ فيـ درـاسـتـهـ (ـعـلـيـ هـامـشـ الـقـفـرانـ)ـ -ـ الـأـهـرـامـ
فـالـسـيـنـاـتـ -ـ وـقـدـ حـرـكـتـ هـذـهـ الـمـقـالـاتـ قـلـمـ الـأـسـتـادـ عـمـرـ عـمـشـ شـاـكـرـ فـعـلـقـ عـلـىـ

الموضوع في مقالات متعددة صارت فيها بعد كتاباً في جزئين بعنوان (أباطيل وأسمار) وهو من أهم الكتب التي صدرت في تاريخنا الحديث تحقيقاً وتأصيلاً لمنهج العلمي في الدراسة الأدبية إلى جانب ما فيه من متعة فنية وجال في المرض ودفع عن تاريخنا ومقومات حضارتنا وسيظل هذا الكتاب العظيم دليلاً عجيباً على أن الدكتور لويس عوض في حجم他的 عبقرية وأن البالغة التي منحتها له ظروف الحياة في عقد السنتين : عقد الزيمة للعين ، لا تساوي جناب تلك البهوضة بل سيظل هذا الكتاب حقيقة سوابق أدبية للدكتور لويس تحمل بين طياتها سطوراً كثيرة تهدر كل قيمة علمية أو أدبية له ويكتفى أن محمود محمد شاكر قد ضبط لويس عوض متلبساً بعدم معرفة قراءة الشعر العربي في ثبت شيخ المرة المشهور :

صلبيت بحرة الوجه نهاراً - ثم بانت نفس الصليان .

الصليان بالباب المنقوطة ومن تحتها نقطتين تعني تبانياً صحراءوبا كانت الأبل فأكله نهاراً في القبط والهاجرة قرأها لويس عوض (الصلبان) بالباب المنقوطة من تحتها نقطة واحدة فتحولت إلى الصليان جمع صليب وبذلك تغير معنى البيت تماماً كما فهمه الدكتور عوض ومن العجيب أن لويس عوض فهم البيت على هواه بعد أن حرفه ثم رتب عليه بمجموعة من الأحكام تصديقاً لها تصديقاً من تقول مبشرة لم يحسن نقلها كاملة ، وبالتالي لم يفهمها .

ومن ذلك أنه حدثنا أن أبو العلام تعلم في اللادقية كما تعلم في إيطاكية وأنه في إحدى رحلاته نزل بدير ولقي راهباً درس على يديه الفلسفة اليونانية وعلوم اليونان وأذهبهم فشك في دينه وحصل له إنجذاب .

وقد زعم الدكتور عوض أنه نقل ذلك عن طه حسين : تلك هي الفضيحة التي سجلها الأستاذ شاكر على الدكتور لويس والتي تدل على عدم بصره بالتحقيق التاريخي والدرس الأدبي وفعل مثل ذلك بقصة راهب دير الفاروس التي وفياها الدكتور عوض .

والذي يقرأ كتاب (أباطيل وأسمار) يعرف الدكتور لويس عوض تماماً ويحدد بيون هذه مكانته العلمية وقيمة الأدبية .

أن أى كلام يكتبه الدكتور عوض لا تأثير له وليست له أية قيمة وأنه قد سقط من غرائب المعرى منذ ارتكب تأليف كتابه (على هامش الغفران) .

(عبد العزيز النسوي)

ترى ما الرأى لو جاء باحث بعد قرن من الزمان فنظر في القارئين الآمنية عن الدكتور لويس عوض فوجد أنها خليط شيرعي أمريكي فاتمه بالذبذبة ، والتلون ، ونظرًا في قرائه الفكري فوجد فيه ريح الطائفية فرماه بالباطنية والنفاق وفي قرائه السياسي فوحده متصلًا بأمريكا وإنجلترا فدمنه بالهمة وكتب عنه فتحدث عن أسطورة لويس عوض وأن له دوراً كان يؤديه لحساب بجهل وإن له ماضياً مريباً وتعاوناً كاملاً مع جهة ما وأنه من دواع الشخصية أو مثلها أو مرتبها حسب الظروف وأن موافقه وتحركاته جملة من المتأففات كل ذلك بوقائع أمريكية وإنجليزية وفرنسية .

(شاكر مصطفى)

(٦)

- ١ - في أغلب ما يكتب يبدأ بإصدار أحكام مسبقة يسوق مصدرها أو هام في عقله أو متاهات في وجدانه أو أغراض شخصية بمحضه ثم يتبع هذه الأحكام ببراهن وأدلة بعيدة عن الحقيقة كل البعد .
- ٢ - أنه يخاطب القارئ في شيء كثيرون من التعالى فيحشو كلامه ببارات مهممة .
- ٣ - يعمل في أبحاثه على أن مصر تتسلل الثقافة على كل باب تطرقه أو في محاولة لإثبات أن في مصر فرعاً ثقافياً .
- ٤ - الاصرار على أن الثقافة المصرية الحديثة مستوردة من أوروبا جملة وفصيلاً ومحاولة إلغاءعروبة مصر وتأكيد إنماها إلى الغرب ، الأقلال من شأن الثقافة العربية .
- ٥ - في الوقت الذي يتمسك بيدينه فهو يحاول ترديد كلية العلانية وهي عكس كلية الذنية .
- ٦ - يحاول في جميع دراساته عن التاريخ أو الثقافة أو الفن أن يزيف الآخر الإسلامي الواضح في ثورة ١٩١٩ أو نظام الحكم أو المجتمع ويحاول أن يردد ذلك كله إلى الفرعونية في محاولة باطلة خادعة لا تقنع أحداً فالآخر الإسلامي واضح في جميع حركات التحرر والمقارنة وقد شهد بذلك مؤرخون أجانب منصفون .

the first time, and the author's name is given as "John C. H. Smith".

The second page contains the title "The History of the First Presbyterian Church of New Haven, Conn." and the date "1836".

The third page contains the title "The History of the First Presbyterian Church of New Haven, Conn." and the date "1836".

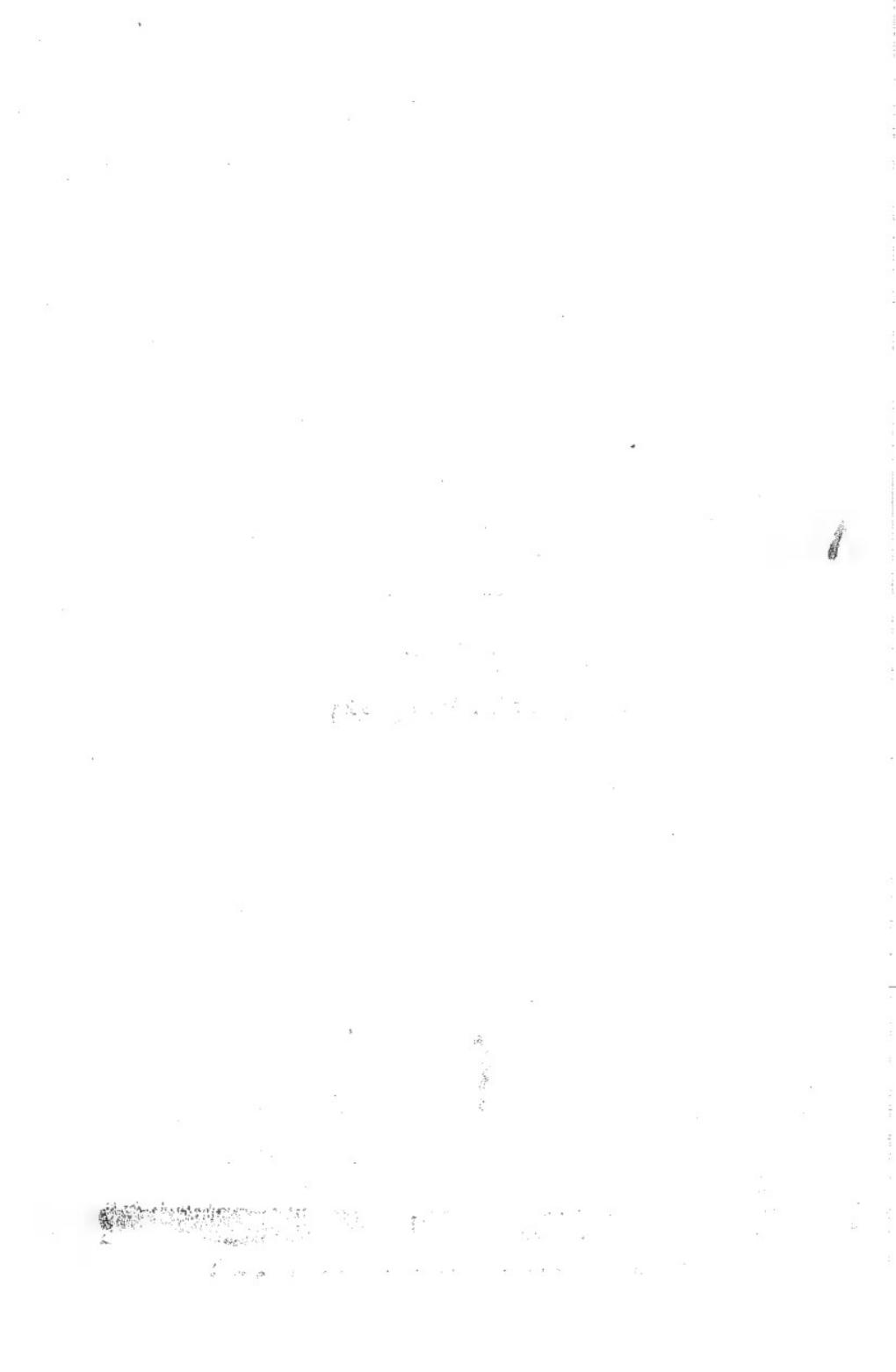
The fourth page contains the title "The History of the First Presbyterian Church of New Haven, Conn." and the date "1836".

The fifth page contains the title "The History of the First Presbyterian Church of New Haven, Conn." and the date "1836".

الفصل الرابع عشر

مدحت وآتاتورك

(الرد على عبد الحميد الكاتب)



(١)

المؤامرة على تركي الخلافة مؤامرة على الإسلام بدأها محدث . ووسطها
الاتحاديون . وختاماً أتاورك .

لماذا هذا الحقد الشديد البالغ من أفلام عربية لكتاب مسلم جغرافياً على
الخلافة الإسلامية والجامعة الإسلامية . والوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي
الذى تشرق فيه الأيام شمسه وتبدو علاماته وتتطور رايته بعد أن تعددت كتابات
الكتاب عن الصورة الإسلامية بأنه « ضربة موفقة ، أو قوله أحد المؤرخين
الشموسيين : « وهكذا سقطت الخلافة الإسلامية إلى الأبد » !

وقد نهى هؤلاء وأولئك حديث رسول الله ﷺ : « إن أول دينكم نبوة
ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم تكون
خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم يكون
ملكاً عاصياً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله . ثم يكون
ملكًا جبيرة فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم تكون
خلافة راشدة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ويلقى الإسلام بغير أنه على
الأرض يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض . لا تمنع السماء من قطع إلا
صيته مدراراً ، ولا تمنع الأرض من بيتها وبركتها شيئاً إلا آخر جهه ، وما يتعاقب
عن الموى . وهذا الحديث الصحيح يؤكّد عودة الخلافة الإسلامية مرة أخرى على
محور أوافق صلة بحكم الله ونظامه الذي جاء به القرآن الكريم . ولقد كان سقوط
الخلافة الإسلامية ، حدثاً ، خطيراً لم يكتب عنه بعد ، وكان له أثره في نفوذ
العاملين في حقل البقاء الإسلامية . وقد كان مصدراً لقيام المفهوم الصحيح للإسلام
بوصفه عنيقاً حياله في نظام مجتمع . وما من دعوة إسلامية إلا وقد أخذت هل

أهلها العبد بالعمل لعودة الخلافة الإسلامية مى حام أوهاما ، وما تزال الحركات الإسلامية كلها عاملة على هذا النهج ، سائرة في هذا الطريق .

ولا ريب أن قيام عدد من المنظمات الإسلامية العالمية هي بشارق الخير في هذا الطريق . فإن الدعوة إلى قيام الجامعة الإسلامية أصبح اليوم علا عرورياً بعد أن فسّدت الدعوات الأقلية والقومية ، وفي مقدمتها الجامعة العربية . وللإيهام لل المسلمين من أن يصلوا إلى الطريق الحقائق لواجهة تأثير الغرب والصهيونية والشيوخية عليهم وهو إحياء جامعتهم وإقامة خلافتهم .
معلومات مسمومة :

ولست أدرى لماذا هذا الاهتمام بإعادة طرح معلومات مسمومة كاذبة مضللة التشرت ذمنا وكانت أشبه بالمسلسلات ، روحاها اليهود والمارون ثم بين وضها وكشفت الحقائق التي تحضى بها !

لماذا المودة إلى الريف بعد أن ظهرت الحقائق ؟
ولماذا الادعاء بأن مدحت مصلح . وأن مصطفى كمال أتاتورك مجاهد ؟
والحقيقة أن للرجلين ومن بينهما من رجال « الاتحاد والتفق » هم علماء الفوضى الأجنبي والصهيونية . لقد تكشفت هذه الحقائق في العالم الإسلامي كله ولم يعد في إمكان كاتب ما أن يضل الناس بإعادة هذه الأكاذيب وروضها ، وخداع الناس في أمر رجل كان والده حاخاماً يهودياً مثل « مدحت » أو رجل هو من الدوّامة أصلاً مثل « أتاتورك » - إن البغوى الصهيونية والغربية قد خدعت المسلمين طويلاً بتزيف « صفحة الدولة العثمانية » ، والسلطان عبد الحميد من أجل هدف معروف واضح هو إسقاط هذا السلطان ، وإذابة الدولة العثمانية ونفي الخلافة الإسلامية لنجسرين الصهيونية العالمية من الوصول إلى فلسطين ، والاستئثار في القدس !

لقد كان أتاتورك والاتحاديون هم مادة تحريرية جديدة أريد بها القضاء .

على النظام الاسلامي ونظام الشريعة الاسلامية وإقرار نظام العلمانية والمادية والروتينية في المجتمع والتربية والسياسة في البلاد الاسلامية ، ومحاولة جعله مثلاً أعلى للتقدم والتجدد . ثم جاءت أحداث التاريخ بعد خمسين عاماً لتكشف زيف هذه المحاولة وفسادها بعد أن تعددت حلقات هذا الفزو التفريبي الذي جاءت ثورة ايران اليوم بثابة الدليل الاكيد على فساد هذه التجربة وعلى سقوط هذا المترجع ومؤكده بأن المجتمع الاسلامي الاصيل القائم على فكرة التوحيد الخالص منذ أربعة عشر قرناً يرفض العضو الغريب ، ويتأكّد له بمقدار التجربة المتصلة مع الدلائل اطية الغريبة والاشتركة الماركسية وفشلها أن السبيل الوحيد أمامه هو المنهج الرباني الاميل ، وإن الدين حرضوه طوال هذه السنين بال manus المنهج الغربي (شرقيه وغربيه) سبلاً للنهضة في العالم الاسلامي لم يكونوا صادقين في دعوائهم فإن هذا الاسلوب ن الاحتواء والعمل على صهر المسلمين في بوتقة الاعمية الغربية كان من نتائجه سقوط الخلافة الاسلامية ، والدولة العثمانية ، وسقوط فلسطين والقدس في أيدي الصهيونية ، والسيطرة دون إمتلاك المسلمين لرادتهم وتطبيق شريعتهم الاسلامية والعمل على منعهم من أداء فريضة الحجـاد ، أو إمتلاك القوة القادرة على تجديد بناء الحضارة الاسلامية القائمة على الدلـ والرحـة والأخـاء الانسـاني .

مدحت باشا :

الحقيقة ولكنها قتلت نفسه بخياله لوطنه والإسلام ، والمعلم على تعكين اليهود من التغوز ، وهو من الـدوّمةـ الذين دخلوا في الإسلام تقية لإغفاء هو تهم ، ولتدمر الدولة العثمانية من الداخل . وكان يعمل بتوجيهه من المتأمرين المقيمين في باريس ، والمتآمرين المقيمين في سالونيك . ولم يكن الدستور الذي دعا إليه محدث إلا بخارث لإخراج الدولة العثمانية من النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية وتعليب نفوذ العناصر المعادية للإسلام ، وتعكينا من الانقضاض على الدولة .

وكان السلطان عبد الحميد يعلم مدى ماهيّة الخططات الصهيونية ، ولقد شهد المؤرخون المتصفون بأن الدولة العثمانية الإسلامية قد تساحت إلى أبعد حد مع العناصر غير الإسلامية ، ومكنتهـم من أداء عبادتهم وإقامة شعائرهم ، وفتح المدارس وإقامة الجماعات إلى الحد الذي كان عاملـاً من عوامل تمسكـهمـ منـ التـأـمـرـ علىـ الدـوـلـةـ وإـسـقاـطـاـ . ولقد كان السلطان عبد الحميد هو نقطة المؤامرة في الحقيقة لأنـهـ وقفـ أمامـ مـطـاعـمـهـ وأـهـوـاـهـ ، وـرـدـ (ـهـرـتـزـ)ـ عنـ حـاـواـلـاتـهـ وـمـؤـامـرـاتـهـ بـالـرـادـ المـاسـ وـسـمعـ منـ مـعـلـىـ الـيـهـودـ أـنـ ذـاكـ سـيـكـلـفـهـ عـرـشـهـ أـوـ حـيـاتـهـ فـلـ يـرـتـدـ فـيـ تـضـيـيـفـهـ . وقد كشف السلطان عبد الحميد في مذكراته دور الدولة ورجال الاتحاد والترقي .

الانتفاض من قدر الخلافة الإسلامية :

وإذا كانت هناك بخارث لانتفاض من قدر الخلافة الإسلامية ، واتهاماً بالتقىصـ . فإنـ هناكـ ماـ يـؤـكـدـ كـذـبـ ذـلـكـ ، وـماـ أـورـدهـ جـالـ الدينـ فيـ حـدـيـهـ إلىـ المـخـروـىـ باـشاـ فيـ كـتـابـهـ (ـخـاطـرـاتـ جـالـ الدـينـ)ـ يـكـشـفـ عنـ مـدىـ قـدـرـةـ السـلـطـانـ عبدـ الحـمـيدـ عـلـىـ فـهـمـ تـيـارـاتـ الـفـرـيـقـينـ ، وـقـدـرـتـهـ عـلـىـ ضـرـبـ خـطـطـاتـهـ، وـضـرـبـ بـعـضـهـمـ بـعـضـ . ولـقـدـ قـامـ السـلـطـانـ عبدـ الحـمـيدـ بـإـعـلـانـ تلكـ الصـيـحةـ المـفـرـعـةـ التـيـ عـجـلـتـ بـهـ . وـهـيـ قـوـلـهـ : (ـيـاسـلـىـ الـعـالـمـ اـتـحـدـواـ)ـ وـكـانـ هـدـفـهـ أـنـ يـجـمـعـ الـمـسـلـيـنـ مـنـ هـمـ خـارـجـ الدـوـلـةـ العـشـانـيـةـ (ـالـعـربـ وـالـتـرـكـ)ـ تـحـتـ لـوـاءـ الـخـلـافـةـ وـالـوـحدـةـ . وـفـرـعـ الـقـرـيـبـونـ وـالـيـهـودـ مـنـ ذـلـكـ ذـرـعاـ شـدـيدـاـ ، فـقـدـ مـضـىـ إـلـيـهـ بـخـطـىـ حـاسـمةـ وـحـقـقـ ثـانـيـعـ هـامـةـ .

وأنه كان عقلاً المجاهدين المسلمين يؤمنون بأن المخانقة على الدولة العثمانية إحدى المقادير الإسلامية بعد التوحيد والبراءة . ومن ذلك محمد عبد وشكيت أرسلان ورشيد رضا وغيرهم . وقد كانت الدعوة الحقيقة هي محاولة إصلاح الدولة العثمانية من تحت مظلة الخلافة وتعديل تنظيمات الحكم دون إسقاط الأولي وكان ذلك فهم أحرار الشainين والعرب جميعاً ، وقد كان هذا مسكننا لولا ذلك الدور الذي قام به الماسونية واليهودية العالمية في سائل تحطيم نفوذ السلطان عبد الحميد ، وإحلال نفوذ الاتحاديين وأعوانهم الذين تربوا في مخاوفهم . والذين سلوا لهم فلسطين ، وسلوا للإيطاليين في طرابلس الغرب ، وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ولا ناقة لها فيها ولا جمل حتى يهدّموها ويقضوا عليها .

وحدة إسلامية وليس عنصرية :

كذلك فإن علاقة مصر والبلاد العربية بالدولة العثمانية لم تكن علاقة استهان بل إن كلّه استهان لا تعلق إلا على النظام الغربي الحديث وإنما كانت علاقة ترابط تحت لوام الأخوة الإسلامية ، واستعانت البلاد المستضعفة بالدولة القوية ، والمصريون والجزائريون وغيرهم الذين طلبوا من الدولة العثمانية الارتباط بها خوفاً من تجدد مؤامرات الحروب الصليبية .

زيف ما في كتب الموارنة وأتباعهم :

ولا شك إنه من أكبر أخطاء الباحثين هو إعادة نشر ما جاء في الكتب المدرسية ودراسات انتاريخية السابقة لظهور « بروتوكولات حكماء صهيون » عن السلطان عبد الحميد وركبها العثمانية . وهذا كله زائف ومن صنع الصهيونية وأعوانهم من الموارنة . أما اليوم فإن الرواية التاريخية المنصفة قد اتسعت ومن الظلم أن يقف الباحثون عند الحالات الكاذبة المضللة وتجاهل الرواية الصحيحة لإبرام الوضع التاريخي ، لقد حملت كتب جورجى زيدان وأحمد أمين وغيره صورة

مضللة زائفه للسلطان عبد الحميد ، وصورة براقة زاهية الاتحاديين الذين علقوا العرب على المشاق و McKenna للصهيونية و حطموا الدولة العثمانية ، وهم الذين تربوا في أحضان المخاfل الماسونية . وعلى الباحث المنصف أن يرجع إلى الإعفاف الجديدة التي ظهرت بعد الخمسينات والتي تكشف فساد ما كتبه جورج زيدان وفارس نهر وسام سركيس .

والجديد يخلو الحقيقة ، فما كتبه جود رفعت ومحمد جميل بهم ، وعبد الله التل والعقاد وخليفه التونسي وعجاج توهم وتوقيق برو فإن هذه الكتابات قد غيرت تلك الصورة الرايّفة التي ما زال يعتمد عليها خصوم الإسلام .

والقضية : أن اليهود عندما أحسوا بأن السلطان عبد الحميد قد وقف في طريقهم نهايًا عملاً على تفضيله ، وهدوا لذلك باتمامه بالاستبداد والفساد ، وأذاعوا ذلك في صحيف الموارنة في مصر مثل المقطم والملال والمقطف وغيرها .

ثم جاء أحد أئمي وأمه الله فنقولوا منهم . لأن الحقائق لم تكن قد تكشفت بعد ، ولم تسكن البر وتوکولات قد ترجمت إلى العربية ، فلماذا هذا التزيف بمحب مرحلة من الحقائق ، والعودة إلى إذاعة ما قبلها من الضلال بإعلان شأن مدحت وأناتورك ، وما من هنا في الحيانة والتبعية .

حقيقة أناتورك :

إن أناتورك في الحقيقة لم يكن مجاهداً ولا مصلحاً ، وإنما كان قمة الاتحاديين لقد أخرروا دوره في المرحله الأولى قبل الحرب ليتولى الدور الثاني . فالاتحاديون أسلقو الدوله العثمانية بأن دخلوها الحرب لتصفي مايتها وجودها . وجاء أناتورك ليفرض علىها اللون الغربي ، وينقلها منه واسمه عن دوله الخلافة الاسلامية إلى دوله علمانية تكتب بالحروف الاليتينية ، وبية ضى على الاسلام تماماً ، ومعاهدته السرية المعروفة التي عرفت بمعاهدة لوزان تكشف ذلك في وضوح .

وقد استطاع أناتورك إخناء وجهه الحقيقي حتى يؤدي دوره كاماً لخدع المسلمين في المرحلة الأولى بالصلة وإمساك المصطف ، وطلب انتقامتهم . أما دوره في الميدان فقد كشفت الوثائق أنه كان زائراً ، وأن غيره هو الذي قام بدور البطولة ، وأنه استغل منهم هذا الجد وحطمهم ونسبه إلى نفسه .

ولقد كان أناتورك عميلاً غربياً كاماً ، وعميلاً صهيونياً أصيلاً ، وقد أدى دوره تماماً ، وأقام تلك التجربة المظالية المريدة التي تركت آثارها من بعد على العالم الإسلامي كله ، والتي كشفت الأحداث في الأخير فسادها ، وتبرأ الآتراك المسلمين من تبعتها ، وكانت ظاهرة عودتهم إلى الأصلاله مرأة أخرى دليل على أنها كانت تجربة زائفة مضادة للقطرة ولطابع الأشياء ، وأندليل إن المسلمين لم يتقبلوها بل رفضوها ، وقد كشف أكثر من مستشرق وفي مقدمتهم (داماتلتون جب) إن العرب لن يقعوا في بران هذه التجربة التي خرجت بهم عن الأصلاله وعن الذاتية الإسلامية .

ولقد كان من أكبر معلم اضطراب كمال أناتورك أنه عندما أحس بدنو أجله أن دعا السفير البريطاني ليتولى بدلًا منه رئاسه الدولة التركية . وكان كملة من علامات الحسنة والذلة والحياة ١١

وقد صفع المؤرخ العالمي أرنولد تويني التجربة السكانية التي يفخرون بها ويجدونها الآن بعد أزرقها أهلها وحکوا بفسادها . يقول تويني : إن الآتراك كانوا عالة عن الحضارة الغربية وأنهم تفربوا ولم يقدموا أي شئ إلى هذه الحضارة ، فكانوا عاجزين عن الابداع في أي مجال من مجالات الإنتاج .

والواقع أن مصطفى كمال أناتورك لم يكن كما يدعى المدعون شيئاً جديداً ولستنه كان حلقة في المؤامرة التي بدأها مدحت وكان وسطها رجال الاتحاد والترقي للقضاء على السلطان والدولة العثمانية . ثم ختمها أناتورك بالقضاء على الخلافة الإسلامية ، ولا ريب أن انفصال قدر الدولة العثمانية وحكامها بمحاف الواقع

التاريخ ، وهو من عمل أتباع الغريب والشعوبية ، وقد جرى ضمن خطط يرمي إلى إثارة الخلافات والخصومة بين عناصر الأمة الإسلامية ، وكان دعوة للحقيقة بين العرب والترك والغرس ، وهم عناصر الأمة الواحدة التي جمعها القرآن وقادها محمد ﷺ وآمنت بأنه لا إله إلا الله مهما كانت هناك خلافات فرعية فإنه جديراً به في وجه الصالحة الغربية .

أما صيحة العناصر والأجناس التي حاول كاتب أخبار اليوم أن يجعلها قضية فإنها لم تكن كذلك في ذلك الوقت ، وإنما هي المؤامرة التي عبد النفوذ الأجنبي لها إلى استغلال صيحة القوميات لتفكيك عرى الدولة المئانية ، أما المسلمين فلم يكونوا يعرّفون هscrية وسورية وجزائرية وغيرها ولا كلّه العروبة نفسها ، ولكنهم كانوا مسلمين حسب وإنما ظهرت هذه الدعوات إلى الإقليميات والقوميات بتحريض عناصر غير مختصة لتفكيك عرى الوحدة ، وهدم هذه الجامعة الإسلامية التي كان الغرب يخشىها ، ولإقامة قومية زائفه هي القومية الصهيونية .

ولا ريب أن الأسلوب الذي اتخذه في إسقاط السلطان عبد الحميد هو أسلوب لم يعرفه النظام الإسلامي في تاريخه كله وهو من صنع المؤمرة الصهيونية التلودية التي إستطاعت أن تخفي وتحرك هذا الخداع عن طريق قوة عسكرية تحرك هائفة باسم السلطان خدعة ثم تكون في نفس الوقت متآمرة عليه لخدمة هدف غامض على كل الذين قاموا به ، ولا يعرفه إلا القليل وهو إعاقة اليهود إلى فلسطين .

كذلك فإن ما قام به أناورك لم يكن نصراً عسكرياً أو سياسياً وإنما كان هناك إشارة بقبول التوجيه الغربي : وتوقيع ملحق معاهدة لوزان وهو الذي فتح الطريق إلى كل شيء ، وبه حل جميع المشاكل ، وانسحبت كل الجيوش ، وتحقق ما يسعى النصر والاستغلال ، وكانت على أثر ذلك آلاف الشهداء في

مجيد البطل الذى لم يكن إلا عميلاً من علماء حياته لحساب الصهيونية العالمية له والتقوذ الغربى ، والشيوعية أيضاً فإن الشيوعيين هم أول من عار نه لقاء موقفه من عداء الإسلام .

ولا شك أن الضربة الذى وجهها أناورك إلى الخلافة الإسلامية قد فتحت صفحة خطيرة في تاريخ الإسلام الحديث ، وأن الذى فرحاً بذلك من كتاب يكتبون باللغة العربية سوف يرون أنهم كانوا غير بعيدى النظر في فهم الأمور وأنهم استمدوا ذلك الفرح من مشاعر حافلة بالحقد والكرامة للإسلام ، وأن الخلافة الإسلامية عائدة لا محالة ، وأنها هي العنوان الحقيقي لجامعة الإسلامية ولتضامن الإسلامي ، وأنه لا سبيل إلى نهضة المسلمين إلا بقيام الخلافة الإسلامية (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وعندما ستنكس رؤوس الفالحين .

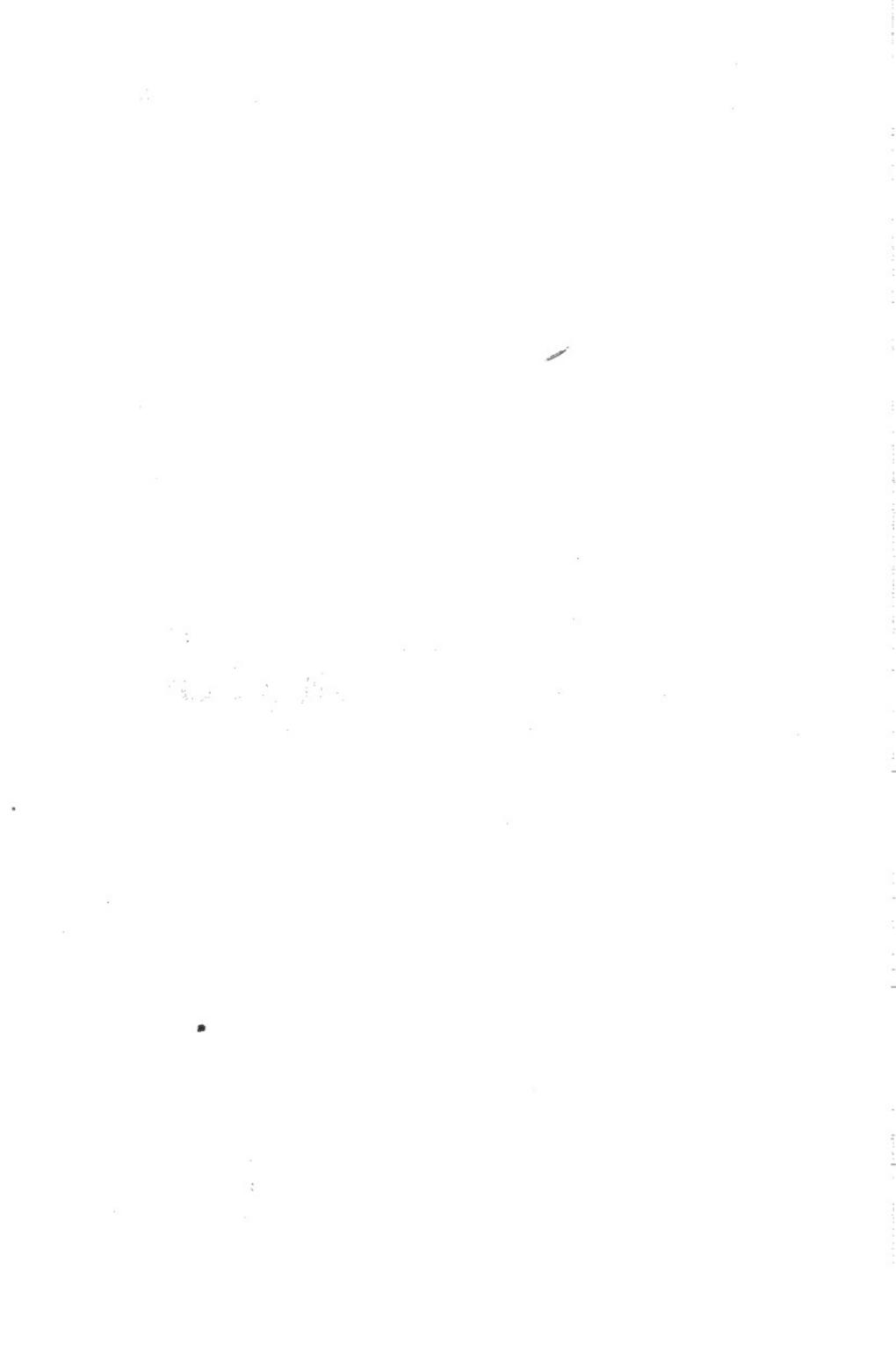
المعاهدة السرية

التي عقدها أنا توترك والتي سميت بشروط كرزن الأربع
يخص بروتوكول معاهدة لوزان المعقود بين الحلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣ المعروفة بشروط كرزن الأربع على ما يلي :

- أولاً - قطع كل صلة بالإسلام .
- ثانياً - إلغاء الخلافة الإسلامية .
- ثالثاً - إخراج أنصار الإسلام من البلاد .
- رابعاً - إتخاذ دستور مدنى بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام

الفصل الخامس عشر

كيف سرق غاندي الحركة الوطنية من المسلمين



(١)

غاندي

غاندي سرق الحركة الوطنية من المسلمين

الهندوسى المت指控 الذى أخنى هندوسية البغيضة وراء المغزل والشاة .
وكان أول سياسى طالب بتأجيل الاستقلال منادياً نهادنة السلطة وعلم
مناواة حكومة الاستعمار .

وكانت فلسفة غاندى الذى استقاما من تولستوى ولقنوها لئافى الشرق هي
التناقض عن تصرفات المستعمر والاستسلام له .

والحقيقة أن الرعاه المسلمين هم الذين أعلنوا استقلال الهند الحقيقى وعيثوا
قضاء المحاكم وحكام المقاطعات وتجاهلوا جميع كل السلطات وقد ظهرت آثار
المسلمين واضحة في الحركة الوطنية وضفت وطنية الهندوك خاربو المسلمين بكل
سلاح حتى سلاح الفتنه الوطنية والدس الرخيص .

* * *

كان السؤال : حسول غاندى وذكره ، والأحاديث التي تنشر عنه
في الصحف ، وتصويره بصورة البطل : ومحاولة القول بأنه كان رمزاً
للصرىين [إبان الحركة الوطنية المصرية بميد ثوررة ١٩١٩ وكانت الإجابة
كالآتى :

بدأت الحركة الوطنية لتعبر الهند فى أحشان الحركة الإسلامية . وقد
ازجعت الاستعمار البريطانى هذه الخطوة فعمدوا إلى القضاء عليها بأسلوب غاية
في المذكر والبراعة فقد نجى المسلمين عن قيادة الحركة الوطنية وأسلوا إلى
الهندوس ، وأجراما على الأسلوب الذى سيطر على الهند بميد ثوررة ١٨٥٧

التي قادها المسلمين وكان الاستعمار البريطاني حريصاً على الاتصال بحقن للمسلمين السبعة ماراث على الهند بعد أن ظل الإسلام يحكم الهند أكثر من خمسة وعشرين عام إلى أن أزاله الإنجليز .

والمعروف أن المسلمين قاطعوا مدارس الاحتلال وعرفوا عنها حتى أسمى لهم لقاهم نهضة تعليمية داخل إطار دينهم وثقافتهم وذلك بإنشاء عدد من المعاهد الإسلامية ، انتشرت في «لاهور» و«لكنثو» ولم تثبت أن حققت تقدماً واضحاً في المجال . ثم اتجه العمل لتحرير الهند فألفت الجمعية الإسلامية العامة في لكنثو (بومباي) وكان يشرف عليها كبار المسلمين في الهند مطالبين بحقوق المسلمين في كوطبيين وكان الهندوك قد ألغى إنشاء المؤتمر الوطني العام وسموه المجلس الملي الوطني الهندي العام . وكان غايته أن ينالوا حقوقاً سياسية تحولهم السيادة على الأقليات (وهم لا يرثون من كلية الأقليات غير المسلمين) وفي عام ١٩١٦ نبهت حكومة الاحتلال إلى حركة الجمعية الإسلامية فأوعزت إلى محمود الحسفي أن يغادر الهند وقبض على أعقابه : أبو السلام أزاد ، حسرت مهان ، ظفر الله خان ، محمد علي ، شوكت عي . ولما عقدت الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها لإجراء إصلاحات في قانون الهند . فاتفق الفريقان (المسلمون والهنود) على عقد مؤتمر في لكنثو يجتمع فيه زعماء الفريقين .

وفي عام ١٩١٩ أطلقت الحكومة سراح المسجونين المسلمين ، فاجتمع زعماؤهم في لكنثو بدعوة مولاي عبد الباري رئيس علیاء أفرنجي خول فندوار أو في تأسيس جمعية إسلامية لتنظيم مطالب الاستقلال وكان مد ظهر في هذا الوقت تأثر الدول الكبرى على توقيع شمل الدولة العثمانية . فأطلق هذه الجماعة (جمعية إنفاذ الخلافة من خلال الاعدام الطاهرين) وتأسست جمعية الخلافة في بومباي (١٨ فبراير ١٩٢٠) برئاسة غلام محمد فتو ، ميلان حاجي خان ودخل في عضويتها الرعامة المسلمون المعروفون في الهند ، ودعا اللجة المسلمين إلى جمع الإغانات للدفاع عن حرمة الخلافة ، فأقبل المسلمون بسخاء وجمع ما لا يقى عن سبعة عشرة مليون روبيه إلى أصدقاء ذلك كما يقول المصطفى عبد العزيز التمالي

الوعم التونسي الاشهر في تقريره الذي قدمه للأزهر الشريف في يونيو ١٩٣٧ بعد زيارته للهند و دراسته لاحوال المسلمين هناك .

كان (غاندي) إلى تلك الآونة غير معروف في الميئات السياسية في الهند ، وكان متقطعاً في فرقه تمريض الجنود ، ولما انتهت الحرب وانفصل عنها كانت جمعية الخلافة في بده تأليفها فأقبل عليها وكان إسمه غير معروف إلا بين الأفراد القلائل الذين عرقوه في السائل وجنوب أفرقيا . فتبادر به زعماء المسلمين رغم تحذير المولود (خوشنده) وكان عن حلة به من قبل ، ويعلم من أسره مالا يعلموه وبالخصوص من ناحية تنصبه للمنادكة مع المسلمين . وشامت الغفالة أن تطوى هذه الحركة العظيمة على يديه . فعمد في جمعية الخلافة مقصد الناصح الأمين وجعل يشير عليها باستثناف المنادكة قبل الأعضاء نصيحه عن حسن نية ، ونبهه للسعى إلى ذلك فقام و طاف الهند على حساب الجماعة يدعوا إلى الوفاق ويقول الطماعون على خطايا الأدوار أنه كان يتصل بالمنادكة ، ويتآمر معهم على شلل الحركة الإسلامية ولسا عاد من الرحلة سعى إلى إقناع جمعية الخلافة بانضمام إلى الكونجرس (المؤتمر الوطني) الذي تأسس لللاحقة المسلمين وانتزاع حقوقهم في الهند فانضمت إليه جمعية الخلافة وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة لترتكازاً على الثقة في (غاندي) وعقد الكونجرس اجتماعاً فوق العادة بعد انضمام المسلمين إليه في مارس ١٩٢٠ في بلدة باكبور حضره ٢٥ ألف مندوب أكثرهم من المسلمين ولما قيل عليهم القانون الأساسي أفرزوا تعديل المادة التي تقول بأصلاح حالة الهند إلى عبارة (استقلال الهند) فوافق على ذلك المؤتمر ، وشرع بـ الأحزاب الهندوسية هذه ذلك الوقت طالب باستقلال التام طبق رغبة المسلمين وكما قبل ذلك لا يطالبون إلا باجراء إصلاحات . يارتاء الحكومة (البريطانية) لهذا التعبير وعدته فاجهة في سياسة بلاد وعلى أثره ألقى القبض على الزعماء ، وزجهم في السجون . واجتمع قادة الحركة وعرض أبو الكلام آزاد أثراً عابراً باسم الأعضاء المسلمين يتضمن إعلان (الأمة الهندية) وبأن الحكومة الحاشرة غير شرعية . مع دعوة البلاد إلى مقاطعتها فوافقت الجماعة ، وانعقد على أمره (مؤتمر جمعية الخلافة) تأعلن موافقته أيضاً بالاجماع . وبعد أن جرى

تصديق المؤتمر على قرار المقاطعة قام غاندي خطيباً وقال ، إن اتحاد الهند ^{مع} المسلمين يبقى متيناً ما لم يشرع المسلمون في مناورة الحكومة ، ويشروا السلاح في وجهها . ورد عليه أبو السلام آزاد فقال :

إن غاندي يتصور أن أعمال المسلمين في الهند لا تقوم إلا على مساعدة الہنادک فقد آن له أن يخرج هذه الفكرة من دماغه ولعلم غاندي أن المسلمين لم يعتمدوا قط على أحد إلا الله عن وجل وعلى أنفسهم .

وشرعت الأمة الهندية عقب ذلك في مقاطعة الحكومة وإظهار العصيان المدني فامتنعت عن دفع الضرائب والرسوم ، وتخلى المحامون عن الدفاع أمام المحاكم . وأعاد الناس الرتب والنياشين ، والبراءات للحكومة ، وأحرق التجار المسلمين جميع ما في خازنهم من البضائع الانجليزية ، وترك المسلمين الموظفون مناصبهم في الحكومة فلـ الہنادک علهم وهاجر كثير من المسلمين إلى الأفغان بعد أن تركوا أملأ كفهم وأرضهم في الهند وأشتدت المقاطعة في البنغال اشتداً عظيماً ليس له مثيل ، فقد امتلاكـت بعـونـها بالـمقـاطـعـينـ منـ المـسـلـمـينـ حتىـ إـذـ أـعـيـ الحـكـوـمـةـ أـمـرـهـ صـارـتـ تـقـبـضـ كـلـ يـوـمـ عـلـيـ أـلـفـ شـخـصـ فـ الصـبـاحـ وـتـهـلـقـهـ فـ الـسـاءـ لأنـ السـجـونـ لـمـ تـعـدـ فـتـسـعـ الـمـعـتـقـلـينـ . وـخـطـبـ الـورـدـ رـيدـنـجـ (ـالـحـاـكـمـ الـعـامـ)ـ ؟ـ كـلـكـتاـ فـقـالـ :

لـأـنـ شـدـيدـ الـأـخـرـةـ مـنـ جـرـاءـ هـذـهـ الـحـرـكـةـ وـأـسـتـ أـدـرـىـ مـاـذـاـ أـصـنـعـ فـيـهاـ .

وهـنـ هـذـاـ السـيـاقـ تـسـتـطـيـعـ أـنـ تـنـصـورـ قـوـةـ الـمـسـلـمـينـ فـ الـحـرـكـةـ الـوطـنـيـةـ وـضـعـفـهـاـ فـ الـهـنـدـوـكـيـةـ وـلـاـ شـكـ الـهـنـدـوـكـيـ بالـفـاـقـاـ ماـ بـلـغـ مـنـ النـشـاطـ الـسـيـاسـيـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـحـابـهـ الـحـكـوـمـ ، كـاـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـحـارـبـ الـمـسـلـمـينـ إـلـاـ بـسـلـاحـ الـهـنـدـ وـقـدـ اـجـتـمـعـ الـزـعـمـاءـ الـمـسـلـمـونـ فـ يـاـ ١٩٢١ـ وـأـعـلـنـواـ اـسـقـلـالـ الـهـنـدـ اـسـتـقـلـالـ لـلـاـ فـعـلـيـاـ وـعـيـنـواـ وـلـاـ الـوـلـاـيـاتـ ، وـحـكـامـ الـمـقـاطـعـاتـ ، وـقـضاـءـ الـخـاـكـمـ فـ جـمـيعـ الـمـسـدـنـ . فـ كـانـ الـوـطـنـيـونـ يـرـفـعـونـ قـصـيـاـمـ أـمـاـمـهـ ، وـيـجـاهـلـونـ حـاـكـمـ الـحـكـوـمـ وـإـسـبـابـ ذـلـيـ تـعـلـلـتـ أـعـمـالـ الـحـكـوـمـ مـقـولـ الـوـلـيـسـ ، وـحـدـثـ إـرـتـالـكـ شـهـرـ وـ

الدواوين العالمية بالهند غير أنها بدلاً من أن تستعمل سلاح القوة القاهرة لـ**لکفناح**
الشعب الأعزل لجأت إلى المناورات السياسية وهي أشد خطراً ، وكان يطل هذه
المناورات المهاجماً غاندي ، فـ**قد اتفق اللورد ريدنج مع غاندي على حل الوفاق**
القومي بين المسلمين والهندوك وقد أذيع الحدث بواسطة المصادر البريطانية
بعد ستة أشهر . فقد نقل إلى اللورد الذي قال لغاندي :

إن مصدر الحرّة الاستقلالية في الهند المسلمين ، وأهداها بأيدي عبادها فلو أسرّناكم إلى طلباتكم ، وسلمنا لكم مقابل الدّياليد الأثيرى من مصائر البلاد آتية للمسلمين . فإذا يكون حال الهند كذا بعد ذلك ؟ هل تریدون الرجوع إلى ما كتم عليه قبل الاحتلال البريطاني وهل تفيفكم يومئذ كذلككم وأنتم محاطون بالآمم الإسلامية من كل جانب ، وهم يستهونون قوتكم منها عليهمكم . إذا كتم تریدون أن تحفظوا لأنفسكم باستقلال الهند فما يكتم أن تسعوا أولاً لكسر شوكة المسلمين وهذا لا يمكّنكم بغير التعاون مع الخدرمة وينبغى لكم أيضاً تنشيط الحركات المندوكيّة للتفوق على المسلمين في جميع الأعمال الحيوية وفي بلوغهم المرجة المطلوبة فإني أؤكد لكم أن حكومة بريطانيا لا تتحمل في الاعتراف لكم بالاستقلال .

وقبل انصراف غاندي أوعز اللورد إلية أن يشير على (مولانا محمد علي) كتابة تعليق على خطاب كان ألقاه في مؤتمر الخلافة، وحل فيه على الحكومة حملة عنيفة .
يقول في هذا التعليق :

قالت لها : «أن مافهمته الحكومة كان خالقاً لمرادي » فتصدع غاندي بالامر ودعا محمد على كتابة هذا البيان بعد أن أفهمه أن الكتاب سيكون سرياً لا يطلع عليه أحد غير اللورد مكتتب البيان تحت التأثير السحرى الذى كان لغاندى عليه . وما كذا الخطاب يصل إلى اللورد حتى أذيع في جميع أقطار إنجلترا بعد أن صورته الحكومة بمقدمة

إن محمد علي تقدم إلى الحكومة يطلب منها العفو عن المفروضة التي أرتكبها .

فوفقاً للائحة على ذلك دون أن تنتبه إلى ما كان يضمّره هو من المقاصد التي قد لا تتفق مع خططه المؤتمر ، وتنقرر فيها أيضاً إسناد رئاسته مؤتمر الخليفة إلى أجيال خان ، ومؤتمر مسلم ليك إلى سرور مهاتي . وقبل اجتماع مؤتمر الخليفة قال غاندي لاحكم أجيال خان :

«إن إدخال الاستقلال في الظروف الراهنة غير مناسب».

وما زال به حتى أقمعه بالعدول عن إعلان ذلك مع أن الزعماء المسلمين كانوا ينتظرون به فارغ الصبر ، وكانت الحكومة تتوقع صدوره من أحزاب المسلمين بقلق شديد وما عساها تصنع لمحارف غاندي عن الوقاية لها بوعده . وفي أغسطس ١٩٢١ أجمع الكونغرس تحت رئاسته غاندي في أحد أيام فأعلن أن الوقت الذي يصرح فيه المؤتمر باستقلال الهند لم يحن بعد ، فهاجم الأعضاء وماجاوا . وعقب انتهاء جلسات المؤتمر انعقد مؤتمر الخلافة ، وتهيب الحكم أجهل خان أن يثير عاصفة من قبل المسلمين فأمسك عن إعلان الاستقلال . أما حضرت مهاتي فقد أعلن في مؤتمر مسلم لبك أن الهند تزيد أن تمر بوساطتهم عن إرادتها في الاستقلال . فعلى الهند أن يشعروا اليوم بأنهم مستقلون وألا يعترضوا بقوانين الحكومة الملغاة . فأمرت الحكومة بالقبض عليه وحكم عليه بالسجن عشر سنين مع الأشغال ، وأجتمع الصحف الهندية على نفيه ووصفه بالشدة وغضبه العقوبة إلى سنتين . وعقب ظهور هذا الفشل الكبير في سياسة البلاد إنبرت المسلمين شكوك في تصرفات غاندي ، واستيقنوا أن زعماء الهند لا يملكون على ذلك قدر الانشقاق بين العازفين :

هذا هو النص الذي أورده العلامة الرعيم عبد العزيز الشعالي عن دور المسلمين في الحركة الوطنية الهندية وكيف قضى عليه غاندي بالتأمر مع النفوذ البريطاني فقام بخطط الاستقلال . وفي خلال سجن زعماء الحرفة المسلمين تسلم غاندي الحرفة وحوالها إلى وجهه أخرى مختلفة مما دعا المسلمين من بعد إلى المطالبة بكيان خاص لهم .

هذا هو غاندي في حقيقته التي لم تعرف في بلادنا وفي الشرق . والتي أخفيت عنها تماماً خلال تلك الفترة التي كان المصريون يتوجيهون من السياسة البريطانية يحبون بغاندي ويدعوته إلى الإسلام للنفوذ الأجنبي وقبول ما يعرض ونعم المذهب . وهذه هي الفاحشة التي استقامتا غاندي من تراستوي وذاعت كثيراً في بلاد المسلمين معارضته لمفهوم الإسلام الصحيح من الجهاد المقدس في سبيل

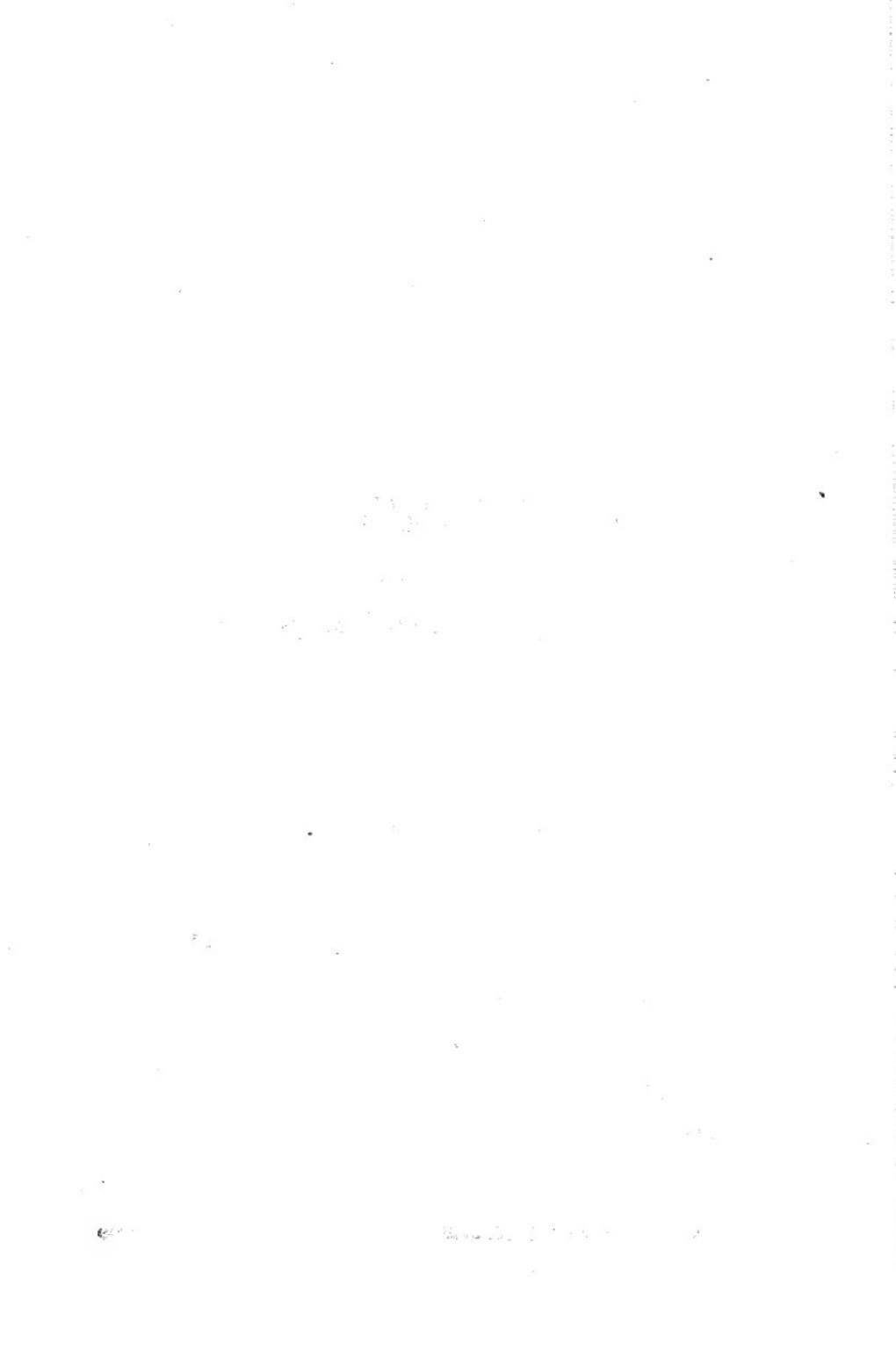
استخلاص الحقوق المقصبة أبان الحركة الوطنية المصرية حيث كانوا يجدون في عاند وأخباره ما يؤيد النقوذ الأجنبي ويدفع الوطنيين المصريين تاحية التفاه مع الاستعمار البريطاني ولذاك فإن هذه الصفحات التي ينشرها بعض الكتاب لرسم صورة مؤخرة لغاندي يجب أن لا تخدعنا كثيراً فإنه رجل هندي مت指控 لهندوسيته كاره للمسلمين . وقد كان هو وتليذه نهرو أشد عنقاً وقسوة في معاملة مسلمي الهند ، وكانت أولى إغاثاتي إيه نهرو أبان حكمها قد حكمت على المسلمين في بعض المناطق بتعقيمه عن طريق العمليات البراجيـه عملاً على العد من تعداد المسلمين في الهند . فيجب علينا أن نعرف العـاقـات ولا تخدـعـنا الأوهـامـ الكاذـبةـ والصورـ البرـافـةـ التي يرادـ بهاـ تـقطـيـهـ حـقـيقـةـ وـاضـحةـ وجـرـيـةـ كـبـرىـ هيـ أنـ غـانـدـىـ فـيـ الـحـقـيقـةـ سـرـقـ الـحـرـكـةـ الـوطـنـيـةـ مـنـ الرـعـمـاءـ الـمـسـلـمـيـنـ وـتـأـمـرـ عـلـيـهـمـ مـعـ الـحـكـوـمـ الـبـرـطـانـيـ وـأـدـخـلـ أـمـثـالـ مـحـمـدـ عـلـىـ وـشـوـكـتـ عـلـىـ وـأـبـوـ الـكـلـادـ آـرـادـ وـهـمـ مـنـ أـطـابـ الـمـسـلـمـيـنـ ،ـ أـدـخـلـمـ السـجـونـ ،ـ وـسـحبـ بـاسـطـ الـحـرـكـةـ الـوطـنـيـةـ بـاتـاؤـرـ مـنـ تـحـتـ أـرـجـلـهـمـ ،ـ وـحالـ دونـ قـيـامـ حـكـوـمـةـ هـنـدـيـةـ حرـةـ يـكـوـنـ الـمـسـلـمـيـنـ فـيـهـاـ سـادـةـ .ـ وـذـلـكـ لـخـدـمـةـ الـاسـتـعـمـارـ الـبـرـطـانـيـ وـتـسـلـیـمـ الـهـنـدـ إـلـيـهـ لـتـحـوـيـلـ الـمـسـلـمـيـنـ إـلـىـ أـقـلـيـهـ فـيـهـاـ مـاـ دـعـاـ الـمـسـلـمـيـنـ إـلـىـ الـعـلـمـ عـلـىـ قـيـامـ باـكـسـتـانـ وـالتـحـرـيرـ مـنـ نـقـوـذـ غـانـدـىـ وـالـهـنـدوـكـيـةـ

والاستعمار البريطاني .

راجع تقرير الشيخ عبد العزيز الثعالبي (البلغ ١٩٣٧)

الفصل السادس عشر

سأر تر بين عبد الرحمن بدوى وأنيس منصور



(١)

جرى التساؤل في الندوة حول نظرية الوجودية بعد أن هلك سارتر وما هي الآثار التي تركتها على جبين الأدب العربي والفكر الإسلامي؟

والواقع أن نظرية الوجودية قد نفقت قبل هلاك سارتر بوقت طويل وإن حاول هذا الشق أن يعد من عمرها بانتهائه في السنوات الأخيرة إلى الشيوعية واحتضانه لقضايا الصهيونية إذ هو نصف يهودي كما كان يطلق عليه عباس العقاد لأن أمه يهودية . وقد خدع بعض البالئاه من المصريين حتى أعدوا له زيارة ليحصلوا منه على تصريح يخدم القضية الفلسطينية بعد أن نقلوه إلى خيام اللاجئين في غزة . فما أن غادرها حتى كشف عن هويته الصهيونية وأعطا الماركسين الذين احتفلوا به درساً كشف عن عالمتهم هم ، ومكره هو والذين رافقوه ومع هذه اللطمة القاسية فإن كتاباً مصرياً وعربياً ما زالوا يذكرون سارتر ويتحدثون بمذهبه ويعبرون عنه الوجودية العربية التي قادها عبد الرحمن بدوى وكان لها على فترة طويلة أعوااناً . وكانت كتب سارتر تظهر في باريس بالفرنسية وفي بيروت بالعربية في وقت واحد . وربما ندم بعض الكتاب عن تبعيهم لسارتر ، وأحسوا أنهم أخطأوا وأطريقوا بعد أن قرأوا ما كتبه « جاك بيرك » مثلاً حين قال :

« إن سارتر عقل كبير ولكنه مع الأسف يفتقر إلى الذكاء السياسي وليس من الضروري أن يكون العقل الكبير عقلاً سياسياً ولكن المشكلة عند سارتر أنه يريد أن يكون سياسياً فيما يحيىه من التيارات الإيسارية ومنها الشيوعية بنوع من العقد نفسه . . . ومن المؤسف أن سارتر الذي يرى معظم فاسقته على فهم الآخر لا يفهم الآخر ولا يحسن به . لم يستطع سارتر أن ينقلب على ما أحبط به من الدعاية والتضليل الصهيوني . فاعتبر أسرائيل (صحيحه) وقلب الفصله فاعتبر أسرائيل (مدعى عليها) وقد بلغت الدعاية الصهيونية به أن يقلب الحقيقة التاريخية في أوروبا كلها . لهم ينفون أن يكونوا - ود الصهيوني استعملاً » .

ويردد كثيرون من أنصار سارتر فشل سارتر وكيف تبخرت مفاهيمه التي
ضلل الشباب العربي ردها من الزمن ، وكيف انقضى برائق اسمه ظهرت الوجودية
فلسفة للفوضى والانحلال ، وكيف هوجمت فلسفة سارتر من كلتا النزعتين :
الرأسمالية والشيوعية ورفضوا مفهومه عن الحرية ووصفوها بأنها حرية
فوضوية ومن ثم حاول سارتر أن يقترب إلى الشيوعيين وتراجع عن كثيرون
آرائه السابقة .

وفي مصر تقدم عبد الرحمن بدوى برسالة دكتوراه عن (الزمان الوجودى)
ورأس الم belum الدكتور طه حسين واشتراك مع المستشرق بول كراوس وأعلن
طه حسين أن عبد الرحمن بدوى أول فيلسوف وجودى مصرى ، وقد قام
بدوى الفكر الوجودى وترجم كل المصطلحات الوجودية الشائكة وترجم كتاب
سارتر الضخم : (الوجود والعدم) .

ولم يلبث عبد الرحمن بدوى أن أخفق وطوه الموجة التي تطوى كل المذاهب
الضاللة والمنحرفة ، وكشف الفكر الإسلامي عن أصالته في أنه يرفض كل ما ليس
متصلة بقيمة الأساسية مهما بدا يوماً وله بريق أخاذ .
لقد كانت فلسفة سارتر شريرة عليه . نقد أضفت عليه ظى لا مظالما
مازال يلاحقه .

وقد كان عبد الرحمن بدوى قبل سارتر تابعاً للfilosofias الباطنية والمحوسية
حييها ويرد إليها الروح ، ويقدم شخصيات ففقة في تاريخ الإسلام ويشيد بأمثال
الرأواني والملائج وغيرهما من الزنادقة ، وإلى جانب ذلك فقد قدم في الفلسفة
الإسلامية الجانب الصوفى المتصل بوحدة الوجود والملول وأشار باهورى وردى
وابن عربى وابن سبعين : تلك الشخصيات الضاللة التي عمل أستاذه الأول (ماسيدون)
على إحيائها . وكان طه حسين هو صاحب الدعوة إليها في الأدب العربي منذ أعاد
ابهاث (إخوان الصفا) وكما سقط الفكر الباطنى سقط الفكر الوجودى وألمحارات
تلك الصروح على روؤس أصحابها (أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضا عن
خير ، أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم) .

ولذا كان الأدب الغربي قد عرف وجودية كيركجارد ، وكابي ، وسارتر ، فإن ذلك كله مستمد من أصول أصلية فيه تقوم على فكرة الخطية المسيحية ، أما في الفكر الإسلامي فإن محاولة ذكي نجيب محمود عن الرضمية المنطقية وفؤاد ذكرياء عن الفلسفة الماركسية عبد الرحمن بدوى عن الفلسفة الوجودية هي محاولات ضالة باطلة سر عان مالحظها الفكر الإسلامي صاحب الصرح الشامخ القائم على فكرة التوحيد الخالص والأخاء الإنساني والعدل الرحمة .

وقد ذات محارات إحياء الفلسفة الصوفية التي قادها بها (ماسينون) أربعين عاماً يحيى الحاج لأن المسلمين عرروا طريقهم إلى التوحيد الخالص . فقد اسقطت حركة اليقظة محاولات إحياء الفلسفة ، والتتصوف الفلسفى ، والسلام ، والاعتزال ، وجعلته ركاماً حين أحياها (المنهج القرآني) الأصيل حيث بدت كل محاولات الفلسفة الإسلاميين المعاصرين وكأنها مقدمات موقوفة أنتابوت صفحتها حين يرى نور المفهوم القرآني : مفهوم أهل السنة والجماعة على نفس النسق الذي واجه المشرئين الفدامى أمثال ابن سينا والقارابى . وقد تكشفت زرعتهما إلى الباطنية الاجتماعية في الأخير بعد أن خدع بهما الكثيرون ، وحين يتناول ياسمه عليان المستشرقين فإن الأمر لا يخدع أحداً ، ذلك أن الحقائق التي تكشفت قد ردت كبار الكتاب عما خدعهم به البريق الخاطف .

يقول أنيس منصور :

من الغروري أن تفلت من جاذبية شخص كبير لتجد نفسك ومعك حربتك . لقد وقنا في غلطة حين تأثرنا بأستاذنا عبد الرحمن بدوى ذلك أن كثيراً مما رأه كان رقيقة هو والذى وجده شافعاً كان مشكلاته هو ، والذى أحبه كان مزاجه هو ولكن في السنوات الأخيرة عاودت قراءة الفلسفة من ينابيعها التي أفرزتنا منها عبد الرحمن بدوى فلم أجدها كذلك .

ومكذا تبين أن هذه الهمة كانت باطلة ، بل إن أنيس منصور يبشرنا بأن ما يوت عنده ما تقال على يراش الموت : لا شيء ، كل شيء عدم .

وبسطه أنيس منصور قائلاً : سارتر الفيلسوف الوجودي الملحد كانت آخر كلماته لا شيء . أى لفائدة من أى شيء . فهو يرى أن الوجود والعدم لهما نفس المعنى كالليل والنهار لا ينفصلان ، ولا تعرف على أى شيء أحباب سارتر لأن آخر مرة بكلمة لاشيء ، لفائدة ، لا معنى ، لا هدف ، كل شيء عدم ، أو كل وجود عدم ، أن كل موجود معذوم .

وهكذا يندم أنيس منصور على أنه تابع هذا السكر الصال أو كثيرون عاماً من عمره قضاها في تحسين هذا السكر وذرقه وتقديمه إلى الشباب في عشرات من الكتب التي طبع منها مئات الآلاف ليخدعهم عن الحقيقة وليرغفهم الواقع وليردهم عن الفهم الأصيل . عندما كتب مقالاته عن رحلته إلى الأرض المقدسة ، وكان عليه أن يعلن انسحابه من كل هذه المفاهيم والمقانيد ، وأن يتصحّح موقفه أمام قرائه خلال هذه السنوات الطويلة . واليوم يصف فلسفة الوجودية بأنها فلسفه المقابر ، لأن سارتر تحدث عن الموت والсмерار والخراب ، والوحدة والقلق والفرز ، والخوف والغثيان والعدم ، والتقت كل هذه المعانى السوداء في قلبه وفي خياله . هناك وجودية ماحده عند سارتر وكامي وهيجنز وأسبرز وأونامونو . وجودية مؤمنه عند جابريل مارسيل ، وبرهاناف ، وجاك مارتيان .

(إيان ب فهوام المسيحية الثالثة) .

وكان حقاً على أنيس منصور أن يقرأ الفيلسوف الإسلامي الأصيل ويعرف ذرف الوجودية جملة بمفهوم الانطلاق من الضوابط والحدود والقيم التي رسماها الذين الحق ، وأن يعلم أن نظرية الوجودية كما جاء بها سارتر إنما تمثل تمجيداً خاصاً من بالشعب الفرنسي بعد سقوطه في قبضة ألمانيا إبان الحرب . هذا السقوط الذي كشف كمال زعيمه ، د بيتان ، عن أنهياره الأخلاقي العاصف .

ولما كانت الصهيونية العالمية هي التي صنعت هذا بالآلة الفرنسية فإذا قدمت سارتر على جميع أجهزة الإعلام والدعائية لتفتح صندحة أشد عنفاً من الأنيميات

الخلق والاجتماعي . تلك التي صنعتها فلسفة سارتر بظهور إجماءات الوجوديين الذين تشكلوا في الغرف المظلمة والحواري الضيقة وتحت أسطح المغارف لم يمارسوا أسوأ صور الجنس ويلعنوا احتقارهم للمجتمع . ومنهم نشأت بذرة (اليهودية) التي تم الآن العالم كلها .

كان أخطر ما في الدعوة الوجودية إشكال الله تبارك وتعالى والسخرية بالآداب واعتبار الإيمان بالله عائقاً كبيراً عن حرية الإنسان وأن آثر التعاليم الربانية على الإنسان جد خطير لأنه يضيع عليه فرصة التفتح بالآهواه والترغب في الشهوات . فالوجودي لا يؤمن بوجود الله (تبارك وتعالى) ولا يؤمن بنظام خلق يسود على الإنسانية . الإنسان عندم حر ومسئول أمام نفسه حسب . لا أمام الله . وهكذا نجد سارتر يدعو إلى الحرية المطلقة من كل قدر

ولقد جاء سارتر إلى مصر قرافقه سمون دى بوفوار ، التي قالت لنساء مصر في صراحة تامة : نحن نريد أن نحيط (قوامة) الرجل ودعنا إلى حياة زوجية عزوة من « العقد الشرعي » كحياتها هي مع سارتر . ولقد كشفت إحدى المرافقات لسارتر خلال رحلته إلى مصر في الفترة الأخيرة خفياً كثيرة في هذه الزيارة اللعينة . فأشارت إلى أن (رفيق) سارتر وسيمون كان رجلاً يهودياً (كلود لازمان) وهو الذي وجه الزيارة على النحو الذي أرادته الصهيونية . وقد أشارت إلى أن كتاب اليهود استقبلو سارتر بتقدير بالغ كان موضع دهشه هو أساساً . وذلك بثلاثة أسباب أحدهما الشيوخين مقابل عنوانه (سارتر ضمير مصر) وكان سارتر يتسامل بعدهما (أنا ضمير مصر كله) أنا لست حتى ضمير نفسي) ثم يطلب هنا حاكماً من لازمان أن يتحمل عنده بعض هذه الألقاب .

وتفوّل الساكتة : « لئلا سمع ورأى ! ولعنة لم يتأثر قيمه أهلة بما
السمع ورأى ! »

لقد كان استقبالنا لسارت أشبه بظاهرة ، وكان كلامنا معه أشبه بالصدى في وادي مهجور . إلا أن الصهيونية كانت أذكى منا وأكثر دقة في قيادته إلى أهدافها . فقد دست (كاود لازمان) بفكرة الصهيونى الملغى بطبقة وريفة من الفسكت انتمدى للتضليل . دسته على سيمون بتأثير دن (لازمان) أن تسوق بين وجوديته والشيوخية فاستطاعت سيمون بتأثير دن أن تسوق سارتر إلى أن يخرج عن قاعدته ويسير وراءها منوماً أو كالمنوم . فانهرب بما قدم إليه فترة . قبل أن يعود إلى قواعده سالماً . وقد رأينا كيف كان لازمان يقف في الطلي وراء سارت في كل زياراته ليسمعه صوت (هرتزل) واضحًا بجلاله وهو يحسن به إليه .

كان في مارس ١٩٦٧ وفي نوفمبر من نفس العام اكتملت الصورة . فقد منحت إسرائيل شهادة الدكتوراه الفخرية لسارت في سفارة إسرائيل بباريس بحضور عدد من المثقفين الفرنسيين على رأسهم سيمون وفرانسوا جiro وزيرة الثقافة الفرنسية ، وأذاع التلفزيون الفرنسي كلمة سارت التي قال فيها :

إن قبولى لهذه الدرجة العلمية الذى أشرف بها لمدلول سياسى وهذا القبول يعبر عن الصداقاة التى أحلمها لإسرائيل منذ شانتا .

هذا سارت الذى كتب (المسألة اليهودية) وهو الذى زار إسرائيل وأشاد بها ، وهو الذى شارك في المظاهرات ، ووقع البيانات المزيفة بإسرائيل . وقد قبل سارت الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية بينما رفض من قبل كل الجواتز التي أهدىت له بما فيها جائزة نوبيل .

وكان سارت قد قام بزيارة إسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ ببعضه شهور ، وما بثت نذر الحرب بعد عودته إلى فرنسا أن بدأ في الأفق في مايو ١٩٦٧ فسارع سارت وبمحضر من المثقفين الفرنسيين الآخرين إلى إصدار بيان في تأييد إسرائيل التي سيدرسها العرب . ولكن إسرائيل بدأت بالهجوم ، واحتلت من الأرض ، وقتلت من العرب ، ودرست فلم يراجع سارت نفسه ، ولم يعدل موقفه

إلا بعد أن اشتعل النضال الفلسطينيين بعد الهزيمه ، وامتدت ذيرانه إلى بعض العواصم الأوروبيه .

وبعد فقد سقط فكر سارتر قبل أن يذهب . لأن دعوته هي نوع من هوى النفس ، وهي مواجهه لتحدياته في عصره . ولكن الزمن يتحول ، والفسكرة التي تسكون اليوم استجابة لوضع معين . فإنها سرعان ما تسقط مع تحولات الزمن والبيئات . ولذلك فإن الوجودية لم تستطع أن تكون مذهبآ قائماً أو مستمراً . ومهكدا كل الأيدلوجيات البشرية التي صنعتها الفلسفه وظنوا أنهم قد استطاعوا بها حل مشاكل عصرهم . ذلك أن هناك منهجاً واحداً : هو الذي يستطيع أن يحل مشاكل الإنسان في كل المصور والبيئات . ذلك هو منهج الله الحق (لا إله إلا الله) .

الفصل السابع عشر

طه حسين

(١)

مُهيدُ الْأَدْبِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي مَا ذَالَتْ مَوْلَانَتِهِ تَحْمِلُ بِمَوْمِ الْإِسْتِشَارَةِ
وَتَهَاجِمُ الْإِسْلَامَ وَالْقُرْآنَ

(عِنْ جَلَّةِ الْاعْتِصَامِ - عِنْ جَلَّةِ الْعَمَّومِ) (الْقَمْدَهُ ١٣٩٣ - ١٩٧٣)

استطاعت في صحف البلاد العربية كلمات عجلى ولفظات سريعة خاطفة حاولت أن تسد فراغاً حفرياً على وجه السرعة فلم تسكن من أن تراجع التاريخ أو تثبت من الواقع، وربما صاحب ذلك هوى من شأنه أن يتعارض مع الحق، وربما كانت كتابات بعض المتصدرین في مجال الصحافة من لم يحسنوا مراجعة الآثار المكتوبة حول القضايا المثارة ومنهم من شهد السنوات الأخيرة فنشأ طفلًا يرى (طه حسين) رجلاً كهلاً تحبشه هالة، أو تدرس كتبه في الجامعات أو يشرف على بعض المؤسسات الثقافية والفنية فظن هؤلاء وبعض النظراء أن الرجل له تاريخ مشرف جدير بأن يشاد به ويزيّن ولقد حوت كتابات الكتاب الكبير من الخطأ ومن الهوى، ومن عجب أي بعض المؤمنين حق عن كتابوا عن الإسلام أو هاجروا به عن خصومه أمثال لويس عوض وسلامة موسى وغيرهم فأخذوا بسقوطه في هوة الخداع إزاء طه حسين وهو أشد خطراً من هؤلاء جميعاً وأبعد أثراً.

ولستنا الآن في مجال الحديث عن موقع طه حسين من الأدب العربي أو الفكر الإسلامي فذلك أمر له من بعد دراسات ومراجعات ولكننا نقف عند حد تصحيح بعض الأخطاء التي تضمنتها هذه المرأة إلى أعادت الرجل حيا بعد أن مات موتاً معنوياً منذ عشر سنوات عندما توقف عن الكتابة وذاهباً لمرض الذي كان حانياً لأن يفسح له سبيل العودة إلى الله لو أراد ولقد كان يتردد في هذه السنوات بل كان الدكتور نفسه يقول :

إنه لا يسمع من الإذاعة غير القرآن المرتل وكان بعض السذج من الناس يقول : لقد ناب الرجل وأناب .

وكذلك قالواها يوم أصدر كتابه (على هامش السيرة) ولكن الفهم السليم للإسلام يدعونا إلى أن نتعرّز من مثل هذه المظاهر الكاذبة وأن نتعمق مفهوم التوبة في الإسلام وهو مفهوم يفترض على صاحبه أن يرجع عن كل ما عانف به أصول الإسلام أو حقائق القرآن وأن يعلن ذلك على الملأ وأن يحجب مؤلفاته التي نشرت ذلك من قبل ، بل عليه أن يصحح ذلك ويوضحه وأمامنا مثلان :

مثل في القديم هو (أبو الحسن الأشعري) حين خرج عن فتنة الادخار إلى ضوء السنة الصحيحة فإنه لم يلست أن وقف في المسجد الجامع بعد الصلاة على كرسي عال وأعلن توبته بل وخرج من ملابسه وقال : لقد خرجت من الأثم الذي كنت فيه كما أخرج من ثوابي هذا وألقى إلى الناس بعنوانه الجديدة التي يعارض بها قديمة الذي خرج عنه وأمامنا الدكتور محمد حسين هيكل الذي أعلن في مقدمة كتابه (منزل الوحي) أنه قد خاض في شبابه لحج الظريفات وكان عصبا حين حاول أن يختار لبني وطه فكر الغرب أو منهج الفرعونية وأعاد إلى الحق حين تيقن أن الإسلام هو الم نطاق الوحيد للMuslimين إلى النهاية .

فهل فعل طه حسين شيئاً من ذلك إذا كان حقيقة قد تحول . نحن نعتقد أن طه حسين لم يتحول حتى مات عن مفاهيمه الأولى وأنه أصر على فسكة إصراراً كاملاً حتى حين كتب إسلامياته المتعددة وأن المراجعة القيمة لكتبه المؤلفات تكشف عن أنها تحول في المظاهر أو كما يقول الغربيون أن طه حسين غير جده أو أنه حين سقط في نظر الناس بعد كتاب (الشعر الخالي) إنما أراد أن يعود إليهم كاسباً لفهم بالكتابه عن « هامش » السيرة وكانت خدعة أخرى كشفها صديقه ورفيقه على الطريق في المرحلة الأولى الدكتور هيكل حين قال إن إحياء الأساطير في هامش السيرة خطأ على السيرة نفسها لأنه يعيد إليها ما حررها منه

علماء المسلمين أربعة عشر قرنا وحرصوا على حمايتها منه وقال عنها مصطفى صادق الرافعى إنه تهم صريح .

لقد خدع طه حسين الكثيرين بكتاباته الاسلامية ولكن هذا الخداع لم يطل فقد كشفه كثيرون في مقدمتهم محمود محمد شاكر الذي كشف فصولاً متعددة عن (الفتنة الكبرى) .

* * *

من أبرز ما يحاول الذين رثوا طه حسين أن يثبتوه أن طه حسين في مؤلفاته وكتاباته كان خصماً سياسياً للذين هاجروه وألبوا عليه وأن ما أورده في كتبه لم يكن على هذا النحو من الخطأ في مواجهة الاسلام .

وذلك هو أسلوب الاستشراق في مواجهة الامور وهو نفس أسلوب طه حسين الذي كان إذا أراد أن يهاجم الاسلام هاجم الازهر وإذا أراد أن يرد عادية خصومه قال إنما يهاجون حزبه السياسي ولقد حرص طه حسين حين اشتنت المللات عليه عاماً بعد عام بعد كتابة الشعر الجاهلي أن ينفصل من معسكر الاحرار الدستوريين وأن يأجأ إلى معسكر الوفد حتى يختفي به .

وقد أكسبه ذلك سناداً ضخماً إعانته - ليس فقط على الاستمرار في الحركة - ولكن مكنته من توصيل إلى ضربة أخرى وجهها إلى الفكر الإسلامي تلك هي كتابة :

ـ مستقبل الثقافة ـ وكذلك فقد استفاد طه حسين من السياسة فهي التي حته من المزل ومن المحاكمة ومن أشياء كثيرة ، بل هي التي كانت تسهل له أن ينتقل بالرغم من مواصلة كشف أسايه - من منصب أستاذ الجامعة إلى عميد كلية الآداب إلى مدير الجامعة إلى وزير المعارف .

ولذا كان رثاه طه حسين يرددونه «ما أن يصدقوا الناس ويقووا لهم أن

طه حسين عندما كان في حزب الأحرار الدستوريين - قد هاجم سعد زغلول بأكثر من (مائة مقال) في خلال سنوات (١٩٢٢ - ١٩٢٧) حتى وفاته فلما تجول طه حسين إلى الوفند بعد ذلك كتب عن سعد زغلول خطب يرفعه فوق هام الدهر دون أن يحس بالخزي أو التجلل دون أن يرى إيماسات السخرية من سامييه وقارئيه لكتاباته في الأول نفاقه وفي الآخرة وتضليله وغشه .

وتردد مرأى طه حسين عبارات تقول أنه اضطهد ككل أصحاب الرسائلات فأى نوع من الاضطهاد شهد طه حسين . هل اعتقل ليلة واحدة في أى عهد هل قدم للمحاكمة مرة واحدة . هل عذب ؟ هل حيل بينه صيف واحد وبين السفر إلى فرنسا حتى في أشد أيام أزمة الشعر المحاهلي . لم يحدث ذلك قط وإنما كان ذلك من لغو القول وباطله .

إن طه حسين كان يعرف أنه في حمایة قوى كبيرة ربما ليست ظاهرة ولكنها تختفي وراء الأحزاب، وراء عدل وثروت ، وتلتمس أسلوبها إلى ذلك بالعطف على الكفيف والرحمة بالمحنون . كما قال سعد زغلول للأزهريين : هبوا أن رجالاً مجنوناً قال ما قال ، وماذا علينا إذا لم يفهم البقر ١١

ويردد أصحاب المرآى أن طه حسين حياة حافلة بانتصارات ولكنه أى نصار ، لقد بدأ طه حسين حياته في محيط حزب الأمة الذى أنشأه كروم وفى أحضان لطفى السيد داعيه الولاء للاستعمار البريطانى تحت إسم مصر للبصريين وعدو الجامحة الإسلامية والعروبة والشريعة الإسلامية واللهجة العربية وتعليم أبناء القراء .

ولقد لقى طه حسين في حياته (عبد العزير جاويش) وبيته المزبور الوطنى ولكتبه سر عان ما أعرض عنها ، لأنها ليست مهددة الطريق ولا أنها كانت تحمل مقاييس النضال والجهاد ، وكسب صيته بأصحاب البيوتات وفي مقدمتهم آل عبد الرزاق الذى كان أثيراً لدى عطفهم ومحبتهم ولما عاد من أوروبا انضم في حزب

الأمة المجددة تحت اسم (الأخرار الدستوريين) ولم يدخل الوفد إلا بعد أن فقد الحزب أمانته الأمة وانصرت فيه العناصر اليسارية والشيوعية .

أما ملأفة التي يشيدون بها فهي تتجلى صراحةً في موقفه الظالم من أساندته الذين عاونوه في أول الحياة والذين شقوا له الطريق فلم يلبث أن هاجمهم في عنيف وصاف واحتقار ، بل وعارض مفاهيمهم الأصلية : وفي مقدمة هؤلاء الشیخ الماهی وعمر الخضری وأحمد ذکر باشا وأعلن أنه يرفض المنهج الذي رسمه الشیخ محمد عبده .

وقد سجل جميع الباحثين في سيرته وفي مقدمتهم أولياء الثقافة الغربية من أمثال إسماعيل أدهم أحد أنه لم يكن عالماً ولا صاحب منهج ، وأنه صاحب هوسي وغير من وأن ذلك الطابع يسود كل إنتاجه .

أما مفاهيمه العامة فقد أثار الدنيا حين أعلن أنَّ الغرب استعمروا مصر كالروم وحرقت مؤلفاته في ميدان عام في دمشق ، وقال أن مصر جزء من حضارة البحر المتوسط ، وهاجم المجاهدين من أهل المغرب في رسالته وحثّور استعمار فرنسا على اللامنخدم ظلمى تقدمها لهم فرنسا . وكانت له موافقه في معارضة العروبة والرابطة الإسلامية في دعوته إلى تصدير اللغة وإلى تصدير الأدب ، وكلها دعاوى زائفة مشبوهة .

وكانت دعوته إلى الحضارة الغربية دعوى فاسدة لأنَّه لم يأخذ فيها بأسلوب الحقيقة أو أسلوب العلم بل كان حريصاً على أن تنصر مصر والبلاد العربية في هذه الحضارة على النحو الذي صوره حين قال (أنَّ ن قبل من الحضارة ما يحصد منها وما يعاب وما يحب منها وما يكره) .

كان داعية الفناء في الغرب تحت خدعة زائفه ظل يروجها وكانت موضع سخرية الناس لسذاجتها وهي قوله : أنا لن نستطيع أن نساوى الغرب إلا إذا سرت سيرته ، وكيف يمكن ذلك وقد سارت تركيماً رمُّع ذلك سخر منها الغرب (٢١ —)

لأنها بعورت عن أن تقدم شيئاً في مجال العلم وما زالت عالة عليه بعد أن فقدت شخصيتها الإسلامية.

ويكذب أو يخدع أولئك الذين يقولون أن طه استوعب ثقافة التراث أو أنه نقل ثقافة التراث أو أن وجهته في الكتابات الإسلامية كانت خالصة لوجه الله أو العلم أو الحق ، ذلك أن طه حسين قد أراد أن يتخلص من التراث مبتداً إلى تحقيق جانب من رسالته المسحومة ، تلك هي إثارة الشبهات والروايات الباطلة ، والتقليل من جلال أبطال الإسلام ، وتصويرهم بصورة رجال السياسة في الغرب المسيطرین على مطامع الحكم وطالبات الحياة والحقيقة أنه لا يستطيع أن يفهم التراث أو يقدمه المسلمين في هذا المصير إلا الرجال آمنوا بالإسلام ديناً ونظام حياة وعمرت قلوبهم تلك الأمانة للإسلام والفسيرة على معطياته ومنجزاته ، أما طه حسين فقد عاش حياته كلها يسرخ بعظمة أمّة الإسلام وبما في صفحاتها من بطولات ويفسرها طبقاً للذهب الاجتماعي الفرنسي ، المتصل بالتفصير المادي للتاريخ القائم على الجبرية وهو مذهب يشكّر عظمة النفس الإنسانية وجلال الروح ومكانة المعنويات - كان طه حسين كذلك إلى آخر ما كتب (مرآة الإسلام والشيخان) .

وكل ما يحاول الإغوار أن يمحوه من آرائه عن القرآن أو الإسلام أو التاريخ فإنما يقدم إليه مفهومه الباطل فيجعله هباءً مشورةً ، فهو لا يرى في القرآن أكثر من أنه كتاب بلاغة ، ولا يرى في المأولات إلا أنها من نتاج البيئة ، ولا يرى في النبوة إلا أنها قدرة رجل عظيم استوعب فسكل عصره ، فهو لا يؤمن بالنبوة ، وذلك واضح من كتاباته ومن مراجعات الباحثين لأنّاره وهي كثيرة ومقدمتها كتاب غازى التوبة و محمد حسين والراعنى و محمد أحد الغمراوى وكتاب هذه السطور .

إن طه حسين مع الأسف لم يكن يومن بشيء ، كان ساخراً وكان مشككاً وكان متقلبًا ولقد كدت أكتب عبارة (أول لها حرف ر) .

وآية ذلك أنه ألق العمامنة في البحر عندما ركب السفينة أول مرة إلى أورناف مشهد درامي ، تثلي ، وأنه كان يقول القول وينقضه فقد أعلن أمارة العقاد للشعر ثم سحب ذلك في سوانة الأخيرة ، أما قدره العلمي فقد كشف عنه سكريته ألين بيرزان وسكريته ذكر مبارك وظهر ذلك واضحًا في سقطات فاحشة .

من هنال قوله (وقد وقعت بين اليسير والميائة معركة) (مجرات) ثم اضطجع من بعد أنها (من راهط) ولكن هكذا يكتبه المستشرقون وقد أشار ذكر مبارك إلى ذلك في دعائية ساخرة حين قال : أن طه حسين دخل حديقة المستشرقين بالليل ليفرق ثمرة أو ثمرتين فصادفته هذه الثرة المعطوبة) ولا شيء يستطيع أن يحمي طه حسين من شبهة الاتصال بالصهيونية أو اليهودية العالمية في مجال الفكر وربما عن طريق آخر بالإهانة إلها (ربنا تكون للأسوتية) . ولذلك قصة طريله لها وقائعها التالية والأكيدة والمتصلة طوال حياته منذ أعلن عن عدم وجود ل Ibrahim وإسماعيل عام ١٩٢٦ إلى أن صبح مديرًا لدار الكاتب المصري ١٩٤٦ وبين ذلك تاريخ طويل يمكن أن يروى في مقال متصل وبؤدة ما قاله شارل مالك في رثاء طه حسين .

هناك سؤال : لماذا انقلب إسلامياً داعياً إلى الترات ؟

الإجابة السريعة قبل إبراز التفاصيل هي حماقة تمكينه من أن يكون مرجعه إسلامياً يستعمله التبشير والإستشراق في السنوات الخمسين القادمة ولذلك فقد حولوه من معايشه الجاهير إلى إرضاء الجاهير ، إرضاعها بالخداع والزيف .

وكلامه عن الإسلام كله بفهم الإسلام الغربي المسيحي : أنه علاقة بين الله والإنسان ، عبادة ، لا هوت ، فكر باطني ، مفهوم الحلول وليس أكثر من ذلك ، وطه حسين يعتقد ما كان يعتقد فواتير وربنان وغيرهما من التفرقة بين الإيمان بالقلب والفكير عن طريق النقل . هذه الأذدواجية التي يعرفها الغربيون ويغشرون بها ، وتعتني بعض الفصائل المضللة من توابع المستشرقين في البلاد العربية من لا قيمة لهم ولا وزن ومن لن تبقى لهم آثار ولا أعمال .

إن طه حسين بالفعل في مجال إسلاميات منذ أصدر هامش السيرة ١٩٣٣

ونشره في الرسالة كان يفتح صفحة جديدة وأخيرة في تاريخه وتاريخ الفكر الإسلامي
هي صفحة [تقديم البديل من أجل القضاء على الأصيل] [ومع الأسف فقد شارك
في هذا الخطط هيكيل والعقاد وانكشف أمرهم عام ١٩٣٩ حين قال لهم إمام كبير :

يَقُولُ وَيَنْهَاكُمْ أَنْ تَوْمِنُوا بِأَنَّ الْإِسْلَامَ نَظَامٌ حَكْمٌ وَمِنْبَغٌ مُجَمَّعٌ، فَضَمَّنُوا
صَمَتَ الْقَبُورُ . لَقَدْ عَدَ طَهُ حَسَنٍ مِنْ خَلَالِ كَاتِبَاهُ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ يَصُورُ الرَّوَابِطَ
بَيْنَ الصَّحَابَةِ عَلَى بَعْدِهِ مُؤْسِفٌ رَدِيهِ، وَكَانَ قَدْ أَعْلَمَ مِنْ قَبْلِ فِرْدَاهُ عَلَى الْعَلَمَةِ :
رَفِيقُ الْعَظَمِ احْتَقَارُهُ لِلتَّارِيخِ كَمَا اتَّخَذَ فِي بَعْضِ الشِّعْرَاءِ الْمَاجِنِينَ دَلَالَةً عَلَى فَسَادِ
الْقَرْنِ الثَّانِي الْبَجْرَى الْخَالِفِ بِأَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْفَقْهِ وَالْعِلْمِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْأَدَبِ
وَالْفَكْرِ كَلَّهُ .

لقد تحول طه حسين في أساليبه بموضوع معركة أشد خطراً، هي معركة تزييف
مفهوم الإسلام والتاريخ الإسلامي، وقد جرى في ذلك مع منبع الاستشراق الذي
تغير في أو أخر الثلاثينيات حين تحول من مهاجمة الإسلام علانية إلى خداعه يتقدم
طبع ناعم في أوائل الأربعينات ثم دس السم على مهل ومن خلال فقرات متواترات
وكان هذا هو أسلوب الاستشراق اليهودي الماكرو.

وقد استخدم طه حسين هذا المنبع ببراعة ونجاح فيه . فلم يكن طه حسين
يؤمن بالدين ولا بالتراث ولا بعمرته هذه الأمة ولا بأمجادها الإسلامية ولا بحركة
البيضة فيها ، وقد تهدمت كل أعماله قبل وفاته وخلفاته كل الكتابات الجديدة
واليمانية عن الشعر الجاهلي وعن ابن خلدون ، وعن مفهوم المروية المرتبط
بالإسلام وعن هرمونية الفرعونية وعن إنتحار دعوته إلى الغض من شأن الأزهر .

ماذا بقى من طه حسين بعد أحد عشر عاماً من وفاته

كان السؤال في بدء الاعتصام هو : لماذا الدكتور طه حسين وحده من دون كتاب مصر ومفكريهم هو الذي نقام له مهرجان سنوي في جامعة المنيا ويقدم له عديده من المستشرقين وتهتم به الأذاعة والتلفزيون ومحشد له كتاب كثيرون لتهجيه وتقديسه وحتى الصحف كانت حامية له عندما يحاول أحد المفكرين أن ينقده أو يقدم عليه ملاحظة واحدة فإذا بالصحف تتعجب لذلك كأنه قديس لا يجوز نقاده .

والحقيقة أن طه حسين منذ سنوات طولها قد أخرجه المؤرخون من كتاب الأصالة والآیان بالعروبة والاسلام فقد حل حالات شديدة على الدين بعامه وعلى الاسلام بخاصه وعلى الازهر معقل الاسلام والفقه ، وهاجم العروبة والعرب ووضعهم بأنهم استعمار شبيه باستعمار الفرنسيين والإنجليز ، وقال أن مصر ليست عربية ولكنها غربية ، بالبحر الأبيض وبالثقافة اليونانية وقال عن نفسه أنه من أصل يوناني .

وقد أخرجه المؤرخون والباحثين من كتاب الأصالة والآیان بالمنهج العلمي منذ أن دعاه إلى مرجع الشك الفاسقي وعاش حياته يشكك في كل شيء ، في نصوص الأدب والشعر والتاريخ الاسلامي واللهجة العربية وقد فتح الطريق أمام شبهات أعداء الاسلام من المستشرقين وبالغ في (ديكارت) مبالغه خرجت به عن الحقيقة حين وصف نفسه بأنه وصل إلى وثائق لو أعلناها لاندك السريون ، ولم يعرف طه حسين أن مذهب [الشك طريق إلى الآيان] الذي دعا إليه (ديكارت) أنه أحده من مفكري إسلامي هو الإمام الغزالى ومن كتاباته (المنقد من الضلال) ظللته بـ إسلامي المصدر ولكن طه حسين الذى كان يلمون في الأزهر لم يتمكن وقد سجل على نفسه الجليل بالمصادر الاسلامية .

كذلك فقد أخرج العلامة والباحثين طه حسين من كتاب الأصلاء منذ فتح باب السرقة من المصادر دون الاشارة إليها فقد ظل يدرس في الجامعة نظرية مرحليوث في انتقال الشعر الجاهلي سنوات وسنوات دون أن يشير إلى المصدر مع أن المستشرقين الذين معه كانوا يعرفون ، بل أن بعض الطلاب كانوا يعرفون ، وهذا ما كشف عنه الأستاذ محمود محمد شاكر في مقدمة كتابه (المتنى)

ومن ذلك ما فتح الطريق إليه وشجع تلاميذه في هذا المجال الذي يبعد الآن من القافز الشديده الخطر في الحياة الأدبية المصرية ، وهناك وقائع ثابتة - وليس هذا قول جزافي - وهناك اسماء معروفة في المجال الجامعي ، وبعثتها كتب صدرت في البلاد العربية وفي مقدمتها كتاب الدكتور محمد نجيب اليهودي (مقدمات الأدب والتاريخ العربين) .

كذلك فقد أخرج العلامة والباحثين طه حسين من كتاب الأصلاء منذ حل لواء الهجوم على أسانتته وعلى والده في كتاب (مع الأيام) وعلى الذين عذبوه ، وعلى الشيخ محمد عبده وأحمد زكي باشا شيخ العروبة والشيخ محمد الخضرى أو مختلف أسانتته بل وزملائه أمثال أحمس أمين وذكر مبارك .
كذلك فقد أخرج العلامة والباحثين طه حسين من كتاب الأصلاء منذ قاتم أعداء الاسلام من المستشرقين بالهجوم على ابن خلدون والمتني وأسامي إلى خالد بن الوليد وكثير من الصحابة ، ومنذ يوم انكر وجود (عبد الله بن سبا)
اليهودي وسخر بكلار المسلمين ووصفهم بأنهم مجموعة من الساسين المتصارعين .
كذلك فقد أخرج العلامة والباحثين طه حسين من كتاب الأصلاء منذ انكر وجود ابراهيم وأسماعيل عليهما السلام وقال أنه لا يؤمن بهما بالرغم من ذكرهما في القرآن ، وعما قاله أن الاسلام يقى على ما هي حياة المسلمين وأنه لم يستطع أن يفرض نفسه على حياة المسلمين أصحاب الحضارات المختلفة ،
كذلك فقد أخرج العلامة والباحثين طه من كتاب الأصلاء منذ كتاب بين

الأحزاب ، الأحرار الدستوريين يوماً ومع الوفديين يوماً، بل وكذلك في الـ
الغربي فكان ولها للثقافة الفرنسية ، ثم عندما أصبح وزير نقل ولاته إلى بريطانيا
ثم لما ظهر النفوذ الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية بدأ يقدم الفكر الأمريكي
ويعلن من شأنه .

* كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة منذ أيد
الصهيونية وأنشأ مجلة الكاتب المصري في القاهرة وخطب في مدارسهم أوتحدث
كتباً عن فضل اليهود على العرب في مجال الأدب أو الفكر ، مع أن المكس هو
الصحيح ، وفضلاً عن أنه أمضى حياته كلها لم يكتب مقالاً واحداً في تأييد قضية
فلسطين .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة بعد أن ولى
الشيوعيين ومفاهيم الماركسيّة وأيد كتباً لهم في مصر وشجعهم على تعطيم التفسير العلائى
لتاريخ بعد أن قدم تاريخ الإسلام من خلال التفسير المادي للتاريخ في كتابه
(الفتنة الكبرى) وهي الخطوة التي تابعاًها بعد ذلك عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة بعد أن
وصل في المبالغة إلى السكّنْدَب ، فقد ادعى أن يطل روايته (أديب) استودعه
صناديق من الأعمال الأدبية ستهن الدنيا إذا نشرت ، وقد ثبت كذب هذا
الادعاء ، كذلك فقد ثبت أنه لا توجد هذه الوثيقة التي ادعى أنه عثر عليها
عن ديكارت :

قال أنه قد وصل في بحث ديكارت إلى نتائج غريبة قيمة لو أعلنتها فرنسا
لا تندكث لها السربون ولا يخترق لها السكوليج دي فرانس ولاعلن لها
المجتمع الفرنسي (فلاسه) هذه المجموعة من الخطط المدعاة لم تكن شيئاً وإنما
كانت كما ذكر الذين راجعوا هذه القصة، مبالغة ، أو رد أن يخدع بها خصومه من
علماء الأزهر ، فقد تخصص طه حسين في القصة المكتوفة ، ولا تستطيع أن

نترك لهذا المجال دين أن نذكر ما قاله الأستاذ المازني عن طه حسين في (كتابه قبض الريح ص ٦٣ وما بعدها) ولقد لقى في الدكتور طه في كتابيه حديث الأربعاء وهو مما وضع و(قصص تمثيلية) وهي ملخصة :

(إن له ولعاً يتعقب الزناه والعشان والذبحة والزناقة)

ولقد ظل طه حسين مكتشو فاجيله أكثر من أربعين سنة، ولم يغلب عليه طابع القداة الكاذب إلا بعد أن مات الرافعي والعقاد وذكى مبارك والغمراوى ومحب الدين الخطيب وكل معاصريه الذين يعرفون خبيثته وهدفه .

أهذا هو أحد الشواخن الذى قاتل المعارك من أجل الدفاع عنه ، بينما تتجاهل هذه الدعوة الظالمة الرافعى ورشيد رضا وشبيب أرسلان وطاهر الجزائرى وأحمد تيمور والمولى محى والگوا كى وعلال الفاسى وعبد العزيز جاويش والبكرى والمولى محى والمنفلوطى والزيارات والتمالى وعبد الرحمن عزام وفريد وجدى وطنطاوى جوهرى وكبارون .

أهم الشواخن شعب : طه حسين ولويس عرض و توفيق الحكيم وزكي نجيم محمود الذين ترفع لهم الرأيات وتتخلى حشف كبرى عن تقاليد الصحافة ففسح لهم الكتابة في المحظوظ و يمنع من يرد عليهم أو يصحح لهم أن ينشر له شيء .

ويكتب أحد التغيريين الصغار يقول أن طه حسين ما زال يتحدث إلى الناس حتى اليوم ، وهو لا يعلم أن كل أفكار طه حسين سقطت قبل أن يموت ، تحدث عن الفرعونية وسقطت الفرعونية ، وتحدث عن أن الدين خرج من الأرض ولم ينزل من السماء وهذه نظرية دور كام الباطلة وأنكر وجود إبراهيم واستغاث بهم الله شيئاً كلها ودعى إلىأخذ الحضارة الغربية خيرها وشرها وحلوها ومرها وكذبه جارودى وغيره وسرق من اليهودى من جليوت نظرية الشعر الجاهلى ليحيطهم قاعدة من قواعد تفسير القرآن الكريم وقال أن في القرآن نظم ضعيف ونظم

قوى وهي نظرية اليهودى جولد زمير سرقها أيضا دون أن يذكر، وقال أن مصر غربية وليست عربية وهي نظرية الاستعمار الفرنسي والبحر الأبيض المتوسط وسرق من بلاشير تحقيقات بطلات العرب في المتنبي فإذا بقى له بعد ذلك.

إن الذين كتبوا عن طه حسين وكشفوا خفيته لم يكونوا إلا أقرب الناس إليه ، تلميذه محمود محمد شاكر الذي اتهمه بتدمير أساليب البحث العلمي ، أم الدكتور نجيب البهتى الذى أورد عنه ما يعنى قلمنا عن تردداته أم زميله فى الجامعه الدكتور على العناني وقد وزع مخاضرته مطبوعه على طبة دار العلوم ، أما ما كتبه سكرتيره أو بعين سنته : فريد شحاته .

إذن ما قيمة ما يعرضه البعض من كتابات الدكتور محمد الدسوقي وهو لم يصاحب طه حسين إلا في سنوات المرض بعد أن فقد ذاكرته وعاد يخلط في الأمور ، وكيف أنه عجز عن مهاجمة العقاد حيا فلسا مات قال لم أفهم العبريات وقد مجدها في حياته ، ماذا بقى من طه حسين يستدعي مجحيدة وند زار إسرائيل مع حسين فوزى سراً وإذا كان سكرتيره الخاص مؤمن فاقرأوا ما كتبه الإبرير برزان سكرتيره الأول ، وكيف كان يشافق ثروت باشا ويكتب فيجريدة الاتحاد ضد الأحرار الدستوريين ثم يكتب في السياسة ضد زغلول ، تم يصل به المطاف إلى الوفد فإذا راجعه الأحرار فقال لهم : استكروا وإلا كشفت أسرار حربكم - ولتقروا أو كتاب معك الذى أملته السيدة سوزان آنروا كم كنيسه في أوروبا دخل ولم يدخل مسجداً واحداً وكيف كانت ترسم الخطط لمؤامراته مع الفسكت الأسلامى وهذه الخطط التي كان يقودها لويس ما سيزيون .

ماذا بقى بعد ذلك من طه حسين : حول شخصيته وحول فكرة مما يشاد به وبعل ويسجل إلا إذا كانت سرقة المنشرين فضيله وهدم التراث الاسلامي منه وإذا كان إدخال مذهب الشك الفلسفى إلى الأدب العربي هدية يعلى شأنها خصوم الاسلام حين يقولوا أنه هدم القديم البالى ، وكان هو يقصد بالقديم الاسلام حيث لا يستطيع أن يصرح بذلك .

ان الذين يتكلمون في هذه المناسبات أحد اثنين : أما أحدهما فرجل قدم له الدكتور طه خدمة في أثناء اقتماله فبعشه الى بلد أو المقهـ بعمل ، أما الآخر فهو مغرب علـاني يؤمن بأن طه حسين قد شق لهم الطريق الى العلمانية والماركسية والشـعوبية وفتح أمامهم أبابـ الهجوم على الفـكر الـاسلامي واعـلـ أبي نواس وبشار وأخـوان الصـفا وابن عـربـ والـحلـاجـ ، وانتـقادـ الصـحـابةـ وابن خـلـدون والمـتنـبيـ لأنـ المستـشـرـقـينـ يـرونـ ضـرـورةـ اعلـاءـ الزـنـادـقةـ وخفـضـ العـاـقرـةـ .

(٣)

أمانة الأجيال

إنما المسؤولية إزاء الأجيال الجديدة من الشباب والأمانة العلمية تجاه سعوم ما زالت كهراً تصدر وتنادى .

قد تكون كتابات طه حسين أدباً بمفهوم الأسلوب الموسيقي الإيقاعي ولكنه بالقطع ليس أدباً إسلامياً على الإطلاق .

(في الرد على ثروت أباطحة)

أولاً : أن ما كتب عن طه حسين في دراسة حياته وفكره هو أمر طبيعي قام به الدارسون بالنسبة لكل الكتاب البارزين ، فليس في ذلك من عجب ولم يكن طه حسين إلا واحداً من أصحاب الأقلام الذين يخطئون ويصيرون ، وقد تحدث الناس عن خطأه وصوابه وهو حي ، فليس من الغرابة أن يتناول فكره أو ناقش أعماله ، وليس تلك الكلمات المبالغة في تصويره الناس يمكن أن تصل إلى مقام التقديس أو حجب الحقائق التي تمثل وجهة الكتاب في علاقاته مع المسasse أو النقاد أو جهات العلم في مصر أو الفرب ، وذاك جيل عرف بإتصالاته بالأحزاب وبالسياسة وبالصحافة وكان من أساليبه الهجاء والخصومة والتقبل بين المعسكرات (وإن كان أسلوب الهجاء الذي عرف لهؤلاء أعلى وأكرم من هجاء المتأخرین الذي وصل إلى حد أسيف) ولقد كتب عن طه حسين كثيرون :

كتب الأستاذ محمد شاكر كتاباً وكتب الدكتور نجيب الريحاني كتاباً في المغرب في ثمانمائة صفحة ، وكتب الدكتور المحسوب في الأردن كتاباً وكتب الأستاذ أحد حسين في مجلة الثقافة : هذا في الفترة الأخيرة ، أما في حياة طه حسين فقد كتب أربعون كتاباً في مقدمتهم العقاد وهيكل باشا ووزكي مبارك و محمد أحد الغمراوي وفريد وجدى ، والحضر حسين ، ومحب الدين الخطيب وساطع الحصري

وكثيرون، إذن فالقضية قضية أديبية كبيرة ليس كتابنا فيها إلا شطيرة من الفطاثير كذلك فنحن تناولنا حياة طه حسين وفكرة في إطار الإسلام وأسلوب الإسلام العف السمعي الضروري الذي لا يفهم ولا يظلم ولا يرى بالقبائح ، لقد علينا الإسلام أدب الحديث وأدب الحوار وكنا ولانا إزاء كل ما يريد به إخواننا الكتاب والأدباء، متذمرون بهذا مما يبالغ عبارات الجاهه التي ترددت على أقلام كتابا نظر أنها تهف عن الدنيا ، فلا زددها ولا تزدها وإنما وإنما من الكرام وتصحها دبر آذانا وتحبسها عند الله ولاريب أن العبارات الجارحة غير الملائمة هي تعبير عن مجرف الأداء وعدم القدرة على مناقشة الفكرة عليها أو مقارعة الحجة بالحججة (١) .

ثانياً : أما الاتهامات التي وجهت إلى طه حسين بالعلالة مع الصهيونية أو مع الشيوعية أو أنه تصر في كنيسة في فرنسا بذلك كله ما قاله غيرنا . الصهيونية كشبهة جامات والدكتور لويس عوض يتحدث في الأهرام عن توقي الدكتور عبد الأدب العربي لرئاسة تحرير مجلة « الكاتب المصري » الصهيونية ، التي حيا فيها الدكتور طه وفود اليهود الداخليين فلسطين أمثلية الشيوعية وقد جاءت نتيجة رسائل تبادلها معه الشيوعيين المصريين الذين جعلوه في مجلة من مجلاتهم زعيما لهم أمثلية التنصر فقد ذكرها سكرتيره في حديث صاحب المجلة الأذاعة وعلق عليها المرحوم الاستاذ أحمد حسين ، أما ما يشاع عن تبعيته لفرنسا فقد جاءت في أحاديث نشرها في الأهرام بعد أن ضربت فرنسا دمشق بالقابض وأيد موقفها ذلك ، ومن موقف الاستاذ الفرنسي الذي أعطاه الدرجة النهاية عندما دخل الامتحان وعمه زوجته الفرنسية وهذه أثبتها طه حسين في الجزء الثالث من الأيام وقد ابتسم وأعطى لأنه عرف أن هذا السكيف سيخلص فكريهم في جامعة شرقية ومع هذا فنحن لم تتحدث في كتابنا بكلمة واحدة عما يسموه (العلة) أو التبعية وإنما هي أخبار متفرقة تناولتها كتابات هؤلاء الرملاء الذين تناولوا طه حسين وعاصروه وما عرضنا له فقد شركنا فيه وضمنناه ، أما تبعيته للمستشرين في كتابنا بها وإنما هو الذي ذكرها في رسائله إلى السيدة زوجته كما أوردته في كتابها (معلم) .

(١) كان ثروت أبا طله قد أدخل في حديث خليلة لنور بيماراثة يوسف منها القلم .

ولقد أورد الدكتور محمد نجيب الباريبي في كتابه وقائع أخرى من حياة الدكتور طه حسين باعتباره أقرب تلاميذه إليه أيام الدراسة في الجامعة تعرف عن ذكرها، كذلك فقد أشار الأستاذ شاكر إلى قضية ضخمة هي قضية (السطو الجامعي) التي ابتدعها الدكتور طه حسين وكيف أنه رد نظرية المستشرق اليهودي مرجليلوت عن انتحال الشعر الجاهلي عاماً كاملاً دون أن يشير مرة واحدة إلى المصدر وهي ما أسماه شاكر (حاشية طه حسين على متن مرجليلوت) كل هذا رده كثيرون وما كان لنا أن نخوض فيه، وهو اليوم ينسب إلينا ظلماً، وكان من الحق أن ينسب إلى أصحابه.

ثالثاً : والحقيقة التي قام عليها كتابنا ووجهتنا ليست هي التشهير أو الاسماء أو الظلم فإننا نعلم أن كل كلمة لها حسابها عند الله تبارك وتعالى وما ينتينا وبين الدكتور طه حسين قوله، وإنما هي المسؤولية إزاء الأجيال الجديدة من الشباب والأمانة العلمية والتبعية إزاء مؤلفات مليئة بالسخوم ما زالت منتشرة وما زالت يعاد طبعها ويظن شيئاً وهو خنثيف الخلفية الاسلامية أنها حقائق واسم طه حسين عميد الأدب : هذا الاسم اللامع ما زال يخدع الكثرين، فنحن نرجو أن نكشف هذه الحقائق، وأن نبين رأى الإسلام فيما على قدر ما نستطيع ولا ندعي في هذا تطاولاً، ولا استعلاء ، وكذا نود أن يكون الانصاف وقبول الحق رائتنا جميعاً لا الأهواء الشخصية وأن لا يكون الولاء الحذر أو العائلي صارفاً لنا عن أن تذعن للحق ، فاقرئ طه حسين خلال حياته الطويلة إلا مجموعة من السخوم التي حارب بها حقائق الإسلام وخاصة في كتبه ، الفتنة الكبرى وهامش السيرة والشيخان ومرأة الإسلام ، ولكن هذا الزيف المسموم قد صنع في ذلك الأسلوب الموسيقي الخادع الذي هو أداة الاقناع لدى البسطاط الذين لا يستطعون أن ينفذوا وراء السخوم المنشورة والشبهات والستحرية والتهم بالصحابه في هذه الكتب وقد عرف الباحثون اليوم وتكتشفت أمامهم الحقائق واضحة بأن الدكتور طه حسين هو صاحب [منذهب الشك الفلسفى] الذى روج له محسوسون سنتين في العالم العربي كله وفي مختلف

كتاباته عن التعليم والأدب والسيره والتاريخ ، وأنه هو الذي طلب إلى قلاميه (نقد القرآن) على أنه كتاب أدب فيه الضعيف والجاف والقوى ، وقوله ياطلا أن الرسول تأثر باليهود في المدينة فذهب جفافاً أسلوبه (وهو في هذا يعتبر القرآن من عند الرسول وليس من عند الله) .

وأقرأ في هذا كتاب الدكتور محمد البهى (الفكر الإسلامي الحديث) وحضر جلسات مجلس النواب ١٩٣٣ حيث قدم الدكتور عبد الحميد سعيد تصوصى كرامة طالب في كلية الآداب ، وهو الذي أنكر في كتاب [الفتنة الكبرى] شخصية عبد الله بن سبا اليهودي وبالرغم من أن الطبرى وغيره ذكر مؤامراتها الضخمة إلى انتهت بمقتل سيدنا عثمان ، وإدعى أنها شخصية خرافية ، أما هامش السيره فقد أضاف الأساطير التي نجحها كتاب السيره وأعادها إلى السيره مرة آخرى على نحو أشد كذب باليخان أدب الأساطير في الأدب العربي أسوة بكتاب على هامش الكتاب القديم المترنى فلان وفي كتاب الشيشان فقد تصرفات سيدنا عمر ، وفي مرآة الإسلام أنكر القراءات السبعية ، وفي كل هذا كان يتعامل مع الصحاوة على أتمهم من السياسيين المخترفين في هذا العصر ويسوق إليهم عبارات السخرية والنقد مع أن حماة رسول الله ﷺ له قدرهم ولكنه أراد أن يحيط بهذه المكانة وأن يدرس تاريخ الإسلام في هذه الفترة على أساس مفهوم التفسير المادى للتاريخ ، هذا المنهج الذى وضعه ماركس ومن بعد سار عليه الكتاب الماركسيون في دراستهم عن النبي والصحابة من أمثال عبد الرحمن الشرقاوى الذى صور النبي في كتابه على أنه من دعاة الإصلاح وتحرر العبيد والذى لم ترد في كتابه (رسول الحرية) كلمة الوحى ولا مراة واحدة أو كتابات أحد عباس صالح عن اليسار والمدين فى الإسلام ، فلا ريب أن طه حسين هو الذى فتح هذا الباب الفاسد في تفسير تاريخ الإسلام وفق نظرية التفسير المادى للتاريخ متبعاً المستشرقين في هذا ، ومرضياً للاستشراق اليهودي الذى يلح على إنكار عبد الله بن سبا اليهودي . ولن نذكر في هذا المجال أنه أنكر وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأن ذكرها القرآن فإذا كانت

كتابات طه حسين هي الأدب ، على أساس أنه صاحب أسلوب منجم موسيقي ، فنعم ، أما أنه أدب إسلامي فلا والف لا ذلك فإن مفاهيمه تتعارض تماماً مع مفهوم الإسلام الأصيل :

هذه مقدمة ندخل بها إلى عرض آراء طه حسين المسمومة لنكشف لشبابنا المسلم تلك الخدعة التي يخدع بها البعض وما كنا نظن أن المهوى أو الولام الشخصي الذي اصطنعه طه حسين عبد البعض يستطيع أن يعلو فوق الحق ، وفوق الكلمة الحلاصة ته ببارك وتعالى .

and a few other species. (ξ)

كلمة حق في الرد على المدافعين عن طه حسين

أن أصدق أساليب البيان هو أسلوب الوضوح والصدق والأمانة، بالانطلاق من منطق أصيل غایته الوصول إلى الحق وهذا المنطق يعوزنا جيئاً حينما نبدأ من فرعيات صفراء في محاولة للوصول إلى هدف بعيد . وفي قضية «الاستاذ الكبير»، رواد الآدب في هذا الجيل خلفية يجب أن يعرفها كل من يتحدث عنهم : تلك هي أنهم كانوا يعملون مع الانطمة السياسية القائمة والتي كانت خاصة خضوعاً واسعاً لنفوذ الأجنبي والاستبداد الحاكم إذاك وأنهم كانوا يتصارعون تحت مظلة الأحزاب السياسية وأن علهم الآدب كله ... أو جله — كان في خدمة هذه الأهداف وأن الذين درسوا (الآدب العربي المعاصر) علموا بما نص عليه دولاء الرواد في صراحه أو ضمناً من أن الدراسات الأدبية التي قدموها في الصحافة - - - إذاك - إنما كانت جزءاً من العمل السياسي والمأزق وأنها كانت تستهدف جلب قراءه من المskرات الأخرى أو الأحزاب الأخرى وأن حزب الاحرار الدستوريين الذي كان ينتمي إليه جل هؤلاء (وعلى الأقل .. هيكل و له حسين) كان معروفاً بأنه حزب خصوم الاسلام بل وأطلق عليه في فترة من الفترات حزب الملاحدة فنـهـ ظهر على عبد الرزاق بدعوهـ إلى أن الاسلام دين لاهـوـتـيـ وأنـ الحـكـمـ ليسـ منـ أـسـسـهـ وـمـنـهـ ظـهـرـ طـهـ حـسـيـنـ بـدـعـوـةـ عنـ نـصـ الـآـدـبـ العـرـبـيـ عنـ الفـكـرـ الـإـسـلـامـيـ وـالـقـوـلـ بـأـنـكـارـ وجودـ لـبـراـهـيمـ وـاسـمـاعـيلـ وأنـ قـالـتـ بـوـجـودـهـماـ القرآنـ وـالـتـورـاهـ وـمـنـهـ ظـهـرـ أـرـاءـ كـثـيرـةـ بـالـتـنـكـرـ لـالـاسـلامـ وـمـفـهـومـ الـعـرـوبـهـ وـالـدـعـوـةـ إـلـىـ الـقـرـونـيـهـ وـالـاقـلـيمـيـهـ وـغـيرـهـاـ غـيرـ أنـ هـرـحـلـةـ أـخـرىـ أـشـدـ خـطـوـرـةـ جـامـاتـ بـعـدـ ، حـيـنـ أـضـطـرـتـ هـذـهـ الـأـحـزـابـ إـلـىـ مـجـارـةـ تـيـارـ الـوـطـنـيـ الـعـارـمـ وـكـسـبـ الشـعـبـ بـالـكـتـابـةـ عـنـ الـاسـلامـ وـمـنـ هـنـاـ بـدـأـتـ كـتـابـاتـ (حـيـاةـ مـحـمـدـ) ليـكـلـ جـاتـ كـتـابـاتـ (العـقـبـيـاتـ) المـقـادـمـ جـاتـ (عـلـىـ هـاـشـ السـيـرـةـ) اـطـهـ حـسـيـنـ .

وقد كانت الخلفية وراء هذا التيار سياسية أصلاً ولم تكن عملاً خالصاً لوجه الله، وأن من يدرس هذه الكتابات دراسة أصلية وفق مفهوم الإسلام يجد أنها قد أحنت على كثير من التحرير والخلط والتلاشي المنهج الغربي والإاستشرافية في كتاباته.

بل أن هناك من يذهب إلى أبعد من ذلك ، إلى أنها أنها جاءت لأغرين خطرين : لمواجهة التيار الماركى الذى كان قد ظهر بعد الحرب العالمية الأولى في معظم البلاد العربية وحمل معه مفاهيم عن الاجتماع تذكر (البطولة الفردية) ومفاهيم عن التفسير المادى للتاريخ تذكر كثيراً من المعجزات والوحى ، فن كانت الدعوة إلى الكتبة الإسلامية بين هؤلاء الكتاب الذين كانوا في أول أمر دعاء الفكر الغربي عملاً هادفاً له أبعاده ومضامينه ولم يكن إلا محاولة خلق بدليل ذاته ، عن طريق أسماء لامعة للاصيل الذي كان قد بدأ يشق طريقة بقوه وهو حركة اليقظة الإسلامية متعملة في عديد من الميقات الإسلامية كالأخوان والشبان وشباب محمد ومصر اقناه والمتندين الإسلامي والمقاصد الإسلامية والأخلاق وغيرها من الميقات الإسلامية على طول البلاد العربية وعرضها وفي دمشق وبغداد والقاهرة وإنهم قد انهلقو إلى هذا العمل لامن مفاتيح الفكر الإسلامي وإنما من مفاتيح الفكر الغربي بعاداته وسمعيته .

والمدف هو مواجهة دعوة الحركة الإسلامية التي تحمل لواء العودة إلى القرآن والناس المبالغ الأولى والعمل على تطبيق هذه المحاولة المصرية التي استهدفت أبرز الكتابات السُّلْطانية، والتي ترمي إلى تقديم بديل لكتبه بدليل ذاته.

ويعد أن بين هؤلاء الكرام الاعلام على منبر مجاس الشیوخ هذه السموم (عبد الحبیب سعید ، الشیخ دراز ، رضوان السید وغيرهم) قام على عبد الرانی والعقاد وهیکل وغيرهم بحملة مضادة للدفاع عن طه حسین ، وفي الحق أنها كانت محاولة للدفاع عن هذا التيار بدعوى أن الدستور يحمی حریة الفکر ، هنالك کشف الأستاذ الإمام حسن البنا في مقال له بمجلة الأخوان "هذه المقاومة" حين طالب هؤلاء الذين يتسمون باسم الإسلام إن كانوا صادقين - أن يعلموا إيمانهم بحقيقة الإسلام : كنیج حیاة ونظام مجتمع . فلم يجب أحد على كلامه وأدخلوها قیم یسمونه (مؤامره الصمت) وكان واضحاً أن الهدف هو استغلال هذه الكتابات الإسلامية لحجب الدعوة الحقيقة إلى مفهوم الإسلام الأصيل .

كل هذا کشف عنه كتابنا (طه حسین : حیاته وفکرہ في میزان الاسلام) ولو أن المتتصدون لكتابه في هذا الأمر قرأوا هذا الكتاب أساساً لفروا كثيراً من الوقت والجهد ولو جدوا الإجابة على أسئلتهم ولكنهم يماجرون الكتاب وكأبه أنطلاقاً من وجهة نظر خاصه ، هي أحدي وجهتين ، أما الدفاع عما یسموه تراثاً لا معها كان له دوره في مرحله من مراحل حیاة الفکر الاسلامي المعاصر ، أما متابعة لكاتب بینینه سوء للمعنان أمه أو لای هوی قومی أو وطنی خاص ، ولكن الحق هو فوق كل ماتھوی الانفس وهو یعلو ولا یعلى عليه مهما بدت الصور براقة في عيون لاترى أبعد مما تحت أقدامه ولقد كان للأدب العربي الأصيل المتصل بالفکر الإسلامي الصحيح دعاة وكتاباً في هذه الفترة هم أكثر إیاعاناً وأقوى بیننا وكانت كتاباتهم أبعد أثراً من هؤلاء الماعين الذين كان الصحافة آثرها في شهرتهم دون أن یكونوا على قدر حقيق بالنسبة لأمثال شکیب ارسلان وحب الدين الخطيب ومصطفی صادق الرافعی والدکتور محمد احمد الغمراوى ، ربحي الدردري والمنظر حسين وعشرين آخرين هم في الحقيقة أعلام الآدب العربي الاسلامي ، هؤلاء لم یدرسهم أو یتحدث عنهم النقد الاولى لأنه كان يريد أن یظهر ویلیع هذه الاسماء وحدها ، ولعل الباحث المنصف یستطيع أن

يقرأ [موقف العلم والعلم من رب العالمين] من شيخ الإسلام مصطفى صبرى الذى كشف عن أخطاء هؤلاء الاعميين فى فهم الإسلام ولعله قرأ عشرات الابحاث عن أخطاء العقاد وطه حسين فى فهم الإسلام ومتباينهم لاراء المستشرقين .

وإذا كان الباحث يريد من هذا كله أن يصل للدفاع عن طه حسين فأن الامر قد وضح اليوم وضوحاً لا سيل إلى غموض فيه ، وإذا كانت قد خدعته عبارات لطه حسين في تقدير الحكومة الإسلامية في عهد أبي بكر وعمر فإنه يندى أن يذهب قليلاً مهمسوفاً يجد أن طه حسين إنما يريد من ذلك أن يضم عهد الخلفاء والصحابه باتهم خطير هو تفانى الصحابة وتكاليفهم على الحكم في تبرئه « الشیخان » من سعوم مصر وذلك حين صور هؤلاء الذين قال النبي ﷺ أن أصحابي كالنجوم جاء طه حسين ليجعلهم أشية بـ« السياسيين المخترفين المعاصرين طلب الدنيا ودعاة الصراع والآمر والخداع للوصول إلى الحكم وهذه هي السنة المسية التي بدأها طه حسين للنظر إلى الصحابة وأنت أذع أن لطه حسين صفحات أكثر أشرافاً مما ذكر ولكنهما ليست للحق ولا لوجه الله ولكنها للخداع فأنا كتاب التغرب والشوبيين يعرفون هذا الاسلوب جيداً الذي على أيام الاستشراق بأن يخدعوا بعض القراء الذين لم يستوعبوا خلفية واسعة بهذه العبارات ليحوزوا أجيالهم ثم لا يلبثوا أن يقدموا السحوم لهم ، وأقدر كشفت هذا كله في كتابي (طه حسين في ميزان الإسلام) والحقيقة إن طه حسين لا يؤمّن بالإسلام كما أزره انه كنظام مجتمع ومنهاج حياة ولكنه يؤمّن به (دينا لا هو تباهى كنسياً مسيحياً) وكان من دعاه ذلك وكان عاملاً من عوامل معارضته دعوة يقظة الإسلامية المقة ولم يكن هذا وحده هو خلأ طه حسين ولكنه كان مفسداً لأصلّة الفكرة الإسلامي في كثير من عقائده رقيقة وواسعة ولم تكن كتاباته هذه عن الإسلام في كتبه (هامش الشريه ، الفتنة السكري ، الشیخان) لأنّ تصريحات تلك الشبهات التي أثارها الاستشراق وإلا فإن طه حسين من الحكم الإسلامي حتى في سلوكه الشخصي أو في كتاباته وهو الذي لم يكتب مقالاً واحداً عن فلسطين أو عن تطبيق الشريعة الإسلامية ولكنه هو الذي دافع عن عبد الله بن سينا اليهودي وأنكر وجوده

وأذاع أرا. الزنادقة أمثال أبو نواس وبشار وهو الذى قال : أن القرن الثاني للحجره كان (عصر فسق ومجون) وهو الذى دعا المسلمين إلى الالتحاد بالحضارة الغربية . (خيرها وشرها وما يحمد منها وما يعاب) وهو الذى استصغر شأن ابن خلدون علامه الاسلام فى أمر رحمة التى حصل بها على الدكتوره إبراهيم لاستزته اليهود وهاجم المتنبى عملاًق الآدب لأن الاستشراق كان ينكره . أن الدفاع عن طه حسين لن يتحقق تماًج ذات بال بعد أن كتب عنه تلاميذه اللصقاً من أمثال السيدة سوزان والاستاذ محمد محمود شاكر والدكتور نجيب البهتى وكشفوا عن خلقه الشخصى وأسلوبه العملى ومفاهيمه الوصولية وانتهائه الواضح الاستشراق العالمى وسباته لهصوم الاسلام ومهمابداً بريق الكتابة أيام بعض العيون على التهو الذى خدع به بعض الناس مما كتب في هامش السيرة وغيره فإن هامش السيرة في حقيقتها سخرية عميقة بالنبي وإدخال الأساطير واستزادة فيها عما كان في المحرر الاول ، بعد أن احررها كتاب الاسلام على مد العصور من كل زيف . وسلم على من اتهم الهدى .

(٥)

حقائق في حياة طه حسين

نلقت جريدة (النور) رسالة من القارئ (٠٠٠)

- هل زار طه حسين الجامعة العربية بالقدس ١٩٤٤

- هل اعتنق النصرانية في فرنسا

- هل كانت له علاقة بالصهيونية أو الشيوعية

- وقد عرضنا الرسالة على [أنور الجندي] فأجاب بما يلى :

إن حياة الدكتور طه حسين تسكشف كلاماً عن وجهته، وأن وقائع هذه المدة ظاهرة جلية، فهو رجل عرف دوائر الإستشراق منذ نشأت الجامعة المصرية القديمة، وكان قليل الصبر على دراسات الأزهر، راغباً في الظهور والشهرة فانصل بطليعي الميد في الجريدة، والمُستشرقين في الجامعة، ومن ثم أخذ يدخل من الأزهر ومن العلامة بتحريض وكان محضوه هم المستشرقين الذين كانوا يذهبون معه وبه إلى دروس الأزهر فقد كانوا ي يريدون أن يقدروا في صدره حذوة الحقد على الإسلام والأزهر الذي بقى كاملاً حيائناً كلاماً في صدره لم يذهب ويدفعونه إلى أسمة مخرجته، تدفع الآساندة إلى ردود جافه ، ومن ثم نشأت في نفسه تلك المشاعر المكارزه لهذه البيئة وشجعه أولئك على أن يقدموا له [الدكتوراه] خيراً من [ال العالمية] وقتوا له الطريق إلى أوروبا ، فكان هناك في حضانتهم وعوئهم وتوبيخهم ، بل أن الأستاذ أحد حسن الزيات صاحب الرسالة وقد سُئل في ذلك فقال : إنه كان مواليًا لهم ولأفكارهم ومذاهبهم قبل أن يسافر وآيه ذلك أن أطروحته عن أبي العلاء التي قدمها في الجامعة القديمة كانت تفاصيل على مذهب (الجامعة الملاوية) التي يتبناها المستشرقون في طلباء الجامعة المصرية من أول يوم

فلا ينحب في أن تتطور الأمور إلى الولاء الكامل والتبعية الكاملة والاحتضان الكامل ، على هذا النحو الذي حدث ، وما كان الاستشراق في هذه المرحلة مسبباً بفهمهم بودية مادية فقد وجد في طه حسين لسانه الناطق وحاملاً دعوام التي كانوا يفضلون أن تصل إلى المسلمين والعرب عن طريق رجل يتكلم العربية ومن المسلمين ، ومن ذلك التشكيك في وجود إبراهيم وإسماعيل وبنائماً - الكعبة المشرفة وذلك يبدو واضحاً في الواقعية إلى أشار إليها طه حسين في الجزء الثالث من الأيام حين ذهب يمتحن في التاريخ الروماني وكان أستاذة من النساء على الممتحنين الشرقيين وكان الكتاب المقرر في أكثر من ثمانينه صفحة ، وحين دخل طه حسين وخلت معه زوجته على حد تعبيره - ألقى بقصاصه إلى الأستاذ فقرأها ووضحك وقال له :

إذن فقد سعدت بمراقبة هذه الآنسة ، وأنتا سوف لا تأسألك عن التاريخ الروماني ولكن حدثنا عن تاريخ الأمويين في دمشق ، وما أنت مضى طه حسين قليلاً في الحديث حتى أوقفه الأستاذ وقال : لقد ظفرت بالدرجة العليا

هذا يعطي خاتمة الأحداث وسرها ، كانوا في فرنسا يعلمون على إحتواه بعض العرب الذين يتعلمون في المعاهد العليا هناك ليكونوا أولياء لثقافتهم في مصر والبلاد العربية ، وكانوا يمدون لذلك بأمور كبيرة ، منها الإغراء بالمناصب والبلاد التي سيعودون إليها ، ومنها الرحلات والمؤتمرات السنوية حيث يعقد مؤتمر المستشرقين هنا وهناك ، وكان هناك [إغراء ، الزوج] ، الذي يكون عاملاً هاماً في هذا الصدد ، وقد تزوج محمود عزى ، وعثمان أمين ، وكثيرون غير الدكتور طه ولكن زواج طه حسين كان صعباً فقد كانوا يعلمون وخاصة الأذكياء منهم من أمثال القسيس خال الزوجة مدى أهمية الدور الذي سيقوم به طه حسين في مصر والدور الذي ستقوم به زوجته في مساندته ، ولقد قال أقرب زلمايا طه حسين [إليه] (الدكتور نجيب البهيت) إنهم حاصروا طه حسين

بعصارين : زوجته الفرنسية وسكرتيره القبطي ، وأنه لم يكن يستطيع أن يفلت من مهنته وأن نظرة واحدة إلى كتاب (معك) للسيدة سوزان يكشف بوضوح عن وجة طه حسين وقد وصفه الأستاذ أحمد حسين بقوله أنه دخل عشرات الكنائس في كل مكان ذهبوا إليه ولم يدخل مسجداً واحداً .

أما ، معادلة ، زواجه بالفرنسية فقد صورها الأستاذ أحمد حسين على هذا النحو : كيف بفتاه فرنسيه منذ سبعين عاماً تعيش في باريس تقبل الزواج من كفييف فقير أفريقي وتقبل أن تنتقل معه إلى أفريقيا إلا إذا كان وراء ذلك هدف محدد واضح ، أما الهدف فقد كشفت عنه عشرات الكتابات وكيف خدع الناس عنه وكانت الحالات مستمرة منه منذ صدور كتاب (في الشعر الجاهلي) في مجلس التواب و مجلس الشيوخ والصحن ، ومع ذلك فقد كان طه حسين ينتقل ويترقى من مدرس إلى أستاذ إلى رئيس قسم إلى عميد إلى مدير جامعة إلى مستشار ثقافي ، إلى مراقب عام ، إلى وزير لل المعارف بقوة خفية تسأنه وتحمييه وكان موضع تقدير الجامعات في كل مكان لأنّه كان يقول أنه ليس سفيراً للثقافة الفرنسية وحدها ولكنه سفير للثقافة الغربية كلها ، كانت الدول الغربية المختلفة تمنحه الدكتوراه ليعزز نفوذها في مصر ويرعى مدارسها ومعاهدها ولأنه فتح الباب وأسعاً أيامه للتربية للتفكير العربي في المدرسة والجامعة والصحافة والثقافة .

فقد كتب عن الثقافة الفرنسية ثم وأيد مفاهيم النفوذ الإنجليزي عندما عمل وزيراً للمعارف ولما ظهرت ترجمة الأدب الأميركي دعا إليه ، وأيدت كتاباته : مفاهيم الرأسمالية وعاون الماركسيين واليساريين حتى عدّه أستاذهم ، ولم يطلق كلمة في واحدة سبيل فلسطين ، وكان ولاّه للذكر الصهيوني واضحاً في جولاته في المدارس الإسرائييلية بمصر أو إلقائه محاضرات يشيد منها بدور كاذب اليهود في الجزيرة العربية والأدب العربي وإستقدم شابين يهوديين وأعطاهما مجالاً للتعبير في الجامعة أحدهما (إسرائيل ولنسون) الذي اعتمدته له الجامعة أطروحة دكتوراه كلها

سموم صهيونية ، والآخر (بول كراوس) الذى كان يروج للفكر الباطنى والشعوبى من أمثال الملاج وابن عرب وابن سعین وعدى من الزنادقة وكانت رحلاته للقدس المحتلة فقد سافر مع لطفي السيد لإفتتاح الجامعة البرية وسافر مع حسين فوزى (الذى أعلن ذلك صراحة) لزيارة الأغسام الاستثنائية وأهدوه كتاب (أنساب الأشراف - البلادرى) الذى اعتمد عليه فى كتابه (الفتنة الكبرى) مجرم عبد الله بن سبا اليهودى من أثره المعروف والمجمع عليه فى مقتل عثمان وولاه اليهود فى مصر رئيس تحرير مجلة الكاتب المصرى ودارها عام ١٩٤٧ وقد كشفت أطروحات علمية في الجامعات المصرية دور طه حسين في الصحافة الصهيونية في مصر وشهد تووفون رئيس إسرائيل في إبان زيارته مصر في عهد السادات أنه صحب طه حسين في زيارة المستheimرات اليهودية ، فهذه زيارة أخرى لم يعلن عنها في وقتها .

وقد إشتهرت عنه كلام لم تتحقق بعد ، ولكن تداولها ألسنة المعاصرين له منها قوله أنه يوناني الأصل ومنها هذا الشعر الذى يقول :

لو أن لي في الناس حكما نافذا

أولمت بالافظار كل الناس

(أى الافظار في رمضان) ولقد كان يقال مثل هذا في الجامعة تسرّ للطلاب في أيامه وكان يشجّعهم على إقامة أحفال الرقص المختلط في البيوت ، وعلى أن ينقدوا القرآن بوصنه كتاباً أديباً وقد شهد الدكتور عبد الحميد سعيد في مجلس التواب ١٩٣٣ حيث قدم كراسة لأخذ الطلاب تحوى هذه العبارات ، أن القرآن في آياته المسكينة جاف وفي آياته المدنية طرى والسر هو لاتصال النبي بالجود وكل ما كتبه في كتب تخدع الناس أسمائها الالامية كهامش السيرة و (الشيخان) وغيرهما مليء بالسخرية بالإسلام وفيه نصوص غامضة ترمي إلى القول بشريعة القرآن .

ومن أجل هذه الأمانة : [أمانة الأجيال] كشفنا هذه السموم وسنواصل كشفها لأن الكتب المسمومة مازالت تطبع وتوزع فلا بد أن نقدم لقرائها وجهة نظر الإسلام

فِيهَا ، وَهَا لِيُسْتَ مِنْ عَنْدَنَا وَلَكِنْ كَمْ صَدَعَ بِهَا عَلَمَاءُ الْإِسْلَامِ وَكَشَفُوا زَيفَهَا فِي فَصْوَلٍ نُشِرتُ فِي الصُّحُفِ وَأَنْطَوْتُ وَبَقِيَتُ الْكِتَابُ الَّتِي تَحْمِلُ هَذِهِ السُّمُومِ .

ونحن إننا نتفق على أن المسوّلة أمام الله تبارك وتعالى لا نهاجم
طه حسين (الإنسان) فذاك حسابه على الله وأسكننا تكتشيف (أخطاء طه، حسين
المفكر) لأن كتاباته لا تزال بين يدي الناس وتخدع الكثيرين (راجع كتابنا
محاكيه فسکر طه حسين) رأى كشفنا هذا كاه وطه حسين حى ، وقال بعض
المدافعين عه أنه رجع عن كثير من آرائه ولكنه شرط الرجعة هو (الإعلان)
وهذا لم يحدث مطلقا بل أن طه حسين أعلن في أحاديثه الأخيرة أنه متسلك بكل
ما قاله في حياته كاما ، وشرط للرجعة آخر هو منع بعض الكتب المسمومة من
لإعادة طبعها وهذا لم يحدث أيضا وكل ما يكتب به المضللون اليوم أو يذيعونه لن
يتحقق أحداً عن حقيقة أساسية واضحة: إن طه حسين كان تابعاً وخادماً للتغريب
وأنه شهد على نفسه بأنه كان سفيراً للتفكير الغربي في بلاده ٢

(٦)

لماذا لم يدخل طه حسين

مدرسة البيان في النثر العربي الحديث

هذا هو السؤال الذي وجهه الدكتور طه وأدى انتهاء مناقشة أطروحة الاستاذ حلى القاعود بكلية دار العلوم عن مدرسة البيان في النثر العربي الحديث في مصر (فبراير ١٩٨٢) وكان الاخ حلى قد عرض للأربعة الكبار: المنفلوطى والرافعى والزيات والبشرى بأعتبارهم أعلام مدرسة البيان ، وكان النساؤل لماذا لا يضم إليهم طه حسين ، والحقيقة أن طه حسين الذى كان في مطلع حياته معجبا بالمنفلوطى ، قد هاجم هذا التيار من بعد ، فقد نقد المنفلوطى تقدما شديدا كما هاجم الرافعى والزيات وحاول انقض من أسليهما الفنى ، أما قصة نقد طه حسين للمنفلوطى فهي معروفة وذائعة ، وقد أودعناها كتابنا (طه حسين حياة وفكرة في ميزان الاسلام) وهي تعطى صوره تقلب طه حسين الذى قل عنه زميله الزيات أنهما ثالثتهم (مع طه وزناتي) ينتظرون المؤيد لقراءة مقال المنفلوطى مساء الخميس من كل أسبوع ، فلسا كبر طه حسين واجتاهه النيارات السياسة المختلفة كان عليه أن ينقد المنفلوطى لحساب خصمه وقد نشر في جريدة العلم (جريدة الحزب الوطنى) عدة مقالات تحت عنوان (نظارات في كتاب النظارات) حشاها نقداً للالتفاظ الذى أحتجواه كتاب المنفلوطى مع عبارات شديدة من النقد وقد عجب كثيرون للطالب الازهرى الذى استماع في هذا المتن أن يتحدث عن هذه الـ ١٠٠ لفات التي أحتجوتها القواميس العربية الكبرى ثم تبين من من بعد ونشر في المجلد الأول من الرساله أن الكتاب اللغوى الجبر (صادق عابر) هو الذى وضع هذه التصحیحات التي حللت إلى طه حسين لنقلها بأسلوب فيه إتقانٌ كبير واستعلاء واضح ليكتبهما وينشرها باسمه في جحفية الحرب الوطنى

وربما فات الصديق حلى أن يقرأ هذا النص في كتابنا أو في الرسالة ولا لكان
أستطيع أن يرد عن نفسه عادية التساؤل الذي وجهه إليه الدكتور طه وادى
الذى كان يعرف أن الآخر حلى كتب أطروحته وهو في بلده البعيدة في
المملكة العربية السعودية (الأحد - جيزان) حيث لم تتوفر له المراجع التي كل
تعينه على كشف هذه الحقيقة ، كذلك فإن الدكتور طه عندما كان يتولى تحرير
الصفحة الآدبية في السياسة عام ١٩٢٢ لم يلتفت أن ورد إليه خطاب من الرافعى فنشره
مشيراً به على أنه (أسلوب قديم قد عفا عليه الزمن) ومن ذلك يعرف أن الدكتور
طه كان معارضاً لاتجاه مدرسة البيان ، بل أن طه حسين حين أختلف مع الأستاذ
الزيات هاجم أسلوبه وحاول الغض من قدره ، ومن أجل هذا كله ، كان من غير
المقبول أن يوضع طه حسين بين زعماء مدرسة البيان ، هذه المدرسة التي درسها بافاضة
وتمكن الآخر حلى القاعد في رسالته الضخمة التي نالت أبعجاب الباحثين نظراً لقدرته
على العرض والآداء على نحو يوحى بالنفاد إلى سائر الأدب العربي ، أما كيف
توصل الآخر حلى إلى هذا الاسم بجموعة المتألفين في الأسلوب ، فأنا صاحب
هذه الرسالة لم يكن أول من أطلق عليهم هذا الاسم وأن كان أول من درسهم دراسة
واسعة في أطروحته التي أضافت جديداً حقيقياً في هذا المجال ، فقد كان معروفاً
أن ملخصة الترسانة هي التي بدأت بعد وصول جمال الدين الأفغاني إلى مصر وتكونت
هذا الجيل الذي آمن بالوصول إلى الغاية من أنصار طريق بعد أن كان الأسلوب
الأدبي يقوم على كثير من السجع المتتكلف والمحسنات اللغوية والمقدمات المسببة ثم جاء
هذا الجيل الذي تشكل والذي ول أمر الواقع المصرية وروضة المدارس فعرف
بمدرسة الترسانة ومن إلقاء حليل مدرسة البيان الذي رفاه الآخر حلى حقه من البحث
في دراسته التي يبدو أنها لم تعجب المعاصرين والتقدming الذين يزعمون أحياه كتابات
وأعمال حمزة اللغة العربية المنصري والفسكر الإسلامي الوصين كرارافعى وأزيات ،
ومن قبل شهد مدرج دار العلوم مناقشة رسالة الآخر مصطفى البدرى عن مصطفى
الرافعى وقد لقي نفس النقد المغلظ بالحق و الكرهية من الدكتور القبط ، فقد

أصبح مفروضاً على دار العلوم أن تستقدم مشاركاً في مناقشة رسالاتها من كلية الآداب ، هؤلاء الذين يقومون نقداً لرسائل على أساس الغض من قدر الدراسات الرصينة التي تتعلق بتراثنا العربي الأصيل ، وهي يسمون هذا المنجز : المنجز التقليدي ، ويفرقون بينه وبين المنجز الحديث الذي يعتمد على مفاهيم يروجها وبين وهى مفاهيم تخضع للإنسان لمفهوم «ادي خمير» ، وقد يتقبل النقد إذا كان صادراً من نفس مخلصة ، ولكن إذا كانت الغاية مختلفة وراء عبارات برافقة فإن الأمر يكون واحداً ، إنه اعتراض مزدوج على هذه المدرسة ذات الأصلة والغيرة على تراث الأدب العربي ، ومن ذا الذي يشكك أن المنفلوطي وقف في وجه المدرسة المهرجية (Gibran و Nemima) وغيرها في اتجاههما الماحد على اللغة العربية والأدب العربي ودعوتها إلى (الثورانية) وقد وقف لها المنفلوطي الذي أعتمد الأسلوب القرآني في بحثه فشكك في ذلك قضاة على ذلك التيار المسموم ، كذلك من ذا الذي يشكك فضل الراهنى في معركة الدفاع عن القرآن إزاء محاولات الهجوم على الفصحى وموافقه من بعد [تحت رأية القرآن] في الرد على طه حسين ، أما الأستاذ الزيات فقد حمل لواء البيان العربي عصراً طويلاً وفتح أبواب مجلة رسالة أمم الأصلة فأخيها ذلك الاتجاه السكريم المعيق ، في حماية اللغة العربية والبيان العربي من محاولات التغريب وأعلاه شأن العائمات .

لعل هذا هو ما يزعج النقاد الذين يودون أن تكون الرسائل والأطروحات عن أبيات المدرسة العربية وقد أحدثت عنهم عشرات الرسائل ، وكان يجب أن تكون دار العلوم حسن اللغة العربية والأصلة دائماً هي الحافظة لهذا الاتجاه ، الشامية له المدافعة عنه وقد عرفت منذ وقت طويل بأنها المدرسة الوسطى ،

ولإننا لننكر هذه الفرصة وتقطع إلى أستاذة الأدب العربي في الجامعات وفي الأزهر الذي يتبع منهاج النقد والتاريخ الأدب الوافده دون قدرة على تبيين الأصلة ، ندعوه جيداً إلى الناس منهج عربي أصيل يستمد موالله وقواته من التراث العربي فلا يمكن المرب عالة على المناهج الراهنة خاصة إذا كانت تختلف وتتعارض مع القيم الأساسية للمسلمين والعرب وأنها الدعوة تأمل أن تجد طريقها إلى دراسات الأدب العربي بمفهوم عربي بعد أن تبين فماده منهج

النقد الأدبي الواقف وقد كشفنا عن ذلك وبيناه في كتابنا « خصائص الأدب العربي » منذ عشر سنوات .

وما يزال السؤال قائماً : وهو لماذا لم يدخل طه حسين مدرسة البيان في النثر العربي الحديث بالرغم مما عرف عن أسلوب طه حسين الموسيقى الذي يقرب من أسلوب الترقيع والتتريل ولكن هذا الأسلوب كما شهد جميع من درسوه لم يكن أسلوباً عربياً أصلياً بل كان أزدواجاً من فقرات من الأسلوب الفرنسي وعبارات ومصطلحات غريبة خالصة فضلاً عن أن الأداء لم يكن في حقيقة على طريق أعزاز البيان العربي والفصاحة العربية ، والإيمان بما وراء ذلك من مقومات الفكر الإسلامي ولكنـه كان أسلوباً ربانياً يراد به أغراء السامع والقارئ لإمكان خداعه وأدخال مفاهيم مسمومة وآقاده ، على نحو الذي عرف به في كل كتاباته من حيث دعوته إلى قبول المضاره الغربية خيرها وشرها وما يمحده منها وما يعياب ، أو كلامه الرنانة في القول بأن الدين ثابت من الأرض ولم ينزل من السماء فكل هذه وغيرها مفارقات بلاغية استخدمت فيها اللغة العربية لحساب التغريب والدعوة للتبعة للقافية الغربية ، هذا فضلاً عن أن الدكتور طه حسين الذي كان حريصاً على أن يدعو إلى الكتابة باللغة الفصحى لم يلبث أن كشف نفسه في محاضرة مشهرة حين أعلن أن اللغة العربية ليست ملكاً لأحد وأن من حق الآجيال أن تهصرها ، وأن تغير في نحوها وصرفها ، وأن تهصرها وهذه الدعوة المسماة التي ت يريد تدمير التراث الإسلامي والعربى ، وقد أوضحنا ذلك في كتابنا عن طه حسين ، وفي كتابنا عن المجلات والمارك الأدبية ، وهيدعوى باطلة زائفه فإن اللغة العربية ليست لغة المصريين وحدهم ولست لغة العرب ولكنها لغة ألف مليون مسلم وهي ليست كما حاول طه حسين أن يصورها أشبه باللغة اللاتينية التي تفرغت عنها اللغات الإدارية الحديثة .

من أجل هذا كلـه لا يستحق طه حسين أن يدخل مدرسة البيان في النثر العربي الحديث ولكنـ من حقه دون منازع أن يدخل مدرسة التغريب في الأدب العاشر .

(٧)

إكتشاف ما خفي على الناس زمانا

(وَمِمَّا تُكْنَى عِنْدَ أَمْرِيِّهِ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَعْنِي عَلَى النَّاسِ تَعْلِمُ)

منذ أن بدأ طه حسين مهركته مع الإسلام بكتابه (في الشعر المعاشر) كان هناك أصوات منه على الاستمرار في المعركة بها كالماء الامر وقد اقتضى هذا حياته كلها ، وكتاباته جمعها خلال أكثر من خمسين عاماً ولم تكن وفاته ومماته إلا حماقة لتخفيض التركيز عليه ثم ، ولكنها كان متصل العمل في حرب الإسلام سواء في ميدان الأدب أو التاريخ أو مواجهة الأزهر واللغة العربية ، أو في مجال عمله (مديرًا ووزيراً) فهي كلها خطوط متعددة من بداية واحدة إلى غاية واحدة ولم يكن عمله سواء في الجامعة أو وزارة المعارف أو في اللجنة الثقافية بالجامعة العربية أو الجمجم القروي أو في البعثات السنوية ومؤتمرات المستشرقين إلا خيوطاً متسلقة في الخطبة الواحدة منها بدا غير ذلك ، وكانت كل مرحلة تسلم إلى أخرى وكان هناك مخطط ينفذ له فروعه وذراياته بحيث يشمل الفكر الإسلامي كله ويدفع خطه (الشكل الفلسفى) إلى غايته ، وكان من وراء ذلك توجيه وإشراف وكانت الدعوة إلى الحوار المسيحي جزء من هذا المخطط ، وكذلك تشكيل الأجيال والأولى الذين يحملون المخطط ويسيرون به إلى الأمام قدمًا في الصحافة والجامعات ومجلات الثقافة والصحف .

أما هذا الاحتفاء، المبالغ فيه بطله حسين (في مؤتمرات سنوية) فهدفه ثنيت قوى التغريب وخلفاء العميد ومواصلة الخطبة والماضى في تيار التغريب إلى غايته ، هذا التيار الذى بدأت يتزعزع في الفترة الأخيرة بعد بروز الصحوة الإسلامية التى زللت كثيراً من القراءات والأركان الثابتة التي ظن الكثيرون أنها تفلتت في أعماق التربية المصرية والערבية ، إن العودة إلى الإسلام دعوة بدأت تشق طريقها

إلى العلوم والفنون والأداب تحت إسم مزاعل لقواعد الأخلاق والتغريب وهو (أسلة العلوم) واليوم تجتمع المؤتمرات في كل مكان من البلاد الإسلامية لبحث إنشاء علوم الإسلام : علم النفس الإسلامي، علم الاجتماع الإسلامي، علم الاقتصاد الإسلامي ، نظرية الأدب الإسلامي وفي هذه المرحلة تشرح(الشين المشددة) كتابات طه حسين وأصدقائه المستشرقين وتكشف زيفها على النحو الذي إشتملت عليه دندوة الأدب الإسلامي ، في الرياض رجب ١٤٠٥ ومن خلال هذا البحث الذي قدمه كاتب هذه المطابع يتبين إلى أي مدى تهزم رواد التجريب :

إن إنشاء علوم إسلامية يقتضي إثباتاً علمياً ينبع من العقيدة الإسلامية

ويتحقق ذلك ببيان مفهوم العقيدة الإسلامية وبيان مفهوم العلوم الإسلامية

وبيان مفهوم العقيدة الإسلامية ببيان مفهوم العقيدة الإسلامية

نظرة الأدب الإسلامي

الموضوع الأول :

النقطة ج :

الرَّدُّ عَلَى الْمَحَاوِلَاتِ الدَّاعِيَةِ لِالانفِضَامِ بَيْنَ أَدْبِ إِمْتَانِيِّ الْمَاضِيِّ وَالْمَاضِيِّ

وَتَفْنِيدِ شَهَادَاتِ الْمَسْتَشْرِقِينَ وَغَرْبِهِمْ وَأَخْطَابِهِمْ فِي دراسةِ الأدبِ الْإِسْلَامِيِّ .

حاولَ الْبَحْثُ مُحاصرَةَ التَّحْدِيدَاتِ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ نَفْعَلَةٍ :

أولاً : تبعية الأدب العربي للفروم الغربي للنقد الأدبي والاسلام أيام مفهوم (تبين وبروتير وساتت ييف) وهو مفهوم مادي صرف يفترض في النظرة إلى الإنسان أنه حيوان يخضع لظروف البيئة و السيطرة عليه شوقى الطعام والجنس على المحرر ا.م.ى صورته الفلسفية المادية استمدداً من نظرية دارون على النحو الذي أشار إليه ستاذى دايمون في كتابة (النقد الأدبي ومدارسه) حيث قال: أن النقد الأدبي الحديث قد اعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم دارون وماركس وفريزر وفرويد وديبوى .

وقد فصلنا مذهب كل هؤلاء في الفكر ونظرته إلى الحياة وهي في جموعها تشكل مفهوماً مادياً يطبق على الإنسان ما يطبق على الحيوان، ويحمل شأن الجنس والأسطورة .

ثانياً : تبعية الأدب العربي لمنهج وأفدى كتابة (تاريخ الأدب) ذلك هو منهج تقسيم الأدب العربي إلى عصور أموى وعباوى وغيرها وهو تقسيم ظالم استتبع ظهور ما يسمى (عصر الانحطاط) وفصل العصور بعضها عن بعض ، وفي ذلك ما فيه من آثار خطيرة .

ثالثاً : محاولة فصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي ككل جامع يضم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والعقائد والأخلاق وهي دعوى تغريبية وأفدة ترمى إلى تحرير الأدب من قواه الدين والأخلاق ودفعه إلى مجالات الغواية

والإباحة والكشف ، ومنها عمارلة الفصل بين مقومات الإسلام والأدب العربي ، وقد كان لإقصاء الأدب العربي عن الفكر الإسلامي وفصله عن مقومات الإسلام في المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاق آثار بعيدة المدى في إشاعة ورح الإباحة وإحياء تراث الرنادقة القديم مع ترجمة قصص الجنس والأدب المكشوف من اللغات الغربية .

رابعاً : إعلان الشخصيات الراîفة والموصومة من الرنادقة والإباحيين في الشعر : يشار إلى توأم والضحاك وفي النثر أمثال ابن عربي والحلاج والهروردى وقد دعّت في نفس الوقت إلى التجاهل والأغضاء وانتقاد الشخصيات ذات الآخر الحقيق أمثال ابن خلدون وإن تبّعه الغزالي والمتني وتوجيه الاتهامات إليهم .

خامساً : ظهور طابع الأقذاع في النقد الأدبي ووصوله إلى أعلى درجات الهجاء وإستهان الأسلوب السياسي الحزبي النازل في قضيّاً الأدب وقد صدرت أغلب معارك النقد الأدبي من مصادر الخصومات الشخصية والسياسية والاستعلاء الذاقى وخدمة الثقافات الفرنسية والإنجليزية والدفاع عن أحدهما في مواجهة الأخرى .

سادساً : ضرب اللغة العربية الفصحى بدعوات مسمومة ترمي إلى إعلان العامية أو التناكر للفصحى بما يُمسي (اللغة الوسطى) أو تقريب الفصحى إلى العامية وكانت الدعوة إلى قتل الفصحى وتجاهل البلاغة ومنهم من قال : لكم لفكم ولن لفني ..

وإهانه واضح جلى وهو فصل الأداء العربي المعاصر عن مستوى لغة القرآن على أقل أن تصبح بلاغة القرآن بعد فقدانه من الزمن ما يقرأ عن طريق المحاجم أو دخول اللغة العربية إلى المتاحف (ظنا منهم أن ذلك يمكن أن يكون) .

سابعاً : محاولة حاكمة الأدب العربي الذي صدر عن النفس المؤمنة بالله ، والتي تعرف حقيقة الإنسان وجواهره الجامع (روحًا ومادة) ومسئوليته

الفردية والتزامه الأخلاق والإيمان بالجراوة والحساب ، محاكمة الأدب وفق الماركسية النظريات والوجودية والفنرويدية التي تعتبر الإنسان حيوانا .

ثامنا : انبات أسلوب جديد على الأدب العربي هو الأسلوب المردوج الذي يكتب به تنصاري لبيان والمجربيين والذي يصبح الجملة العربية صياغة غير أصلية ومن عجب أن بعض الصحف الغربية والاسلامية تنشر مثل هذا وتفسح له .

تاسعا : كسر عمود الشعر وإعلاه شأن الشعر الحسر بعموره للناهض للبلاغة العربية والحاقد عليها والمحقر لها والهادف إلى نفس الغاية التي تقدمها الأزجال والأمثال الشعبية من حيث صدورها من تقسيمات ساذجة وعقليات تحمل طفولة البشرية .

عاشرًا : إحياء الأساطير والخرافات وخاصة ما يسمى تراث فينقيا وحملها على الدعوة إلى مفاهيم كنسية وتوراتية وأسطورية قديمة مثل زيوس وبابوس وهي كتابات تحمل الصلبان والمناجل والمطائق وتحتمواها فلقن وعمق وضياع وعصارة كل مذاهب الرئنة وتبنيات الآمية .

حادي عشر : إحياء الكتابات الشعبية والعاميات (الفلكلور) التي تمثل مشاعر وثنية قديمة رفضها الاسلام وقضى عليها وعقد المؤتمرات الحافظة لدراستها وكسب الانصار لها بوسائل الاغراء المعروفة .

ثاني عشر : التغريب من الأدب البلجيقي الموروث والجامع لفنون الحكمة والبيان والذي تمثل فيه التجربة الاسلامية الموحدة بين الشعوب المؤمنة بالله الواحد الأحد وتحقيق هذا الأدب ووصفه بالرجعية والتخلف والسلفية .

ثالث عشر : المقاومة على القصة العربية الأصلية بإعلاه شأن القصة الغربية الزائفة التي لا تغير فيها إلى الأسماء والأماكن وتبقي عصايتها التي لا تقبلها النفس الإسلامية ولا تقر بجورها وفسادها وانحرافها والجزي وراء أساليب منحرفة كاللامعقول واللاقصد ..

رابع عشر : محاربة فصل الأدب العربي إلى أقاليم وهي المحاولة الشعرية التي

دعا إليها بعض التغريبين رغبة في تبريق وحدة الأدب العربي الإسلامي والجبلة دون إنتقام جوانبه كمثل لامة واحدة وليس كأدب مصرى وسورى وعراقي ومغربى ، وتلك هي غاية الغزو الثقافى من تأكيد الاقليمية .

هذا فضلا عن تقسيم الأدب إلى عصور ، ومحاولة فصل المصرى الحديث عن مسار الأدب العربى كله منذ بخر الإسلام تحت إسم الحديث والمعاصر .

خامس عشر : التركيز على مجموعة قليلة من كتابات التغريبين والتابعين للنهاية الغربية وترجمتها وإعطاء كتبها صورة البطولة والشهرة والتغيير وقيام مؤامرة الصمت والتجاهل أمام أصحاب الأصالة الحقيقية وهذه الدعوى هي ما يطبق عليها « القسم الشوامخ » .

هذه هي النقاط الخمسة عشر في مجال العمل الفصل بين أدب أمتنا في الماضي والحاضر وإذا كان لنا أن نضيف إلى ذلك شيئا فإننا نتصور أن المخطط التغريبي يرمى إلى :

أولاً : إفساد خططه تحقيق التراث وتجديده .

ثانياً : إفساد منهج الترجمة من الآداب الأجنبية .

ثالثاً : تثبيت نظرية فصل الأدب عن المسرح وهدم أخلاقيات الأدب .

رابعاً : أثارة أسلوب الشك الفلسفى .

خامساً : الاعتداد على المصادر الزائفة في إعداد البحوث .

سادساً : إقرار نظرية العلوم الاجتماعية والعلمانية والنظرية المادية .

وإذا كان لنا مطلب في هذا المؤتمر السكرى فهو أن تخرج بمنهج إسلامى عربى لناريخ الأدب ونقد الأدب وإقامة منهج الأدب الإسلامي العالمى بعد أن طال تعلم الشباب المسلم إلى هذه الغاية السكرى وتحقيق هذه القاعدة الأساسية فى بناء الأصالة الإسلامية ودعم الصحوة الإسلامية .

هذا وبيانه التوفيق ؟

(٨)

ولعل أبرز ما يستكشف اليوم على طريق الأصالة :

أولاً : عودة تلاميذ طه حسين الأوائل إلى الحق : محمود محمد شاكر ، الدكتور محمد نجيب البهبي .

ثانياً : ظهور دراسات علمية أصلية حول فساد منهج طه حسين تدخل نطاق الرسائل العلمية .

١ - رسالة الدكتور ناصر الدين الأسد عن الشعر الجاهلي وهي التي أوردت بالنص المصدر الذي سرق منه طه حسين نظرته في اتحال الشعر الجاهلي وهو بحث المستشرق (مرجليوث) .

٢ - رسالة الدكتور المحتسب وهي التي رفضت قبولها كاطروحة جامعةالأردن وقد نشرها الباحث فلاقت قبولاً شديداً (طه حسين مفكراً) .

٣ - كتاب (مقدمة في الأدب والتاريخ العربين) في ثمانمائة صفحة للدكتور محمد نجيب البهبي في الرد على أفكار طه حسين .

٤ - كتاب الاستاذ محمود مهدى الاستانبولى الذى جمع فيه المعارك التي أغيرت في الرد على شبهات طه حسين .

٥ - كتاب الاستاذ جابر رزق (طه حسين : الجريمة والإدانة) الذي أورد فيه عروضاً وافية لما نشر في مؤلفات الدكتور محمد محمد حسين ومحمد محمد شاكر وأنور الجندي وغيرهم .

(وكان كتابنا عن طه حسين : حياته وفكريه في مراد الإسلام) قد ظهر عام

١٩٧٢ ولأعيد طبعه وتلoday ظهر كتابنا المكمل له :

(محاكمة فكر طه حسين)

حيث يشمل أكثر من أربعين قضية من قضايا التاريخ والأدب التي أنارها وكشف رأي الإسلام فيها .

٦ - كتاب الدكتور سعد ظلام (آراء أدبية) والذي رض فيه في عدة فصول لسقطات طه حسين في منهجية الأدب وما يتصل بالشعر الجاهلي والبقاء تأقى .

(٩)

الكتاب الأسود

جمع الاستاذ محمود مهدى الاسلامي معارض طه حسين مع أبناء جيله وخصائه وأثبت ردوده عليهم ودحضهم لاتهامه ، في كتاب سماه (طه حسين في ميزان العلماء ولادبائهم) وكان في جمهه لهذه المعارض أميناً غاية الأمانة فهو لهذا العمل جريمة حي ينشر عنه هذا العنوان فيجريدة الاهرام :

(كتاب أسود عن طه حسين يشوه تاريخنا الثقافي)

وكيف يشوه تاريخنا الثقافي أن يقدم أحد العلماء مارد به العلماء على سعوم طه حسين وأفساده لكثير من مفاهيمها ، وهل يمكن الكشف عن الأخطاء تشويه لتاريخنا الثقافي إلا إذا كان حجب هذه الردود هو الذي يمد تاريخنا الثقافي بالغباء والقوة .

هل يريد هؤلاء القوم أن ننجيب أخطاء طه حسين ومواقف حياته وفنه ليظل في نظر الأجيال الجديدة مقدساً ينظرون في كتابه وكأنما الشيء الذي لا ينفع ويضيقون بكشف فساد فكره وتبعيته ، صحيح أنهم يكتبون عنه في صحف كبيرة على أوسع نطاق وما كتبته نحن ننشر في صحف متواضعة ، أو مؤلفات لا يطاع منها إلا ألف قليل ، ولكن الحق هو الحق ، وهو ظاهر منتصر منها ضيق عليه .

وقد جاء كتاب (محمود مهدى الاسلامي) ليؤكد عالمية الكشف عن سعوم طه حسين وأنه ليس ما نشر في مصر وحدها سواه كان كتابنا (طه حسين : حياته وفنه في ميزان الاسلام) أو مقدمة كتاب المتنبي (للأستاذ محمود محمد شاكر وإنما جاء من ثلاثة جهات أخرى من الأردن في كتاب الدكتور الحتسبي (طه حسين مفكراً) ومن المغرب (مدخل في

التاريخ والأدب العربيين الدكتور محمد نجيب البهيفي ومن الشام في كتاب الاستانبولي ، ثم جاء أخيراً في كتاب الاستاذ جابر رزق (الجريمة والإدانة) ولا ننسى كتاباً عن الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد وكتاب آخر للدكتور سعد ظلام وكلها تنتقد طه حسين وأخطائه ونحن نود أن يعرف أخواننا المدافعون عن طه حسين أننا لا نعتبر طه حسين فوق النقد ، ولا نزوره بأنه قيمة قومية في نقدمها انتقاداً لمصر ، ولا نعتبره متقدماً على الكثيرين ، الذين قدموه الكثيرون ولم يكرمه أحد ولم تقدر لهم الجامع ، فكيف يكرم رجل احتاط له الشبهات من كل مكان ، وثبتت في وفاته حياته حفاظات كثيرة كشف عنها الذين عاصروه وعاشروه ، أمثال الاستاذ أحد حسين ، وأحمد الحوفي ، وسعيد الأفغاني وبعضهم راجحه في أخطائه فأعترض به ونصحهم بأن يستروها عنه ، ليس المعبدة بالخلاف في المسائل الثقافية ولكن موضع النظر هو الاصرار على الأمر ، مع كتمانه ، والمراؤغة فيه ، وترقب الفرص لإظهاره مرة أخرى والاختفاء عندما يكشف السر عنده .

وغاية القول أن طه حسين (كان منذ أن بدأ معركته مع الإسلام بكتابه (في الشعر الجاهلي) مصراً على المضى فيها إلى النهاية مما كلفه الأمر ، وقد انسحب ذلك على حياته كلها خلال فترة تزيد عن خمسين عاماً — كان فيما حارسه — كما يقول تلبيذه اللصيق به — سكريره القبطي وزوجته الكاثوليك وقد شمل ذلك حياته كلها وكتاباته كلها ولم تكن وقائعه أو مهادنته إلا عواة لتخفييف التركيز عليه ، ولسكنه كان موقفنا بالعمل ملتزماً في نظر أهل التقييم والاستشراف ، متعاهداً معهم ، كان متصل العمل في حرب الإسلام ، سواء في ميدان الأدب أو التاريخ ، أو مهاجمة الازهر ، أو اللغة العربية ، فهي كلها خيوط متصلة ، من بداية واحدة إلى غاية واحدة ، وكان عمله سواء في الجامعة أو في وزارة المعارف أو في اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، أو في الجمعية الفخرى أو في المبعثات السنوية ومؤتمرات المستشرقين وزياراته للجامعات في المغرب

أو اتصالاته مع المستشرقين المسيحيين واليهود (أو اليساريين والأمريكيين) بعد الفرنسيين والبريطانيين إلا خطوة متقدمة في الخطبة الواحدة منها بدأ غير ذلك وكانت كله مدخله تسليم إلى المؤجلة الأخرى ، وكان هناك خطأ ينبع له فروعه وزواياً يبحث يشمل الفكر الإسلامي كله ويمتد بخطبة الشك الفلسفى إلى جميع جوانبه ، وكان من وراء ذلك توجيه وأشراف ، وكانت الدعوة إلى الحوار المسيحي جزء من هذا الخطأ وتكوين الأجيال والأولئك الذين وحملون الخطأ ويسرون به إلى الإمام قدما في الصحافة والجامعات وبجلات القافة .

فأين هنا كله من التوجيه الذي يريد أن يضفيه على شخص معاشر تماماً أمثال مصطفى عبد الغنى أو سامح كريم وهو مع الأسف أما مخدوعون لا يستشعرون أن يستشرفوا أبعد الخطأ الخطير الذى يستخدمون أو واقعون فيه .

ونحن إذا رجدنا المستشرقين يتتحدثون عن ماسموه (عقرية طه حسين) .
فهل يخدعونا بذلك وهم يقولون كما كتب طه حسين شيئاً : هذه بضاعتنا ردت علينا وإذا قالوا (علينا أن ننتظر طويلاً قبل أن يعود الزمان بتمثيلها) تفهم أن أولياء التغريب الآن ليسوا على المستوى وأنهم يتفسرون بعد طه حسين حيث لم يجدوا من يؤردى دوره ، وقد سقط الدكتور تجربة زكي تجربة محمود سقوط شيئاً حين تقمص هذا الدور بالرغم من أن فتحت له صفحات الاهرام وطبع مؤلفاته أرقى طباعه ولكن ذلك كله جحصاد المثير وبعض الريح وفي الأخير دكتوراه من أمريكا تكشف ولاده الجديد .

وحين يقول عبد العزيز شرف أن طه حسين تحول إلى تدعيم القيم من خلال فالدعا عن الإسلام في وجه التبشير الضارى الذي قام به المستشرقين الغربيين نضحك ونسخر من خداع شرف لعقلية المسلمين فكيف يقاوم طه حسين التيار الذى نشأ فيه وكيف يخرج من البحيرة الأسنة إلى غرقها ، لقد كان عمله في حقل التاريخ الإسلامي محاولة لتركيز قيم معينه يريد التبرير والاشارة فرضها على الفكر الإسلامي من خلال كتاب عربي له اسم مسلم ، أشياء هامة : أغذكار عبد الله بن سبا اليهودي ، التقليل من شأن عمال بن الوليد ،

أثار الشبهات حول الصحابة وأعتبارهم بمجموعة من الساسة المحترفين ، هذه عنوانين أعطيا طه حسين من القيادة التغريبية الاستثنائية يتناولها بأسلوبه الموسيقى في الفن الإسلامي وخدع لها الكثيرون ثم قبوا أخيرا .

حاجية :

يقول الاستاذ محمد مهدى الاستانبولى فى التعليق على ما كتب عن كاتبه فى جريدة الاهرام تحت عنوان : كتاب أسود عن طه حسين فيما يتعلق بكتابات المسيحيين والعلمانيين والمستغربين على هذا الكتاب فأئم مديرون أن يسموا بالحق فأنى لم آت شيئاً من عدى وإنما جئت بأراء وردود كبار العلماء والأدباء فى عصره وبعد عصره وطه حسين لا يجد بجانبهم شيئاً من كورأ وخاصة وهو قد رجع عن أرائه وأقواله كما يزعم الكثيرون مع العلم بأن التوبة لا تكون بكلمة يقولها ماترك الآثار المدمرة ، ولكن تكون بردء علىها . قال الله تعالى [إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَاصْلَحُوا وَبِنُوا فَأُولَئِكَ أَنُوبُ عَلَيْهِمْ] (البقرة ١٦٠)

وكتابي عن طه حسين يعد كتاباً وثائقياً ليس لـ فيه كبير أثر إلا القليل فالرد عليه منه الرد على كتاب الكتاب والعلماء والأدباء السابقين رحيم الله تعالى وأجزل ثوابهم وقد غابت هذه الرواية وبقيت كتبه التي صدرت بعده في طبعات جديدة تسرح وتمرح وتفسد في الأرض .

ومعند سنوات أقيم لطه حسين ، في مصر احتفال ظهر على أثره كتاب (ذكرى طه حسين) أشاد به الكتاب والشعراء الآباء والمرتقطة ورفقاوه مكاناً علينا وهم بصلفهم هذا يردون على العلماء والأدباء الكبار والعظم الذين ابتداوا جهله وزيفه وهو لاء في حاجة إلى وضعهم في قفص الاتهام ومحاكمتهم .

(١٠)

محاولة إعادة طه حسين إلى الأزهر

ومن مخططاتهم أنهم حاولوا ، إعادة اعتبار طه حسين ، في الأزهر بتكتلiff شاب كفيف بأن يكتب عن طه حسين أطروحة تناقش في مدرج كلية اللغة العربية ولكن البقظة التي عممت كل الجامعات كانت قد شجبت هذا العمل فقال الدكتور سعد ظلام : لو راجعنا الفكر الادبي الدكتور طه حسين في الفترة التي سبقت رحلته إلى فرنسا والتي تلت خروجه من الأزهر لوجدنا صورة التناقض واضحة في شخصيته فشل نراه يقول في إحدى تصانيمه إن العشق رسول الفسق لأن فتاة نظرت إليه بإستخفاف وأعراض ثم إذا ما أشفقت عليه فتاة أخرى وأظهرت له شيئاً من العطف عاد ليقول : العشق هو الحياة .

هذه واحدة والآية : عندما يصف الزوج من الأجنبيات بأنه كفر ويكتب في ذلك امقلات والمصادن بحرا ، مانعا ، معتضاً ولكن ما أن يعلم بقرار إبعاته حتى يدخل على أمها وإخواته متسللاً لأنها سوف يتزوج بأجنبية رائعة الحال وليس كافر عزيزة الكيلو .

ثالثاً : ظل طه حسين يؤكد على رسالة الأزهر وأنه أصلح مكان التعليم لولا مالاذهنه وأعلن أنه سوف يظل مرتبطاً بالأزهر وبزيه الأزهري ونافش رسالته في جامعة فؤاد الأول بزيه الأزهري ، وبينما هو في الباخرة إلى فرنسا قطع سكون الليل صوت ضخم فزع الناس له ولم يكن هذا الشيء سوى عمارة الشيخ طه حسين وكأنه يعلن تخلصه من ولائه للأزهر في الوقت يعلن فيه ندمه الشديد على ما فعل وهذا تناقض آخر فضلاً عن تناقضه السياسي وهو أشد وأخطر .

ولا شك أن دكتور طه حسين عقلية جباره لو أرادت أن تحرك الركود الفكري في مصر ولكن فرق بين تحريك الفكر وأثراته وبين نقضه وهدمه فيلاحظ على كتابه (في الشعر الجاهلي) بما فيه من خروج على الدين والطعن في

التوراه وفي القرآن ، فهل كان هذا من قبيل تحريرك الفساد وائراته أم من قبيل هدم الصرح وتغيير المخطط الاستشرافي الذي تعلمه في فرنسا فهو يحاول أن يستخدم المنهج الاستشرافي في الطعن على الإسلام ويستخدم من بعض الأدلة المستقيمة وسيلة إلى أن يلوى ذراعها ويزحزحها عن مكانها ويطعن بها بدل أن كانت ضده أو ليست في صفة على الأقل فهو يستدل ببعض النصوص من طبقات الشعراء ولذلك يحرقها وأخذ منها ما يتفق ورأيه ويقف عنده ولو أنه أكمل النص لكن يهدم كل الفكر مثل قول أبي عمرو بن العلاء (ما لسان حمير بلساننا ولا لفظنا بلغتنا) فهو يضيف إلى هذا النص بعض ما يتفق وهو ثم يقف به عند (بلساننا) تاركاً الجزء الباقى .

أعلن طه حسين أنه يستخدم المنهج الديكارتى وهو منهج ربما يكون أسلم فى الاستعمال الأدبي وغيره لو أحسن إستعماله ، ن لكننا نراه لا يقف على هذا المنهج ولا يستعمل مبادئه الرياضية والعقلانية فيبعد عنه بعده كثيراً من حيث يقول أنه يطبقه ، وأساس منهج ديكارت الشك في الشيء حتى تبت سلطته ومن شروطه نسيان كل المعلومات حول هذا الموضوع مقدماً ولكن دكتور طه حسين طعن ولم يشك وكانت في ذهنه النتائج التي يريد التوصل إليها ثم يحاول أن يتم محل لها مقدمات توصل إليها وهذا خلاف كل المناهج والاشكال المعقولة والافية المقلالية . وإذا كان الدكتور طه حسين يذكرنا بأنه يستخدم المنهج الديكارتى فإننا بعد قراءة الكتاب نخرج بنتيجة واحدة هي أنه لم يطبق هذا المنهج إلا في جزء واحد هو الشك وإذا كان الشك الديكارتى غايتها للوصول إلى نتيجة سليمة فإن شك طه حسين لم يمكن ديكارتياً يقدر ما كان طعناً وافتئاناً ومحاولاً للوصول إلى الخروج على القيم الإسلامية والأدبية التي لها طابع الاحترام والقدسية فهو لم يستخدم المنهج الديكارتى وإنما يستخدم منهجاً آخررياً هو منهج الجرح والتعديل في رجال الأزهر .

وقال الدكتور إبراهيم دويدار : أن ما ورد عن طه حسين في قصته الاتصال في الشعر الجاهلي يمثل قبة الفساد الفكري عند طه حسين ، ذلك لأن مبدأ الاتصال

فأثم من ناحية المبدأ والتزييد موجود في كل عصر ، إنما أن يتحول الاستثناء إلى أصل فهنا اختلف الأزهر والعلماء معه ، فقد أدعى طه حسين أن الشعر الجاهلي أضيف إلى الجاهلين وليس لهم وهذا يعني أن العرب لم تكن لهم لغة جامعة يلتقطون عليها ثم ينزل القرآن بعد ذلك متحدين لهم كمعجزة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا تكين الخطورة في فكر طه حسين الذي أراد أن يلغى معجزة القرآن السكري بمجرة قلم فهل بعد هذا فساد في الفكرة .

ويقول الدكتور صلاح عبد التواب : لقد بدا طه حسين العداء للأزهر وعلمه وحرص على إبراز العلماء في صورة المتحدى الذي يحاول تحطيم أي كفاءة متفوقة ، وذلك لإحساسه بالتعالي والكبرياء وهو يحس أنه مساو لاعضاء اللجنة التي تتحمّنه بل هو أحسن .

ولعل هذا الدافع الذي جعله يتوجّى على الأزهر وهو يحاول تحدي علمائه بأن يجهر بأراء تمسىء إلى الإسلام ، هذا أنوار حفيظة الأزهر ضنه حتى أوافقه عند حده وإعادته إلى رشده .

ويقول دكتور محمد رياض قناوي : لعل الشيء الذي لم يكن معروفاً بالنسبة للبعض : أن كثيراً من آراء طه حسين كان مسبوقة إليها بأراء المستشرقين الذين حاولوا أن يطعنوا في كل ما هو إسلامي ويستنتاج من ذلك أن طه حسين حاول أن يستخدمنهجاً استقر في ذهنه للوصول إلى حقيقة مدينة ولكنها أخوةً في استخدام المنهج ولم يمل ما تخفف من عنت القضية أن طه حسين لم يأت بكتابه في الشعر الجاهلي من عنده نفسه وإنما ردده عن فكر مرجليلوث ونسبة إلى نفسه .

الفصل الثامن عشر

تحفظات

على الكتابة المصرية للسيرة النبوية

(١)

حول كتابات طه حسين وهيكيل والعقاد

إن العمل الذي قام به الكتاب المصريون لتقديم السيرة ، قد أدى دوراً لا يُبَاس به وأحدث أنواراً طيبة في نفوس المسلمين ، ولكنـه لم يكن عملاً أصيلاً على طريق التطور الطبيعي لكتابـة السيرة من منطلق المفهوم الإسلامي الجامع القائم على أساس التقدير الكامل للوحـي النبوـة والقيـيات والمعجزـات ، ومن هنا كان عجزـه وقصورـه الذي جعلـه في تقدـير الباحـثـين فـائـتاً على التـبعـية والـاحتـواـء للـناـهجـ الفـريـة التي لم تـكـن عـاصـيمـتها ، الأمـظـهرـأ خـادـعاً يـخـفـيـ من وـرـاهـ الـآهـوـاءـ والـخـلـافـاتـ بينـ الـأـدـيـانـ وـنـزـعـةـ الـاستـهـلاـمـ الفـريـةـ وـمـطـاعـمـ الـنـفـوذـ الفـرـقـ فيـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ الـفـسـرـ الأـسـلـامـيـ وـالتـارـيـخـ الـأـسـلـامـيـ حـتـىـ لـيـعـقـلـ لـيـتـعـاـهـ الـأـصـيـلـ هـدـفـ يـمـدـدـ بـعـدـ حـضـارـةـ الـأـسـلـامـ وـيفـتـحـ الـطـرـيقـ لـقـيـامـ الـجـمـعـمـ الـأـسـلـامـيـ .

لقد إحتوى هذا العمل على مجموعة من الأخطاء الأساسية التي كان مصدرها تبنيـ أـسـلـوبـ المـسـتـشـرـقـينـ وـتـبـنيـ وـجـهـاتـ نـظـرـهمـ وـهمـ أـسـاسـاـ لـاـ يـعـتـرـفـونـ بـالـأـسـلـامـ دـيـنـاـخـاتـاـ وـلـاـ بـالـنـبـيـ مـحـمـدـ عـلـيـهـ السـلـطـةـ وـلـاـ يـؤـمـنـونـ بـالـوـحـيـ وـلـاـ يـفـرـقـونـهـ كـاـمـاـ يـفـرقـ الـمـسـلـيـونـ بـيـنـ الـأـلـوـهـيـةـ وـالـنـبـوـةـ .

وفي مقدمة هذا البحث تؤكد أن كتابات العصرـينـ فيـ السـيـرةـ النـبـوـيةـ كانتـ فيـ عـصـرـهاـ أـسـأـحـبـهاـ أـقـبـلـ النـاسـ عـلـيـهـ وـقـدـ سـيـرـةـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ السـلـطـةـ وـعـظـمـةـ الـإـسـلـامـ للـجـاهـيـرـ التيـ كـانـتـ لـاـقـلـ بـالـدـرـاسـاتـ الـعـلـيـةـ أـلـاـ قـلـيلـاـ ، فـقـدـ كـتـبـتـ هـذـهـ الفـصـولـ أـوـلـ الـأـمـرـ فـيـ الـمـحـلـاتـ الـأـسـبـوـعـيـةـ الشـهـيـرـةـ (ـالـسـيـاسـةـ الـأـسـبـوـعـيـةـ ،ـ وـالـرـسـالـةـ)ـ عـمـاـ كـانـ لـهـ أـثـرـهاـ الـوـاسـعـ فـيـ الـاـنـتـشـارـ وـالـذـيـوـعـ ،ـ وـقـدـ اـخـتـلـفـ فـلـاعـماـ سـبـقـهاـ كـتـابـاتـ السـيـرةـ التيـ نـشـرـتـ فـيـ مـؤـلـفـاتـ لـغـلـبـةـ الـأـسـلـوبـ الصـحـفـيـ الـمـيـسـ .

ولقد كانت هذه الكتابات في تقدير المؤرخين والباحثين على حالتين :

(الحالة الأولى) : العامل القريب والماهش وهو ظهور حركة التبشير المسيحي

الضخمة في القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية عام ١٩٣٢ وتنصي عدداً من الطلاب المسلمين بها وكان ذلك جزءاً من موجة ضخمة قام بها الغرب بعد أن استردت الفاتيكان الـ "موال الضخمة التي كانت قد احتجزتها الحكومة الإيطالية عنها.

(الحالة الثانية) : أثر الحرب العالمية الثانية في نفوس الناس بالدعوة إلى

الرجوع إلى الدين والتطلع إلى آفاق جديدة تقدمها رسالات السماء وفي مقدمتها الإسلام .

غير أن هناك عوامل أخرى خفية وراء ظواهر الأحداث تحدثت عنها كتابات الباحثين والمراقبين لهذه الأحداث منها :

أولاً : رغبة حزب الأحرار الدستوريين في كسب مشاعر المسلمين بعد أن عرف عنه أنه الحزب الذي يجمع دعوة التغريب وأساطينه والذي صدرت من عبائته الكتب التي أشارت الصدقة وخالفت مفاهيم الإسلام الأساسية وهررت مشاعر الناس ، وفي مقدمتها (الشعر الجاهلي لطه حسين) و (الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق) ، وكانت الفكرة التي استقر عليها الرأي هو الدخول إلى مشاعر المسلمين عن طريق الكتابة عن الرسول ﷺ (هذا بالنسبة الكتاب حياة محمد للدكتور هيكل) .

ثانياً : الموقف الذي أحدثته الحرب العالمية من اتصالات بين البلاشفة والرأسماليين في وجه النازية وما تسرب إلى البلاد العربية من دعائيات شيوعية ورغبة الغرب في مواجهتها عن طريق تزيف مفهوم الماركسيّة عن البطولة الجماعية ورد الاعتبار للبطولة الفردية التي كانت عنواناً على الفكر الليبرالي الغربي ومن هنا كانت الكتابة عن البطولات الإسلامية من منطلق غربي (هذا بالنسبة للعقريات) .

وقد ظهرت هذه الكتابات متفرقة في الصحف : [حياة محمد] في ملاحق السياسة سنة ١٩٣٢ على إنما ترجمة وتلخيص لكتاب أميل درمنجم وكانت تنشر تحت هذا العنوان (حياة محمد ، تأليف أميل درمنجم . تلخيص وتعليق الدكتور محمد حسين هيكل) .

ثم ظهرت فصول (على هامش السيرة) في الأعداد الأولى من مجلة الرسالة التي صدرت ١٩٤٣ بقلم الدكتور طه حسين ، أما فصول (عقبة محمد) فقد بدأت عام ١٩٤٢ بقلم الاستاذ العقاد في أحد الأعداد السنوية الخاصة بال مجرفة من الرسالة بعد أن اشتعلت الحرب العالمية الثانية بعامين .

وكان الكتاب اللالاً من المعروفي في مجال الدراسات الأدبية والسياسة بأنهم عصريون لـاليون علمانيون ، قليلوا الاهتمام بالدراسات الإسلامية ، بل كانت جريدة السياسة تحمل حملات ضخمة على الإسلام (هيكل - طه حسين - على عبد الرزاق - محمد عبد الله عنان) وتوارز الغزو الشافعي ، بل لقد حل الإستاذ العقاد حملة ضارية على الكتب الإسلامية التي صدرت عام ١٩٣٥ في جريدة روز المسؤول اليومية وعددها ظاهرة خطيرة وقال أن هذه الكتابات بثابة مؤامرة على القضية الوطنية وتردد يومها أن الدكتور محمد حسين هيكل قد أحرز ندراً ضخماً من الكسب المادي من كتاباته ومن ثم أصبحت الكتابة الإسلامية مرض تقدير في نظر الكتاب ، غير أن أحضر ما هنالك أن الدكتور هيكل وعل عبد الرزاق أعلنا موقفاً خطيراً في مجلس الشيوخ عندما أثير النقاش في كتابات طه حسين ووقفاً للدفاع عنه وبين من ذلك أن الكتابة عن الإسلام لم تكن تصدر عن إيمان بر رسالة الإسلام (بيتاً ودوله) وإنما كانت من الأعمال السياسية ، والحزبية وإذا كانت كتب : حياة محمد وعلى هامش السيرة والعبريات قد هزت وجдан الشعب المسلم وقتها وأحدثت نوعاً من الاعجاب والتقدير فإن هذا كان هدفاً مقصوداً من الجهات التي شجعت ذلك وهو :

أولاً : مواجهة حركة اليقظة الإسلامية التي كانت تهدف إلى تقديم الإسلام كنبع حياة ونظام يجتمع بكتابات إسلامية من أفلام لامعة لها مكانتها السياسية في الجماهير لتحويل التيار نحو المفاهيم العلمانية واللبير آليه يعد وهو ما يسمى (تقديم البديل) المتشابه ظاهراً والختلف جوهراً وهو بهذا استجابة ظاهرية للورقة الإسلامية ومحاولة لاحتواها .

ثانياً : فرض المفهوم الغرقي على السيرة والتاريخ الإسلامي وهو المفهوم الغرغ من الوحي والفيبيات والمعجزات .

ولكن هذه الظاهرة بالأعجاب يكتب اللبيراين عن السيرة لم تدم طويلاً فقد تكشفت خفاياها وظهر أن منهج الكتابة في هذه المؤلفات لم يكن أسلامياً أصيلاً وإنما اعتبرته التبعية لمفاهيم الاستشراق والتغريب حتى ليتمكن أن يقال في غير ماحرج أن المؤلفات الثلاثة الكبيرة :

(حياة محمد - علي هامش السيرة - عبقرية محمد) هي قواج غربي يعتمد على مذاهب الكتابة الغربية ويختضن لكثير من أخطائها ويسقط بحسن نية وراء مفاهيمها الكنسية والمادية ويختلف اختلافاً وأصنعاً عن مفهوم الإسلام الجامع .

ولقد تطورت الدراسات الإسلامية في ظل حركة اليقظة الإسلامية واستطاعت أن تتحرر من هذه المرحلة التي كانت تمثل التبعية لل الفكر الغربي في دراسات التاريخ الإسلامي وكتابات السيرة وهي التي قامت على مفهوم يتسم بالتأويل للمعجزات ومحاولة حجب الكثير من وجوه الأعجاز ومتابعته المستقذرين في مفاهيمهم لسيرة النبي الكريم .

وفي الكتاب الثالثة نجد أن العمل يبدأ غريباً ثم يفرض على سيرة عليه السلام .

١ - فالدكتور هيكل يبدأ عمله في كتابة السيرة بترجمة كتاب (أميل درمنج) الكاثوليكي الفرنسي ويتمنى كثيراً من آرائه التي يمكن أن توصف بالخطأ أو عدم

القدرة على فهم الإسلام أو تبني عقائد النصارى أو متابعة هدف يرمي إلى التغريب بين الأديان أو الدعوة إلى وحدة الأديان (وهو هدف ضال) .

٢ - والأستاذ النقاد يبدأ عمله بمنطلق غربي مغض هو فكرة (العبرية) التي تداولتها كتابات الغربيين شوطا طويلا عن نوع من الامتياز أو الذكاء في مجال الفن والموسيقى والشعر والقصة في الغرب ويصحب هذا الوصف على النبي ﷺ المؤيد بالوحى وعلى العظيم من الصحابة دون تفرقة واحسنة بين النبي والصحابي .

٣ - والدكتور طه حسين يعلن في غير ماحرج أنه استوحى (هامش السيرة) من كتاب جيل لومير عنوانه (على هامش الكتب القديمة) وأنه يحشد فيه كل ما استطاع من اساطير اليونان والمسيحية واليهودية والاسرائيليات وهكذا يتبين تبعية هذه الدراسات أصلاً للفكر الاستشرافي .
ويع肯 تصنيف الأخطاء التي وقعت فيها المدرسة التغريبية في كتابة السيرة على هذا النحو :

أولاً : متابعة مناهج ودراسات كتاب الاستشراف فقد عمد الكتاب الكبار الثلاثة إلى البدء في كتابة السيرة من منطلق غربي استشرافي » فالدكتور هيكل هاجب بكتاب أميل درمنجم وما يحويه من آراء تقرب مسافة الخلف بين الإسلام والنصرانية ومن ذلك نواه يتابعه في مجموعه من الآراء تختلف معه بخصوص الإسلام الأصيل ، كان هيكل قد رد آراء المستشرقين الأوائل إلا أنه قد خضع لمناهج المستشرقين وفهمهم في الفلسفة المادية ، بالنسبة لل مجرات ، وبالنسبة للأسراء والمعراج وبالرغم من نوايا الدكتور هيكل الطيبة في تقديم صورة بارعة للرسول ﷺ فإن موقفه من إيمان المجرات والغيارات ونحوهما - حتى وإن وردت في القرآن والسنة على حد قوله - كان مأخذًا كبيراً في تقليل قيمة العمل الذي قام به .

فقد أنسك عدداً من المعمجرات الثابتة بصربيع القرآن ومتراثر السنة ، كنزوول الملائكة في بدر ، وطير الآبابيل ، وشق الصدر ، والأسراء ، وأن (أفرا) كانت هناها ، وقد أول ذلك كل إرضاء للنبيج العلمي الغربي الذي أعلنه وأعلن التزامه به فأعتبر الإسراء سياحة الروح في عالم الرؤى ، ووصف الملائكة الذين أمند الله بهم المسلمين في غزوة بدر بالدعم المعنوي ، ووصف طير الآبابيل بداء الجذرى وأعتبر شق الصدر شيئاً محنوا ، وأعتبر لقاء جبريل بالنبي في حراء مناما ، وبذلك عمد إلى تفريغ تاريخ عليه السلام من الحقائق القلبية والمعجزات وقصر موقفه على إن التي معجزة واحدة هي القرآن الكريم مع أن الخوارق والمعجزات لا يمكن أن تتنافى في جوهرها مع حقائق العلم وموازيته وقد سميت خوارق خرقها لما هو مأوى فآماد الناس ، وما كان للألاف أو العادة أن يكون مقابساً عليها لما هو مسكن وغير مسكن ولما كان الله تبارك وتعالى هو صانع التوااميس فإنه هو القادر على خرقها حتى شاء .

يقول الشيخ محمد زهران :

ولقد عمل الدكتور هيكيل إنكاره جميع المعجزات الحمدية (غير القرآن) بأنها مخالفة للسنن الآلية ، وزعم أن روايات معجزاته (عليه السلام) موضوعة ، قد وضعتها إما أن يجعل النبي مثل ، ما وسوس وعيى علاماً السلام وأما أن يشكل الناس في صحة آية (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) ولا شك أن دعوى استحاله خرق العادات المعرفة في كتابه مخالفة السنن يستلزم التسليم بها إنكار الإسلام من أصله وتكميل الأديان كلها ومنها إنكار الأحاديث التي اتفق على قبولها أئمة الحديث وغيرهم مع توافرها والإجماع على مصادقها .

ثانياً : موقف التي عليه السلام من وفاة ابنه إبراهيم

كذلك فقد كانت الصورة التي رسماها الدكتور هيكيل عن حزن الرسول عليه السلام لوفاة ابنه إبراهيم ما لا يتفق مع جلال النبوة وعظمة الرسالة إذ صوره جلوسات

الله وسلامه عليه واصنعا ولده في حجره وعيشه تذرفان الدموع مدراراً ولسانه ينطق بالفاظ يشيع منها الحزن والأسى وتقطر غماً وتأثراً مما يشبه أن يكون ضعفاً عن إحتفال صدمة الحادث .

«والحقيقة أن رسول الله ﷺ أسعى قدرأ من أن يصدر منه ما صوره الدكتور هيكل هياماً في الخيال والشعر والقصص ، وإنما أظهر من حزن سام وزرفت عيناه دموعاً مطهراً لا يذرفا إلا الله ولا يمكن أن يكون الرسول ﷺ قد بدرت منه الألفاظ التي نسبها إليه الدكتور منساقاً مع شعوره حين حزن هو على فقد ولده ولاجل هذا غير اسم كتابه رحلة إلى أوربا إلى عنوان (ولدي) . إن رسول الله ﷺ يعلم علم اليقين وحق اليقين أن الله يفعل ما يشاء . ويحكم ما يريد ، وأن ولده ابراهيم لن يعيش طويلاً حيث يقول تبارك وتعالى (ما كان محمد أبو أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) لقد مات الله ولدان من قبل احتسابها في رضي ولیمان . »

٣ - تقبل وجهات نظر درمنجم في مسائل أساسية :

وقد أخذ على الدكتور هيكل تقبل وجهات نظر أميل درمنجم ، في تصوّره أن الذي قد تأثر بأهل الكتاب في الجزيرة العربية أو في ذهابه إلى الشام أو في إرسال بعض أصحابه إلى الحبشة المسيحية ، فقد جرى (هيكل) وراء عبارات درمنجم دون أن يتبيّن مكره وخبثه حين حاول أن يصور ان دعوة النبي أصحابه إلى الحبشة من أجل أنها مسيحية .

ويتساءل الدكتور حسين المراوى الذي نافش هيكلًا في هذه النقطة :

هل حقيقة كانت الهرة إلى الحبشة لأنها مسيحية ، ويقول إن درمنجم شأن المستشرقين بقدر هذه القصة بصفة مشوهه للحقيقة ، فلم يكن الدافع للتجاشي ورمعه ونحوه ولم يكن سبب عطفه ورحمته ذلك الدافع الدينى بل الدافع الحقيقى أن هذا

البيجاشي كان عادلاً وهذه هي الخلطة التي ذكرها النبي حين قال (لأنه فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق) .

ومن مراوغات درمنجم تفسيره للآية الكريمة :

(فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فأساس الذين يقررون الكتاب من قبلك) يزيد درمنجم أن القرآن طلب إلى النبي سؤال أهل الكتاب وأن الله تعالى رغى للناس الإسلام دينا مع بقاء الأديان التي سبقت ، وحدة منهجه مما أسماه الكمال الروحي ، ولاريب أن هذه مراوغة خطيرة من الاستشراق يحاول بها أن يفسر الآيات القرآنية تفسيراً يخدم به أهدافه والحقيقة أن الإسلام جاء ليظفره الله على الدين كله وأنت الأديان كلها التي سبقت كانت موصلاً إليه لو لا أن قادتها حرفوها .

ثانياً : ظاهره إنكار المعجزات وتأويلها لرضاه للمنهج الغربي وباسم أعلام نظره العقل : هذه الظاهره واضحه تماماً في كتابات هيكل وطه حسين والعقاد وقد قامت عليها كتاباتهم في (حياة محمد وهامش السيرة والعقربات) وكانت لها جذور ممتدة في كتابات الشيخ محمد عبد وفريد وجدى وقد هاجما الشيخ بمحضن صبرى شيخ الإسلام في الدولة العثمانية في كتابة الضخم (موقف العلم والعالم من رب العالمين) .

وقد جرى الكتاب الثلاثة هذا المجرى باسم (المنهج العلمي الغربي) .
الحقيقة أن المنهج العلمي هو منهج إسلامي الأصل والمصدر على خلاف دعوى بعض المؤثرين بالدراسات الغربية ، ولقد كان من أبرز أهداف التغريب التأثير في أسلوب كتابة التاريخ الإسلامي وفي مقدمة ذلك (سيرة النبي الأعظم) ليعلمونهم بأن هذه الصفحات الباهرة من شأنها إذا عرضت عرضاً صحيحاً أن يقمعوا الأحساس العميقة في قلوب شباب المسلمين ومن هنا كانت عساوئهم المسمومة في إدخالي أسلوب عصري له طابع بران ولكنه يخفى من وراء ذلك إطفاء الأصوات

الى يقدمها هذا التاريخ من حيث الصلة بالله تبارك وتعالى والاعجاز الرباني الاصح في كل مواقف حياة النبي ﷺ وفي تاريخ الإسلام وفتحه ، ولما كان هذا العمل هو بثابة هدف واضح الدلالة في خطط الاحتواء الغربي الذي يرمي الى التقليل من شأن البطولات الإسلامية ووضمها موضع المقارنة مع البطولات الغربية من خلال النواحي المادية وحدها فقد حجبت هذه الدراسات جانباً كبيراً من أثرها المعنوي والروحي الذي يزن النقوس ويملاها بالثقة والميقن في عظمة هذا الدين الخاتم وفي سعة العظام الربانية لنبيه .

ومن هنا كان ذلك الاسلوب المسمى بالعلمي الذي اصطنعه كتاب لهم امهات لامعة ولم تسكن لهم سابقة في الدراسات الإسلامية بل كانوا غارقين في دراسات الغرب وبطولات رجاله (جان جاك روسو ، فولتير ، مونتسكيو ، أرسسطو الخ) في محاولة للتقليل من قدر أحداث السيرة النبوية تحت اسم المقلانية وإنكار المعجزات والجوانب الفي咤 والأعراض عن الجوانب ذات الصلة بالإيمان والعقيدة واليقين والتقوى وغيرها .

ولقد استطاع الدكتور هيكل في مقدمة كتابه بايجابه وتبنيه الطريقة العلمية الحديثة وأشار إلى ميزاتها وأفضليتها ، ولكن الشيخ محمد مصطفى المراغي في مقدمة لكتاب حياة محمد لم يخفى عليه هدف هذا فقال :

أمام أن هذه الطريقة حديثة فيها ما يعتذر عنه وقد ساير الدكتور (هيكل) غيره من علماء في هذا ، ذلك لأنها طريقة القرآن كما أعزف هو ولأنها طريقة علماء سلف المسلمين ، أنظر كتب الكلام قرآم يقررون أن أول واجب على المكلفين معرفة الله فيقول آخرون : لا : إن أول واجب هو الشك ، ثم إنه لا طريق لله تعالى إلا البرهان وقد جرى الأئم الفزالي على الطريقة نفسها ، وقد قرر في أحد كتبه أنه جرد نفسه من جميع الآراء ثم فكر وقد ورتب وزان وقرب وباعد ثم أتي بعد ذلك كله إلى أن الإسلام حق وإن ما امتدى إليه من الآراء وإن واجد في كتب الكلام في مواضع كثيرة حكاية (تجريح النفس) مما الفتنه

من العقائد ، ثم البحث والنظر فطريق التجريد طريق قديم وطريق التجربة والاستقراء طريق قديم ، والتتجربة والاستقراء التام ولليدا الملاحظة فليس هناك جديداً عندنا ، ولكن هذه الطريقة بعد أن نسيت في التطبيق العلمي والمعلم في الشرق وبعد أن فشل التقليد وأهدر العقل وبعد أن أبرزها الغربيون في ثوب فاضح وأفادوا منها في العلم والعمل رجعوا نأخذها ونراها طريقة في العلم جديدة ، ا.هـ

وهكذا تبين للدراسة الحديثة إن الإسلام هو واسع الأسس لهذا المنجز العلمي الذي أخذوا به ، وإن لم يطرأ حقه من الإصلاح الإسلامية بل قصره على الجواب المادي فناتهم خير كثير ، نظراً لأن خلقينهم مع الأسف كانت غربية ولم يكونوا قد قرأوا من التراث الإسلامي ما يسكنهم من معرفة الحقيقة كاملة .

لقد كتبت هذه الدراسات بالرغم من حسن النية عند البعض - بصورة قاصرة خالية من الإيمان اليقين تحت اسم العلم الذي لا يعترف للنبي ﷺ إلا بمجردة واحدة هي القرآن ، وكان من رأى فريد وجدى وهيكيل الأعراض عن الخبر الصادق التي ثبتت في الكتاب والسنة إذا عارض طريق العلم وبذلك حجبوا عن المسيرة النبوية أهل جوانبها وأخطرها على الاطلاق وهو :

(جانب م مجرزة الرحي الإلهي وعلم الغيب) .

ولطالما ردّ هيكيل وطه حسين وغيرهم كلمة العلم والمنجز العلمي ، والحقيقة أنهم ما كانوا يقصدون (العلم التجربجي) الذي يقوم في العامل على أساس الأنابيب ، وإنما العلم الذي قصدوا إليه والذين لقن لهم هو الفلسفة المادية التي قدمها التلمذيون وكانت قد استفحلت في الغرب بعد القضاء على الفلسفة المثلية المسيحية والمعروفة أن أسانتهم جميعاً كانوا من اليهود روركائم ، ليقي بريل الخ .

وهي فلسفة التنوير كما يقولون ، قامت على إنكار جوانب الإنسان الروحية والمعنوية وتصوّره بصورة الحيوان والحيوان الناطق والخاضع لشهوة الطعام والجنس (ماركس وفرويد) وقد امتد هذا الأمر إلى علوم الاجتماع والأخلاق والتربيـة والأدب والسياسة جميعاً ولم يكن هذا في الحقيقة هو العلم ، وما كانت هذه السيـجـات تساوي شيئاً لأن هذه المفاهيم كانت سرعاً ما تهـرـ وتـسـقط أمام

المتغيرات فضلاً عن أنه قد ثبت من بعد جهود العلم التجاربي أن يقول (كيف) وعمر الدراسات المادية أن تكشف سرائر العلوم الإنسانية .

ولقد كانت هذه الدراسات مع الأسف خاصة لفكرة مسموحةتين قائمتين في نفوس وعقول كتاب الغرب والغريب بما :

(أولاً) فكرة (إخضاع الدين مقاييس العلم) في أفق الفكر الإسلامي كافل الغرب وهي فكرة مردودة لعمق الفوارق بين الإسلام وبين المسيحية وقد تبين من بعد أنه ليس في الامكان إخضاع الدين مقاييس العلم .

(ثانياً) تخليص الفكر الإسلامي من سائر الغيبيات التي لا تخضع مقاييس العلم الحديث .

ومن هنا كانت محاولة إخضاع السيرة النبوية واتاريخت الإسلامى لهذا المفهوم وهو ما جرى عليه كتاب التغريب من استبدال السنن والروايات وقواعد التحديث وشروطه بأسلوب جديد (زائف) من الاستنتاج الشخصى المتصل بذوق ومتراجع كل كتاب على حده ، فطه حسين تابع لمذهب العلوم الاجتماعية والمقاد تابع لمذهب العلوم النفسية وهيكيل تابع لمذهب تين وبروتير الخ ، هذا الأسلوب الذى خطره جداً لأنه لا يقوم على قواعد أساسية علمية وإنما يقوم على أساس (الظن وما نهى إلا نفس) هذا الأسلوب يتبع لأصحابه أن يقبلوا وقائع وأحداثاً وأن يغضون عن غيرها مما يحيط به مع وجهم المسبة ، ومن هنا كان خطورة هذا المذهب في :

(استبعاد ما يخالف المألوف مما يدخل في باب المعجزات والغيبيات) في سيرة النبي ﷺ .

كذلك فقد حاول دعاة التغريب الاستفادة من هذا الاتجاه ملحظا خطيراً هو القول : بأن الغاية منها هو ما أطلق عليه (فكرة الاندماج الشكلي في السكال الروحى) وأنها جميعاً وحدة متصلة تربط البشرية في فكرة واحدة .

وهذه محاولة مضللة من مفهوم الباطنية والحلول لأن الأديان مفابطة من

حيث أن أولها يوصل إلى آخر ما ولتكن رقصاء الأديان غيروا ولذلك جاء الإسلام
مرة أخرى بربط نفسه بدين إبراهيم ليعمد هذه الوحدة في مفهومها الصحيح .

الثا: إنكار معطيات الرسالة الخاتمة:

ومن ذلك ما أوردته الدكتورة ذكى مبارك فى كتابها (النثر الفنى) عن أن كان
الغرب في الجاهلية نهضة علمية وأدبية وسياسية وأخلاقية واجتماعية وفلسفية
كان الإسلام تابعاً لها، أى أن الإسلام كان نتيجة وتابعاً لتلك النهضة لا سيما لها :
يقول : لأنها لا يمكن رجلاً فرداً مثل النبي محمد عليه السلام أن ينقل أممة كاملة
من العدم إلى الوجود ومن الظلال إلى النور ومن العبودية إلى السيادة القاهرة ،
كل هذا لا يمكن أن يقع من دون أن تكون هذه الأمة قد استعدت في أعماقها
وفى خصائصها وفي عقوتها بحث استئناف (رجل واحد) أن يكون منها (أمة متحدة)
 وكانت قبائل متفرقة وأن ينظم علومها وأدابها بحيث تستطيع أن تفرض سيادتها
وتحاربها وعلومها على أجزاء مهمة من آسيا وأفريقيا وأوروبا في ذمن وجيز .
ولو كان يكنى أن يكون الإنسان تابعاً ليفعل ما فعل النبي محمد لما رأينا أنبياء أحقّقوا
ولم يصلوا لأن أئمّهم لم تسكن صالحه للبعث والنهوض » ١٠٥ .

وهذا واحد من اهتمامات التغريب والاستشراق المسموحة خلها فلم رجل ملحن اعتقاد هذا الاعتقاد وتعلم في الغرب على أيدي اليهود يحاول أن يرد نهضة العرب بعد الاسلام لابن النبوة والرسالة وما أنزل الله على الرسول من دين ولكن إلى علوم وأداب وتجارب كانت عند العرب ، وإن كل ما فعله النبي هو أنه نظمها حتى استطاع أهلها أن يسودوا في القارات الثلاث في زمن وجيز .

يقول الدكتور محمد أحد الغمراوى : أن تاريخ العلوم في الأمة العربية بعد الإسلام معروف كأن مقاومة العرب للنبي ودعوته ومحاربته لها ولها معروفة ولكن الرجل ينسى التاريخ ويفترى تاريخا آخر ، ويعد علم زمان لا يجوز ولا يستقيم في منطق أو تفكير إلا إذا كان القرآن كلام النبي ، كلام محمد صلى الله عليه وسلم ، عندئذ فقط يعقل أن يكون العرب على ما وصف الدكتور من خصنة لا كلام له ، عندئذ فقط يعقل أن يكون العرب على ما وصف الدكتور من خصنة

وعلم وأدب لأن القرآن أكثر من نهضة وعلم وأدب ولا يعقل أن كان كلام بشر
أن يأتي صاحبه في أمة جاهله كالتى أجمع على وجودها قبل الاسلام مؤرخو اللغة
المربيبة من شرقين ومستشرقين ومؤرخو الاسلام .

(وهذا بحمد الدكتور زكي مبارك يهدى مقام النبوة الاسلامية بمقاييسه المادية
الباحثة التي صورت له كما صورت للمستشرقين أنه من المستحبيل أن تؤدى رسالة
النبي محمد في خلال بضعة عشر عاما إلى قيام هذا الملك البادخ وهذا هو إنكار
المجررات والقيبيات ، في فهم السيرة النبوية وتاريخ الاسلام .)

رابعاً: إحياء الأساطير في سيرة النبي :

يقول الدكتور طه حسين في بحث نشره في كتاب (الاسلام والغرب)
الصادر عام ١٩٤٦ في باريس : لقد حاولت أن أقصي بعض الأساطير المتصلة
بالفترة التي سبقت ظهور النبي - ﷺ - ثم قصصت مولده وطفولته ، ونشرت
هذه السلسلة تحت عنوان مقنبس من جيل لومتير وهو (على هامش السيرة)
ويتحتم أن نعرف بأن كتابين فرنسيين كانوا بثابة الشرارتين اللذين أشعلت
كثيرين : أحد الكتابين جيل لومتير عنوانه (على هامش السكتب القديمة)
والثانى : حياته محمد لايل درمنجم .

أما كتاب جيل لومتير فأني بعد أن شعفت به كثيراً وضفت في نفسي
الأسئلة الآتية :

هل يمكن إعادة كتابة ما ثر الفترة البطولية في تاريخ الاسلام في أسلوب
جديد أم أنه يتعد ذلك ، وهل تصلح اللغة العربية لإحياء هذه المأثر .

وقال عن كتاب (على هامش السيرة) :

هذا الكتاب من عمل الخيال ، اعتمدت فيه على جوهر بعض الأساطير
ثم أعطيت نفس حرية كبيرة في أن أشرح الأحداث وأختبر الاطار الذي يتحدث
عن قرب إلى القول الحديث مع الاحتفاظ بالطابع القديم .

وكان الدكتور طه يتحدث بهذا إلى المستشرقين في أول مؤتمر للحوار بين المسيحية والإسلام ويعد كتابه هذا خطوة في هذا السبيل من حيث دمج الأديان كلها في كتاب واحد وفي اختراع أخطر بدعة من إحياء الأساطير في الأدب العربي هذا ما كشف عنه ماهر حسين بعد سنوات طويلة من ظهور (على هامش السيرة) فإذا كان موقف الباحثين منه ، يقول صديقه وزميل دربه الدكتور محمد حسين هيكل :

استمتع طه العذر أن خالفته في اتخاذ النبي (عليه السلام) وعصره مادة لأدب الأسطورة ، وأشار إلى ما ينصل بسيرة النبي - عليه السلام - ساعة مولده وما روى عما حدث له من إسرائيليات روجت بعد النبي ثم قال .

ولهذا وما إليه يجب في رأيي أن لا تتخذ حياة النبي - عليه السلام - مادة لأدب الأسطوري ، وإنما تتخذ من التاريخ وأيقوناته مادة لهذا الأدب ، وما إندر أو ما هو في حكم المنذر ، وما لا يترك صدقه أو كذبه في حياة الفروس والمقائد أثراً ما . والنبي (عليه السلام) وسيرته وعصره يتصل بحياة ملامين المسلمين جيئاً بل هي فلذة من هذه الحياة ، ومن أعز فلذاتها عليها وأكبرها أثراً ، وأعلم أن هذه «الإسرائيليات» قد أريد بها إقامة ميشولوجيَّة [إسلامية](١) لإفساد المقول والقلوب من سواد الشهاب ، ولتشكيك المستقررين ودفع الريبة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبيه (عليه السلام) فقد كانت هذه غاية الأساطير التي وضعت عن الأديان الأخرى من أجل ذلك ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين في جميع العصور لتطهير المقائد من هذه الأوهام ، ولا ريب أن كلام الدكتور محمد حسين هيكل هذا هو أهانة صريح لمهنة حسين في اتجاهه وتحميم له المسئولية من أخطر المسؤوليات ، وهي :

إعادة إضافة الأساطير التي حرر المفكرون المسلمين سيرة النبي (عليه السلام) منها طوال العصور ، بإعادتها مرة أخرى لخلق جو معين يؤدي إلى إفساد المقول

(١) الميثولوجيا مصطلح غربي معناه : الشخص الأسطوري الذي يحرك الواقع وإن يكن له أثر من الصحة .

في سواد الشعب وتشكيك المستشرقين ودفع الريه إلى نقوسم في شأن الإسلام
ونبيه (عليه السلام).

وهذا الذى كشفه هيكل مازال كثيرون يجهلوه وما زال المتابعون لحياة الدكتور طه حسين وتحولاته يرون أن هذا أخطر تحول له وأن هذا التحول جاء ليجده الناس عن ماضيه وسابقته في إذاعة مذهب الشك وطارت الدعوات تقول: إن طه حسين عاد إلى الإسلام وأنه يكتب حياة الرسول ولم يكن هذا محسما على الأطلاق ولكنه كان تحولا خطيرا وفق أسلوب جديد لضرب الإسلام في أعز فلذات حياته وهي سيرة الرسول الأمين - ﷺ - ولقد دفعه هيكل حين قال: لقد تحول طه الرجل الذى لا يخضع لغير محكمة النقد والعقل إلى رجل كاف بالأساطير بعمل على أحياها وإن هذا ليشير كثيرا من التساؤل ، إذ أن طه وقد فشل في ثبيت أغراضه عن طريق العقل والبحث العلمي - لذا إلى الأساطير ينبعها ويقدمها للشعب إظهارا لما فيها من أوهام في ظاهرها تختفي الناس .

وقد كان هذا مصوراً لما أوردته الأستاذ محمد النايف في كتابه [دراسات عن السيرة] حيث قال : إن على هامش السير وهو في حقيقته [على هامش الشعر الجاهلي] ومتضمن له ، فهو على طريق تطاوله على الإسلام ولكن مع المرواغة والمداهنة .

ومن أبرز ما يلاحظ أنه خلط تاريخ الاسلام بأساطير المسيحية واليهودية وقصاوشه مصر والشام وحمير ونصارى اليمن ، كما عنى عنانية كبيرة بأساطير اليونان والرومان ، وخلط هذا كله خلطا شديداً مع سيرة النبي ﷺ وأراد بذلك إثارة جو من الاضطراب بين الاسلام المتميّز بذاته الخاصة وبين ما كان قبل الاسلام من أساطير وخرافات وقد اهتم بتراث اليهود فقدم لهم قصة (غیرق) اليهودي ٤٠٠

وقد أخذني كتابة بالأحاديث المرضوعة وفي نفس الوقت رد أحاديث صحيحة لأنها خالفت هواه، وعول كثيرا على الأسرائيليات التي حامت في تاريخ

الطبرى وأكثر من إبرادها ، وحشد قدرأً كثيراً من الأباطئ في قصة (حشر زرم) على يد عبد المطلب ، وبالغ جداً في قضية ولادة الرسول ﷺ مع أنه لم يثبت منها إلا حديث واحد وأخذ بالأخبار الموضعية في قصة (زينب بنت جحش) وجسم بعض المعجزات التي حدثت للرسول ﷺ عند مرضه حليمة السعدية وأنباء سفر النبي في تجارة خديجة رضي الله عنها .

وقد خص الشياطين باهتمام بالغ فتوسّع في الحديث عزهم وصور مؤمناً يتصرّه إبليس الشياطين ورسم صورة للشيطان الذي حضر خلاف قريش على الحجر الأسود وكان على شكل شيخ يمجد .

وعلى ندرة الصفحات التي خصصها لسيره الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت هذه الصفحات على يده بالمخالطات والذى سلم من التحرير كان للتحمة والتسلية ومن أخطر مزاعمه أنّ (ابي قد أحب زينب وهي زوجة لزيد وهذا بهتان عظيم) .

وإذا كان طه حسين قد أشار في المقدمة إلى أنه اهتم باختراع الأحاديث فإن المخربة التي أباحها لنفسه لم تكن إلا لتهوي معين وهدف واضح هو أن يقدم عن طريق القصص من المعلوم ما يعزز عنه عن طريق النقد والكتابة الأدبية .
يقول (غازى التوبه) في دراسته عن طه حسين وهامش السيرة :

أن طه حسين ينصب نفسه أماماً للأساطير اليونانية وضع السيرة في مصاف (الآليادة) ويطلب من المؤلفين والكتاب أو يفتتنوا في الحديث عنواناً أوروباً وأساطير اليونان ، كي يرضاوا ميول الناس إلى السذاجة ويعتمدوا عواطفهم وأخلاقهم ، ولكن هل يتساوى الآثران في المجتمعين (الآليادة في المجتمع اليوناني والسيرة في المجتمع الإسلامي) وهل كانت السيرة يوماً ما في التاريخ موضوعاً للتسلية فقصصية أو مبارزة لمعظة » .

ولم تكن السيرة يوماً من الأيام وسيلة للتسلية والترفيه كما يهدف طه حسين

ولكنها كانت مصدراً لابتعاث الهمم ودفع النفوس المؤمنة إلى الهوس بالمجتمعات

في حضرة حياة النبي وسننه .

وأقد تحدث كثيرون عن الشهادات الواردة في (على هامش السيرة) ووضفتها الأستاذ مصطفى صادق الرافعى بأنها « تهم مصريح » ، وقالت صحيفة الشباب الجزائرية (ذى القعدة ١٣٥٣ / ١٩٣٤) المواقف تحت عنوان :

(دساں طہ حسین)

ألف كتاباً أسهاه على هامش السيرة (يعنى السيرة التبريرية الطاهره) ^{لكله}
من الأساطير اليونانية والوثنية وكتب ما كتب في السيرة الكريمة على منوالها
فاظهرها بمظهر المخرافات الباطنة وأساطير الخيال حتى يغبل القارئ أن سيرة النبي
^{عليه السلام} ماهي إلا أسطورة من الأساطير وفي هذا من الدس والبهتان فيه ، والدكتور
طه الذى كان يقول في الإسلام ماشاء ولا يبال بال المسلمين أصبح اليوم يحسب للMuslimين
حساباً فلا يكتب ألا ويقول إنه مسلم وأنه يعظم الإسلام ولكن ما انطوى عليه
صدره يابي إلا الظبور كما بدأ جلياً في كتابة هذا (على هامش السيرة) .

وقال الدكتور زكي مبارك (البلاغ - يناير ١٩٣٤) وأنا أوصي قرائي أن يقرءوا
هذا الكتاب (على هامش السيرة) بروية فأن فيه تواحي مستوره من حرية
العقل عرف الدكتور كيف يكتسمها على الناس بعد أن راضته الأيام على أيغار الرمز
عن التأليف فأنه (بعد ضربة الشعر الجاهلي) آخر أسلوب الرمز لتفظيفية أهدافه) .

وقال الدكتور هيكل في دراسة له على هامش السيرة الجزء الثانى (ملحق السياسة
٢٥ / ١٢ / ١٩٢٧) أن اليهود لهم باع طويل في دس الأسرائيمات في الإسلام
والحق أنى كنت أشعر أثناة قرائي هذا الجزء الثانى من هامش السيرة وكأنما
أقرأ في كتاب من كتب الأساطير اليونانية وليس فصل (نادي الشياطين)
يأشد إعماقى درب الأسطورة من سائر فصول الكتاب) وقد عرف تبعيه الدكتور
طه حسين لمفهوم الأسئليات ووجه نظر اليهود في تصاير كثيرة مثل موقفه
من عبد الله بن الله سبا في كتاب الفتنه الكبرى .

خامساً : الفوارق العميقة بين النبوة والعبقرية :

إن التفرقة بين (النبوة) و (العبقرية) هي من أخطر ما تعرضت له كتابات المصلحين للسيرة النبوية فليس من المقبول أن تطلق تسمية (العبقرية) على الرسول ﷺ المؤيد بالوحى وثم تطلق أيضاً على حاباته أمثال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وقد وصف الرسول ﷺ بالعبقرية في كتابات المقاد والبطوله في كتابات عبد الرحمن عزام ، وبطل الحرية في كتابات عبد الرحمن الشرقاوي ، وكل هذه مسميات تحجب عن القارئ المسلم الصفة البارزة والمهمة الأساسية وهي « النبوة » المؤيدة بالوحى .

إن دراسة حياة النبي ﷺ تحت أي اسم من شأنها أن تؤجر عن استيفاء جواب هذه الشخصية المظيمة ، وليس ثمة غير منهج واحد هو أنه نبي مرسلاً من قبل الله تبارك وتعالى ، باز هذا الفهم وحده هو الذي يكشف عن الحقائق التاذمة ويكشف عن صفحات السمو والكمال الخلقي والعقلي والنفسي .

إن كلمة (العبقرية) : هي مصطلح عرف في الفكر الغربي وتواتره الأفلام ودارت حوله المعارك والمساجلات ، وفي عام ١٩٣٥ انتقلت هذه المعارك إلى المجالات العربية فدارت عنها مناقشة طويلة بين محمد فريد وجدى والدكتور أمير بقطار .
والتقطها الأستاذ المقاد واعتبرها في ذاكرته ليجعلها عنواناً لدراسة عن الرسول التي بدأها عام ١٩٤٢ .

ومن محل الدراسات التي دارت يكتشف أن هذه النظرية تجربى حول التبر و الذكاء والتفوق في مجال الفن والموسيقى والتصوير ولم يرد في الأسماء التي تناولتها الأبحاث أى اسم من أسماء المصلحين أو أصحاب الرسلات .

ولقد قصر أمير بقطار العبرية على الذكاء ، وقال أنها تجربة عن طريق الوراثة وأنها غير مكتسبة ، وأوردت دوائر المعرف وصحيفة العبرية بأنها لغة الكامل في كل شيء ، ويكون مبلغ رقم قياسي ذكاء العبرى فوق المعتاد ، وبينها

يحصر (أمير يقطن) العبرية على مسألة اختبار الذكاء، فأن (فريد وجلدي) يرى أنها هبة آلهية تُرثها فوق اقدرة البشرية يمنحها الله البعض الأفذاذ لتبرع على استثنائهم أو على أيديهم في أمور لا يستطيع العقل البشري أن يستقبل بأيجادها.

ولعل هذا هو المعنى الذي جعل العقاد يختارها ليصف بها الرسول مع أن جميع علماء العرب لم يصفوا بها أحداً من الأنبياء كالمسيح أو موسى عليهما السلام والحقيقة أن مقاييس الجاه والثروة والعظمة التي جاتت بها العلوم المسائية الحديثة تختلف تماماً عن التقديرات التي جاءت بها النبوة.

وأن أى قدر من الموهبة الآلية التي وصف بها العبرية تختلف اختلافاً واضحاً عن النبوة.

وبالرغم من الاختلاف في فهم العبرية بين كتابات المشرعين من الباحثين الغربيين فإن أحداً لا في الغرب ولا في العرب أدخل النبوة والآيات في هذه الدائرة ولكن يبدو وأن الاستاذ العقاد أراد أن يتتفوق على صاحبه (ميكيل وطه) وقد سبقاه لعشرين سنة في كتابة السيرة بالتخاذل لهذا المصطلح.

يقول الدكتور محمد أحد الفهراوي : يجب أن يقرأ العقاد باحتياط وهو يكتب عن الإسلام فالعقاد ابن مصر الحديث أخذ ثقافته ماقرأ لأدبائه وعلمائه وهو شيء كثير ، وليس كل ما كتبه المستشرقون يقبله المسلم ولا كل نظريات الغرب تتفق وما ذكره القرآن ولكن العقاد أعتقد من هذه النظريات ما أعتقد فهو ينظر إلى القرآن من خلال ما أعتقد منها ويبدو أن من بين ما أعتقد العقاد نظرية (فريزر) في تشوّه الأديان في عنده ليست ساوية ولكتها أرضية نشأت بالتطور والترقى إلى الأحسن ومن هنا تفضيل العقاد للإسلام على غيره من الأديان فهو آخرها وأذن فهو خيرها ويقول : أن لم يكن هذا هو تفسير أطلق اسميه الغربيين على كتابة (عبرية محمد والفلسفة القراءية) بهذه التسمية خطأ منه يذهبني أن ينته إلية قاريء الكتابين من المسلمين ليتجوّه أمهماً ما توحى به التسميات

من أن مُحَمَّداً صلوات الله عليه وآله وسلامه، عبقرى من العباءة لاني ولا رسول بالمعنى الذي المعروف في الأديان المزورة ويؤكد هذا الأيمان أن جاء الكتاب واحداً من سلسلة كتب المبقرات الإسلامية وإن يكون أولها ، فالناشر الذي يقرأ بعد عبقرية محمد عبقرية أبي بكر وعصره عمر مثلاً لا يمكن أن يسلم من إيمانه خفي إلى نفسه أن عصداً وأبا بكر وعمر من قبيل واحد ، عبقرى من عباءة وإن يكن أكدرم جيماً ، كذلكى سمي النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بطل الأبطال فأوهم أنه واحد من صنف ممتاز من الناس متجدد على العصور وليس من صنف أختتم به صلوات الله عليه وآله وسلامه : صنف الأنبياء والمرسلين من عند الله ، فالنبي والرسول يأتيه الملك من عند الله يما شاء الله وحي ومن كتاب ، ولا كذلك العبقرى ولا البطل ، فالنبيوية والرسالة فوق البطولة بكثير ، كمن الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقرى وكلم يدين له صلوات الله عليه وآله وسلامه بأنه رسول الله إلى الناس كافة في ذلك مصر وما بعده وأنه خاتم النبئين .

ويقول الاستاذ غازى التوبه : كتب العقاد المبقرات دفاعاً عن المظلمة الإنسانية في وجه المتعالون والحاقدون والمشوهين ، هذه المظلمة الإنسانية التي تحتاج إلى رد الاعتبار في عصره ودفاع العقاد عن العظلمة الإنسانية هي حلقة من دفاعه عن الفرد وإيمانه به ولكن ما هي الأخطار التي هددت الفرد والمظلمة وجعلته يستل قلمه سنة ١٩٤٢ ليكتب أول عبقرية من عبقراته ، في الحقيقة أن الأخطار المباشرة التي هددت الوجه الآخر من إيمان العقاد بالفرد هو النظام الديقراطي ، هدنته ثلاثة أخطار هي الفاشية والشيوعية والمد الإسلامي تصدى للفاشية في (هتلر في الميزان) وتصدى للشيوعية في كتابة (الشيوعية والانسانية) وأغيون الشعوب ، أما تيار المد الإسلامي خاربه بسلاح الشخصيات فكتب المبقرات ليؤكد صحة أفكاره في أولية الفرد في التاريخ وأحقيته كمحرك له وليطعن وبشوء الإيمان بالجانب الجماعي في الإسلام ويشكل في دور العقائد والتربية في توجيهه الاشخاص فالعظيم عظيم بفطنته والعبقرى منه شأنه ، كذلك فقد رکز العقاد على العوامل الوراثية والتكتونين الجسماني والعصبي ووضع لهذه الاسباب في المرتبة الأولى في توجيه الشخصية بحيث تأقى المقيدة الإسلامية والتربية في

المربطة الثانية إن كان هناك دور للمقييدة أو التربية والعقاد في موقفه هذا متأثر بعض المدارس الأوزيرية التي تقدس الفرد والفردية وتفسر مختلف حوادث التاريخ على هذين الأساسين ، وقد أورد العقاد ذكرًا لا يُذكر هذه المدارس التي تحدد صفات العبقري انطلاقاً من تكوينه الجسدي وهي مدرسة (لومبرودو) .

وهكذا قول العقاد الشخصيات الإسلامية ضمن نظرية الماء في الفرد والطوابع الفردية .

وهو في هذا قد حجب الجانب الرباني المجز ، وحجب الغبيات .

فهو في موقفه من اتصار الرسول (ﷺ) في غزوته لا يعرض ملائقاً لوعده الله تبارك وتعالى لرسوله ورعايته والملائكة المقاتلون والناس الذي تعشى المسلمين أمّة ، والمطر الذي طهره والريح التي اقْلَمَت خيام المشركيين وتبثّبته لافتقدة المقاتلين وقدفه الربع في قلوب الكافرين ، فلست الماء وسائل المادية وحدها هي قوام مكانة الرسل العسكرية ولكن العوامل الربانية يجب أن تضاف إلى ملامح الرسول في التخطيط .

كذلك فهو لم يكشف عن دور الإسلام في بناء شخصية الرسول ﷺ ، فالإسلام هو الذي أعطى النبي (ﷺ) ذلك الإيمان بالله تبارك وتعالى والإيمان بأحقية الموت في سبيل الله وذلك القدر من الشجاعة والتضحية والاقدام والعزّم والصبر .

هذا الجانب الذي تجاهله العقاد واكتفى بالمقارنة بين سيدنا محمد ﷺ وبين نابليون من النواحي المادية والعسكرية ، كذلك لم يتبيّن الفارق بين حروب محمد ﷺ وبين حروب نابليون وأنها كانت خالصة في سبيل الله ونشر الإسلام وليست في سبيل المطامع والسيطرة .

ذلك أنه ناقش عبقرية الرسول العسكرية في ضوء العبريات البشرية ، ولم يتبيّن للفارق العميق ، التي يتبيّن بها شخصية الرسول بوصفهنبيًّا رسول

أو تلك التي هدأ إليها الإسلام ، أو أن تمييزه هنا يختلف عن البطولات والuperiorities البشرية الأخرى ، ومن هنا يبدو التفاصيل في وذن النبي ﷺ بالعمريات البشرية الأخرى .

كذلك هذا التمييز الذي عرفت به شخصية محمد ﷺ ذاتياً ، ومرسلاً وهادياً ، تختلف في المقارنة بينه وبين الأبطال العالميين الآخرين في ناحية كأن شخصيته عليه السلام تختلف عن شخصية كل من أبي بكر وعمر وغيرهم .

لقد تحدث المقاد عن الجانب المادي في شخصية الرسول ﷺ وحجب تماماً الجانب الروحي المتصل بالروح وأظهروه ك مجرد إنسان يعمل بواعب لمنازة وملكات خاصة ، وهذا فأن (العبرية) التي حاول المقاد أن يقدم رسول الله ﷺ من خلالها ، كان جسمها ضيقاً وجمالية ذاقها ، وأخطر ما أخذ عليه هو أنه لم يظهر أثر الإسلام في بناء شخصية الرسول ﷺ وهو العامل الأكبر في حياته وتصوفاته على التحول الذي وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها يقولها (كان خلقه القرآن) هذه الربانية الخالصه التي تعلو على طوابع البشر ، وقد وصفها القرآن في قوله تعالى :

(قل أَنْ صَلَافِيْ وَنَسْكِيْ وَمَجَاهِيْ وَمَاقِيْ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ) .
كذلك فقد تحدث عن أفتان المسلمين بشخص الرسول وانبهارهم بواعبيه واعتبر إعجابهم به سلباً وحيداً لدخولهم في الإسلام وعزماً اجتماع الصداقات المتشعبة حوله نتيجة لزواجه التفصية وبذلك أنكر أثر عظمة الإسلام نفسه في إيمان أصحاب النبي ﷺ وليس من شك في أن إعجاب المسلمين بالرسول له أهميته في مرحلة الدخول في الإسلام ولكن تقدير المسلمين للإسلام هو العامل الذي ثبّتهم بعد ذلك على الإيمان بالإسلام وحفّهم للدفاع عنه .

إن الاستاذ المقاد وقد حارب مذهب التفسير المادي للتاريخ الذي قدمه ماركس والشيوعية حررياً لأهواه لها خضع مع الأسف للذهب المادي الذي لا يعترف بالآثار المعنوية المترتبة على الإثبات والعقيدة في بناء الشخصية كما تجاهل

جانب الغيبيات ولم يفهم النبوة فيها صحيحاً، ولذلك فإن الجانب الروحاني القادر على العطاء في بناء الشخصيات والذى صنع شخصية رسول الإسلام شراء باهتماماً عالياً عنده، وذلك لأنه أعتمد في دراسة الشخصيات والبطولات على مذاهب غربية يتجاهل النبوة والروح والمغيبات والمعجزات ولا تجعل لهذه العوامل الروحية والمعنوية أي وزن وأى اعتبار وأنما قامت اعتباراتها على جوانب الحسن وتركيب الأنسان المادى والوراثيات وغيرها.

سادساً : تطور جديد : التفسير الماركسي للسيرة .

ثم جاء بعد ذلك تطور جديد في كتابة السيرة العصرية وهو أخذها للتفسير الماركسي على النحو الذي كتبه عبد الرحمن الشرقاوى تحت اسم (محمد رسول الحرية) .

وقد قال الشيخ محمد أبو زهرة في توظيفه لهذا العمل : أن الكتاب كان له اتجاه غير ديني في دراسته فهو ما يدرس ملحداً على أنه رسول يوحى إليه بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية فصرحه الكاتب على ما يزيد ، وقد ثبت أن الكاتب يقطع النبي عليه عن الوحي فكل ما كان من النبي من مبادئه وجهاده في سبيلها إنما هي من عنده لا يوحى من الله تعالى ، وهي بمعنى بشرته لا يختصى رسالته ، والعنوان (إنما أنا بشر مثلكم) يعلن أن ما وصل إليه النبي عليه من مبادئه جاهد من أجلها إنما هو صادر عن بشرية كاملة لاعن نبوة ، وقد أقطع هذه الجملة ما قبلها وما بعدها ونصحها الصحيح (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما المكييم الله واحد) وهو بهذا الاقطاع ينفي الوحي عن الحياة الخديعة .

كذلك فهو ينفي الخطاب السماوي للرسول عليه ولا يذكر أن جبريل يخاطبه النبي عليه في العيان وتصويرة للوحي بأنه حلم في النوم يختلف ما تتحقق عليه المسلمين من أن جبريل كان يخاطب النبي عليه بالعيان لا في النام : الأمر الذى تردد ذكره في القرآن على أنه رسول الله لملئ الدين بصفتهم من الآلهاء لتبليل

الرسالة الآلية لأهل الأرض ، كذلك فهو يقطع الرسالة عن الرسول . ويقطع الرحي عنه ويتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحياناً منسوبة إلى النبي ﷺ على أنها من تفكيره ومن قوله لا أنها فرقاً موحى بها . وفائله هو أن الله سبحانه وأن ذلك مثبت في الكتاب بكلة ، وهو ينسب بعض آيات القرآن إلى النبي وكذاك ينسب إبطال النبي إلى النبي ﷺ ولا ينسبه إلى الله تبارك وتعالى ، وكذلك ينسب تحريم الخمر إلى النبي ﷺ ، كما أنه يذكر قصص القرآن على أنه نتيجة تجارة النبي ﷺ ، وما كانت قصص النبي إلا من القرآن وما كانت له رحلات في بلاد العرب بل أنه لم يخرج من الخجاز إلا مرتين أحدهما في الثانية عشرة والثانية في الخامسة والعشرين ويرى الكتاب أن القرآن من كلام محمد ولم يذكر فقط على وجه التصریح أن الله تبارك وتعالى هو منزل القرآن وباعت محمد بالرسالة بل أن ذكر الله تبارك وتعالى يندرج في الكتاب بل لا تجد له ذكرًا فقط ولم يذكر القرآن إلا نادرًا بل لا تجد له ذكرًا فقط ، وإذا ذكر آية وذكر أنها [عجمة نفس] النبي ﷺ ، وهو لا يذكر الكلمة القرآن على أنه منسوب لله في مقام يوم التشكيك في صدقه ويوم بأن به تحريفاً وتبديلاً ومحاجة الناطق واحد من كانوا يشاركون مع العشرات في كتابة الوحي لاثارة هذه الشبهة .

ولقد كان التطور في كتابة المسيرة نتيجة للأدوار التي مرت بها على أيدي السابقين .

سقوط المدرسة المسادية في السيرة :

فامت المدرسة على أنكار الغيب والمعجزات في آن وانكار الوحي والنبوة في آن آخر ، وحاولت أن تفسر الإسلام وسيرة الرسول تفسيراً مادياً وجرت في خضوع مذكورة وراء العقلية الأوربية وتحت لواء ما زعموه المنبع العلمي الحديث وكانت هذه المدرسة رد فعل أثراء الانبهار والشعور بالضعف لدى طائفة من المسلمين ترى أن تتابع الأوربيين في فهم الدين والعقيدة .

ولكن سرعان ما تكشفت هذه النزعة وسقطت وجهاً ، وبرزت كتابات

مدرسة الأصالة التي أنكرت هذا الأسلوب الفلسفى المادى ، وأقامت مفاهيمها على الأساس القرآني الأصيل وظهرت تلك الكتابات بقلم حسن البنا و محمد الغزالى و سعيد رمضان البوطى وأبو الحسن الندوى وكثيرون غيرهم فرددت إلى «السيرة» النبوية اعتبارها وأعادت تقدير جانب معجزة الوحي الآلى والغيبيات والمعجزات .

وقد جاءت كتابات مدرسة الأصالة في السيرة النبوية بصحمة لاعلاظ كثيرون من كتبوا عن السيرة في هذا العصر وأماعت اللام عن المغالطات التي كانت ولا تزال تنسها أفلام كثیر من المستشرقين والتغريبين وهي أغلاط ومقالات قاتلت تغذيتها وتروي بها مدرسة التبعية .

إن هذه المدرسة لم تعد تخدع إلا قلة من يقابلا المفتونين باسمها . وإن الحقائق الناصعة في حياة النبي ﷺ ستظل هي المشترفة والمسائدة .

وليس أذل على ذلك من هذه المؤشرات العالمية الخالفة للسيرة التي حشدت عشرات من الأعلام للكشف عن الجواب الخالفة في حياة هذا النبي الكريم الذي هدى البشرية أى طريقها وآخرتها من الظلام إلى النور .

المراجع :

- دراسات في السيرة : محمد النايف .
- الفكر الإسلامي المعاصر : غازى التويه .
- فقه السيرة : محمد سعيد البوطى .
- كتابات الدكتور محمد أحد الفضراوى و محمد محمد حسين .
- العقبية : محمد فريد و جدى .
- تقرير الشیخ محمد أبو زهرة عن كتاب محمد رسول آخرية .
- مقالات الدكتور حسين البراوى (ملاحق السياسة ١٩٣٢ - ١٩٣٣) .
- مجلة الفتح : عب الدين الخطيب .

(٢)

الحملة على نوابع الإسلام

الحملة على (جال الدين الأفغاني) = لويس عوض

لقد كان من أبرز ماقام به الشوامخ الزائفون الحملة على نوابع الإسلام ، فكانت حملتهم على ابن خلدون ، وعلى المتبني ، وعلى الآباء الغزالى : اشتراك في هذه الحالات طه حسين ولويس عوض ثم كانت الحملة على صلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح وجدد عبد الرحمن الشرقاوى الحملة على الصحابة بكتاباته عن الإمام علي وسار في نفس الطريق الذى شقه طه حسين وكانت الحملة الخيرية على جمال الدين الأفغاني الذى قادها الدكتور لويس عوض .

وكان المدف هو محاولة اقتلاع جذور الصحوة الإسلامية بالإساءة إلى هولاء الرواد . وتضليل الجماهير ويسويه تاريخ اليقظة الإسلامية وقطع روابط الماضي المعتد من ذي قبل الإسلام بالماضي القريب القائم على وحدة الأمة الإسلامية .

ولذا كان الهدف من تشويه جمال الدين الأفغاني هو إثارة خلال الشك حول عدد من تلاميذه : محمد عبده ورشيد رضا وغيرهم فقد فتح لويس عوض النار على جمال الدين من خلال ما أسماه وثائق بريطانيا وهي في الحقيقة تقارير الجواصين ، ولم تكن هذه الوثائق غير المعلومات التي قدمتها المخبرات البريطانية التي كانت جمال الدين أعدتها وقد كانت المعلومات التي قدمتها جامعة طهران في عهد الشاه موضع شك ولم يكن لويس عوض في الحقيقة موضع الثقة من الناحية العلمية لتيحيته الواضحة للتفكير الماسوني أخيراً وكرآديته الشديدة للإسلام ودعوهه إلى الفرعونية ولكن هناك حقيقة أخرى ظهرت أخيراً .

فقد كشفت الدكتورة لطيفة سالم عن حقيقة هامه في شأن الحلة التي شنها الدكتور لويس عوض على السيد جمال الدين الأفغاني بمقالاته تحت عنوان (الإيراني الفاسد في مصر) والتي أشار الباحثون إلى أنها اعتمدت اعتماداً كلياً على تقارير المخابرات البريطانية التي أفرج عنها في السنوات الأخيرة.

تقول : أسجل أن لويس عوض فيها نجح عليه لم يكن نابعاً في اجتهاده أو اعتماده على معلومات استقامتها من منابع متعددة أو من نظرية جديدة جاء بها نتيجة بعثه وغرضه للوصول إلى الحقائق التاريخية ولم يكتبه تأثير في كل ماقدمه لنا بكتاب (السيد جمال الدين الأفغاني) للمؤرخة نيكى كيدى أستاذة التاريخ بجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس والصادر عن مركز دراسات الشرق الأدنى لتكاليف جامعة طبعته مطبعة عام ١٩٧٢ (٧٩ صحفة من الحجم الكبير) .

وقد تنقلب الباحثة بين إيران ولندن وترددت في إيران على مكتبة البلدية حتى وجدت مجموعة أوراق الأفغاني ٨٩١ وفي لندن اعتمدت على الوثائق البريطانية المحفوظة في دار المخطوطات العامة وعلى مجلدات حكومة الهند بمكتب علاقات الكولونيل وعلى أوراق جلاستون المحفوظة في المتحف البريطاني وفي استانبول استخدمت مجموعة بالدرز التي تفضي فترة حكم السلطان عبد الحميد وفي باريس حصلت على معلومات من أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية .

ومع أن المعلومات التي أعطاها لها مفيدة وقيمة عن هذه الشخصية ، إلا أنها تأثرت بعض اتجاهات انساقت وراء تياراتها وبذلت جهدها في اثباتها وهي التي قتبناها دكتور لويس عوض وأعطتها الصداره في كتابه وما تجدر الاشارة إليه أنهم زاشر باتجاهها الإيجابي لشخصية الأفغاني وإنما أحتجوا الجانب السبابي الذي أثير حوله التشكيك وراح يسرده معنقاً أنه خرج بنظرية جديدة أطاحت بالحقائق القائمة والمحبطه بالأفغاني ليدخله في دائرة الألغاز وتعطى الصور المبهمة بل الغامضة له حتى توقع الخيرة والريبة للؤمنين بدوره القيادي في العالم الإسلامي .

وعليه فلم يأت دكتور لويس عوض بجديد حيث أن ماتناوله نشرته المؤرخة الأمريكية قبل سنوات .

الفصل التاسع عشر

اخفاء منهج القسم الشوامخ وجيل العمالقة

(١)

الحقيقة الواضحة التي لا مراء فيها أن كتاب مصر كانوا حزبيين بمعنوي أو بأخر ولم يكونوا وطنين بمعنى مواجهة الأنجلترا أو معارضين لهم أو كاشفين لانتقام التغلب في الاجتماع أو الاقتصاد أو التعليم ، كانوا خصوصاً سياسيين وأصدقاء في مجال الفكر ، هذا هو منطق مدرسة سعد زغلول التي قامت عليها الأحزاب .

كان أبرز كتاب مصر في هذه الفترة في صف حزب الأقلية (حزب الأحرار الدستوريين) لطفي السيد وله حسين ومحمد حسين هيكل وإبراهيم المازق وعلى عبد الرزاق وحسود عزمي ومنصوري فهمي .

وكان كتاب مصر في هذه الفترة يعارضون النفوذ الأجنبي السياسي برفق شديد من داخل دائرة التفاصيل منه ، ولكنهم كانوا يقبلون أنظمة العرب اليعالية والأسماوية ورؤيدتها بل كانوا يبقلون مذاهب الغرب في النقد الأدب والشعر .

وقد حل العقاد والمازق لواء الدعوة إلى المدرسة الإنجليزية في العقد (هايل وآخرون) كاحل طه حسين وثورة لواء المدرسة الفرنسية .

ومن هذا المنطلق البيرالي العماني المخالف بالطبع ، بعيد عن الوعي المنفهم الإسلام خدع كتاب مصر في عدد من الشخصيات الموصومة في مقدمتها (ماكس نوردو) اليهودي خليفة هرزل الذي كتب عنه العقاد والمازق بكثير من التقدير كما يذاعوا في عباس البنا زعيم اليمانية وكثيراً عنه في الحال والعصور (العقاد وشتاويل مظہر) .

ومن هنا فإن الشهادة التي أعطت أنفسهم هذا اللعن الشديد كانت سياسية أو من مصدر العراك الحزبي والجدل السياسي وأسلوبات البجاء المقنع الذي يرع فيه طه حسين والعقاد ، ولم يكن مصدر هذه الشهادة الآدابي الأدبي نفسه .

كذلك فإن من يراجع (المعارك الأدبية) التي دارت في هذه المرحلة (راجع كتابنا المعارك الأدبية في مصر من ١٩١٤ - ١٩٣٩) يجد أنها معارك حزبية مشوهة بالداخل الأدبية، وتحس فيها روح الآثار والعراء وليس روح النقد العلمي، وربما كاتب من أبواب المهاة السياسية أيضاً.

ولقد كانت هذه التفرقة بين الاستعمار الغربي (البريطاني والفرنسي) وبين الثقافة العربية عاملًا خطيرًا من عوامل استمرار تبعية الأدب العربي للنفوذ الأجنبي فقد كان كتابنا الكبير مهورون بالحضارة العربية والنهج الليبرالي الديمقراطي وكانوا في نفس الوقت قنطرة لنقل الفكر الغربي إلى اللغة العربية.

وعندما أحسوا بأن اليقظة الإسلامية تحاول أن تغير مفاهيم الفكر والأدب أسرعوا فسيطروا على الموجة من أجل أن يقدموا مفاهيم غربية وأفذه للسيرة النبوية وللقرآن والإسلام على النحو الذي كتبه هيكل (حياة محمد) وطه حسين [هامش السيرة] [والعقاد] [العقبريات] وكل هذه الكتابات تنقصها روح الإسلام الحقة وعليها تحفظات كثيرة^(١).

وليس هناك أخطر من تصدر التغريبين للصحافة المصرية على النحو الذي حجب رجال النهضة الإصلاحية أمثال الرافعى وجايش وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وغيرهم.

ولكن حركة اليقظة الإسلامية كانت قادرة على كشف هذا التيار الخطير الذى ما زال يدافع عنه أمثال الدكتور بيومى مذكر بعد أن تبين تبعية المجرى الذى جرى فيه هولاء.

أولاً : كشف الشيخ مصطفى صبرى في كتابه [موقف الدين والعلم من الله رب العالمين عن خطأه كتاب السيرة العصرية في شأن معجزات النبي ﷺ] [فريد وجدى وهيكيل].

(١) راجع بعثتنا عن كتابات آسمة.

ثانياً : كشف مصطفى عبد الرزق وتلاميذه وفي مقدمتهم [على سامي الشار] عن إصاله الإسلام وفساد دعوى التبعية لمنهج أرساطو وأعلنوا أن الإمام الشافعى هو المعلم الأول المسلمين :

ثالثاً : كشف السيد حب الدين الخطيب عن خطط التبشير بترجمه كتاب [الغارة على العالم الإسلامي] .

رابعاً : كشف الدكتور فروخ والدكتور خالدى عن خبايا التبشير والاستعمار

خامساً : كشف مالك بن نبى عن خططات التغريب والغزو التفاقى .

سادساً : كشف الدكتور محمد محمد حسين عن فساد بعض كتب الغرب المترجمة .

سابعاً : كشف الأستاذ محمود محمد شاكر عن أخطاء لويس عوض وعن

مرفات طه حسين في منهج الشعر الجاهلى .

ثامناً : كشف الدكتوره نفوسه زكريا سعيد عن مؤامرة العامية .

ناسعاً : كشف الأستاذ حسن البنا عن أن وجهة كتاب السيرة المعاصرین

غربيه وأنهم لا يؤمنون بمنهج الإسلام الجامع .

عاشرأً : كشف كثير من كتاب المسلمين عن منهج التغريب والغزو الفكري .

(٢)

جريدة إتهام عنيفة

ضد طه حسين وجيله

وقد صفت رجاء النقاش كتاب الاستاذ فتحى رضوان [عصر ورجال] بأنه عريضه إتهام ضد طه حسين وتلاميذه وإن هذه عريضه تتلخص فيما يلى :

أولاً : إن معظم رجال هذا الجيل قد ساروا وراء تعاليم مدرسة حزب الأمة والتي يمثلها لطفى السيد ولم يسيروا وراء تعاليم مدرسة الحزب الوطنى التي تتمثل فى مصطفى كامل . ومدرسة حزب الأمة هي التي كاتب تدفع إلى مهادنة الإنجليز والتعاييش معهم بينما كانت مدرسة الحزب الوطنى تدعو إلى مقاطعة الإنجليز ومحاربتهم بلا هوادة ولقد كان سعد زغلول - وهو من مدرسة حزب الأمة - فيما يرى فتحى رضوان - يقول عن الإنجليز - حتى في أشد موقف العداء - أنهم خصوم شرفاء معفولون .

وحول هذه المدرسة نشأ معظم معظم الكتاب والمفكرين لذلك - كما يقول فتحى رضوان - لم يكن غريباً أن يرتسن في الذهن المناضل العميد الإنجليز إذا ما ذكر اسم واحد من كتاب العصر الذي تورخ له .

ثانياً : كان الصراع الحزبي الذى اشتراك فيه كتابنا تافهاً وضئلاً [وكانت ساحتة ضعيفه وصغيرة وكان كل ما يقال أو يكتب مكرراً معاداً فلم يؤثر في كتابنا جيماً في هذه المرحلة كلام يستحق أن يخلد : كتب العقاد والمازنى وعزمى وغيرهم الآف من المقالات السياسية والحزبية فلم يبق منها شيء مطلقاً ، ولم يذكر العقاد ولا المازنى ولا هيكل فيما كتبوه عن انفسهم مقالاً سياسياً ذات قيمة أدبية أو فكريه حين احتمم الصراع الحزبي .

ثالثاً : أن دعاء التجديد من هؤلاء لم يأتiero على دعوتهم بل تحصلوا عنها بسرعة يقول - فتحى رضوان (مازلت أذكر محمود عزى والقبعة على رأسه فقد كان هذا المسلك منه تحفزاً للتجديد واعلاناً له ولكن عزى خلع القبعة وعاد إلى

الطربوش بعد شهور من هذه المحاولة ولم يفكّر بعد ذلك قط في القبة فكان أشبه شيء بوقف طه حسين من نظرية : أن الكتب المقدسة ليست وثائق علمية لآباء التاريخ ، ووقف على عبد الرزاق من نظرية أن الخلاقة ليست أصلاً من أصول الحكم الإسلامي ، قالا بالنظرتين مرة كلام عوى الفبعة مرة وخلع عزمي القبة إلى غير رجمة كما خلعا نظرتيما إلى غير رجمة .

رابعاً : يعنى الجيل عن خلق تيارات فكرية متصلة (في بكل الذي ألف كتاباً عن روسي في جزئين لا يكاد يذكر روسي كتاب بعد ذلك وكأنه لم يقرأ له أو يقرأ عنه، دع عنك أنه ألف كتاباً طويلاً عن حياته وأفكاره، وكذلك العقاد والمازن وغيرهما).

خامساً : لم يقرن هذا الجيل بين السكر والحياة بصورة سليبة ، كما كانوا يكتسبون مقالات عن فرنس ونيتشه وعن الفلسفة الغربية كتبوا عن الإسلام ونبيه وصحابته فما من شيء تغير في حياتهم بتغير موضوع دراستهم وكتابتهم ، وما من شيء تأثر في أسلوب تفسيرهم ، وكان الطبيعي وقد يلغى الأعجاب عنده بالاسلام إلى هذا الحد الكبير أن ينكح على مسلمتهم في الحياة العامة ، وعلى تفسيرهم السياسي وهم رجال سياسة وصحافة ، هذا أقدر من الاعجاب ولكنك لا ترى لهم أثراً وليس هذا إلا مظراً كاذباً عن موقف كتاب هذا الجيل كله فالكتاب عندهم لم تكن معاناة روحية ولم تسكن أعلاها عن إيمان ولا ارتقاها وتصبحها وقد عجل هذا التحلل ب نهاية هذا المهد .

(٢) فإذا أضفتنا إلى هذه اهتمامات محمود محمد شاكر أنكشف أمامنا فهم عميق الخطط الذي خرجت بها الحياة الأدبية والفكرية من الأحوال إلى الاتجاهية حتى أعادتها مرة أخرى حرفة يقطنه الإسلاميون :

أضاف محمود محمد شاكر :

- ١ - (قضية السطاو) : (طه حسين)
- ٢ - تهديم اللغة العربية والدعوة إلى أحياه اللهجات باستعمال أدائية (لطفي السيد)
- ٣ - حاوله تصوّر ترانينا العربي على أنه فن ارائيسل ومجسرد حفريات قدّمه : (ذكر نجيب محمود)

الفصل العشرين

**محاولات مضللة لزيف تاريخ الفكر الإسلامي
و العمل على إحياء سهوم كتب على عبد الرزاق وقاسم أمين ومنصور فهمي**

(١)

- رجم مقصور فهني عن رأيه في حياة النبي الاجتماعية وحاول التكفير عنها
- رجم الدكتور هيكل عن رأيه في الفرعونية والغرب وأعتبر الإسلام هو المطريق الوحيد للنهاية .
- رجم قاسم أمين عن رأيه في تحرير المرأة وأنكشف له أنه خدع .
- حاول الشيخ علي عبد الرزاق أن يرجع عن فكرته في الإسلام وأصول الحكم وأنكر الدعوة إلى تجديد كتابه .
- لم يصر على مقولاته الباطلة طوال حياته إلا طه حسين نتيجة الحصار الذي كان وافها فيه .

* * *

كان الحديث في ندوة الاعتصام عن تلك المحاولات التي تجربى لإعادة الحياة إلى العمالة والقمع بعد أن فقد الناس الثقة بهم : تجربى هذه المحاولة التي يقودها سامح كريم حين يحاول أن يضفى طابع الإسلام على كل من كتب ولو حتى مقالاً واحداً في تاريخ نبى أميه أو نبى العباس ، وهى محاولة زائفه « تجربى هذه المحاولة التي يقودها عناوين كبيرة معناتها إعادة كتابة تاريخ الإسلام ، انى رأى أنها كانت من أعظم المشروعات الثقافية وهى إعادة كتابة تاريخ الإسلام (أحد أمين - البادى - طه حسين) أولاً على طريقة الفصل بين المناهج وهو منصب غربى يختلف عن الإسلام حيث يجري تقديم (الحياة العقلية - الأدبية - السياسية) كل على حدة وقد فشل هذا المشروع لأنهم يكن قاتلاً على مفهوم حقيقي لتجدد تاريخ الإسلام وأن الكتابة فيه لو تم - ونحمد الله أنها لم تم - كانت ستجرى وفق تفسيرات المستشرقين ومن خلال النسخ المادى للتاريخ وأنها كانت تسارق ما كتبه طه حسين في الأدب الجاهلي ومستقبل الثقافة وحين قام أحد أمين بكتابه الحياة العقلية في كتابه بغير ، وضحى الإسلام فكشف عن تبعيته للاستشراق ووقفه الجريمة ضد الإسلام وضد السنة على التحول الذى يبناه في فضول هذا الكتاب

والذى أورئه لإبنه حسين أَمِنْ ، أما عبد الحميد العبادى فتحن لانتقامه ، ولكن مراوغة سامح كريم تبدو واضحة في خاطر الأوراق ودم إيمان بعض الدعاة الإسلاميين الذين هم موضع ثقة الباحثين والمتقين المسلمين بين هؤلاء التغريبيين حيث يضيّف أسماء مصطفى صادق الرافعى ومحمد شاكر مع خصوصهم طه حسين وغيره وليث شهرى كيف يمكن الجسر بين التغريبيين والإسلاميين إلا في حماولة ماكرة خبيثة ، وكيف يمكن أن يوضع في صف القمم الإسلامية على عبد الرزاق بكتابه الذى جرد الإسلام فيه من مفهومه الصحيح ، أو توفيق الحكيم ، أو أمين الحلوى . والحقيقة أن سامح كريم قد حاول خداع القراء المسلمين خداعاً كبيراً يوضع هولاً في صفوف القمم الإسلامية وقد قلنا له مراراً أن كتابات طه حسين في التاريخ الإسلامي هي كتابات استشرافية معادية وفي هذا الكتاب فصول تكشف ذلك بكل وضوح وتزييف دعوى الذين يرون أن طه حسين أو هيكل أو العقاد كانوا رواداً لكتابات التاريخ الإسلامي من جديد واستدرى كيف يتناقض سامح كريم بأعماله بطله حسين وفي نفس الوقت يروى لشخصيته محمود محمد شاكر وفي الحقيقة فإنه لا بد من الوقوف أاما في صف طه حسين ومحاولاته الماكنة الخبيثة التي كشف عنها محمود شاكر أو في صف شاكر الذي كشف هذه المؤمره وهذا يوحى بالبؤى الذى يصدر عنه سامح كريم في دعوه تحت اسم (الإسلام في فكر هولاً) ونحن نسأل : أي إسلام في فكر هولاً ، هل هو الإسلام الذى يفهمه الغربيون من كلية (دين) يعني الاعتقاد ، أم هو الإسلام بمفهوم الأصيل ديناً ودوله ومنهج حياة ونظام مجتمع وهي القضية التي أثيرت منذ كتاب العقاد وهيكل وطه حسين في الإسلاميات لخداع الشباب المسلم عن المفهوم الصحيح وينهى سامح كريم فرصة شهر رمضان المبارك فيسابق السابقين في الصفحات الدينية ليقدم كتاباً رفضها الفكر الإسلامي ووقف منها المسلمين ومن كتابها موقف الريبة والتكذيب والاتهام بالتبنيه ، ولا يتوازن عن الجرأة في أن يقدم هذه الكتب تحت عنوان مثير (كتب هرت العالم الإسلامي) والحقيقة أنها كتب رفضها المسلمين وكشفوا زيفها فيقدم كتاب

والإسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرزاق ، وتحريم المرأة لفاسق أمين ، ثم يقدم كتابا لم يطبع يوما بالعربية وإنما هو رسالة دكتوراه قدمها صاحبها إلى المخالف الاستشراقية تحت عنوان (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية) ثم قاتلت عليها وعلى كائنها القيامة فأنسكراها ولم يعترف بنسابتها إليه بعد وعاش حياته يستغفر ربه عنها ويحاول أن يقدم شيئا يغفر الله به عملها .

ويحاول سامح كريم أن يبرر المحاوله وبصورها تصويرا خطأنا ويدعى أن هذا العمل كان إسلاميا ، كما يحاول في مقالة هذا وفي مقال سابق نشره عن منصور فهمي أن يبرئ الرجل من اتجاه أعرف هو من يبعد أنه مضى فيه وأنه كان خطأنا وأنه عاد عنه إلى ساحة المفتوحة وقد أعلن منصور فهمي في صراحة ووضوح :

أنه وقع تحت تأثير المستشرق اليهودي المت指控 ليفي بيريل الذي خدعه وصور له أن أن يكتب عن تعدد زوجات النبي ﷺ على أن النبي خالق الشريعة التي جاء بها حتى قال في رسالته :

[أن محمدآ يشرع للبشرية ويسقط نفسه] .
وكان في ذلك أول من كشف خداع المستشرقين واحتواهم لابنائنا المسافرين إلى الغرب وقد كان لهذه الرسالة أثرها الخطير في دوائر الفسق والثقافة الإسلامية حتى أن منصور فهمي الذي عاد من أوروبا عام ١٩١٥ ظل مبعدا عن الجامعة حتى عام ١٩٢٠ تقريبا وإن أحدي الصحف هي التي عملت على مد جبال رزة ، حتى هدأت الضجة ، ولكن الرجل كان صادقا مع نفسه فقد أصلح خطأه وحرر نفسه من الاحتواه العلماني والصهيوني الذي أحاط به وكان مثلا للذين سافروا من بعده إلى الغرب ، فقد تحركوا بالرغم من تبعيهم أن يعموا فيها وقع فيه فقد قاتل طه حسين مستشرق يهودي آخر هو دور كايم وهو الذي دفعه إلى هدم ابن خلدون وتبني ذكي مبارك مستشرق آخر في كتابه (النثر الفنى) وتبني محمود عزمي مستشرق آخر دفعه إلى أنكار الترابط بين الاقتصاد والاسلام ، ومن هنا يتبين

تضليل ساحق كريم الذي يقول أن منصور فهمي زين له شبابه أن يأتي بتفكير جديد مدفوعاً بالتيار العام الذي كان ينادي بتحرير المرأة ، ذلك أن تيار تحرير المرأة هذا قد أنسكشط أمرة من قبل وبين مدى المؤامرة الخاطئة التي قام بها كروم وصالون نازلى فاضل ، ورجاله الذين أغاروه على التحول الذى جعله حركة اليمامة الإسلامية منذ وقت بعيد ولم يعد يخدع أحداً .

وال موقف من منصور فهمي وكتابه الذي لم يطبع ، شأنه شأن كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين وكتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلى عبد الرزاق في كتابات مسمومة من وراء قوى التفозд الأجنبية الخفية ، التي أرادت أن تحدث دوياً ، والتي أنسكشط أمرها من بعد ولم يعد يخدع أحداً ولو أعيد نشر هذه الكتابات كل يوم وفي كبريات الصحف .

وأنا أتأسف أز يسمح بنشر هذه الكلمات في صفحات رمضان الديني وهي ليست إلا حرباً على الإسلام تتجدد على أيدي غلام المستشرقين والحقيقة المعروفة أن هذا الجيل من الرواد والقمع الشوامخ قد بات عارياً وقد تبين للشباب المسلم أنه لم يعد يخدعه أحداً وأن هؤلاء جحدهما وقعوا تحت تأثير الاحتواه التغريبي العلائى الذى أفرغ كتاباتهم جحدهما ولكن -- والحق يقال -- أن منصور فهمي والدكتور هيكل كانوا من أصدق الناس جرأة في الاعتراف بالخطأ والعودة إلى الحق .

وليس فيما كتب منصور فيه في كتاباته هذا ما يدخل تحت عبارة (جريدة البحث العلمي) الخادعة التي يرددتها الدكتورة إبراهيم مذكور ، وما كان منصور فهمي يعلم أو يطلب كما قيل طبع رسالته أو ترجمتها إلى الله العربية أو تدریسها كما يدعى صاحبنا بل كان يؤمن كما تمنى على عبد الرزاق من بعد أن ينسى الناس أن له بخاتمة على هذا التحول وقد وعى منصور فهمي أطراف المؤامرة التي دبرت له وقام هو نفسه بالعودة إلى الاصالة والحق فاترك حفلاً إسلامياً كالمولد النبوى أو الهجرة إلا خطب فيه ، وقد أعلن أنه سيفسر القرآن ليس كفر عن خطيبته تلك وأن كان الزمن لم يسكن له من الوفاء بوعده .

والحقيقة أن بعض دعاء التغريب يتسلق دأباً بعبارة (حرية البحث العلمي)
ولا يزيد أن يعرف الناس حقيقتها التي هي عدم الخروج عن حدود مفاهيم
الإسلام ، وألا ما ينحر حريه البحث العلمي من كلام يتم الرسول ﷺ بأنه
شرع للناس ونبي نفسه كما جاء في رسالة قاسم أمين أو أن الإسلام كان
عقبه في نهضة الأمة كما جاء في رسالة قاسم أمين أو أن الدين الإسلامي دين
روحى ليس له نظام حكم كما يدعى على عبد الرزاق ، هذا الكلام كله ليس
مسموحاً به تحت مظلة حرية البحث العلمي التي توجب على المسلم أن يؤمن
[عانا يقيينا بكل ماجا به دينه وألا يعرضه للشك أو الارتياب ، أما قول إبراهيم
مدكور بأن حرية البحث العلمي أفسح صدراً وأسمى من أن يعتدى عليها بسبب
لفظ أو عبارة سقطت من قلم صاحبها فذلك حق ، ولكن هل كتابة رسالة ، كاملة
قدمت كاطرحة ونوشت بواسطة اساتذة ومستشارين وتناولت حياة النبي
الاجتياعية كلها وقامت أساساً على فكرة أن النبي ﷺ شرع للناس واستثنى
نفسه برواجه من أكثر من أربعة ، وما يحصل بذلك من عرض وشرح وتدليل
بالوثائق والمستندات وهو لب الرسالة قلبها ، هل هذا يهد كل كما ذكر إبراهيم
مدكور لفظ سبق أو عبارة سقطت على قلم صاحبها أم هو اعتداء مع سبق الاصرار
على حقيقة كبرى في الإسلام ، كذلك فإن القول بأنه هذا ... على حد تعبير سامح
كريم - هو مجرد خروج على مورثتنا وتقاليتنا : توسيع باطل فلبس هذا من
من التقاليد والموراثات لكنه من صميم العقيدة التي يصبح المؤمن بها مؤمناً .

وما كان لسامح كريم أن يثير هذا القول كله وقد طواه صاحبه رحمة الله وأعان
عودته إلى الحق وحاول أن يكفر عنه بما كتب من بعد في تكريم النبي ﷺ ،
ولاريء أن عرض هذا الموضوع هذه المرة وفي المره السابقة يوحى بالهدف الذى
يراد أذاعته وهو التهوي والتبيسيط من شأن افتتاح حياة النبي من مثل هذه
الروايات بوصف ذلك كله بأنه كلها سقطت من قلم صاحبها أو تصويره على أنه
من التقاليد ، والحقيقة أن الموقف في عرض هذه الكتابة وإعادة تصويرها على

نحو يحملها هيئة ويسقطة في نظر الشباب المسلم اليوم هو عمل خطر غير مقبل وهو خطير من تلك الحيوط التي يحرى شبابكما حول الكتابة عن الصحابة باستهانة وحول الدعوة إلى وحدة الأديان وحول ما يردده البهائيون والقديانيون وغيرهم .

ولاريب أن التقييم الحقيقي لهذه السكتب وكتاب منصور فهمي بالذات هو أن شبابنا الذي ابتعث إلى الغرب في أوائل هذا القرن قد تلقفته أيدي الصهيونيين الذين كانوا ولا زالوا يشرفون على رسائل الدكتوراه وقد صنعوا بهم ما صنعوا فلما عادوا إلى مصر وضموهم في مكان الصداره وانقيادة ، وأنشأوا بهم هذا الجيل من يسمونهم العمالقة والقمم الشوامخ وأسانذة الجيل وعدم الادب وقد تكشف ذلك كله ووضوح ولم يعد أحد يصدق زيادة هؤلاء ، وإنما الريادة لمجموعة كبيرة من الإبرار الذين لا يذكرون الآن لأنهم قاوموا حالة التغريب والغزو الثقافي وقد عرف شباب الإسلام اليوم حقيقة هؤلاء وكشفوا سوهمهم ولم يعد مثل هذه الصفحات التي بطلقها أمثال سامح كريم والتي تجد سعيها أو جهينا .

ولقد كان من حق التاريخ على سامح كريم وقد أورد قصة منصور فهمي ورسالته مرتين أن يعود إلى الحق في شأن الرجل الذي رحل وهى أنه أعلن خروجه على هذا الفكر الذي أثبتته في هذه الرسالة كله وأنه عاد إلى الحق ، كما أعلن الدكتور هيكل في مقدمة كتابه (منزل الوحي) نزوله عن أراءه الفرعونية والغربية وكيف أنه آمن بأن الطريق الوحيد لنهاية هذه الأوهام هو التمسك بمنهج الإسلام .

هذا وبأنه الم توفيق

(٢)

و سقطت مدرسة التبعية للفكر الواقف

آن هولا، بأن الحضارة العربية هي وحدتها المطلقة الحقيقى للنهاية في الشرق وعالم الإسلام ، وقد كشفت حروب التشكبة والهزيمة والنكسة جميعا عن فساد دعوى هذه المدرسة المضللة ، خذلهم المستشرقون بالنظريه وأغروهم بالمناصب والماراكز ، ولكن هناك من اكتشف الحقيقة أمثال الدكتور محمد حسين هيكل الذى قال أن هذا البذر الغريب لا ينت ب وأن هذا الطريق لا يؤدى ، قال هذا هيكلانا بعد أن استعلنـت كلمة المدرسة الإسلامية ، وكذلك رجم منصور فهـى عن مفوـته .

كان تفـخر نفوس هذه الجماعة شعور النقص ومحاـولة الاستعلـاه بالتقليد ، وعجزوا عن أن يفهموا أبعـاد المسائل وخلفيات الـأمرـور ، عجزـوا عن أن يـعلمـوا أن مصدر النـقصـ هو الفـقـلـةـ عنـ المـانـجـ الأـصـيـلـ وـأنـ الطـرـيقـ الـوحـيدـ هوـ العـودـةـ إـلـىـ الـمـانـابـ .

لقد هـزـتـ نـفـوسـهـمـ مـادـيـاتـ الـحـضـارـةـ : كانـوـ يـكـتـونـ عـنـ بـارـيسـ وـعـنـ الـمـاتـاحـفـ وـالـقـصـورـ وـالـكـنـائـسـ ، وـكـأـنـاـ كـلـ شـيـءـ فـيـ الـحـضـارـهـ ، كانـ الـإـنـهـارـ بـالـقـدـمـ الـمـادـيـ يـلـهـ عـقـولـهـ وـيـسـطـرـ عـلـىـ نـفـوسـهـمـ فـيـ ظـارـونـ إـلـىـ أـوـطـانـهـمـ بـينـ الـأـزـدـارـ ، وـلـكـنـ أـخـابـ الـحـضـارـةـ الـذـيـنـ أـغـرـوـهـ بـهـذـهـ الـأـكـذـوبـهـ (اـكـذـوبـهـ آـنـهـ لـأـنـهـ لـأـنـهـ لـلـشـرـقـ أـلـاـ بـتـقـلـيدـ الـغـربـ وـالـتـبـعـيـةـ لـهـ وـالـانـصـارـ فـيـ بـوـنـقـتـهـ) كـانـوـ مـكـرـةـ فـهـمـ لـمـ يـقـدـمـواـ لـنـاـ [الـعـلـمـ] الـذـيـ نـصـنـعـ بـهـ الـقـدـمـ الـمـادـيـ ، وـإـنـاـ قـدـمـوـاـ لـنـاـ [الـفـلـسـفـةـ] الـتـيـ تـفـسـدـ الـعـقـولـ وـالـقـلـوبـ ، غـمـرـوـاـ هـذـاـ الشـرـقـ الـإـسـلـامـيـ بـالـأـيـدـلـوـجـيـاتـ رـالـظـرـيـاتـ وـالـتـجـلـ

وـتـرـكـوهـ يـصـارـعـهـ وـتـصـارـعـهـ وـيـقـسـمـ عـلـيـهـ وـيـضـرـبـ بـعـضـهـ بـعـضـ ، أـعـادـوـ الـفـسـكـرـ الـوـثـقـيـ الـقـدـيمـ : أـخـوانـ الصـفـاـ وـالـبـاطـنـيـةـ وـالـحـلـولـ وـالـاتـخـادـ وـجـرـرـواـ وـرـاءـ أوـهـامـ الـفـسـكـرـ الـغـنـوـصـيـ وـالـأـغـرـبـيـ .

وـكـانـ رـجـالـهـ قـنـاطـرـ تـنـقلـ سـعـومـ الـفـسـكـرـ الـبـشـرـيـ ، إـلـىـ عـالمـ الـإـسـلـامـ ، وـلـمـ

يُكَنْ وَاحِدُهُمْ زَعِيمًا أَوْ صَاحِبَ أَيْدِلُوْجِيَّةِ ، يُكَنْ أَنْ يَضُفُ إِلَى فَائِتَةِ الرُّوَادِ الْحَقِيقِيِّينَ .

كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ اسَانِدُهُمُ الْيَهُودُ (دُورِكَامْ وَلِيفِي بِرِيلْ وَمَارِكَسْ وَفُروِيدْ) وَوَثَنِيَّاتُ دَارُونْ وَهِيجِلْ وَسَبِنِسْ أَوْ جِسْتُ كُونْتُ وَسَارِتُ وَكَفِسَا .

وَمِنْ خَلْفِهِمُ الْفَكْرُ التَّلْمُودِيُّ الْمُصَاغُ صِيَاغَهُ جِدِيدَةٌ فِي أَسْلُوبِ الْمُصَرِّ ، وَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَخْدُعُوا بَعْضَ النَّاسِ ثُمَّهُ ، وَلَكِنْ أَنْظَرَ الْآنَ ، تَجَدُّ أَنْ كُلَّ مَا تَرَكُوهُ رَكَاماً أَسْوَدَ وَتَجَدُّ جَرِيرَتَهُمْ وَاضْعَفَهُمْ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ خَدَعُوا هَذِهِ الْأَمَّةَ حَتَّى أَوْصَلُوهُمْ إِلَى مَرْحَلَةِ التَّصْدِعِ وَكَانَ لِالْفَكْرِ الْمُخْتَلِطِ: الْمُسِيَّحِيِّ الْيَهُودِيِّ ، الْمَارِكِيِّ ، الْيُونَانيِّ ، الْرُّومَانِيِّ أَثَارَهُ الْبَعِيْدَةِ .

فَلَمَّا أَرْفَعُتْ كَلْمَةَ اللَّهِ وَدَعْوَةَ الْإِسْلَامِ إِلَى وَجْهِهِ الْحَقِيقِيَّةِ لَأَنَّهَا الدَّعْوَةُ الْرَّبَانِيَّةُ ذَاتُ الْفَطْرَةِ وَالْأَصَالَةِ وَالْمَجْدِدَةِ لِرُوحِ هَذِهِ الْأَمَّةِ وَوَجَدُهَا وَضَيَّرُهَا الْخَفَاقُ ، وَأَحْسَوْهَا أَنَّهُمْ يَسْبِحُونَ ضَدَّ التَّيَارِ بَدَأُوا فِي حَلَّاتِ الْمَسْكِ وَالْتَّشْوِيهِ ، وَلَمَّا وَجَدُوا أَنَّ الدَّعْوَةَ الْأَسْلَامِيَّةَ تَغْلِيمَ حَلَوْا عَلَيْهَا وَهَاجُوْهَا وَحاوَلُوا أَنْ يَقْتَحِمُوا نَفْسَ الْمَجَالِ بِالْكِتَابِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالسِّيَرَةِ وَلَمْ دَعْوَةَ عَرِيضَهُ إِلَى النَّفَضَةِ ، تَرَدَّ أَنْ تَمْخَلِّطَ الْإِسْلَامُ بِالْوَثَنِيَّاتِ الْفَرِيقِيَّةِ تَحْتَ أَسْمَ الْأَصَالَةِ وَالْمَعاصرَةِ ، حَاوَلُوا أَنْ يَوْجِدوا بِدِيلًا تَعْمَلُهُ أَقْلَامُ لَامِعَةِ لَهَا شَهْرَتُهَا وَصَحْفَ ذَائِعَةِ ، وَمَوَاقِفَاتَ بَارِعةَ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ (الْبَدِيلُ) عَامِلًا فِي ضَرْبِ (الْأَصِيلِ) . وَالْقَضَاءُ عَلَيْهِ .

هَذِهِ الْبَدَائِلُ تَتَعَمَّلُ فِي كِتَابَاتِ النَّارِيَّةِ الْإِسْلَامِيِّ لِطَهِ حَسِينِ وَهِيكِلِ وَالْمَقَادِ وَتَوْفِيقِ الْحَكِيمِ : ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْكِتَابَاتِ مِنْهَا أَدَتْ مِنْ دُورٍ مَرْحَليٍّ فَأَهْلَمَ تَكَنْ خَالِصَةً لِوَجْهِ الْعِلْمِ وَحْدَهُ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَسْتَجِيبُ لَاهْوَاءِ دَفَعَتِ الْأَقْلَامِ إِلَيْهَا .

كَانُوا يَحَاوِلُونَ ضَرْبَ الشِّيَوْعِيَّةِ الْواحِدَةِ .

كَانُوا يَحَاوِلُونَ بِهَا ضَرْبَ مَفْهُومِ الْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ الْجَامِعِ .

كَانُوا يَحَاوِلُونَ بِهَا أَنْكَارَ الْمُعْزَرَاتِ وَفَرْضَ مَفْهُومِ عَلَمَانِيِّ يَسْكُرِ الْغَيَّبَاتِ ثُمَّ حَاوَلُوا بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَمْتَدَادِ تَحَاوِرَهَا عَلَى أَيْدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّرْقاوِيِّ وَأَحَدِ عَبَّارِ صَالِحِ وَحْسِينِ أَحَدِ أَمِينِ تَفْسِيرِ التَّارِيَخِ الْإِسْلَامِيِّ تَفْسِيرًا مَادِيًّا .

ولقد أقام العقاد كتاباته الاسلامية على (التصور الفلسفى) وأقام طه حسين كتاباته الاسلامية على (التصور المادى) كذلك فقد كان أسلوب العقاد المستمد من علم النفس فى مقابل أسلوب طه حسين المستمد من علم الاجتماع وكلاهما قنطرة بعيدة عن الاصلية .

وليس كلاهما هو مفهوم الاسلام ، وتأثرت العبريات بمذهب غربى فى تحليل الشخصيات وتأثرت (الفتنة الكبرى لطه حسين) بمذهب الفسir المادى للتاريخ .

لقد كانوا يحجبون روائع التراث الاسلامى والتاريخ الاسلامى وراء فكرة الانقطاع الى اهاموها فاصلًا بين الحاضر والماضى فلما بدأ التراث الاسلامى يشرق ويكشف عن جزء هامة من الأصيل زيفوه بذلك ايات طه حسين عن الفتنة الكبرى وهامش السيرة ثم جاءت المرحلة التالية على أيدي الماركسيين الذين اعتبروا أن طه حسين رائدتهم الذى فتح لهم الطريق وازال من أمامهم العقبات (كما فتح الطريق أمام الحوار المسيحي الاسلامى) .

ثم جاء ركي نجيب محمود ليكتب الصفحات المظلمة من تاريخ الوثنية الى تمددت بعد الاسلام تحت اسم أخوان الصدق المحتلة والباطنية والفسكر الفلسفى والفسكر الصوفى الفلسفى ، والقراصنه الذين سرقوا الحجر الاسود وروعوا حجاج بيت الله الحرام بأعتبار أن هذا هو التراث الاسلامى الذى يجب تجديده ، لقد جددوا التراث بالفعل ولكنهم جددوا التراث الرائق المسموم وحجبوا التراث الحقيقى .

وتصود مرة أخرى إلى المقوله الصادقه للدكتور محمد محمد حسين : أن الاسلام نظرية في السلوك يمثل ما أنه نظرية في المعرفة ولذلك كان من المهم أن لا يقبل فسكل اسلامى أو أدب اسلامى من فسكل أو أديب لا يمارس الاسلام ولا يتلزم به ، ومعرف أن هؤلاء جميعا لم يكتو نوا مارسين الاسلام فى صورها الأصيلة ، .

الفصل احادي والعشرون

الدكتور ابراهيم يومي مذكر
تصور زائف لحركة اليقظة الإسلامية

(١)

هل كان لطفي السيد وقاسم أمين وطه حسين من تلاميذ الشیخ محمد عبده

هل كان محمد عبده هو قمة اليقظة أو مرحلة من مراحلها

هناك محاولة جديدة لاتهام حركة اليقظة الإسلامية التي تعنى اليوم على مفهوم الإسلام الأصيل ، الذي يعتقد وجهته من المتابع الصحيح : القرآن الكريم والسنة المطهرة بأن هذه الحركة قد خرجت عن الخط الذي رسمه لها الشیخ محمد عبده والذي يدعى بأن لطفي السيد وقاسم أمين وطه حسين قد ساروا فيه ، وخلافه عنه الذين نقلوا اليقظة الإسلامية من مرحلة الفكرة إلى مرحلة الدعوة ، وهي دعوى ، مبنية تماما لأن المستقر له تاريخ اليقظة الإسلامية منذ ظهور دعوة التوحيد التي دعا بها الشیخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية ودعا بها كثيرون من تلاميذه فكر التوحيد الخالص الذي قدمه ابن يمیهه وابن القیم واتباعهما يؤدون إلى الأمة الإسلامية كأمة قادرة على الآباء من من داخلها عندما تحرّف بها الطريق أو تتجمد الخطوات ، ولا ريب أن هناك مرحلة غلبت فيها جبرية الصوفية على المفاهيم الإسلامية بعد أن مررت مرحلة الجهد في مقاومة حلات الصليبيين والأتراك وتوقف المسلمين عن فتح باب الاجتياح خوفا من دخول الفسق والوأد وحرضا على سلامة مفاهيم الإسلام ، وقد كسر هذا الجمود انطلاقاً للمصلحين الإسلاميين أمثال محمد عبد الوهاب والشوكاني وخطيب مسجد المؤيد في القاهرة بالدعوة إلى التوحيد الخالص .

ومنذ ذلك الوقت سارت حركة اليقظة الإسلامية في طريقها مرحلة بعد مرحلة فسرعان مدخلت مرحلة الجماد بالسيف في مواجهة الغاصب (عبد القادر الجزائري في الجزائر و محمد أحمد المهدي في السودان ، و عبد الكريم الخطاطفي في المغرب ، وأحمد بن عرفة في الهند)

ثم أنتقلت حركة اليقظة الإسلامية إلى مقاومة حلات الهجوم على الإسلام التي يبدأها التبشير والاستشراق وهي المرحلة التي تأديها جمال الدين الأفغاني و محمد

عبدة وهي مرحلة خصبة انتقالات فيها حركة اليقظة الاسلامية إلى منطلقات واسعة في سبيل رسم التصور الاسلامي الصحيح : عقيدة وفكرة ، وكان من أبرز ما قام به إعادة مفهوم الاسلام إلى منطلقه الأصيل من التوحيد الخالص وتحرير ارادة المسلم والحضور وكسر غيوب الجبرية الصوفية وأنكار الانسحاب من الحياة ودفع المسلم إلى أصلاح المجتمع على حد تعبير جمال الدين الافعال (فناء الصوف في الله وفنائي في خلق الله) .

غير أن هذه المرحلة لم تصل إلى جوهر المفهوم الاسلامي الأصيل بل شاهدا بعض التصور ، لأنها صدرت من منطق مفاهيم المعتزلة ، وعلماء الكلام فضلت بها ثمة وكان اهتماماً باعالة العقل على النقل ، وأعتمادها على المنطق ، وهذه مرحلة طبيعية لابد أن تظهر بعد مرحلة الجبرية الصوفية وكان في مواجهة العالمين في هذه المرحلة إحسان واضح بالحملات المثارة على الاسلام من المستشرقين وكتاب الغرب فكان لابد للدعاة أن يتحدثوا عن الاسلام بنائه وقدرته على الوقوف في وجه الاتهامات بأنه بكثير من شأن الغيب والمعجزة والخوارق فكانت تفسيرات الشيخ محمد عبدة التي أرادت أن تدفع عن الاسلام اتهام المستشرقين على التهو الذي ظهر في أنكار شق الصدر وأعتبر الإسلام بالروح ، والقول بأن الطير الآبابيل هي الوباء إلى غير ذلك مما مضى فيها بعض خلفاء الشيخ محمد عبدة مما سمع بالمدرسة المصرية في الاسلام على التحو الذي كتب به فريد وجدى و محمد حسين هيكل والمراوى .

هناك كان لابد لحركة اليقظة الاسلامية أن تصحيح نفسها وأن تدخل مدرسة التفسير القرآني للإسلام وأن تتحرر تماماً من أسلوب الاعتزال والتأويل ، كذلك فقد خرجت حركة اليقظة الاسلامية من « الفكرة » إلى « الدعوة » حيث بدأت تربى جيلاً جديداً تربية إسلامية على التحو الذي فعله النبي ﷺ في مكة قبل الهجرة ، ومن ناحية ثالثة فقد استعملت اليقظة مفهومها الصحيح للإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، وأعلنت لأول مرة وقوفها في وجه الحضارة الغربية وأساليب الفزو التقليدي والتغريب وإعادة الفكر الاسلامي إلى بجري الأصالة والمنابع ، وتحريره من التبعية والاذابة التي جرت خطوة العمل بها عن

طريق الصحافة والجامعة وقبول مفاهيم المستشرقين الذين جاءت بهم الجامعة ليس بغير دا على علوم الفلسفة والنفس والاجتماع والاقتصاد والأدب وفنون ثم فرضوا منهجهم الغربي على وأصبح الفكر الإسلامي محظوظا تماماً عن أهله .

هذا هو الخط الذي سارت فيه حركة اليقظة وهو خط طيفي وتصوري صحيح ، وأنقال من المرحله التي قام بها جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رحمة إلى المرحلة التالية تماماً فهل يمكن أن يوصف هذا بأنه تراجع ، أو انحدار ، أو تحول عن الطريق الصحيح ، لقد بدأ المskرة الإسلامية طريقها واستعملت ثم مضت في نفس الوقت تبني جيلاً جديداً على مفاهيمها .

أما جماعة العددin الذين أدعىوا كذباً وصراحتاً أنهم تلاميذ جمال الدين ومحمد عبده أمثال لطفى السيد وقاسم أمين وطه حسين وغيرهم فهو لا يهم الذين خانوا أمانة اليقظة الإسلامية ، أو أمانة حركة الاصلاح ، باعترافهم إلى التبعية وقبولهم مفاهيم الغرب وأنلقوهم إلى خدمة أهداف الغرب .

لقد أصبحت هذه المجموعة السائرة في ذلك التفозд الفرى والقابلة للفكرة التأويل والعمل لتحقيق أهداف الحاكم سواد في قبول الربا والتقوى به ، أو صنع القانون المدني استمداداً من القانون الوضعي حيث لا يذكر فيه التشريع الإسلامي إلا في المرحلة الثالثة حيث لا يوجد نص غربى أو عرف أقليمى ، وكذلك القوى بالتأمين وشهادات الاستئثار .

كذلك فقد تكشف اخراج المجموعة التي عملت في ميدان كتابة التاريخ الإسلامي والسير : هيكل والعقاد وطه حسين وأحمد أمين وغيرهم .

ولولا يقظة حركة اليقظة الإسلامية لذلك كان لما تكشف أمره ولمضى التغريب بأيدي علماء لهم أسماء إسلامية .

لقد نهى الدكتور ابراهيم يومى مذكور على حركة اليقظة أن تلاقتها ووصفها بأنها نكسة هدم ولا تبني ، لأنها وقفت أمام ذلك الخط الذى رسماه التفозд الأجنبى واستخدم له الدين قسموا كذباً بخلاف الشين محمد عبده من أمثال لطفى السيد (٢٤ - م)

قاسم أمين وطه حسين ، ومن بعدهم كل الذين حاولوا التأويل لخدمة الربا وتحرير المرأة وتعديل القانون الوضعي .

أن الدكتور إبراهيم يومي مدكور يرى في أرتباط الدين بالسياسة خطأ وضللاً ويتابعه في هذا كل أعداء حركة اليقظة الإسلامية ، الذين يرون إن زواج مدرسة تحديد الفكر الديني ، هذه المدرسة التي كان يطبع النفوذ الغربي بأن تتحقق أهدافه من خلال مجموعة من علماء الإسلام يفتون بناية الربا ، وتحرير المرأة ، والقانون المدني وبالتالي للفكر الغربي ، والذين لا يقفون أى موقف بالنسبة بفساد المجتمعات وإنما هم ولا يطالبون بتطبيق الحدود الإسلامية لأنها تتنافى مع المدينة .

ومن العجيب أن ترى رجلاً مثل الدكتور إبراهيم يومي مدكور يحاول أن يؤرخ للحياة الفكرية على هذا النحو الضطرب الراالف ونراه يدافع عن انحدار المرأة في المجتمعات تحت اسم تحريرها ويقول : لارجمة في هذا المضمار مجال ، ولن تنزل المرأة عن حق اكتسبته وهي جادة في كسب حقوق أخرى ، لعلك تدهش يا سيدي الدكتور بأن المرأة قبلت بأرادتها العودة إلى الله والعودة إلى بيتها وعرفت أن مثل دعوتك هذه خالفة مستفقة من بروتولات حكماء ، صهيون .

نحن نؤمن بأن حركة اليقظة قد تطورت تطوراً طبيعياً وأن محمده عبده وفتواه وأفكاره هي مرحلة من هذه المراحل جاتت بعدها مرحلة أخرى أكثر صلة بالقرآن والأصول الأصلية للإسلام بعيداً عن التعبيرات التي كان يدافع بها المسلمون عن أنفسهم أزاء الغزاة .

أما لطفي السيد وقاسم أمين وطه حسين ومن بعروا الربا والقانون المدني فهم خارجون عن هذه الحركة ودخلاء عليها وأن دعوام في الاصلاح الإسلامي كاذبه وأشنعهم كذباً مؤرخ هذه الحركة الدكتور إبراهيم يومي مدكور .

الصلة والقسم الشوامخ الحقيقية

جال الدين الأفغاني	عبد العزيز الثعالبي	حسن البنا	مصطفى السباعي
أحمد السكندرى	علال الفاسى	فريد وجدى	محمد فريد
أحمد تيمور	الفاضل بن عاشر	محمد عبدالله دراز	محمد عبدة
أحمد ذكى باشا	بهجت الائرى	محمد أبو زهره	المفلوطى
أحمد كمال الائرى	مالك بن نبى محمد عبدالله العربى	مصطفى صادق الرافعى	
أمين سامي	محمد جعيل بهم	رشيد رضا	أحمد حسن الزيات
أمين الرافعى	محمد عزه دروزه	رفيق العظم	أبو الفضل [براهيم]
ال بشير الابراهيمى	محمد اقبال	شبل التعبانى	أحمد حسين
حسين البرادوى	مصطفى صبرى	شكيب أرسلان	دكتور ذكى على
حنفى ناصف	محمود شيت خطاب	طاھر الجزائرى	عمر فروخ
عبد الرحمن الكواكبى	محب الدين الخطيب	طنطاوى جوهرى	قدرى طوقان
عبد السلام ذهنى	مصطفى السباعي	عبد الحميد بن باديس	محمد صبرى
عبد العزيز جاويش	محمد المبارك	عبد الرحمن الرافعى	محمد محمد حسين
عبد الوهاب النجار	محمد أحد الفمراوى	عبد العزىز الثعالبي	عبد القادر عوده
على بهجت	المراغى	علي يوسف	محمد بن علي السنوسى
أبو الحسن الندوى	محمد مسعود	محمد عبد الوهاب	محمد العربى الفلوى
المودودى			

(نماذج اهتمامنا بهذه الشخصيات في موضوعها - أملاك، الفرق، الرابع، وغير المجرى)

خاتمة

هناك عدة حقائق أساسية لابد من الالام بها عن مواجهة المفاهيم الواحدة التي قيمتها مدرسة التبيعية والغزو الفكري :

الحقيقة الأولى : هي أن لكل أمة مزاجها النفسي وذاتيتها الخاصة القائمة على أسلاف من عقائدها وأديانها وقيمها ومقاصدها التي عاشت عليها منذ آلاف السنين وأن هذه الأمة حين تواجه أي قضية من القضايا أو حدث من الأحداث أو موقف من المواقف إنما تستمد استجابتها من هذه المضامين .

الحقيقة الثانية : هي أن العرب والمسلمين لهم أيدلوجية أساسية هي في محل النظر إلى السكون والحياة والله (بارك وتعالى) والإنسان والمجتمع ، هذه النظرة مبنية مدة أساساً من القرآن الكريم ومن تطبيقه في الإسلام ورسوله في حياته في بيانه ومن منطلق واضح محدد قوله :

١- أن الإسلام هو خاتم الرسالات وجاء امتداداً لباقي خاتماتها ونهايتها ورسالة إلى الناس كافة في [ليظهره على الدين كله] : (ومبينا عليه) (على الكتب السماوية).

٢- أن القرآن هو النص المؤثر الذي لم يصبه أي تعريف : كتاب الله المنزل بالحق الذي أعطى البشرية منهجاً كاملاً للحياة والمجتمع والأخلاق وعقيدة ناصعة فواماها التوحيد .

الحقيقة الثالثة : هي أن الفكر الإسلامي إنما قام أساساً على القرآن والسنة الصحيحة وأنه استكمل نهجه قبل أن تنقل مترجمات الفلسفات الشرقية والغربية وأنه في مواجهة هذه الفلسفات ظل قادرًا على الاحتفاظ بذاته وقوته .

الحقيقة الرابعة : هي أن الفكر الإسلامي قد أقام منهجاً فكريًا مستقلًا يختلف اختلافاً جذرياً عن مختلف مناهج الأمم وفلسفاتها وعقائدها وأنه أقام منهج

المعرفة الاسلامي على أساس عقلي ورجحى مما يجعل للعقل مطلقه في مجال المعلوم والمحسوسات وجعل للروح مطلقها في مجال الفيزيات وما وراء الطبيعة وأن الإسلام أقام مشروعاً جديداً خاصاً به يختلف عن نظرية اليونان ومناهج الأديان القديمة وفلسفاتها .

المقدمة الخامسة : هي أن هناك مفأمة دائبة وحرب مستمرة لغزو الفكر الإسلامي وأخراجه عن قيمة ومناجمه ومحاولات لتمهين مقوماته وأدخال مفاهيم أخرى للقضاء على استقلاليته وذاته وادانته في الأندية العالمية .

المقدمة السادسة : هي أن هناك حرباً شنها القوى الاستعمارية والاتحادية والصهيونية على مقومات الفكر الإسلامي بأعتباره آخر الحضور التي ثبتت للقاومة في وجه الغزو السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

المقدمة السابعة : هي أن الاستعمار حين سيطر على العالم الإسلامي إنما كان يستهدف تفريغ الذات الإسلامية من مقوماتها النفسية والروحية والاجتماعية المنبثقة عن الإسلام .

المقدمة الثامنة : هي أن أهم ما يجب أن تعرفه أن هناك نظريتين في مختلف مجالات النّفس والعقائد والمجتمع .

• نظرية عربية إسلامية أصلية مستمدّة من قيتنا وتفق مع ذاتينا وزاجنا النفسي وفأمتنا على طرائقنا الجماعة بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخر .

• نظرية غربية قامت في بلادها واستمدّت مقوماتها من قيم فكرها وجودها الاجتماعي أو النفسي الخالص .

المقدمة التاسعة : هي أن الفكر الإسلامي برفض النظريات الواحدة في مجال النفس والمجتمع والثقافة ولكنّه يقبلها في مجال العلوم والحضاره ذلك لأسباب

غميقة بعيدة المدى؛ أهمها قيام المجتمعات العربية والاسلامية أساساً على الترابط والوحدة وقيام مناجها على أساس أخلاق ديني وكون الاسلام دين ومنهج حياة وكون نظرية المعرفة الاسلامية ذات جناحين : مادي وزوحي ، عقلي ووجوداني بينما تصدر هذه النظريات في دائرة الغرب في مواجهة تحديات مجتمعاتها .

الحقيقة العاشرة : هي أن استجابة المجتمعات الاسلامية لهذه النظميات الواقدة ليست استجابة أصلية وإنما هي تحدث تحت تأثير أغزاء البريق وعقدة النقص وتقليد الغالب وفي ظل الفجوة المدارية من نقص المعرفة الأصلية بمناهج تفكيرنا ومقوماته .

هذا وبانه التوفيق ۹

أنشأنا إلى هنا الكتاب مادة كتابنا : (شخصيات إختلف فيها الرأى)

افق البحث

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٢٣	(٣) سعد واللغة العربية	٣	مدخل إلى البحث
١٢٨	(٤) مواقف سعد	٦	(٢) تقديم محصلو جعل الرواد
١٢٣	قاسم أمين	١٥	(٣) إعادة تقديم ما كتبه العيل الزائد
١٤٤	المرأة المسلمة وتحرير المرأة	١٩	(٤) محاولة تغير البوحية والاتهام
١٤٩	ساطع الحصرى	٢٨	(٥) سقوط المسلمين الباطلة
١٥٧	الفارق بين الكثافة الاسلام والقومية	٢٩	(٦) رواد الاصلق ورواد التبعية
١٦١	سلامة موسي		الباب الأول :
١٧٢	دارون ونظريّة التطور	٣٣	جيل العمالقة والقمم الشوان من
١٨٥	ذكر نجيب محمود	٢٤	اطفى السيد
٢٠٣	توفيق الحكيم	٤١	(٢) الخلة على الفصحى
٢١٩	عبد الرحمن الشرقاوى	٤٥	(٣) سياسة الجريدة
٢٢٦	كتاب محمد رسول الحرية	٤٩	(٤) ترجمة أرسطو
٢٤١	مسرحيّة الحسين شهيدا	٥٦	مراجعة عامة
٢٤٥	حول الإمام علي	٥٩	جريجى زيدان
	أخذت الشرقاوي في السيرة	٦١	(١) تاريخ أدب اللغة
٢٥٠	والتاريخ	٦٩	(٢) تاريخ التمدن الإسلامي
٢٥٣	محمد التابعي	٧٧	(٢) روايات جرجى زيدان
٢٦١	لويس عوض	٨٥	أحمد أمين : (غير الاسلام)
٢٦٩	التشكيك في القرآن		علي عبد الرزاق : (الاسلام وأصول الحكم)
٢٧١	المجوم على لغة القرآن	٩٥	سعد زغلول
٢٨٣	محدث واتاتورك	١٠٥	
٢٩٤	فالنتى	١١٢	(٢) رأس المدرسة العزبية

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٠٠	حسين و جمهور	٣٠٥	ساتر (بن عبد الرحمن بدوى) وأنيس منصور)
٤٠٢	الفصل العشرون :	٢١٥	طه حسين
	محاولات مضللة للتزيف	٢٦٥	الفصل الثامن عشر :
	تاريخ الفكر الإسلامي		تحفظات على الكتابات العصيرية للسيرة النبوية
	(٢) وسقطت مدرسة التبعية	٣٩٢	(٢) الحملة على توابع الإسلام
٤١٠	للسکر الواقع	٣٩٥	الفصل التاسع عشر :
	الفصل الحادى والعشرون :		اخفاء منهج أقمم الشوامخ
	الدكتور إبراهيم بيروى		وجيل العمالة
٤١٢	مدكور		(٢) عريضة اتهام عنيفة ضد طه
٤١٩	العماقة والقمم الشوامخ الحقيقة		
٤٢٠	خاتمة		

رقم الإيداع ٨٥/٣٧٨٢

مطبعة أم كلثوم

إحياء النهضتين / تابع الشيخ

يعقوب - سفرى من تابع النهضتين